دِيوانُ السُّليمانيات

(الجزءُ العَاشر)

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

بصُــرتُ ، فهــال القلــبَ مــا قــد تبصّــرا! وأحـــــرى بقلـــــب المَـــــرء أن يتـــــذكرا

تضـــــيقُ - بـــــأقوام - حيـــــاة تريـــــدُهم عبيـــداً لهـــا بعـــد الـــبلاء الـــذي جـــرى

وتتســـــعُ الـــــدنيا لتُســـــعدَ غيـــــرَهم! وتَمقـــــتُ أقوامـــــاً ، تُـــــذيقهمُ الثـــــرى

ألا فاصـــبري يـــا أخـــتُ ، فـــالخيرُ قـــادمٌ! حنانيـــكِ يـــا أختـــاً دَهاهـــا الـــذي أرى

ولـــو كـــان عنـــدي المـــالُ ضـــاعفتُ مِنحتـــي وأعطيتُـــكِ المـــالَ الـــوفيرَ المُقنطـــرا

الطبعة الأولى

1 ماسحة الأحذية

2 ماسحة الأحذية

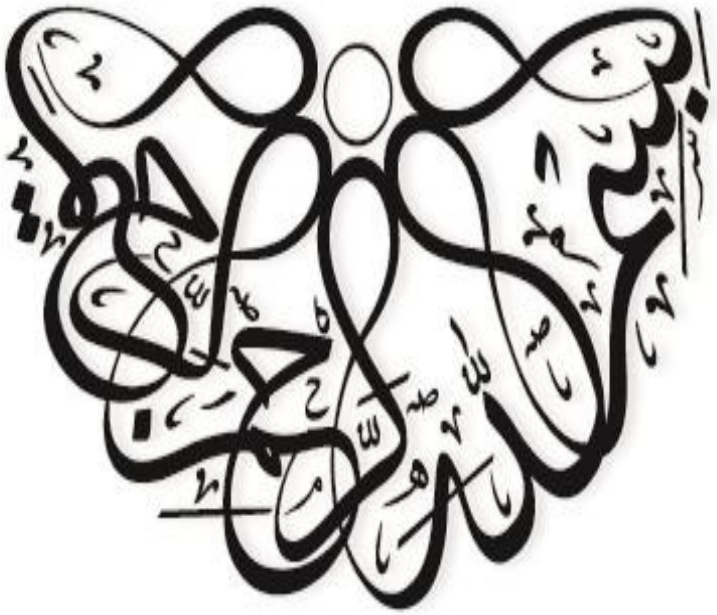

4 ماسحة الأحذية

ديوان السليمانيات

(الجزء العاشر)

ماسحة الأحذية

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

الإهداء

إنـــــي حمـــــدتٌ اللهَ مـــــن أعماقِيـــــهْ ... إذ حُققـــتْ – بالحمـــد - أطيـــبُ أمنيـــةْ

وصـــلاة ربـــي والســـلامُ علـــى الـــذي ... قـــد جاءنـــا بشـــريعةٍ متســـامية

أهـــدي عطيـــرَ الشـــعر أشـــرفَ غـــادةٍ ... حتـــى وإن مســـحتْ ردئ الأحذيـــة

مـــا أنـــتِ - فـــي هـــذا الـــبلاء - وحيـــدة ... كـــلا ، فكـــلٌّ – للمقـــادر - أضـــحِية

فتصـــبّري يـــا أختُ فـــي هـــذا الضـــنا ... وتحمّلـــي هـــذي الفتـــونَ المُضـــنية

بُشـــراكِ! هـــذا الســـعيُ نُجْـــحٌ كلـــه ... وأراه ترجمـــة لأجمـــل تضـــحية

فـــي كفـــك (الـــورنيشُ) يبسُـــمُ ضـــاحكاً ... وعلـــى اللســـان جـــرتْ سُـــيولُ الأدعيـــة

وأمامـــك (الصـــندوقُ) يختصـــرُ المـــدى ... فـــي كســـب ودّ رحـــى الظـــروف المُبكيـــة

وعليـــكِ - مـــن جـــد الحيـــاة - ســـكينة ... تعِـــظ النفـــوسَ الفجّـــة المتدنيـــة

ولـــديك (فرشـــاة) تمـــرّق شـــعرُها ... وبـــرغم ذاك عـــن القماشـــة مُغنيـــة

ولـــديك (أصـــباغ) تعِيـــرُ بريقهـــا ... لتزيـــد نعـــلاً - قـــد تلمّـــع - تحليـــة

وعـــن الشـــمائل واليمـــين مفـــارشٌ ... وبـــداخل الصـــندوق بعـــضُ الأوعيـــة

وســـترتِ وجهـــاً عـــن عيـــون زبـــائنٍ ... والوجـــهُ أجمـــلُ إن علتـــه الأغطيـــة

وحزمْـــتِ أمـــركِ ، مـــا قبلـــتِ دنيّـــة ... ورفضـــتِ مـــا يُعطيـــه أهـــل الأبنيـــة

أهـــديكِ ديـــواني بكـــل حفـــاوةٍ ... فـــي كـــل بيـــتٍ يـــا أخيّـــة أغنيـــة

عُزفـــتْ - علـــى لحـــن الإخـــاء - محبـــة ... وقصـــائدُ الـــديوان ليســـت مُلهيـــة

كـــم حـــرتُ كيـــف أجـــلّ شـــأن تقيـــةٍ ... تســـعى - لنيـــل الـــرزق - بـــين الأوديـــة!

حتـــى نســـجتُ - مـــن القـــريض - عِبـــاءة كيمـــا تزيـــدك - فـــي الخرائـــد - تغطيـــة

وجعلـــتُ - مـــن (أم اليتـــامى) - مِحـــوراً لقصـــيدةٍ هـــي مـــن قبيـــل التعزيـــة

وجعلـــتُ - مـــن ألفاظهـــا - أنقـــى عَـــزا حتـــى أســـريّ - فـــي المصـــيبة - تســـرية

وطفِقـــتُ أوصـــيها ، لأجبـــر كســـرَها وصـــبغتُ شِـــعري بالصـــفا والتســـلية

وظللـــتُ أعمـــل كـــي أخلّـــي بينهـــا أبـــداً وبـــين اليـــأس أعظـــمَ تخليـــة

أهـــديكِ شـــعري يـــا أخيّـــة راجيـــاً عـــدمَ الركـــون إلـــى الظنـــون المُخزيـــة

حيـــاكِ ربـــك ، فـــاقبلي هـــذا القضـــا إذ إنـــــه - والله - خيـــــرُ الأقضـــــية

فلربمـــــا أعطـــــاكِ حتـــــى تفجُـــــري كـــم مـــن عطايـــا فـــي الخلائـــق مُطغيـــة!

وتحمّلـــــي ألـــــم السِـــــقام لتســـــلمي والشِـــعرُ - بعـــد الآي - بعـــضُ الأدويـــة

حيـــاكِ ربـــكِ ، واغفـــري تقصـــيرنا فـــي حـــق مَـــن مســـحتْ لـــذاك الأحذيـــة

الافتتاحية

حَمـــــدتُ المهـــيمنَ لمّـــا اهتـــديتْ ... ومِـــن حمْـــدِه البُشـــرياتِ اســـتقيتْ

وصَـــليتُ جـــزلاً علـــى المصـــطفى ... وصـــــحب كِـــــرامٍ وآل لبيـــــت

وبعـــدُ فقـــد هـــالني فـــي الـــورى ... مصـــــابٌ إليـــه بنفســـي ســـعيت

وســـالت دمـــوعي علـــى وجنتـــي ... وجُنـــدلتِ الـــنفسُ لمّـــا بكيـــت

لثَكلـــى تناشـــد أهـــل الســـخا ... عطـــاءً لعـــيش وإيجـــار بيـــت

ومـــالاً لتكفـــل مَـــن يُتمـــوا ... ليـــؤتى بخبـــز وملـــح وزيـــت

لتجلـــب بعـــض الكِســـاء لهـــم ... وبعـــضَ الغِطـــاء بِكَيـــتَ وكيـــت

فقـــد رُمّلـــتْ ، والرخـــاءُ انتهـــى ... فـــزوجُ الكســـيرة - فـــي القبـــر - مَيـــت

ولـــم يبـــق غيـــرُ الصـــدى والمُنـــى ... وهـــل تنفـــعُ اليـــومَ أيـــن وليـــت؟

لهـــذا أتـــتْ تشـــتكي عُســـرها ... وتنشُـــد شـــهماً كمثـــل (الكُمَيـــت)

فلمّـــا قلاهـــا جميـــعُ الـــورى ... أتتنـــي بمـــا لـــم أكـــن قـــد رأيـــت

وقالـــت: تزوجَنـــي مَـــن ثـــوى ... فـــأذكرُ أنـــي العنـــا مـــا اشـــتكيت

تـــرُوحُ الســـعادة فـــي بيتنـــا ... وتغـــدو ، وتُمســـي بـــذات البُييـــت

فلمـــا قضـــى ذقـــتُ مُـــر الشـــقا ... وبـــالهمّ والعائـــدات اكتويـــت

وقاســـيتُ مـــن مُـــدلهمِّ الأســـى ... وبالنـــار - بـــين الأنـــام - اصـــطليت

وأهلـــي تخلـــوْا ، فمـــا أنفقـــوا ... ومـــن سُـــؤل أهـــل حليلـــي اســـتحيت

لهـــذا لجـــأتُ لصـــندوقه! ... بـــه مِـــن ســـؤال البرايـــا اتقيـــت

وأنقـــــــذني الله مـــــــن محنـــــــةٍ وعوّضـــــني الـــــربّ حتـــــى اكتفيـــــت

فقلـــــتُ لهـــــا: كفكفـــــي عَبـــــرة فـــــإني لحالـــــكِ هـــــذي رثَيـــــت

ســـــأدعو لـــــكِ الله يـــــا غـــــادتي وشـــــعري يُتـــــرجمُ مـــــا قـــــد نويـــــت!

المقدمة

الحمـــــدُ لله ربـــــي الواحـــــدِ الحَكَـــــمِ ... حمـــــداً كثيـــــراً وفيـــــراً بـــــالغ العِظَـــــمِ

يـــا رب صـــلِّ وســـلم يـــا مليـــكُ علـــى ... خيـــر الخليقـــة مِـــن عُـــرب ومـــن عجـــم

وبعـــدُ إنـــي لهـــذا الشـــعر مُحتســـبٌ ... عنـــد المليـــك الجليـــل الواحـــد الحكـــم

أنشـــدتُه فـــي التـــي فـــي كربهـــا اصـــطبرتْ ... ولـــم تبـــال بمـــا تلقـــاه مِـــن غَمـــم

واســـتقبلتْ بالرضـــا مـــا كـــان مـــن قـــدر ... واســـتعذبتْ فـــي الـــبلا مـــرارةَ الألـــم

ومـــا اشـــتكتْ للبرايـــا حالهـــا أبـــداً ... بـــل كابـــدتْ وحـــدها فظاعـــةَ الإزم

لـــذلك اصـــطحبتْ (صـــندوق) قيّمهـــا ... حتـــى تصـــارعَ مـــا فـــي الـــنفس مـــن ســـأم

مسْـــحُ النعـــال لأهـــل الحـــي مَنقبـــة ... تحيـــي الـــذي فـــي الفـــؤاد الشـــهم مِـــن قـــيم

النعـــلُ يمســـحُه - بـــين الـــورى - رجـــلٌ ... مـــا بـــالُ ذات الحيـــا والـــدين والشِّـــيم!

تســـعى لتكســـب قوتـــاً عَـــز مَطلبُـــه ... بـــرغم مـــا يعتريهـــا مـــن لظـــى السَّـــقم

تســـعى لتجلـــب للأيتـــام مُـــؤنتهم ... ســـعياً حَثيثـــاً - وربـــي - غيـــرَ مُـــتهم

مـــن بعـــد مـــا عـــدمتْ شـــهماً يُجنبهـــا ... مســـحَ النعـــال بعـــزم جِـــدّ مُحتـــرم

فأتقنـــتْ حِرفـــة كانـــت تُحقرهـــا ... وســـلّمت أمرهـــا لبـــارئ النســـم

ولـــم تبـــال بلـــوم النـــاس أجمعِهـــم ... لكنهـــا انطلقـــتْ فـــي كـــل مُصـــطدم

حيـــاكِ ربـــك يـــا أختـــاً أتيـــهُ بهـــا ... وأنشـــدُ الشـــعر فـــي إبائهـــا الـــتمم

يـــا رب جُـــد ، وارحـــم الثكلـــى ومَـــن ولـــدتْ! ... وامـــنن علـــيهم ، وزدْ يـــا واســـعَ الكـــرم!

أنـــتَ الـــرحيم بهـــا مِـــن كـــل مَـــن خُلقـــوا ... هبهـــا الكثيـــر مِـــن الأرزاق والـــرُحُم

تمهيد

حمـــدتُ مليـــكَ النـــاس ، ألهمنـــى العوْنـــا ... فألفـــتُ شِـــعراً منصـــفاً طيـــبَ المَعنـــى

وصـــلى الإلـــه الحـــق أزكـــى صـــلاته ... وسَـــلمَ تســـليماً ، وفـــي قدســـه أثنـــى

علـــى أفضـــل الرسْـــل الكِـــرام وآلـــه ... وصـــحب وأتبـــاع ، جـــزاؤهم الحُســـنى

وبعـــدُ ، فتمهيـــدي أضـــمّنه الرضـــا ... بمـــا قـــد أتـــتْ بـــين الـــورى أختنـــا (لبنـــى)

تصـــبرتِ العصـــماءُ فيمـــا أصـــابها ... وبعـــدُ اصـــطفتْ مســـحَ النعـــال لهـــا فنـــا

ولـــم تســـأل الصـــرعى نقـــوداً تُعِينهـــا ... علـــى مؤنـــة الأيتـــام والعـــيش والسُّـــكنى

ولـــم تـــرض زوجـــاً بعـــد مـــوت حليلهـــا ... وكـــم تـــرفضُ الأزواجَ بـــين النِســـا حَســـنا!

وعَفـــتْ ، فلـــم تســـتثن شـــهماً تبثـــه ... أســـاها ، فـــذي مـــا عنـــدها قـــط مُســـتثنى

ولـــم تـــدّخرْ حِقـــداً علـــى أهـــل زوجهـــا ... ولـــم تـــدخرْ - قطعـــاً - علـــى أهلهـــا شـــحنا

نعـــمْ ذاقـــت الـــويلاتِ يكـــوي ســـعيرُها ... ومـــا اشـــتكتِ البلـــوى ، ولا اشـــتكت الضِّـــغنا

نعـــمْ أصـــبح الكـــون الفســـيح مَغـــارة ... وبيـــت اليتـــامى - مُجبـــراً - قـــد غـــدا سِـــجنا

نعـــمْ كابـــدوا فـــي العـــيش ، والأمُ مِـــثلهم ... ولكـــنّ معـــروف الـــذي غـــاب لا يفنـــى

فقـــد عـــاش يُعطـــي مـــن أتـــى متســـوّلاً ... ولـــم تعـــرفِ اليُســـرى الـــذي أعطـــتِ اليُمنـــى

فكـــان عطـــاءُ الله للأهـــل بعـــده ... ثباتـــاً علـــى التقـــوى ، غـــدا يُـــذهب الحُزنـــا

وأكـــرم رب النـــاس مَـــن آمنـــتْ بـــه ... ومَـــن أخلصـــتْ دينـــاً ، وأحســـنتِ الظنـــا

لهـــا مـــن فـــؤادي أعـــذبُ المَـــدح والثنـــا! ... ويـــا ربنـــا أجـــزلْ لهـــا الـــرزق والعَونـــا!

ومِـــن جوعهـــا أطعـــمْ ، وأمّـــنْ هُلوعَهـــا ... ومَـــن غيـــرُ ربـــي يمـــنح الأكـــلَ والأمْنـــا؟

رحلتي مع الشعر

إن رحلتي مع الشعر بدأت من عقود وإلى يومنا هذا! وإذا قلتُ الشعر ، فأنا أعني شعر العرب بوزنه وقافيته ووحدته ومادته وموضوعه! وإلا يكن ذلك كذلك فلا شعر هنالك ولا شعراء! إن اللاشعر المتفلت ليس شعراً وليس نثراً. إذ لكل منهما خصائصه التي تخالف عن كل هذا الهراء المسمى بتفعيلة الشعر. ومن أراد المزيد فليطالع ما كتبه أستاذنا النحوي في كتابه (الحداثة من منظور إيماني) ، وفيه يُفرد فصلاً كاملاً عن النثر والشعر ويعرّف لكل ، ويُثبت أنه لا مكان لشعر التفعيلة في أي منهما. والشعر في لغة العرب هو الكلام الموزون ذو القافية. وإن أغلب من كتبوا تفعيلة الشعر انتهوا إلى مسخ آخر هو النثر المشعور أو الشعر المنثور على حد ما يتشدقون. وأحمد الله أنني ما كتبت في حياتي كلها قصيدة على نمطه إلا (قراءة في أوراق الماضي) في ديوان (عزيز النفس) ولم أسمّها شعراً. إنما كتبتُ هذه الخاطرة في ظروف معينة كنمط أجاري أهله في التصنيف ليس إلا. ولم ينتظم هذه الخاطرة قالب الاهتمام الكبير من التدقيق والتمحيص والمراجعة. وكانت كتابتي لهذه القصيدة ضرورة تطلبتها الرؤية التي ارتأيتها آنذاك ، حيث اعتزمت أن أرثي عيني وأبكيها في ديوان أفرده لها ، ويكون مصاغاً على كل بحور الشعر العربي أصيلها ومولدها ومقلوبات بحورها. وكانت تجربة يتيمة فريدة لم أحاولها في أي ديوان تلا (عزيز النفس). واعترض عليها كثيرون من الراسخين في معرفتي ، حتى أن الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي وهما مَن راجعا مُسوّدة ديوان (عزيز النفس) قد رفض كل منهما مجرد قراءة قصيدة (قراءة في أوراق الماضي) ، لأنها ليست شعراً عربياً أصيلاً! واحترمتُ يومها وجهة نظرهما ، ومن هنا لم أكرّر المحاولة بالكتابة على ما يسمى زوراً وبُهتاناً بشعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر! إن الدافع لشعر الحداثة أو اللاشعر كان التغريب والهجمة الاستشراقية الخبيثة الماكرة. تلك التي تمت على أيدي سدنة الاستعمار وأذناب المغرضين الحاقدين على اللغة العربية. إنني بصدق أسجل هذه الكُليمات الآن من قبيل الوصية التي أوصي بها أبنائي فأقول: (إن تركتي الحقيقية هي ذلك الشعر الذي كتبته بدمي ودمعي وعانيت فيه الكثير. أيها الأبناءُ إنْ كان الشعر ديوان العرب الذي حوى مساجلاتهم ووقائعهم وعاداتهم وسلومهم ، ودوّنت فيه تقاليدُهم وأعرافهم ، فإنه كذلك بالنسبة لأبيكم ، لقد احتوى ذلك الشعر الكثير والكثير من حياة أبيكم وجانباً كبيراً من حقائق لطالما كان يحلم بخروجها من صدره للدنيا ، ألا فلتقرأوه ولتعلموا ولتعملوا بالحق والعدل والخير الذي احتواه. ولتجتنبوا السوء الذي قد حواه. فما كان فيه من حق وعدل وصواب وخير ورُشد وبر فمن الله وحده ليس لأبيكم فيه نصيب ، وما حوى من سوء أو تطاول أو قبح أو سوء أو تزايد على الشرع الحنيف أو الأدب العربي الأصيل الموافق لروح العقيدة فمن الهوى والنفس والشيطان! أستغفر الله من كل سوء حواه شعري ، كما أعوذ به أن يكون سبباً في إغواء أحد من خلقه. كما وإني لأشكر الله على أن خصّني بكتابة الشعر. إن موقفي من الهراء الذي يُطلق عليه زوراً وبهتاناً شعر التفعيلة ، وما هو عندي بالشعر ، موقفي منه أنني أرفضه وأمقته. كما أنني لا أسمح لنفسي أبداً بأن أسميه بالشعر ولا حتى بشعر التفعيلة ولا تفعيلة الشعر. ولعل قراءة متأنية لقصيدتنا (اللاشعر المتفلت) في ديواننا (الأمل الفوّاح) لتبصّر القارئ الحبيب بموقفي منه ومن أهله. إنني في قصيدتي تلك أردّ على أحدهم وقد افترى إثماً عظيماً على اللغة العربية. يقول (ابن رشيق) عن

الشعر: "وإنما سُمّي الشاعر شاعراً ؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، أو استظراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني المقصودة ، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازًا لا حقيقة ، ولم يكن له إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي مع التقصير".هـ. ويقول الأستاذ محمد صالح علي عن الشعر بأنه: (ذلك الإحساس الذي يجول في خاطرنا. فنشكل بالكلمات أجمل اللوحات وأعذب الموسيقى. لتكون في النهاية قصيدة أو خاطرة تعبّر عن داخلنا من أحاسيس ومشاعر. كثير من مظاهر الطبيعة قد لا تثير فينا أي اهتمام ، ولكن قد نتأمل قصيدة في وصفها تجعلنا نبدو أكثر اهتماماً ، وتعود هذه المناظر من جديد ، لتهز فينا أسمى المشاعر. فالشعر هو تلك التراكيب المؤلفة من ألفاظٍ فنيةٍ متناسقةٍ لتعبر عن شعور قائلها ومعاناته بحيث توصل المراد إلى القارئ والمستمع مباشرة أو عن طريق الرمز الذي تعود الشاعر على استخدامه).هـ. ولقد نتج شعراً منسجماً مع النظام اللغوي التعبيري ، ولا يخرج عنه إلا في محطات التغيير المتباعدة زمنياً. ويقول الأستاذ أحمد الحاج أحمد وهو يتساءل: (ما الشعر؟ ما الشعور؟ ما الطريق؟ كيف يكون الشعر في طُرُق الشعور؟ هل هناك تأمّلٌ داخل الحد ، وآخر خارجه؟ أسائل العقل ، وأستفزه ، وأحاوره: إنها أسئلةٌ مقلقةٌ ، تفتح الفكر على أبوابه المشرعة دوماً ، لا أعرف ما الذي تحتاجه: إجابةٌ محكمةٌ ، جامعة مانعة ، أم طريق نحو التعريف والتحديد والإحاطة؟ أم ماذا؟ ما الذي تريده أنت من السؤال؟ لا أعرف! والأسئلة تداهمني. هذا ما يحدث. في لسان العرب ، وغيره من المعاجم العربية ، رُبِط الشعر بالشعور ، والأخير من الفعل شَعَرَ ، الذي دلَّ استعماله في مواضع عدة على معنى العلم والمعرفة وكان في موضع الشعر مرتبطاً بخصوصية العلم والمعرفة ، سواء كانت في اللغة أو في التجربة أو في الشكل الشعري وتقنياته ، وبالتالي فالشعر منتوج المجال التفاعلي بين الإنسان ومحيطه ، إذ إن الإنسان متفاعل في ذاته ، حين يستشعر أفكاراً وأخيلة مبهمة المعنى وسريعة المرور ، دون التعبير الواضح عنها. وهو متفاعل مع ذاته ، في الوقت الذي يشعر بها كائناً مُفارقاً ، من الممكن مراقبته والتفاعل معه والتعبير عنه. كما أنه متفاعل خارج ذاته ، حين يشعر بالمحيط ويتفاعل معه ويعبّر عنه. في حين لا يتفاعل المحيط إلا في ذاته ، ليشكل فعل السياق ومنتوجه المعرفي الثقافي. وينبني هذا الفعل التعبيري على الشعور ، عبر مكونات الإنسان المعرفية ، من حواس وغرائز وملكات وقدرات. ويبدأ الشعور بالحواس والغرائز وتفاعلها وانفعالها مع الذات والمحيط ، ويستمر بتشكل الملكات والقدرات وتشكيلها ، في سياق المحيط وفعله. بهذا التوصيف يبدو مسار الشعر ، في طريقه إلى التحقق ، خطياً ، يبدأ بالمكوّنات المعرفية وينتهي بالمنتوج اللغوي ، لكنه في حقيقة الأمر ، رحلة سائلة (من سأل وسال) في الشعور وفعل السياق والوجود الفعلي العياني ، ليتحقق في الوجود اللغوي. إذن يتأرجح الشعر بين فعلين: العياني واللغوي).هـ. ومن هنا أقول: إن كل قصيدة كتبتها في ديواني هذا وفي دواويني الأخرى هي في حقيقتها شعور قاد إلى قشعريرة وشعر في ختام المطاف! وأي قصيدة لم يدفع إلى كتابتها شعور فهي تقطيع وأوزان ليس إلا! ومن هنا يتميز الشاعر المطبوع والشاعر الصناع! إن ثمة فرقاً كبيراً بين الطباعة والصناعة! فالشاعر المطبوع شعره تحركه ملكة ومشاعر وعواطف وأحاسيس ، أما الشاعر الصناع فشعره أقرب إلى التلفيق والقص واللزق!

وفاء شاعر

(لامه البعض أنه مدح بعض معلميه في شعره. فقال: إن هذي المدائح الفذة من بعض الوفاء والعِرفان بالجميل للمعلمين. وايمُ الله مهما أثنينا على أساتذتنا فما وفيناهم بعض حقوقهم! دخل حكيم على حكيم في منزله وهو متوحّد أي كان في منزله بمفرده فقال له: أيها الحكيم. إنك لصبور على الوحدة. فقال: ما أنا وحدي ، فمعى جماعة من الحكماء والأدباء يخاطبونني وأخاطبهم ، وضرب بيده على رصّة كتب بجانبه ، وقال: هذا جالينوس يُحاضر ، وهذا بقراط يُناظر ، وسقراط يعظ ، وأفلاطون يلتقط ، وهذا داوود يُعلم. وإذن فالمعلم حياً بعلمه أو ميتاً بكُتبه له فضل ولا شك!)

مـــدحُ أســـتاذي واجـــبٌ واعتـــزازُ ... واحتـــرامٌ - بـــه الفتـــى - يمتـــازُ

إنـــه عِرفـــانٌ بـــأغلى جميـــلٍ ... وافتخـــارٌ ســـامٍ بمَـــن قـــد أجـــازوا

وأقـــلُّ العرفـــان مَـــدحُ المُربـــي ... فـــي قصـــيدٍ يعنـــو لـــه الإعجـــاز

يَـــذكرُ الخيـــر فـــي المُعلـــم ضَـــحّى ... لـــم يَعقـــه عـــن بذلـــه اســـتفزاز

لـــم تَعقُـــه الأمـــوالُ حِيـــزتْ لبـــاغ ... إذ لـــه - بـــالعلم الأصـــيل - اعتـــزاز

لـــم يَعقـــه الفقـــرُ الـــذي بـــات قيـــداً ... لـــم يعقـــه - بـــين الـــورى - غَمـــاز

لـــم تعقـــه الحيـــاة تكويـــه جبـــراً ... مـــا لـــه - مِـــن كـــيّ الحيـــاة - مَفـــاز

فـــي زمـــان أزرى بأســـتاذ جيـــلٍ ... حيـــث ســـاوى أســـتاذه المَعّـــاز

بـــل وجـــدنا المعّـــاز أغنـــى وأســـمى ... حيـــث يُضـــني المعلـــمَ الإعـــواز

ذاك مِـــن بيـــع المَعْـــز أضـــحى ثريـــاً ... وجميـــعُ الحمقـــى إليـــه انحـــازوا

بـــل رأينـــا المَـــوّاز أعلـــى مقامـــاً ... كيـــف يعلـــو - فـــي دارنـــا - المَـــواز؟

بـــائع المـــوز طَعمـــة لبُطـــون ... فـــاق أســـتاذاً؟ إنهـــا الألغـــاز!

كيـــف يرقـــى قـــومٌ تـــدنى لـــديهم ... ربُّ علـــمٍ ، ثـــم ارتقـــى البـــزاز؟

هـــل ألامُ أنـــي مـــدحتُ المُربّـــي ... إذ تســـاوى الأســـتاذ والخبـــاز؟

إن مـــدح الأســـتاذ دَيْـــنٌ علينـــا ... لـــيس يُطـــري الأســـتاذ إلا العِـــزاز

من الكباريه

(استأجر ذلك الداعية أحد الكباريهات الغربية من صاحبه ، وراح يدعو السكارى والغافلين فيه إلى الله مجيباً لهم عن أسئلة أربعة: (من نحن؟ ولماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وإلى أين نصير؟) وكانت موعظة وجلتْ منها قلوبهم رغم قسوتها ، وذرفت عيونهم الدموع رغم تحجرها! وأعلن أغلبهم توبته وإنابته ، في سابقة لهم لم يعيشوها من ذي قبل! وراحوا يشكرونه ويدعون له! وأتى الأمر على غير توقعه ، حيث كان يتوقع أن يُرمى بقناني الخمر ، ويُبصق عليه ويسب ويشتم! فشكر لله ما قد كان ، واحتسبَ مالاً دفعه لصاحب الكباريه ، وجهداً ودعوة في سبيل الله تعالى! ومن هنا رحتُ أحييه بهذه السطور الشعرية البسيطة من البحر البسيط وقافية القاف المضمومة!)

بُشراك يا صاح مَن تابوا ومَن صدقوا ... ومَن - بهذا الهُدى خِلافك - انطلقوا

خصُّوك بالشكر لمّا جُبتَ عالمَهم ... مُناصحاً مُشفقاً على مَن انزلقوا

ترمي - لهم من علٍ - حبلَ النجاة عسى ... أن يُنقذ الله مَن في غيّهم غرقوا

ألقيت وعظك في حرصٍ وفي مَلقٍ ... حتى سبانا سنا الإلقاء والمَلق

أدليت دلواً من الإرشاد مبتشراً ... ولم تبال بمن بذا الهُدى شرقوا

وما تكلفتَ في البرهان تبذله ... لتُخرج الناس مِن نار بها احترقوا

وما أرقت خموراً فوق مائدةٍ ... وما نهرت فتاة أزها الشبق

وما زجرت نساءً عُرْيُهن بدا ... والعِطرُ زاكي الشذى مستشرفٌ عبق

وما تناولت ما يأتي القِمار به ... مِن المكاسب في جيوب مَن سبقوا

لكنْ تحدثت - في التوحيد - مُحتسباً ... إذ للعبادة كل الناس قد خُلقوا

وبالعقيدة كل الأمر مُرتبط ... وكم بذلك أهلُ العلم كم نطقوا!

حتى أبنت عُرى التوحيد مُحتملاً ... ضلالَ مَن جهلوا ، وفسقَ مَن فسقوا

تغيّر الحالُ ، جُلُ القوم قد فطنوا ... ودان بالدين ناسٌ منه كم مرقوا!

جوزيت خيراً على ما جئت تبذله ... كما يُجازى الألى - في بذلهم - صدقوا

أمانة

(مردتْ هذه الزوجة الناشز على إفشاء سر زوجها ، بل والاستهزاء به آناء الليل وأطراف النهار ، والسخرية من أي عمل يعمله. ونسيتْ أو تناستْ أن حقوق زوجها أمانة سوف يسألها الله عنها يوم القيامة. روى ابن حبان عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا صلتِ المرأة خمسها وصامت شهرها وحصّنتْ فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت". صححه الألباني. وروى ابن ماجه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدِم معاذ من الشام سجد للنبي - صلى الله عليه وسلم -! قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم! فوددتُ في نفسي أن نفعل ذلك بك! فقال: فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لغير الله لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها." صححه الألباني. فكتبتُ لها.)

تجـــاوزتِ - والله - سَـــمتَ الغجـــرْ ... وكيـــدُكِ فـــاق حُـــدودَ البشـــرْ

وأفشـــيتِ ســـر الحليـــل الـــذي ... وربـــك - لـــولا التقـــى - لانتحـــر

جعلـــتِ - مِـــن الـــزوج - أضـــحوكة ... ولـــم يـــكُ منـــكِ الأذى ينتظـــر

وأهـــدرتِ أموالـــه غِيلـــة ... وألحقـــتِ - بـــالعبقري - الضـــرر

ولـــم تتقـــي الله فـــي حقـــه ... وكســـرُ التعنـــتِ لا ينجبـــر

وخُنـــتِ الأمانـــة ، مـــا صُـــنتِها ... وعنهـــا سيســـألكِ المقتـــدر

تناســـيتِ معروفـــه يـــا (صـــفا) ... لأنـــك منـــه قضـــيتِ الـــوطر

وناشـــدكِ الله فـــي حقـــه ... فمـــا كـــان للســـؤل مِـــن مُعتبـــر!

وحـــذر مـــن هـــول يـــوم الجـــزا ... ومـــا ردّ ظلمَـــك بعـــضُ الحـــذر

وسَـــحّ الـــدموعَ لكـــي تخشـــعي ... ومـــا كـــان للقلـــب مِـــن مُزدجـــر

وأدمنـــتِ كُفـــر العشـــير الـــذي ... تمرّســـتِ فيـــه بشـــتى الصـــور

ســـألتُ عـــن اســـمك قـــالوا: (صـــفا) ... فـــأين الصـــفاءُ؟ وأيـــن الســـمَر؟

وأيـــن التســـامحُ فـــي عيشـــةٍ ... بـــكِ امـــتلأتْ بـــالجوى والكـــدر؟

حنانيـــكِ ، تـــوبي فـــربُ الســـما ... أحاطـــك - مِـــن فضـــله - بالنّـــذر

عالم الدنس

(دفعته ظروف الحياة لأن يعمل فى ملهى ليلي. عُيّن بالواسطة والمجاملة! ففارقه من أول نصف ساعة عمل. وهذا لما وجد فيه من الدنس والدعر والانحطاط والسفول والتهتك الفج والإباحية. يقول د. عبد الله النجار: (العمل في نظر القرآن الكريم قيمة إنسانية خلاقة يتوقف عليها إعمار الكون واستمرار الحياة ، واستخلاف الإنسان ، وقد أوضح القرآن أنه بدون العمل لا يكون للإنسان قيمة ولا للحياة معنى ، لأن قيمة الإنسان بعقله ، إذ العقل هو الدُرّة التي امتن الله بها عليه ، وجعله مفضلاً على جميع المخلوقات ، وبالعقل استحق الكرامة الإنسانية ، وأن تكون حياته معصومة ، وحُرُماته مَصُونة ، وهو لم يعط كل ذلك لمجرد وجود العقل ، وإنما لأن العقل يُمثل طاقة الإبداع فيه! من أجل صناعة الحضارة).هـ. فأنشدتُ حكاية عنه أقول في رفض الوظيفة على المنسرح.)

بـــئس الخنـــا مِـــن وظيفـــة ... تُـــرْدِي النفـــوسَ الشـــريفة

ولا تعـــــودُ بخيـــــر ... علـــى القلـــوب العفيفـــة

مـــاذا سيكســـبُ عبـــدٌ ... إن بـــاع طهـــر الحنيفـــة؟

إن الســـفولَ انحطـــاطَ ... يُفضِـــي إلـــى كـــل جيفـــة

لمّـــا رأى الشـــهمُ فوضـــى ... منهـــا تـــوجّسَ خِيفـــة

إذ ســـاحةَ الـــدُعْر قالـــت ... مـــا لـــم تقلـــه الصـــحيفة

فـــالعُرْيُ يَغمـــرُ مَلهـــى ... والخمـــرُ خلـــفَ العليفـــة!

والراقصـــاتُ جَـــوارٍ ... لكـــل حُـــر وصـــيفة

تبيـــعُ عِرضـــاً بفلـــس ... وللمَـــزاد ثقيفـــة

وللتهتـــكِ قـــومٌ ... لهـــم نِكـــاتٌ طريفـــة

علـــى حســـاب المعـــالي ... بالدنـــدنات الرهيفـــة

فعـــاينَ الشـــهمُ دنيـــا ... فيهـــا البلايـــا كثيفـــة

فقـــال: خلـــي ســـبيلي ... أقولهـــا كالقذيفـــة

مـــا كنـــتُ - يومـــاً - رقيعـــاً ... يرضـــى بتلـــك الوظيفـــة

أسماء

(كان اسمها سانجو ، وكانت نصرانية. ثم منّ الله عز وجل عليها بالإسلام. وكانت لا تحسن غير لغة قومها ، فمنّ الله عليها بتعلم العربية وفقهها. فأبلتْ في الإسلام بلاءً حسناً. ودعتْ إلى الله بلغتها القومية. وجاءتْ ديار العرب وعلمتِ العربيات. ويُسأل الأستاذ إبراهيم الفارس سؤالاً هو: (هل المرأة كالرجل في وجوب الدعوة إلى الله تعالى؟ فيجيب: (لا بد أن يعلم الإنسان أن كل مخلوق قد يُسر له أمر ويُسر له منهج ، والإنسان مطالب بهذا المنهج ، فالرجل له مجالاته الدعوية التي لا يمكن للمرأة أن تقوم بها ، فالجهاد في سبيل الله مجال دعوي قوي ، لكن المرأة لا تطالب بالجهاد ، كذلك للرجل أن يخطب على المنابر أمام الناس ، والمرأة لا تستطيع أن تفعل ذلك ، لكنها تستطيع أن تكمل هذا العمل بما تستطيعه أمام النساء ، والمرأة في هذا الجانب مساوية للرجل تماماً).هـ.)

أطريكِ بالنثر؟ أم أطريكِ بالشعرِ؟ يا ربّة الضاد والتوحيد والخيرِ!

أعِز قدْركِ - بين الغِيد - محتفياً بمَن غدا نورُها - في دارنا - يسري

عليكِ مَنّ مليكُ الناس خالقهم بأنْ هداك إلى الإسلام والطّهر

فودّعتْ نفسُك التثليثَ عازمة أنْ لا تعودَ إلى الضلال والكُفر

وتُبْتِ لمّا رأيتِ الحق مُنبجساً وتاقتِ الروحُ للثواب والأجر

وبعدُ أصبحتِ - للإسلام - داعية في عُقر دارِكِ بالإقناع لا الجبر

وأثمرتْ دعوة أشعلتِ جذوتها ولا يُداوي عَوارَ الفكر كالفكر!

ثم انطلقتِ - لضاد العُرب - راغبة شأنَ التي شغفتْ بالعائد المُغري

فلانتِ الضادُ للمُحبّة احتملتْ صعوبة النحو والتركيب والشعر

حتى افتخرتِ بها فيمن بها نطقوا والضادُ أهلٌ لكل المَدح والفخر

أعزكِ الله يا (أسماءُ) ، أنتِ لنا أختٌ ، دمُ الحق في شُريانها يجري

تذودُ عن دينها ، تريدُ عِزته وذات يوم يجيئُ السعيُ بالنصر

(أسماءُ) أنتِ على ثَغر ، فلا تهني كيلا يُنال الهُدى مِن ذلك الثغر

حياكِ ربك ما ناصرتِ شِرعته وما اجتهدتِ لنشر الوحي والذكر

سلوك عواقبه وخيمة

(وُضعَ في غير مكانه. حيث عُين مديراً لأحد المصانع. فقام أولاً بتصفية الكوادر المهنية وذوي الضمائر والمواهب. وذلك حسداً من عند نفسه ليس إلا. واستبقى معه الإمعات من حارقي البخور وقارعي الطبول. فضاع المصنع. يقول الأستاذ محمد النغيمش: (الإدارة ببساطة هي «علم وفن» في آن واحد. إن المدير الذي لم يدرس آلية «التفويض» وشروطه وتداعياته ، سواء من خلال الدورات أو الدراسة الأكاديمية ، فسوف يكون مركزياً أي يفعل كل شيء بنفسه ، من طباعة التقارير والرد على المكالمات الواردة وانتهاءً بدقائق الأمور التي لا يُفترض في المدير تأديتها بمفرده. كما نسمع أيضاً عن شركات فاشلة إدارياً ومتعثرة في أدائها وتعاني من عزوف الناس عنها لأنها تواجه مشكلات إدارية لا يستطيع المدير أن يحلها).هـ. ولذا قلتُ في هذا من المقتضب.)

المـــــــــديرُ مُعتســـــــــفُ ... والســـــــــلوكُ مُنحـــــــــرفُ

والضـــــــميرُ فـــــــي عمَـــــــهِ ... والـــــــذنوبُ تُقتـــــــرَف

والنصـــــــائحُ انتحـــــــرتْ ... عنـــــــدما طغـــــــى الجنـــــــف

والحيـــــــاة قـــــــد أســـــــنتْ ... عنـــــــدما مضـــــــى الشـــــــرف

والقلـــــــوبُ مـــــــا اتعظـــــــتْ ... حيـــــــث غالهـــــــا التـــــــرف

والمشـــــــاعرُ انكســـــــرتْ ... عنـــــــدما الغُثـــــــا خلفـــــــوا

يـــــا مـــــديرُ كـــــنْ فطنـــــاً ... لـــــن يُفيـــــدك الصـــــلف

كـــــم قهـــــرت مَـــــن عملـــــوا ... والوظـــــائفَ احترفـــــوا!

مـــــا احترمـــــتَ خـــــاطرهم ... بـــــل ظلِلـــــت تعتســـــف

كـــــم بنـــــوْا ، وكـــــم ســـــهروا! ... والجميـــــعُ يعتـــــرف

كـــــم تحمّلـــــوا مِحنـــــاً! ... فـــــالظروفُ تختلـــــف

كـــــم تجرّعـــــوا غَصصـــــاً ... حـــــين طـــــالهم شـــــظف!

ثـــــم أنـــــت تحقِـــــرُهم ... إنّ ذا هـــــو القـــــرف

لـــــم يُقصّـــــروا أبـــــداً ... بـــــل علـــــى الـــــذرى وقفـــــوا

عقوق داعية

(الدعاةُ نوعان: نوعٌ الدعوة عنده رسالة ، فهو يحملها لأنها تكليف يمكن أن يضحي في سبيلها بنفسه وما يملك. ونوعٌ الدعوة عنده وظيفة ارتزاقية ، فهي تحمله فهي عنده فعلاً تشريف لأنه عبء عليها. يقول الأستاذ ناصر العمر: (الداعية الصادق منتصر وإن خذله الناس ، أيها الحبيب ، لا تخف على الإسلام ، فالإسلام باقٍ! ولكن خف على نفسك أن تموت على غير الإسلام ، من أراد الإسلام بسهم ارتد السهم إلى صدره ونحره ، إنّ الإسلامَ يُنظف نفسه - من شُبهات المشككين - بنفسه ، وكلما أشعل الأعداء فيه النار ، اشتهر وازداد في الانتشار. (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).هـ. أكتب في هذا من المنسرح.)

يـــــا خـــــائرَ العزمـــــاتِ ... يـــــا دائـــــمَ العثـــــراتِ

مازلـــــت بالـــــدون ترضـــــى ... يـــــا مُعجبـــــاً بالحيـــــاة

قـــــد بعـــــت دينـــــك ترجـــــو ... شـــــيئاً مِـــــن الشـــــهوات

والـــــدينُ يـــــا غِـــــرُّ أســـــمى ... مِـــــن سَـــــيئ الرّغبـــــات

إن ارتقـــــــــــــاءك أودى ... يـــــا خِـــــب بالطيبـــــات

وهـــــل تهـــــون المعـــــالي ... إلا علـــــى كـــــل عـــــات؟

ومنـــــك خلـــــقٌ كثيـــــر ... لـــــم يعملـــــوا للنجـــــاة

بـــــل أرخصـــــوا كـــــل غـــــال ... يـــــا ويحهـــــم مـــــن غَـــــواة!

وإن للحـــــــــق أهـــــــلاً ... تـــــــذرّعوا بالثبـــــات

لا يقبلـــــــون التـــــــدني ... هـــــم مـــــن خِيـــــار الـــــدعاة

بلاغَهـــــــم لا يُبـــــارى ... عـــــن خـــــالق الكائنـــــات

وبأسُـــــهم فـــــي التحـــــدي ... يفـــــوقُ كيـــــدَ العُتـــــاة

ولا يبيعـــــــون دينـــــاً ... مـــــيلاً إلـــــى المُغريـــــات

فـــــالحقْ بهـــــم يـــــا بليـــــداً ... يـــــا خـــــائرَ العزمـــــات

تبديدٌ متعنت!

(كان يأتمنه على ماله. فاعتاد أن يبعث بماله لهذا الرجل ليصنع مستقبلاً لأولاده الذين لم يكونوا غرباء عن الثاني. فإذا به يبدد المال ، فلما عاتبه الأول تلجلج واحتج بأنه لم يبدد. فكانت مغالطة. جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة فقال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة". [البخاري]. وقال صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له! ولا دين لمن لا عهد له". [صحيح]. قال أبو ذر: يا رسول الله: ألا تستعملني - يعني ألا تجعلني والياً أو أميراً أو رئيساً لك على إحدى المدن - قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خِزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها".[مسلم]. فكتبت من الوافر!)

يقـــول النـــاس أنـــي اليـــومَ مِحجـــاجُ ... ولـــي - مـــن دقـــة البرهـــان - مِعـــراجُ

فضـــمّد مـــا تـــداعى مـــن علاقتنـــا ... فبـــئس علاقـــة تُـــردي ومِنهـــاج!

بهـــا ضـــاعت كرامـــاتٌ وأحـــلامٌ ... وآمـــــــــــــــــالٌ وأولادٌ وأزواج

وفيـــك خُـــدِعتُ ، والـــرحمنُ مُطلـــعٌ! ... كمـــا خُـــدعتْ مـــن الخـــلان أفـــواج

أتلعـــبُ بـــي؟ أتطعـــن ودّ صـــحبتنا؟ ... وهـــل مثلـــي لـــه رِقٌ وإحـــراج؟

أتهـــزأ بـــي - أمـــام النـــاس - دون حيـــا؟ ... وهـــل يأتيـــك - ممـــا قلـــت - إبهـــاج؟

أتطعـــن عِـــرض مُعتـــز بشـــرعته؟ ... وهـــل تبقـــى - مـــع الإذلال - أوشـــاج؟

فحاســـبْ نفســـك العجلـــى ، وكـــنْ فطنـــاً ... وأنـــتَ - إلـــى حســـاب الـــنفس - مُحتـــاج

فقـــد أشـــعلت نيرانـــاً تُحَرّقنـــا ... لهـــا فـــي البيـــت أشـــواظَ وتأجـــاج؟

وكـــم بـــدّدت أمـــوالاً شـــقيتُ بهـــا! ... وأنـــت تقـــول: إنـــي - اليـــوم - مِحجـــاج

ألا إنـــي لفـــي شـــكٍ يُمزقنـــي ... ويخنقنـــي - إذا فكـــرتُ - إنشـــاج

لمـــاذا اختـــرتُ ذل العـــيش بيـــنكمُ؟ ... ألـــمْ تـــكُ تفـــتحُ الأحضـــانَ (ســـوهاج)؟

أتمثيليـــــةَ هـــــذي مُدبلجـــــةً ... لهـــا نـــصٌ وتمثيـــلٌ وإخـــراج؟

تعنـــتْ كيـــف شـــئت ، فلـــن أعـــود لكـــم ... فعطـــرُ فراقنـــا – واللهِ - مِئـــراج

إلى كل مجني عليها

(أكتب لكل من استزلها الشيطان ببعض ما كسبتْ. وزيّن لها سوء عملها فرأته حسناً. ثم انزلقتْ بعد هبوط دنس إلى عالم الفضائيات والإنترنت. فكانت نهايتها الزنا العُرفي الذي يُطلق عليه الزواج العرفي مُقلدة بذلك الفاجرات! ولقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الولي من شروط صحة النكاح ، فإذا زوّجت المرأة نفسها ولا ولي معها فنكاحها باطل ، ويلزمها تجديد العقد ، مستدلين بأدلة منها قوله – صلى الله عليه وسلم -: "لا نكاح إلا بولي". رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه - ، ورواه الحاكم من طرق كثيرة ، وقال: "وقد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – عائشة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش ، رضي الله عنهن جميعاً – وقال قبل ذلك -: وفي الباب عن علي وابن عباس ومعاذ بن جبل."ثم سرد تمام ثلاثين صحابياً! وإذن فعلى من يدّعي الإسلام من الرجال والنساء في هذا الزمان أن يتقوا الله ويكفوا عن الزنا العرفي! فإن تسميته بالزواج إهانة للإسلام وللمسلمين كما أن هذه التسمية الفجة لن تغير من حقيقته! بل هو من باب تسمية الأشياء بغير أسمائها لا يزيد.)

هـــذه الحمقـــاءُ عاشـــت إمَّعـــة ... تهجـــرُ الـــوحيَ ، وتهـــوى (الصـــرمعة)

فتحـــتْ - للهـــزل - قلبـــاً فارغـــاً ... فـــإذا بالقلـــب يَلقـــى مصـــرعه

فاســـتكانتْ للأاعيـــب التـــي ... خلفتهـــا مثـــلَ أرض بلقعـــة

لعبـــتْ جهـــراً بأصـــناف الخنـــا ... وأذلوهـــا بـــألوان الضـــعة

فاســـتجابت للـــدعاوى زُخرفـــتْ ... ولِمَـــا قـــالوه كانـــت طيّعـــة

تحســـبُ القـــوم إليهـــا أحســـنوا ... أو أرادوا - للفتـــاة - المنفعـــة

إذ أعـــدّوا كـــل عُهـــر يُشـــتهى ... يَعْجـــز الإنســـان عـــنْ أنْ يدفعـــه

ثـــم هـــذي ترجمـــتْ مـــا عُلمـــتْ ... بعـــدما كانـــت - بـــه - مُســـتمتعة

زوّجـــتْ – يـــا ليـــت شـــعري - نفســـها ... مِـــن رقيـــع مُســـتريب إمعـــة

ثـــم قـــال النـــذل: هـــذي زوجتـــي ... ولهـــا غيـــري بُعـــولٌ أربعـــة

قَلِـــبَ الميـــزانُ يـــا زيـــرَ النســـا ... كـــل بنـــتٍ فـــي الـــورى كالضـــفدعة

إنـــه الفســـق تغطـــى بالزنـــا ... صـــارحوا النـــاسَ ، وكُفـــوا الجعجعـــة

البيوت الحزينة

(إن حزن البيوت منبثقٌ من حِرمانها من الوحي. ثم من إعمارها بالفضائيات والإنترنت حيث عجّت بالإباحية ، واستخدمت أسوأ الاستخدام. قال - صلى الله عليه وسلم -: (لا تجعلوا بيوتكم مقابرَ ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة). رواه مسلم ، وقال - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دخل الرجل بيتَه ، فذَكَر اسم الله - تعالى - حين يدخل وحين يَطعم - قال الشيطان - يعني لأصحابه -: لا مبيتَ لكم ولا عَشاء ها هنا ، وإن دخل فلم يَذكُر اسم الله عند دخوله ، قال: أدركتم المبيت. وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال: أدركتمُ المبيت والعشاء). مسلم وأحمد.)

بيـــــوتٌ تعـــــاني مِـــــن السفســـــفة ... وأصـــــــحابُها أدمنـــــــوا الفلســـــــفة

يُعشـــــعشُ فيهـــــا الهـــــوى والخنـــــا ... وأمســـــتْ - علـــــى موتهـــــا - مُشـــــرفة

وتصـــــدحُ فيهـــــا صـــــنوفُ الغنـــــا ... بأصـــــــوات إيقاعـــــــه المُقرفـــــــة

وتســـــبحُ فـــــي أمســـــيات الزنـــــا ... ويَجرفهـــــا الـــــدعرُ بالمِجرَفـــــة

وتُخطـــــئ إن عبـــــتَ أصـــــحابها ... فكـــــلٌّ تســـــلّح بالعجرفـــــة

وتســـــأل: كيـــــف انحـــــدرتم إلـــــى ... حضـــــيض التحلـــــل والسفســـــفة؟

وكيـــــف انـــــزلقتم إلـــــى عـــــالم ... ديـــــاجيرُه فجّـــــةً مُتلفـــــة؟

وكيـــــف اكتـــــويتم بنيرانـــــه؟ ... ألا إنهـــــا خيبـــــةً مؤسـفة

لمـــــاذا البيـــــوت قلـــــتْ وحيهـــــا ... ونـــــورَ الشـــــريعة والمعرفـــــة؟

لمـــــاذا نســـــجتم لهـــــا حتفهـــــا ... بمـــــا تشـــــتهي الأنفـــــسُ المســـــرفة؟

فباتـــــت - بأناتهـــــا - تشـــــتكي ... حماقـــــاتِ أصـــــحابها المُجحفـــــة

ويلـــــتهمُ الحـــــزنُ أرحابهـــــا ... ويَحبسُـــــها فـــــي أتـــــون الســـــفه

فيـــــا قـــــوم هيـــــا أعيـــــدوا لهـــــا ... نضـــــارتها الغضـــــة المتحفـــــة

بـــــذكر المليـــــك ألا فـــــاقرأوا ... بترنيمـــــةٍ عذبـــــةٍ مُرهفـــــة

وخلـــــوا الفســـــاد لأهـــــل الهـــــوى ... ليُخـــــرب أفئـــــدة مرجفـــــة

بينهما أنا المصاب بالمعرة

(ثلاثة أصدقاء: شهم ونذلان. فأما النذلان فعشق كل منهما زوجة صاحبه. وحاول الشهم العلاج فما استطاع. حيث كان سلطان العشق أقوى من سلطان القيم. فاعترف لهما بأنه قد أصيب بالمعرّة بصحبة هذين النذلين! قال عليه الصلاة والسلام: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِل". ومعناه اختاروا من تتخذونَه خليلًا أي صَديقًا ، من كان ينفعُكم لدينِكم فعليكُم بِمصادقتِه ومَن لا ينفعُكم في دينِكم بل يضرُّكم فابتعدوا عنهُ ، أي لا تصادقوهُ فالإنسانُ يَهلك من طريقِ الأصدقاءِ الأشرارِ. الشخصُ قد يكونُ قريباً من الاستقامةِ فإذا بهِ يصاحبَ إنسانًا مِن شياطينِ الإنسِ فينقلبَ على عقبيه. يتركُ الطاعاتِ وينغمسُ في الفجورِ! وقال المحدث العلامة الشيخ عبد الله الهرري: "اختر لنفسك صاحبًا صالحًا" وقال: "من أراد الترقِّي فليصاحب الأخيار"!)

ليضـــــحكْ كـــــل ذي قِـــــيم عليّـــــا ... فقـــــد ذهـــــبَ التعفـــــفُ والمُحَيّـــــا

وبـــــين العاشـــــقين بـــــذلتُ جهـــــدي ... لأجتـــــــثّ الغـــــــرامَ الجاهليـــــــا

نصـــــحتُ الصـــــحبَ مُحتســـــباً غيـــــوراً ... وللخِلـــــــيْن أظهـــــــرتُ الخبيـــــــا

وبينـــــتُ الحقـــــائقَ كـــــي يتوبـــــا ... ويتبعـــــا – معـــــي - الحـــــق الجليـــــا

ويمتـــــثلا – معـــــي - خيـــــر الوصـــــايا ... ويحترمـــــــا الشـــــــريعة والنبيـــــــا

ولا نحيـــــا كمـــــا تحيـــــا المطايـــــا ... وصِـــــيدُ النـــــاس تحتقـــــر المُطيـــــا

ولا يرضـــــــوْن عِيشـــــــتها بـــــــديلاً ... ولا يتطلعـــــــون لهـــــــا مَليـــــــا

وعظـــــتُ ، وخـــــالفَ الخـــــلانُ وعْظـــــي ... فلـــــم أقبـــــلْ بغيـــــر الصـــــدق زيـــــا

فعابـــــا منهجـــــي ، فجهـــــرتُ أنـــــي ... ســـــأبقى مخلصـــــاً لكمـــــا وفيـــــا

بشـــــرط التـــــوب ، لا رجـــــس المعاصـــــي ... لأنـــــي لســـــتُ ديوثـــــاً عصـــــيا

وبينكمـــــا أصِـــــبتُ بكـــــل ســـــوءٍ ... ألا فلتهجـــــروا الـــــدربَ الغويـــــا

فتوبـــــا عـــــن مقارفـــــة الـــــدنايا ... لأنـــــي ألفِـــــظ الخـــــل الـــــدنيا

مَعـــــرّة صـــــحبة النـــــذليْن مـــــوتٌ ... ومثلـــــي إن يمـــــتْ ســـــيظل حيـــــا

فكيـــــف تميـــــتُ سُـــــمعته الخطايـــــا ... ويومـــــاً كـــــان شـــــهماً عبقريـــــا؟

أشهرْ العقيدة

(دعِي إلى حفل جاهلي. وكان عليه أن يقاطعه. وهناك استحيا من الاعتزاز بدينه أمام بعض النصارى والعلمانيين من المتمسلمين. فقلتُ له: أشهرْ عقيدتك ، واجهر بتوحيدك ، حيث إنهم لم يستحْيوا من باطلهم. قال تعالى: "وقل الحق من ربكم" ، وقال: "فاصدع بما تؤمرُ وأعرض عن المشركين". فبتلك القيمة أيضاً خلد ذكر أولئك الناهين عن السوء في قصة أصحاب السبت. أولئك الذين حاول المثبطون تخذيلهم وإبطاء حركتهم الدعوية الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر متذرعين بهلاك الناس لا محالة ومدعين أنه لا سبيل لهدايتهم ولا قيمة لوعظهم ودعوتهم فقالوا: "لمَ تعظون قوماً اللهُ مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً". فكان الرد حاسماً ساطعاً براقاً: "قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ". أنشدتُ من المضارع حاثاً على الجهر بالعقيدة والتوحيد.)

أشـــــــهرْ سَـــــــنا الإقتـــــــداءِ ... بســـــــــــيّدِ الأنبيـــــــــــاءِ

وكـــــــنْ تقيـــــــاً أصـــــــيلاً ... لا تحتفـــــــــــي بـــــــــازدراء

واجهـــــــرْ بـــــــدينك حتـــــــى ... يـــــــــراك كـــــــل الغثـــــــاء

هـــم مـــا اســـتحوْا مـــن ضـــلال ... بـــــل جـــــاهروا بانتشـــــاء

وأوغلـــــوا فـــــي التـــــدني ... بـــــدون أدنـــــى حيـــــاء

مهـــــــــاتراتٌ وخمـــــــــرٌ ... وخلـــــــــوة بالنســـــــــاء

وقانيـــــــــاتٌ ورقـــــــــصٌ ... بعـــــد التهـــــام العشـــــاء

فـــــيم الـــــتحفظ ، قـــــلْ لـــــي ... مِـــــن فضـــــح هـــــذا الهـــــراء؟

إن كنـــــت جئـــــت مُقِـــــراً ... تجـــــرّ صـــــمت الإمـــــاء

فأنـــــت مـــــنهم ، وربـــــي ... أبشـــــرْ بـــــوزر الســـــواء

إذ مِـــــثلهم مَـــــن يـــــداجي ... مُرحّبـــــــاً بالفنـــــــاء

فأشـــــهر الحـــــق ، واعلـــــمْ ... بـــــأنهم فـــــي بـــــلاء

قـــــد يســـــتجيبون فـــــاجهرْ ... وأدْلِ خيـــــرَ الـــــدِلاء

إن العقيـــــــــدة ذخـــــــــرٌ ... فاصـــــدعْ بهـــــا فـــــي احتفـــــاء

ألف ليلة عيد

(يوم تم قبولي للدراسة في كلية الآداب في قسم اللغة الإنجليزية عام 1981م ، كان هذا الحدث ليلة عيد. وكان يوم فراقها ألف ليلة عيد! وذلك لما عاينتُ من التغريب والعلمانية يمنة ويسرة ، ناهيك عن السفول والتهتك والمُجون. وفوق كل هذا لم تكن كلية الآداب لتشبع نهمي في طلب العلم. مما دعاني للتطفل على باقي الكليات في المنصورة وطنطا! فمن كلية اللغة العربية وأصول الدين في الأزهر إلى كلية الحقوق والتربية! وأيضاً ذهبت إلى كلية الشريعة والقانون هناك في سبرباي – طنطا. وكانت الذكريات الجميلة مع الدكتور الشربيني أبو طالب رحمه الله وبعض الزملاء الأعزاء الذين لا يحضرني كثيرُ خبرهم الآن! أكتب في هذا من السريع.)

قلبي - إلى يوم الخلاص - هفا ... واستقرأ الآمال والهدفا

عانى من التغريب ، ضاق به ... واستهجن التضليل والجنفا

كم حاول الإصلاحَ مجتهداً ... مسترشداً بالسادة الحُنفا!

مستبصراً بالعلم ينهله ... من أهله الرئبالة الشرفا

في غير ما يرجو تخصصه ... من صفوةٍ مِعوانةٍ ظرَفا

يبغي علوماً يستفيدُ بها ... تهديه للتقوى إن انحرفا

وتردّه للحق دون هوىً ... وتزيدُه - بين الورى - شرفا

(كلية الآداب) ما ملأتْ ... عينيْ فتىً عِلماً ولا ثقفا

لم تعطه ما كان ينشده ... إذ إنه بالعلم قد عُرفا

ويُصاحبُ الأفذاذ مَن فقهوا ... وبحب شرع الله قد وصفا

فمضى وراء العِلم مُحتسباً ... واستعذبَ المنهاجَ حين صفا

وأحسّ بـ (الآداب) تخنقه ... مِن غير مردودٍ فقال: كفى!

حتى إذا تمّت مراحلها ... عن غيّها مُستغنياً صدِفا

في ألف عيدٍ فاح سامرُها ... وإلى مُحياها الفؤادُ هفا

أبشر بالشهادة

(ذهبتُ وصاحب لي نعود صاحباً لنا مريضاً. وكان ذلك في المستشفى الجامعي بالمنصورة عام 1983م. وأثناء الحديث معه قال لنا: كنت أتمنى الشهادة. فعقبتُ مبشّراً: تُشفى بإذن الله وتلقاه عز وجل شهيداً بعد طول عمر وحسن عمل. فقال: بل الآن يا صاحبي. فقلت مبشراً: والمبطون شهيد. فكن على يقين وأبشر بالشهادة. فوالله هي خير لك من الدنيا وما فيها ومن فيها. فإذا به يموت بعد أيام قليلة من زيارتنا تلك. فرحمه الله رحمة واسعة. من طريق جابر بن عتيك أخرج مالك وأحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم: "الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد والمطعون شهيد والغريق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد ..." إلى آخر الحديث. صححه الألباني. ومن طريق أبي هريرة:- الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله. وهو في الصحيحين وعند مالك وغيرهم. وفي الباب عن عبد الله بن بسر (صحيح) وعن عقبة بن عامر (صحيح) وغيرهم.....فأما المبطون فقيل كما سمعت غير مرة من الأستاذ محمد المنجد: من به استطلاق البطن ، وقيل: المرأة الحامل ، وقيل: من ابتلي في ذات الجنب. العُرف الشذِيّ للكشميري. قال النووي في شرح مسلم:- وأما المبطون فهو صاحب داء البطن وهو الإسهال. قال القاضي وقيل: هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الذي تشتكي بطنه. وقيل: هو الذي يموت بداء بطنه مطلقاً. الاستذكار: ابن عبد البر. وأما المبطون فقيل: المحبوق وقيل صاحب انخراق البطن بالإسهال. وجاء في شرح العباد لسنن أبي داود:- السؤال: هل يدخل من يموت بالسرطان في المبطون؟ الجواب: لا ؛ لأن السرطان لا يكون دائماً في البطن ، فقد يكون في غير البطن. روى البخاري ومسلم. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرِيق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله). وروى أحمد وأبو داود والنسائي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما تعدّون الشهادة؟ قالوا: القتل في سبيل الله تعالى. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجُمْع شهيدة). والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود. قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود: (المطعون) هو الذي يموت بالطاعون. (وصاحب ذات الجنب) وهي قرحة أو قروح تصيب الإنسان داخل جنبه ، ثم تفتح ويسكن الوجع وذلك وقت الهلاك ، ومن علاماتها الوجع تحت الأضلاع وضيق النفس مع ملازمة الحمى والسعال وهي في النساء أكثر. قاله القارى. (والمبطون) من إسهال أو استسقاء أو وجع بطن. (والمرأة تموت بجُمع). قال الخطابي: "معناه أن تموت وفي بطنها ولد".هـ. وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم: "وَأَمَّا (الْمَبْطُون) فَهُوَ صَاحِب دَاء الْبَطْن ، وَهُوَ الإِسْهَال. قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي بِهِ الاسْتِسْقَاء وَانْتِفَاخ الْبَطْن ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي تَشْتَكِي بَطْنه ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَمُوت بِدَاءِ بَطْنه مُطْلَقًا".هـ. وسئل ابن عثيمين رحمه الله: ورد في الحديث أن المبطون شهيد ، ما معنى كلمة مبطون ، وهل يدخل في معناها من توفي من تليّف في الكبد؟ فأجاب: "المبطون قال فيه أهل العلم: من مات بداء البطن ، والظاهر أن من جنسه من مات بالزائدة لأنها من أدواء البطن التي تميت ، ولعل من ذلك أيضاً من

مات بتليف الكبد لأنها داء في البطن مميت". ويحسن بنا أن نورد تفصيلاً حول معنى حديث "الشهداء خمسة" ، ويتولى ذلك التفصيل الدكتور محمد بن عبد الله القناص عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم ، ونورد هنا السؤال الذي سُئله والجواب: فأما السؤال: عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:"بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره فشكر الله له ، فغفر له ، ثم قال الشهداء خمسة: المطعون والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله. والجواب: هذه أحاديث أخرجها البخاري بسياق واحد ، قال حدثنا قتيبة عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له! ثم قال: الشهداء خمسة: المطعون ، والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله. قال الحافظ: (وكأن قتيبة حدث به عن مالك هكذا مجموعاً فلم يتصرف فيه المصنف كعادته في الاختصار ، وقد تضمنت هذه الأحاديث ما يأتي: (1) دل الحديث الأول على فضل إماطة الأذى عن الطريق ، وأن قليل العمل إذا أخلص فيه العبد لربه ، يحصل به كثير الأجر والثواب ، وقوله: "فشكر الله له...." الله - سبحانه وتعالى - هو الشكور ، والشاكر على الإطلاق الذي يقبل القليل من العمل ، ويعطي الكثير من الثواب مقابل هذا العمل القليل ومن شكره - تبارك وتعالى - أن غفر لهذا الرجل الذي نحى غصن الشوك عن طريق المسلمين ، وهو عمل قليل. (2) أفاد الحديث الثاني أن الشهداء خمسة وهم: أ- المطعون: هو الذي يموت بالطاعون ، وهو الوباء ، وقد فسره النبي – صلى الله عليه وسلم - في حديث آخر حيث قال: "الطاعون شهادة لكل مسلم" أخرجه البخاري ومسلم عن أنس – رضي الله عنه -. ب- المبطون: هو الذي يموت من علة البطن ، كالاستسقاء ، والحقن وهو: انتفاخ الجوف والإسهال. ج- الغريق: هو الذي يموت بالغرق. د- صاحب الهدم: هو الذي يموت تحت الهدم. هـ - الشهيد في سبيل الله. قال الحافظ: (اختلف في سبب تسمية الشهيد شهيداً ، فقيل لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة ، وقيل: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة ، وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعدَّ له من الكرامة والحصر المذكور في الحديث غير مقصود ، فقد دلت أحاديث أخرى على وصف غير المذكورين بالشهادة) ، قال الحافظ: (والذي يظهر أنه - صلى الله عليه وسلم - أعلم بالأقل ثم أعلم زيادة على ذلك فذكرها في وقت آخر ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك). فتح الباري ، وممن جاء وصف موتهم بالشهادة غير المذكورين في الحديث السابق ما يأتي الحريق ، وصاحب الجنب والمرأة تموت بجمع ، وقد جاء ذلك في حديث جابر بن عتيك – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "ما تعدون الشهادة؟" قالوا: القتل في سبيل الله – تعالى - ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة". أخرجه أبو داود ، وصاحب ذات الجنب: ذات الجنب هي: قرحة في الجنب ، وورم شديد ، وتسمى ذات الجنب الشوصة. وأما المرأة تموت بجُمع: يقال بضم الجيم وكسرها ، وقد تفتح الجيم وسكون الميم فهي المرأة تموت حاملاً ، وقد جمعت ولدها في بطنها ، وقيل: هي التي تموت في نفاسها وبسببه ، وقيل التي تموت عذراء ، والأول: أشهر الأقوال ، ومن مات دون ماله ودينه ودمه وأهله فهو شهيد ، وذلك لما جاء في

حديث سعيد بن زيد – رضي الله عنه - قال: "سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: "من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد". أخرجه الترمذي ، وقال: هذا حديث حسن صحيح ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد ، وذلك لحديث سُويد بن مقرن – رضي الله عنه - قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "من قتل دون مظلمته فهو شهيد". أخرجه النسائي ، قوله: دون مَظلمته ، أي قصده قاصد بالظلم ، وموت الغربة شهادة ، وذلك لحديث ابن عباس – رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "موت غربة شهادة". أخرجه ابن ماجه ، وقد ذكر الحافظ أنه من خلال نظره في الأحاديث تحصل له إطلاق الشهادة على عشرين خصلة ، قال ابن التين: (هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء ، ووصف هؤلاء بالشهداء بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ، ولا تجري عليهم أحكام الشهداء في الدنيا).هـ. فأنشدتُ - لصاحبي الفقيد بحضرة صديقي أحمد عبد الحكم أبو وداعة ذلك الصعيدي الذي يسكن شربين - على البحر المجتث!)

وفاتـــــــك اليـــــــوم فجعـــــــة ... وللشـــــــــــــهادة مُتعـــــــــــــة

فهـــــــل أعزيـــــــك شِـــــــعراً ... يَفـــــــيضُ حُزنـــــــاً ولوعـــــــة؟

عســـــــاكَ حققـــــــتَ قصـــــــداً ... بعـــــــد اللقـــــــاء بجُمعـــــــة

يـــــا مـــــن نظـــــرتُ إليـــــه ... والعـــــينُ ترســـــلُ دمعـــــة

فكفكفتْهـــــــــا يمينِـــــــــي ... بكـــــــل رفـــــــق بســـــــرعة

والقلـــــــبُ أطـــــــرَقَ يرجـــــــو ... فـــــــراقَ أتعـــــــس ضـــــــجعة

وكـــــــم دعـــــــوتُ إلهـــــــي ... ألِـــــــحّ فـــــــي كـــــــل ركعـــــــة!

حتـــــــــى أراكَ مُعـــــــــافىً ... مُحققـــــــاً كـــــــل رفعـــــــة

وفجـــــــأة مـــــــات خِلّـــــــي ... لـــــــذا أصِـــــــبتُ بفجعـــــــة

وتلـــــــك سُـــــــنة ربـــــــي ... فـــــــي كـــــــل جيـــــــل وبُقعـــــــة

وللمنيّـــــــــــة كـــــــــــأسٌ ... كـــــــلٌ لـــــــه - منـــــــه - جُرعـــــــة

عســـــــاك مُـــــــتّ شـــــــهيداً ... وطِبـــــــتّ ذِكـــــــراً وسُـــــــمعة

قولوها

(خببوه على زوجته ليحملوه على طلاقها فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. فخببوها عليه ليحملوها على الخلاص منه ، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. فقال مُعرّضاً بمحاولاتهم: قولوها صريحة: نريد الطلاق! عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده". قال الألباني: صحيح. مسند الإمام أحمد. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خبب خادماً على أهله فليس منا ، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس هو منا). تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي ورجاله رجال الصحيح. صحيح ابن حبان. وعن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا ، ومن حلف بالأمانة فليس منا). إسناده صحيح. فبُعداً للطلاق!)

عـــز الطـــلاقُ ، وعـــز الهجـــرُ والخُلـــعُ ... يـــأبى المليـــكُ ، ويـــأبى العُـــرفُ والشـــرعُ

أشـــهرتمُ مِخـــذم التخبيـــب دون حيـــا ... وكـــم تســـاءلتُ مـــا الجـــدوى؟ ومـــا النفـــع؟

وهـــل تُعـــالجُ بالتخبيـــب مشـــكلة؟ ... أم أنـــه شـــأنكم والســـمت والطبـــع؟

تـــا الله لـــم تُحســـنوا فيمـــا أحـــل بنـــا ... ومـــا تحسّـــن إطلاقـــاً بكـــم وَضـــع

أشـــعلتمُ النـــار فـــي زوج وزوجتـــه ... فـــازدادتِ الهُـــوّة الكـــأداءُ والـــرّوع

أوقـــدتمُ الحـــربَ ، كـــم ذقنـــا مرارتهـــا! ... وكـــم بكينـــا ، ومـــا أفادنـــا الـــدمع!

كنـــا نعـــالجُ بـــين النـــاس مشـــكلة ... منهـــا - بكـــم - خرجـــتْ مشـــاكلٌ تِســـع

رفعـــتمُ رايـــةَ ســـوداء كالحـــة ... مـــن الخـــلاف ، فبـــئس القـــومُ والرفـــع!

فمـــا ارتقينـــا بكـــم ممـــا ألـــمّ بنـــا ... وهـــل تكـــونُ - مِـــن القماشـــة - الـــدرع؟

ولا انتفعنـــا - بكـــم - فـــي أوْج مِحنتنـــا ... بـــل هـــدّنا الكبـــتُ والتشـــهيرُ والقَمـــع

نبيـــتُ نشـــكو - إلـــى الـــرحمن - شـــرذمة ... وللبكـــاء صـــدىً يعنـــو لـــه الرّجـــع

والنـــاسُ تحسُـــدُنا علـــى قرابتنـــا ... بهـــم يضـــيقُ - علـــى اتســـاعه - النجـــع

ولـــو رأى النـــاسُ خـــذلَ الأهـــل مـــا حســـدوا ... والأمـــرُ ضـــاق - بـــه - الفـــؤادُ والـــذرع

والنـــاسُ تحكـــمُ بالبـــادي لأعيـــنهم ... فالأهـــل جـــذرٌ ، ونحـــن الغصـــنُ والفـــرع

أرجوزة تنتظر أرجوزة

(أحد الشعراء الفسقة كتب قصيدة فاحشة تغزل فيها بكل جزء في المرأة. وكانت أرجوزته تلك دعوة إلى الفجور. ثم وعد بأن في الطريق أرجوزة أخرى غزلية. فكتبتُ مُنديداً بهذا التبجح والسفول. روى البخاري ومسلم من حديث سالم بن عبد الله ، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلُّ أُمَّتي معافًىً إلا المجاهرين ، وإنَّ من المجاهرة أن يعمل الرَّجلُ بالليل عملاً ، ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول: يا فلان ، عملتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربُّه ، ويُصبِح يكشف سترَ الله عنه». البخاري ومسلم. قال ابن حجر: "والمجاهِر هو الذي أظهر معصيتَه وكشف ما ستَر الله عليه ، فيحدِّث بها ، أما (المجاهرون) فيحتمل أن يكون بمعنى مَن جَهَر بالمعصية ، ويحتمل أن يكون المراد الذين يُجاهِر بعضهم بعضًا بالتحدُّث عن المعاصي.)

رَوَّجَ للفحشـــــــــاء الشـــــــــاعرْ ... وبألفـــــــاظ الســـــــوآى جـــــــاهرْ

لـــــم يتـــــورعْ عـــــن مهزلـــــةٍ ... سَـــــطرها بـــــالقلم الفـــــاجر

وصـــــفَ الحُســـــن بغيـــــر حيـــــاءٍ ... وتمـــــادى فـــــي القُـــــبح الـــــداعر

أدلـــــى دلـــــوَ الهـــــزل رفيعـــــاً ... فـــــي معمعـــــةِ الفكـــــر العـــــاهر

فـــــإذا بالأبيـــــات سُـــــفولٌ ... فيهـــــا الفســـــقُ فظيـــــعٌ ظـــــاهر

وإذا بالأشـــــــعار سُـــــــقوطٌ ... فيهـــــا الفحـــــشُ الكـــــالحُ فـــــائر

أرجوزتـــــك الفجّـــــة فجـــــرتْ ... وبأوحـــــال الـــــرجس تُجـــــاهر

كـــــم فتنـــــتْ عصـــــما تقرأهـــــا! ... أوَلا تخشـــــى اليـــــوم الآخـــــر؟

مَـــــن أعطـــــاك الحـــــق ، أجبنـــــي ... كـــــي تنشِـــــد شِـــــعراً وتنـــــاظر؟

كـــــي تصـــــف الغيـــــد بـــــلا تقـــــوى ... لـــــو آمنـــــت لكنـــــت تُحـــــاذر

كيـــــف تســـــطرُ أقـــــذر فِكـــــر؟ ... لـــــمَ لا تعـــــدِمُ أنـــــت الناشـــــر؟

كيـــــف مـــــلأت الجـــــوّ فجـــــوراً ... أيـــــن الـــــواعظ؟ أيـــــن الزاجـــــر؟

لـــــك يـــــومٌ منقعـــــرٌ آتٍ ... ويُحاســـــبُك الـــــرب القـــــاهر

أمـــــلاكَ اللهُ ، فلـــــم ترجـــــعْ ... وســـــتندمُ يـــــا هـــــذا الشـــــاعر!

بعد اليوم بين بين

(اعتاد ذلك الموفق أن يُحسن النية والقصد مع الكل. فجنى عليه هذا المسلك حيث حصد الحنظل من ورائه. فقرر أن يتوسط فلا يسرف وأن يعتدل فلا يغالي. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا). أخرجه أحمد والبُخاري. قال النووي: (إن المُحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر فإن هذا لا يكلف به ، ومعناه احذروا إتباع الظن واحذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به من العدول ، والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل).هـ. انظر: شرح النووي على مسلم. فأنشدتُ هذه القصيدة في مدح التوسط وعدم المغالاة ، وذلك على البحر الكامل!)

إن التوسّـــط ـ فـــي الأمـــور ـ هنـــاءُ ... ويُضـــــيرُنا الإفـــــراط والغُلـــــواءُ

والله ذمّ المســـــــــرفين مذمّـــــــــة ... يرتـــــاعُ منهـــــا الصـــــفوة الحكمـــــاء

وكـــذاك ربـــي ذمّ قومـــا قـــد غلـــوْا ... فـــــي ديـــــنهم ، وتطـــــاولوا وأســـــاؤوا

هـــيَ أمـــةَ الإســـلام أعـــدلُ أمـــةٍ ... وَسَـــــطَ ، وإن أزرى بهـــــا الجُهـــــلاء

وسَـــطَ ، فـــلا إفـــراط يَـــدمغ سَـــمتها ... كـــــلا ، ففيـــــه الضـــــنكُ والبلـــــواء

وســـطَ ، فـــلا تفـــريط يَـــدحضُ شـــأنها ... كـــــلا ، ففـــــى تفريطهـــــا الأرزاء

مـــن أجـــل ذلـــك لا تبـــالغ ، واعتـــدلْ! ... عـــــدمُ اعتـــــدالك خيبـــــةً وشـــــقاء

كـــنْ منصِـــفاً فـــي الحكـــم تُصـــدرُه علـــى ... كـــــل الأمـــــور كمـــــا تـــــرى وتشـــــاء

كـــنْ بـــينَ بـــينَ لكـــي تعـــيش موفقـــاً ... ويُحبـــــــك الأفـــــــذاذ والعقـــــــلاء

وتـــــدبّرِ الأفكـــــارَ ، أنـــــت وليّهـــــا ... كـــيلا يُصـــيبك ـ فـــي الحيـــاة ـ بـــلاء

أوَمـــا تـــرى الغـــالين مَلهـــمُ الـــورى ... والكـــــل يُجمِـــــع أنهـــــم ســـــفهاء؟

يـــا صـــاح ـ بعـــد اليـــوم ـ كـــنْ مسترشـــداً ... وادرسْ أصـــــولاً خطهـــــا العلمـــــاء

واعقـــلْ ، ولا تـــكُ طائشـــاً متهـــوراً ... إن التعقـــــــلَ فِطنـــــــةً وذكـــــــاء

واربـــأ بنفســـك عـــن تملـــق طَغمـــةٍ ... فتملـــــقُ الأوغـــــادِ بـــــئسَ الـــــداء!

لأنها جميلة

(أذلّتْ زوجها وأهله مستغلة حبه لها وإبقاءه عليها وعلى بناته منها. والسبب أنها جميلة. قال الله – سبحانه -: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ). وقال سبحانه: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ). يقول ابن باز: (كما أن عليهن العشرة بالمعروف ، فلهن أيضاً العشرة بالمعروف ، فالزوج عليه أن يعاشرها بالمعروف بالكلام الطيب ، والسيرة الحميدة ، والنفقة المناسبة التي تجب على مثله ، وعليها هي السمع والطاعة بالمعروف ، وأن تجيبه إلى حاجته ، وأن تقوم بخدمته في بيته ، وأن تحذر معصيته في خروج أو غيره ، وهكذا تستمر العشرة الطيبة).هـ. فكتبتُ من البسيط.)

مـــاذا يُطـــالعُ فـــي قصـــيدتي القـــاري؟ وهـــل تُصـــوّر - مـــا فـــي القلـــب - أشـــعاري؟

حكـــى صـــديقي بـــلاءاتٍ تعذبُـــه وكنـــتُ منتصـــتاً لشـــر أخبـــار

ومـــا تخيلـــتُ مـــا يرويـــه مـــن قصـــص ينـــوءُ فاعلُهـــا بحَمْـــل أوزار

كـــأن زوجتـــه - فـــي الســـوء - مدرســـةً إذ أشـــعلتْ نارهـــا بكـــل إصـــرار

لتحـــرق الـــزوجَ - بـــين النـــاس - مُعلنـــة أن البقـــاء لهـــا فـــي هـــذه الـــدار

وأرغمـــتْ أهلـــه علـــى الخضـــوع لهـــا بـــلا حيـــاءٍ ، وأزجـــتْ حِقـــدَها الضـــاري

وأنشـــبتْ - فـــي فـــؤاد الـــزوج - مِخلبهـــا وفـــي الحشـــا أرســـلتْ عتـــيَ أظفـــار

ولـــم تُبـــال بمـــا تأتيـــه مِـــن مِحـــن بـــدون ســـابق إعـــلام وإنـــذار

واســـتمرأتْ ذلـــه والأهـــل قاطبـــة بـــدون حـــق لهـــا ودون أعـــذار

يـــا هـــذه أحســـني إن كنـــتِ عاقلـــة وأخلصـــي ، وانزعـــي حقيـــر أوضـــار

يَفنـــى الجمـــالُ ، ويبقـــى صِـــيتُ خيّـــرةٍ إن التـــزام المعـــاليْ خيـــرُ معيـــار

ومـــا الجمـــالُ إذا ســـاءتْ معاملـــةً؟ والحســـنُ مـــاذا إذا مـــا خُـــص بالعـــار؟

أمـــلاكِ ربـــكِ ، فاحتـــاطي لعاقبـــةٍ فيهـــا ســـيُحرق هـــذا الحســـنُ بالنـــار

والـــزوجُ أبقـــاكِ حبـــاً ، فاحـــذري ، وثقـــي بأنـــه كـــم يحـــب الأخـــذ بالثـــار!

وثـــأرُ مثلـــكِ أخـــرى - جـــدٌ - صـــالحة ترعـــى الحليـــل بتقـــدير وإكبـــار

تلك أخباركم

(حفنة من الأنانيين الأنذال أحسن شهمٌ إليهم إحساناً لم يحلم به أحدهم يوماً. ولمّا حانت ساعة العطاء منهم وذلك لحاجة وأزمة ألمت بالشهم ، غلوا أيديهم وعاشوا في خذلانهم يعمهون ، فكانت أخبارهم غاية فى السوء والقبح . جاء في الموسوعة العربية ما نصه: (من الناحية الأخلاقية تطلق الأنانية «على من لا يستهدف إلا نفعه الخاص ، في حين أن الغيرية هي حب الغير وإرادة الخير له وتقديمه على النفس». ويطلق دوركايم مصطلح الإيثار أو الغيرية على المجتمع أو الجماعة التي يندمج فيها الفرد كلية ، ولا تكون له مصالح مغايرة لمصالح الجماعة ، وفي مثل هذه الجماعة يدرَّب أعضاؤها على ترك الفردية ، وتقديم الواجب والطاعة بما يحقق رفاهية الكل قبل أي اعتبار آخر وتتخذ كثير من النظريات الأخلاقية من الأنانية أساساً لها).هـ. فكتبتُ من الخفيف أقول.)

لـــنْ تطـــولَ مرثيـــةَ الإمـــلاقِ ... ذاك ظنـــي بـــالرازق الخـــلاقِ

خففـــوا مِـــن خُـــذلانكم والتشـــفي ... لـــيس حـــالٌ يبقـــى علـــى الإطـــلاق

مُعضـــلاتٌ - عمـــا قريـــب - ستمضـــي ... لاح منهـــا الخـــلاصُ فـــي الآفـــاق

كـــم تحملـــتُ العـــبء عـــنكم رضـــياً ... رغـــم أنـــي لـــم أدْعَ للإنفـــاق!

واحتملـــتُ الإمـــلاق يـــودي ببيتـــي ... كـــي تعيشـــوا - فينـــا - بـــلا إمـــلاق

واستســـغتُ العطـــاء يســـبي قلوبـــاً ... تســـتجيبُ للواحـــد الـــرزاق

كـــم بـــذلتُ المعـــروفَ دون حســـاب! ... أحســـبُ الصـــحبَ طيبـــي الأخـــلاق

فـــإذا بـــي ألقـــى جزائـــي شِـــماتاً ... واختلافـــاً يُزكِـــي جحـــيم الشِـــقاق

يـــا تُـــرى هـــل خُـــدعت فـــيكم جميعـــاً؟ ... حيـــث كنـــتم – والله - شـــرّ الرفـــاق

ليتنـــي مـــا اختـــرتُ الطغـــام صِـــحاباً! ... ليتنـــي لـــم أحفـــلْ بأهـــل النفـــاق!

ليتنـــي مـــا أودعـــتهم كـــل سِـــري ... كيـــف صـــدّقتُ ناقضـــي الميثـــاق؟

ليتنـــي مـــا وثقـــت فـــيهم بتاتـــاً! ... ليتنـــي لـــم أظفـــرْ بـــأيّ تلاقـــي!

إن أخبـــار القـــوم تُـــزري بشـــهم ... ثـــم تمحـــو الـــذكرى مِـــن الأعمـــاق

قـــد بلـــوتُ الأصـــحابَ فـــي كـــل شـــأن ... واســـتجرتُ مـــنهم بربـــي البـــاقي

شريعة الإسلام

(ليست شريعة الإسلام تعني أبداً مجرد حِفنة الحدود والقصاص والعقاب. بل هذه الحدود وتلك التشريعات الجنائية جزء من شريعة الإسلام. وإنما الشريعة تعنى الإسلام كله والعبادة كلها. ويتجلى الأمر أكثر إذا عرّفنا للشريعة في اللغة والاصطلاح. إن كلمة الشريعة في اللغة مشتقة من الفعل شَرَعَ أي أمر وحدد وأحل أو أمر وحدد ومنع ، وقد أُطلق هذا الاسم على مورد المياه أي الماء الجاري الظاهر للناس ، ويُشير بشكل دقيق إلى المكان الذي انساب وانحدر منه الماء ، وتقول العرب: شرعتْ الإبل أي جاءت أو حضرت إلى مكان الماء أو مورده ، كما سُميت الأرض الواضحة أو الطريق الواضح والمستقيم بهذا الاسم ، أي أن هذا المصطلح يدل على كل ما هو محدد وواضح خالٍ من الغموض. واصطلاحاً: هو كل ما شرعه الله عز وجل لعباده على الأرض من أحكام وقواعد ونظم وأوامر أخرجهم بها من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والمعرفة والدراية سعياً لتحقيق الغاية المتمثلة في الحياة بأفضل صورة ، أو إقامة الحياة على أساس متين ، وتحديد الطريق الصحيح لتمكين الناس من تحقيق مصالحهم بصورة سليمة أحكام الشريعة الإسلامية. يقول الأستاذ محمد المنجد: (الشريعة هي الدين كله ، الذي اصطفاه الله لعباده ليخرجهم به من الظلمات إلى النور ، وهو ما شرعه لهم وبينه لهم من الأوامر والنواهي والحلال والحرام ، فمن اتبع شريعة الله فأحل حلالها وحرم حرامها فقد فاز ، ومن خالف شريعة الله فقد تعرض لمقت الله وغضبه وعقابه. قال الله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). قال الخليل بن أحمد رحمه الله: "الشَّريعة والشّرائع: ما شرع الله للعباد من أمر الدين ، وأمرهم بالتمسك به من الصلاة والصوم والحج وشبهه ، وهي الشِّرْعَةُ". انتهى من "العين" ، وينظر "الصحاح" للجوهري. وقال ابن حزم رحمه الله: "الشريعة هي ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في الديانة ، وعلى ألسنة الأنبياء عليهم السلام قبله ، والحكم منها للناسخ. وأصلها في اللغة: الموضع الذي يتمكن فيه ورود الماء للراكب ، والشارب من النهر ، قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ). انتهى من "الإحكام". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ الشَّرِيعَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِ ، بَلْ كُلُّ مَا يَصْلُحُ لَهُ فَهُوَ فِي الشَّرْعِ مِنْ أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَأَحْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنَّا ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). وَقَدْ أَوْجَبَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ فِي آيٍ كَثِيرٍ مِنْ الْقُرْآنِ ، وَحَرَّمَ مَعْصِيَتَهُ وَمَعْصِيَةَ رَسُولِهِ وَوَعَدَ بِرِضْوَانِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَأَوْعَدَ بِضِدِّ ذَلِكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ ، فَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنْ عَالِمٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ عَابِدٍ أَوْ مُعَامِلٍ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا هُوَ قَائِمٌ بِهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ حُكْمٍ أَوْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ عِبَادَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَحَقِيقَةُ الشَّرِيعَةِ: اتِّبَاعُ الرُّسُلِ وَالدُّخُولُ تَحْتَ طَاعَتِهِمْ ، كَمَا أَنَّ الْخُرُوجَ عَنْهَا خُرُوجٌ عَنْ طَاعَةِ الرُّسُلِ وَطَاعَةُ الرُّسُلِ هِيَ دِينُ اللَّهِ". انتهى من "مجموع الفتاوى". وقال علماء اللجنة الدائمة: "الشريعة هي ما أنزل الله به كتبه ، وأرسل به رسله إلى الناس ، ليقوموا به على وجه التعبد به

لله ، وابتغاء القربى إليه به ، وفق ما أمرتهم به رسلهم. والطريقة المعتبرة السائرة وفق هذا ، أي: وفق منهاج الله الذي أنزله على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) ، ووفق قوله صلى الله عليه وسلم: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي). فهي داخلة في الشريعة. أما الطريقة المخالفة لهذا ؛ كالطرق الصوفية ، والتيجانية ، والنقشبندية ، والقادرية ، وغيرها ، فهي طرق مبتدعة ، لا يجوز إقرارها ، ولا السير فيها إلى الله سبحانه". انتهى من "فتاوى اللجنة الدائمة").هـ. وفي هذا الشأن أكتب من البحر العروضي المقتضب أقول.)

البيـــــــــانُ يُطلـــــــــبُ ... والبصـــــــــيرُ يَحتسَـــــــــبُ

يـــــــا دعـــــــاة لا تهنـــــــوا ... وابـــــــذلوا الـــــــذي يجـــــــب

ربنـــــــــا سيســـــــــألكم ... فاقتـــــــدوا بمـــــــن ذهبـــــــوا

لـــــــم يُدلســـــــوا أبـــــــداً ... بينـــــــوا ، ومـــــــا كـــــــذبوا

بـــــــالقرآن مـــــــا أكلـــــــوا ... لحظـــــــة ، ومـــــــا شـــــــربوا

لـــــــم تهـــــــزهم مِحـــــــنٌ ... كـــــــالردى ، ولا نـــــــوَب

فالمضـــــــــاءُ طـــــــــابعُهم ... لا الهـــــــــوى ، ولا اللعـــــــــب

لـــــــيس شـــــــرعُ خالقنـــــــا ... فـــــــي الحـــــــدود يُقتضـــــــب

فـــــــاعلمي طليعتنـــــــا ... ولتـــــــدلكِ الكتـــــــب

يـــــــا دعـــــــاة فـــــــانطلقوا ... ولـــــــتكنْ لكـــــــم خطـــــــب

نحـــــــن لـــــــن نســـــــامحَكم ... إذ علـــــــيكمُ العَتـــــــب

والبيـــــــانُ مِهنـــــــتكم ... كيـــــــف بـــــــات يُحتجـــــــب؟

راجعـــــــوا ضـــــــمائركم ... حيـــــــث شـــــــابها العَطَـــــــب

والمليـــــــكُ ســـــــائلكم ... فالمســـــــاءة اجتنبـــــــوا

مسافرة إلى عالم المروءة

(خطبها أحد الصالحين. ولم يكن يعرف من حالها أي شيء ، وإنما مدحها بعضهم تغريراً بالرجل. وهداها الله تعالى بصلاحه ، فاعتبرتْ زواجها منه سفراً إلى عالم الطهر والعزة والمروءة. قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ ، عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا ، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا ، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ". أخرجه أحمد ومسلم. وبالعزم على الطاعة تتحطم الفتن كلها! فأنشدتُ حكاية عنها من البحر المنسرح.)

واللهِ ، لا لـــــــن أداجـــــــي ... وســـــوف أقلـــــوْ الأحـــــاجي

وســـــوف أهجـــــرُ هزلـــــى ... وغفلتـــــــــي واهتيـــــــاجي

لقـــــد بلـــــوتُ التـــــدني ... حتـــــى عشـــــقتُ الـــــدياجي

وكـــــم جهـــــرتُ بهزئـــــي ... وذِعتـــــــه باللجـــــــاج!

وكـــــم تعشـــــقتُ رأيـــــي ... مُعتـــــــدة بمزاجـــــــي!

وكـــــم ركبـــــتُ المعاصـــــي ... عزبـــــا ، وبعـــــد الـــــزواج!

واليـــــوم تبـــــتُ ، وربـــــي ... والـــــربَّ ـ دومـــــاً ـ أنـــــاجي

وســـــوف أرحـــــل قطعـــــاً ... أجـــــوب كـــــل الفِجـــــاج

وزلتـــــي ســـــوف تمحـــــى ... وأزمتـــــــي لانفـــــــراج

وللمـــــــروءة أســـــعى ... وأحتفـــــــي بابتهـــــاج

والـــــداءُ ســـــوف يُـــــداوَى ... فقـــــدت وجـــــدتُ علاجـــــي

وفجْـــــرُ عِـــــزي وشـــــيكٌ ... يلـــــوحُ لـــــي بـــــانبلاج

وطاعـــــة الله نـــــورٌ ... يمحـــــو الـــــدجى كالســـــراج

لـــــذاك أعلنـــــتُ عزمـــــي ... فـــــي العـــــيش أنْ لا أداجـــــي

القاتل الضحية

(على سائق أي مركبة أن ينتبه. أما أن يرجع سائق إلى الخلف بسيارته دون انتباه ودون حيطة ليخلف ضحية هي ابن له في الثالثة من عمره. فهو استهتار محض ولا مبالاة لا حدود لوصفها. وفي هذا أكتب في عزاء الأب القاتل في ابنه المقتول. والأمر كما يقول الأستاذ سعود الشريم: (إن الدنيا مُلهيةٌ غرَّارة ، يتقلَّبُ المرءُ فيها بين خيرٍ وشرٍّ ، وفرحٍ وترَحٍ ، وغِنًى وفقرٍ ، ونصرٍ وهزيمةٍ. أيامُها دُول ، ولياليها حُبلَى بما لا يدري ما الله كاتِبٌ فيها ، إن سرَّ زمنٌ فيها ساءَته أزمانٌ أخرى ، يومٌ له ، ويومٌ عليه ، (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ). فلأجل ذلكم كلِّه كان لِزامًا على المرء أن يُوطِّن نفسه على اليقَظَة واستِصحابِ الحذَر ما دامَت له عينٌ تطرِف ، وقلبٌ ينبِض. إن كل احترازٌ وتهيِئة يدُلاَّن على وعيِ المُتَّصِف بهما ، فردًا كان هذا المُتَّصِف أو مُجتمعًا).هـ.)

غريـــقٌ - فـــي دم الإهمـــال - مقتـــولُ ... ووالـــده - عـــن الإهمـــال - مســـؤولُ

تكاســـل عـــن مراقبـــةٍ لمركبـــةٍ ... مـــدى الأيـــام هـــذا العبـــدُ مشـــغول

يســـير وراء آمـــال تداعبُـــه ... ويفتنـــه - عـــن المشـــهود - مجهـــول

ويحيـــا ســـادراً فـــي غيّـــه أبـــداً ... وإن الســـتر - فـــوق اللهـــو - مســـدول

نصـــيبُ صـــغيره قتـــلٌ بـــلا دِيَـــةٍ ... فلـــيس - علـــى أبيـــه اليـــوم - تعويـــل

ســـيجترّ الجـــوى دهـــراً بفعلتـــه ... وكيـــف يســـير - مَـــن بـــالكرب - معلـــول

وســـوف يعـــيش فـــي تأنيـــب خـــاطره ... ولـــيس - لحالـــه المحـــزون - تبـــديل

وســـوف يظـــل تقتلـــه ســـريرته ... فهـــذا قاتـــلٌ نفســـاً ومقتـــول

ضـــحيته - بنـــور العـــين - يحرسُـــه ... وبَـــذل الوالـــد المعطـــاء مكفـــول

وعطـــف أبيـــه - فـــي البلـــوى - يُســـامره ... لأن العطـــف - فـــي البلـــواء - مـــأمول

ولكـــنّ الأب المشـــغول جندلـــه ... وكوّمـــه ، فـــلا طـــوْلٌ ، ولا طـــول

حواليـــه الـــدماءُ ســـرتْ توْبّتـــه ... وفـــوق - الجثـــة الزهـــراء - إكليـــل

شـــذى استشـــهاده فـــي الجـــو ترســـله ... بقايـــا اللحـــم فيهـــا العظـــمُ مـــذهول

تســـائل: مـــا جنيـــت اليـــوم يـــا أبـــتِ؟ ... وهـــل مـــا جئـــتَ بـــين النـــاس مغفـــول؟

يا أسفى على الجمال

(كانت تدرّس التربية الفنية بفروعها. ولم يكن أجمل منها في القرية. وكانت متبرجة متهتكة متحللة بين الخلائق. كم فَتنت بجمالها! وكم صَرفت عن القيم بتبذلها! ولم يكن ذلك التلميذ يقوى على مواجهتها لينتقد ما هي عليه للفارق العُمري الكبير بينهما ، ولنقص العِلم الذي تقوم الحجة والمحجة به. فلمّا كبر التلميذ ، وآتاه الله العلم والحكمة ، وأدرك من شريعة الإسلام ومعاني الحياة ما أدرك ، وكان يؤمّل أن ينصح لها يوماً إن هو قّدر على ذلك ، وبيّت النية. وذات يوم زار القبور فقرأ اسمها على أحد القبور ، فراح يسترجعُ ذكرياتِ الأمس ، ويأسفُ على الجمال الموسّد في الثرى ، ويبكيها بالدمع والكلمة. ويذكر في نفسه أبيات الشاعر أبي نوَاس في قافيته المشهورة:

أيـــا رُبَّ وجـــهٍ - فـــي التـــراب – عتيـــقِ! ويـــا رُبَّ حُســـن - فـــي التـــراب – رقيـــقِ!

ويـــا ربُ حـــزم - فـــي التـــراب – ونجـــدةٍ! ويـــا رُب رأي - فـــي التـــراب – وثيـــق!

أرى كـــل حـــي هالكـــاً وابـــنَ هالـــكٍ وذا نســـب - فـــي الهـــالكين - عريـــق

فقـــل لقريـــب الـــدار: إنـــك ظـــاعنٌ إلـــى منـــزل نـــائي المَحـــل ســـحيق

إذا امـــتحن الـــدنيا لبيـــبٌ تكشـــفتْ لـــه عـــن عـــدو فـــي ثيـــاب صـــديق

فتذكر ذلك التلميذ معلمته المتبرجة تلك ، وكيف أسهمتْ فعلاً في إغراء وإغواء الكثيرين ، ثم ها هو القبر ضمّها فيمن ضمّ من الطائعين والطائعات والعاصين والعاصيات. فيا ترى ما حال معلمتنا هناك؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد. وكفى بالموت واعظاً. وليت الأمر يقف عند هذا الحد! بل هناك حشرٌ وبعثٌ وحسابٌ وثوابٌ أو عقابٌ وفضائحُ على رؤوس الأشهاد! ووالله لو لم يَرِدْ في شرع الإسلام من شئ يزجر ويردع عن التبرج والسفور إلا حديث الإمام مسلم المروي عن أبي هريرة لكفى: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صنفان من أهل النار لم أرهما بعدُ ، قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها وجوه الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحَها ، وإن ريحَها ليوجد من مسيرة كذا وكذا). إنني أكتب قصيدتي تلك من هذه الزاوية معبّراً عن التلميذ ومعلمته.)

أيـــن الجمـــالُ تُجَلـــي زهـــوَه الحُلـــلُ ويجتنـــي فخـــرَه الإعجـــابُ والغـــزلُ؟

أيـــن العيـــونُ التـــي بسِـــحرها فتنـــتْ ولا يُقاومهـــا طفـــلٌ ولا رجُـــل؟

حَـــلا - لناظرهـــا - اللحـــاظ فـــي وَلـــهٍ كأنمـــا سَـــرقتْ صـــوابَه المُقـــل

تُزجـــي البريـــقَ لمـــن يهـــوى مفاتنهـــا فـــلا يُعنفـــهُ لـــومٌ ولا خجَـــل

والسِـــحرُ يُتحفهـــا حُســـناً تتيـــهُ بـــه ... وللرمـــوش سَـــناً يلهـــو ، ويحتفـــل

والكُحـــلُ جمّلهـــا ، وزادَهـــا ألقـــاً ... أمـــا الجفـــونُ ففـــي طيّاتهـــا كَحَـــل

تَســـبي المُحِـــبَ عيـــونٌ زانهـــا حَـــوَرٌ ... بشُـــهلةٍ مثـــلِ جمـــر النـــار تشـــتعل

نجـــلاءُ تأخـــذ بالألبـــاب نظرتهـــا ... والشِـــعرُ فـــي دَعَـــجِ العيـــون يُرتجـــل

وللحواجـــب إن عاينتهـــا زجَـــجٌ ... يكـــاد عقلـــك - مِـــن رؤيـــاه - ينـــذهل

والشَـــعرُ - مثـــلَ ســـواد الليـــل - يغمـــرُه ... جـــمّ الـــذوائب - فـــوق الصـــدر- مُنجـــدل

وفـــوق هامتهـــا تختـــالُ طِرّتهـــا ... ولَمّـــة مِـــن أعـــالي الـــرأس تنســـدل

والوجـــهُ مثـــلُ شـــروق الشـــمس طلعتـــه! ... فيـــه التفـــاؤلُ ، والســـرورُ ، والأمـــل

أيـــن القـــوامُ لـــه رشـــاقةَ صـــدحتْ ... وخطـــوه - فـــوق تـــرْب الأرض - مُعتـــدل؟

والوجـــهُ كالبـــدر فـــي آفـــاق طلعتـــهِ ... والبـــدرُ أجمـــلُ إذ يعلـــو ويكتمـــل!

أنوثـــةَ قـــلّ أن تلقـــى لهـــا مَـــثلاً ... وبالصـــبا - فـــي النســـا - كـــم يُضـــرَب المَثَـــل!

والغِيـــدُ يَطـــربْن للثنـــاء ينشـــدهُ ... فتـــىً وســـيمٌ دلالَ الغِيـــد يَحتمـــل

يُبـــدين مُـــرَّ الجفـــا لمـــن بضـــاعته ... صـــدقُ المحبـــة لا زيـــفٌ ولا دجـــل

يَلعـــبن بالصَّـــبّ إن هـــاجَ الغـــرامُ بـــه ... وعنـــدهنّ لمَـــن يعشـــقنه حِيـــل

حتـــى إذا لـــم يكـــنْ أدنـــى مقاومـــةٍ ... خـــار العشـــيقُ ، وأوهـــتْ عزمَـــه الوُسُـــل

والغِيـــدُ يســـمُرن إذ أبطلـــن حُجتـــه ... وفـــي شِـــباك الهـــوى قـــد قيّـــدَ البطـــل

لكـــنّ غادتنـــا - فـــي قبرهـــا - دُفنـــتْ ... وكـــلُ حُســـن لـــه - وإن أبـــى – أجـــل!

ووحـــدَهُ المـــوتُ مُجتـــث نضـــارته ... وإن تعـــشْ غـــادة – دهـــراً - ســـتُبتذل

والثـــأر بـــين الصِـــبا والشـــيب مُنعقـــدٌ ... مهمـــا تباعـــدتِ الأيـــامُ والسُّـــبل

كـــم غـــادة يفـــتن الشـــبابَ منظرُهـــا ... أزرى بهـــا الشـــيبُ حتـــى عافهـــا المَلـــل!

جنـــى المشـــيبُ الصِـــبا فأصـــبحتْ طلـــلاً ... مـــــاذا يُفيـــــد أديـــــمُ الأرض والطَلـــــل؟

صَـــبيةَ هرمـــتْ مـــن بعـــد فورتهـــا ... والعمـــــرُ أيامـــــه فـــــي ذي الـــــدنا دول

كانـــت شـــباباً لـــه - بـــين الـــورى - أرجٌ ... وحُســـــنها عَبـــــقٌ ، وريقهـــــا عســـــل

وبعـــــدُ دارت بهـــــا الأيـــــامُ دَورتهـــــا ... والحُســـــنُ فارقهـــــا ، فريقهـــــا بصـــــل

لا شـــيئ مثـــلَ الصـــبا فـــي أوْج فتنتـــه ... لا يســـتوي التمـــر - فـــي المـــذاق – والـــدقل!

والمـــوتُ كالشـــيب يجنـــي الحُســـنَ ، يعقـــره ... والحُســـنُ - إن عـــاش أو قـــد مـــات - مُرتحـــل

والعائـــــداتُ كمثـــــل الـــــدُود فـــــي نَهـــــم ... تُـــــردي الجمـــــال ، فـــــلا رُجعـــــى ولا حِـــــول

تـــأتي الهمـــومُ علـــى الحســـناء تنهرُهـــا ... وكـــم رمـــى غـــادةً - فـــي بأســـها – الزَّعـــل!

هـــي الكـــروبُ تُحيـــلُ الصـــفو معتكـــراً ... وجُرحُهـــا لـــيس فـــي عقـــدين ينـــدملُ

والمـــوت يَحســـمُ مـــا بـــالنفس مِـــن بَطـــر ... وأمـــرُه - رغـــم كِبـــر الـــنفس - يُمتثـــل

والقبـــرُ يحصـــدُ أقوامـــاً ، وإنْ عظمـــوا ... ولـــيس فـــي ذا مِـــرا – كـــلا – ولا جـــدل

زرتُ القبـــور لأنســـى مـــا أمُـــرّ بـــه ... لقـــد يـــزولُ بـــذكر المُنتهـــى الزلـــل

حتـــى مـــررتُ بقبـــر ضـــمَّ لؤلـــؤة ... لحُســـنها - بـــين أتـــراب لهـــا - ثِقـــل

قـــرأتُ الاســـمَ ، ولـــم أخطـــئْ معالمَـــه ... هـــي التـــي عَلمـــتْ ، وخطبُهـــا جَلـــل

والـــذكرياتُ علـــى شـــفير تُربتهـــا ... والـــروحُ قـــد صـــعدتْ ، والقبـــرُ مُعتقـــل

مـــاذا هنالـــك؟ هـــل ماتـــت معلمـــةَ ... لـــم تحتفـــلْ قـــيمٌ بهـــا ، ولا مُثَـــل؟

كانـــت تبيـــعُ لمـــن يهـــوى مفاتنهـــا ... ويَشـــتري الحُســـنَ منهـــا العِيـــرُ والهَمَـــل

يُصـــوّبون لهـــا سِـــهامَ أعيُـــنهم ... ولـــيس يصـــرفُهم عـــن غـــيّهم وَجَـــل

والنـــارُ أضـــحت لمَـــا قـــد اشـــتروْا ثمنـــاً! ... مَـــن اشـــترى والتـــي باعـــت بهـــم خبَـــل!

واليـــومَ يأكـــلُ دودُ الأرض كـــلَ صِـــباً ... كانـــت تـــدِلّ بـــه ، وغرّهـــا الخطـــل

وكـــم أســـفتُ علـــى الجمـــال أرخصـــه ... بُعـــدٌ عـــن الـــدين لا ترضـــى بـــه الرُّسُـــل!

كـــم غـــادةٍ قبرُهـــا مِـــن روضـــةٍ طَهُـــرتْ! ... مِـــن الجنـــان ، لـــه - مِـــن الهنـــا - ظَلَـــل

سَـــــلاَ بســـــاكنةٍ لـــــه مُوحّـــــدةٍ ... فطـــــاب مســـــكنُه والشـــــربُ والأكُـــــل

أطاعـــتِ الله فـــي الـــدنيا لـــذا اتبعـــتْ ... هـــديَ الرســـول ، فطـــاب القـــولُ والعمـــل!

وأخلصـــــتْ دينهـــــا وفقـــــاً لشـــــرعتها ... فلـــــم يشُـــــبْ ســـــعيَها ولا التقـــــى خَلـــــل

ومـــــا اســـــتكانتْ لشـــــيطان يُضـــــللها ... فتلـــــك كانـــــت - علـــــى الـــــرحمن - تتكـــــل

فرحمـــــةُ الله مولانـــــا تُحـــــيط بهـــــا ... مـــــا طـــــار طيـــــرٌ ، ومـــــا جـــــاب الفـــــلا وعِـــــل

وغـــــادةٌ قبرهـــــا مِـــــن حُفـــــرةٍ خبُثـــــتْ ... مِـــــن الجحـــــيم ، لـــــه - مِـــــن الشـــــقا - نُـــــزُل

خـــــلا بســـــاكنةٍ لـــــه مُضـــــللةٍ! ... صـــــخورُه فوقهـــــا كأنهـــــا الجبـــــل!

كـــــان التبـــــرجُ والســـــفولُ دَيـــــدنها ... وللألـــــى صـــــمّموا المُوضـــــاتِ تبتهـــــل

ولـــــم تصُـــــنْ عينهـــــا عمّـــــا يُضـــــللها ... لأنهـــــا - بـــــدجى الضـــــلال - تكتحـــــل

لـــذاك قـــد عجـــزتْ عـــن كـــل مَكرُمـــةٍ ... وصـــدّها الجهـــلُ والأهـــواءُ والنِّحـــل

حتـــى أتـــى المـــوتُ يُـــردي غـــادة غفلـــتْ ... ويَجتنـــي الحُســـنَ لمّـــا فـــارق الأجـــل

ليأكـــلِ الـــدودُ مَـــن عاشـــت مُنعمـــة ... والســـتر - فـــوق أديـــم اللحـــد - مُنســـدل

والانتقالـــة هـــذي مَـــن يفسّـــرُها ... والمـــرءُ يَصـــرفه التحويـــلُ والنّقـــل

لكنهـــا نقلـــةٌ مـــا بعـــدها ســـفرٌ ... فهـــل تأمّلهـــا مَـــن عـــاش يرتحـــل؟

إلا إلـــى ســـاحة الحســـاب تَجمعُـــه ... بـــالخلق كـــلٌّ - بهـــذا الحشـــر - مُنـــذهل

وبعـــد ذلـــك فـــي المـــأوى إقامتـــه ... أو الجحـــيم وفيهـــا النـــارُ تشـــتعل

مَـــن اســـتقام ففـــي الجنـــات مرقـــدُه ... والنـــارُ عُقبـــى الألـــى بـــربّهم عـــدلوا

هذه مني وأنا منها

(سافرت هذه الصالحة الموفقة وحدها من الإسكندرية إلى المنصورة مضطرة. ولاحقها بعضُ عدماء المروءة والنخوة ، وما أكثرهم في هذا الزمان. فعمدتِ المسكينة إلى رجل تلتمس فيه ما افتقدته في الذين طاردوها من الجبناء الأوباش الأخسة الأراذل ، وجلستْ على مقربة من الرجل الصالح الذي لا نزكّية على الله تعالى. وراحت تسردُ شيئاً من حالها. فقام الرجل بالواجب من حجز تذكرتها والسؤال عن موعد حافلتها ، وأمّنها ليُوهمَ كل عين تراها أنه منها وهي منه ، وأنه لا شك حاميها ومقدّم كل ما يملك من أجل حمايتها وصيانة عِرضها وكرامتها ، محتسباً ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى. وما شجّعه على ذلك إلا لباسُها الذي تميزتْ به من عِباءتها السوداء السابغة وسِترها لوجهها ، وكذلك أدبها وهي تتكلم وانكسارها في طلب اللجوء والحماية. وننتهزها فرصة لننبّه هنا إلى تحريم وتجريم سفر المرأة وحدها بدون محرم. روى البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم). ومن هنا أسجل هذي القصيدة عن هذا الموقف. لأشِيد بخلقها وأدبها وإن كانت قد سافرتْ وحدها فعسى الله أن يغفر لها ، ولأشيد بالرجل الذي تمثل موقف الكليم موسى - عليه السلام - وقصته مع المرأتين. وذلك عندما سقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال: (رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير). وجعلتُ حُسن ثنائه على ربه واعترافه بفره إلى مولاه مطلعاً لقصيدتي هذي! قيل لسفيان بن عُيينة رحمه الله "قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فأين المروءة في القرآن ، قال: في قول الله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين"! ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق ، فلقد جمع في قوله: "خذ العفو" صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين ، وفي قوله تعالى: "وأمر بالعُرف" صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام ، وفي قوله تعالى: "وأعرض عن الجاهلين" الحضُ على التخلق بالحِلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة ، وغير ذلك من الأفعال الحميدة والأخلاق الرشيدة. وتحت عنوان: (تخلقوا بخلق المروءة) يقول الأستاذ سلمان بن يحي المالكي ما نصه بتصرف زهيد: (مما لا شك فيه أن الإسلام جاء بتحصيل كل فضيلة ونبذ كل رذيلة. ومن أهم ما جاء به الإسلام لتمييز شخصية المسلم عن غيره الأخلاق والآداب والعقائد والأحكام. المروءة صدقٌ في اللسان ، واحتمال للعثرات ، وبذل للمعروف ، وكف للأذى ، وكمال في الرجولة ، وصيانة للنفس ، وطلاقة للوجه. المروءة من خصال الرجولة ، فمن كانت رجولته كاملة كانت مروءته حاضرة). ثم يتطرق لأنواع المروءة فيقول: (* المروءة مع الله تعالى بالاستحياء منه حق الحياء ، وأن لا يقَابَل إحسانه ونعمته بالإساءة والكفران والجحود والطغيان ، بل يلتزم العبد أوامره ونواهيه ويخاف منه حق الخوف في حركاته وسكناته وخلواته وجلواته وأن لا يراه حيث نهاه ولا يفتقده حيث أمره. * المروءة مع النفس بحملها على ما يجمّلها ويُزينها وترك ما يُدنّسها ويُشينها ، فيحرص على تزكيتها وتنقيتها وحملها على الوقوف مواقف الخير والصلاح والبر والإحسان مع الارتقاء بها إلى مراتب الحكمة والمسؤولية لتكون الناصح الأقرب إليه والواعظ الأكبر له "قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها". * المروءة مع الخلق بإيفائهم حقوقهم على اختلاف منازلهم ، والسعي في قضاء حاجاتهم ، وبشاشة الوجه لهم ، ولطافة اللسان معهم ، وسعة الصدر وسلامة القلب تجاههم

وقبول النصيحة منهم ، والصفح عن عثراتهم ، وستر عيوبهم ، واحتمال أخطائهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه). ثم يختم بقوله: (وأخيراً. فإن المروءة لذةٌ تفوق كل لذة في هذه الحياة ، وهي مما تحتاج إلى صبر ومجاهدة ودقة ملاحظة وسلامة ذوق! ورحم الله الشافعي يوم قال: "والله لو كان الماء البارد يُنقص من مروءتي لشربته حاراً").هـ.)

رب إنـــي - لمَـــا لـــديك - فقيـــرُ ... إذ أجـــرتُ مَـــن أقبلـــتْ تســـتجيرُ

لـــم أقطـــبْ لهـــا جبينـــاً ، فقـــرّتْ ... وكلامـــي - مـــن الفـــؤاد - بشـــير

لـــن تراعـــي ، وأنـــتِ فـــي العـــين قطعـــاً ... وأنـــا - مِـــن كـــل الـــذئاب - نصـــير

قـــد ســـبرتُ أغـــوار أهـــل المخـــازي ... وأنـــا – بالمســـتهزئين - خبيـــر

وأحطـــتُ بمـــا يَـــدين كـــلابٌ ... فأنـــا - بالمســـتكلبين - بصـــير

فتنـــة تغتـــال الفضـــيلة جهـــراً ... وانحطـــاط - فـــي كـــل وادٍ - يمـــور

وضـــياعٌ يُـــودي بكـــل عزيـــز ... وتـــردٍ - علـــى المعـــالي - يُغيـــر

وارتكـــاسٌ فـــي حَمْـــأة الجهـــل يُـــزري! ... ثـــم جيـــلٌ – بالموبقـــاتِ - قريـــر

وســـبايا أمســـين رهـــن الأعـــادي ... فـــي يـــدٍ قيـــدٌ ، ثـــم - فـــي الجيـــد - نِيـــر

وحقـــوقٌ هانـــت علـــى ماليكهـــا ... والـــذي أودى بـــالحقوق فخـــور

وشـــبابٌ – بالمُخزيـــات - تبـــاهوْا ... ثـــم جمْـــعٌ - مـــن الضـــحايا - غفيـــر

فـــي حـــروب مَـــن ذا يُـــدير رحاهـــا؟ ... مَـــن يُغـــذي نـــاراً عليهـــا القـــدور؟

مَـــن وراء الفســـاد يجتـــاحُ قـــومي؟ ... وإلام يقـــود هـــذا المصـــير؟

مَـــن يزكّـــي الأهـــوال فـــي كـــل صُـــقع؟ ... مـــن يـــذر النيـــران حتـــى يســـير؟

مَـــن أبـــاد الأخـــلاق مِـــن كـــل دار؟ ... وذهـــابُ الأخـــلاق أمـــرٌ خطيـــر

واســـتباحَ الأعـــرافَ فـــي كـــل نفـــس ... كـــي تضـــيق ذرعـــاً بهـــن الصـــدور

كـــم ســـألتُ ، ولا جـــواب لســـؤلي! ... واســـألي شِـــعري ، والـــورى ، وشُـــعوري

ودمـــوعي بالشِـــعر تغضـــي حيـــاءً ... وأنينـــي علـــى المصـــاب كســـير

كـــم نصـــحتُ ، وكـــم طرحـــتُ حُلـــولي! وأنـــــا بالنصـــــح العفيـــــف جـــــدير

لكـــنِ القـــومُ – للهـــوان - اســـتكانوا بـــئس طبـــعٌ يُشـــقي ، وبـــئس عشـــير!

أختنـــــا فـــــي الإســـــلام لا تتـــــوانيْ والزمـــــي التقـــــوى ، فالعـــــذابُ مَريـــــر

طاعـــة المـــولى ســـمتُ مَـــن قـــد أنابـــت لـــم يوســـوسْ فـــي صـــدر تلـــك الغـــرور

فـــاعملي بالشـــرع الكـــريم احتســـاباً واحـــذري مـــا تطـــوي مَـــداهُ القبـــور

أنـــتِ - بالإســـلام الحنيـــف - منـــارٌ تســـــتدلّ بنـــــوره مـــــن تـــــدور

أنـــتِ خيـــرٌ تحتاجـــه كـــل حيـــري ودليـــلٌ يهـــدي الـــورى وضـــمير

وانطـــلاقٌ نحـــو الهـــدى والتســـامي أنـــت مـــن هـــذا الخيـــر نعـــم ســـفير!

فيـــكِ مـــا خـــاب الظـــن ، والســـترُ بـــادٍ والســـــوادُ سِـــــترٌ حشـــــيمٌ وقـــــور

ومـــن الـــرأس قـــد تـــدنى خِمـــارٌ فقلاهـــــا تبـــــرجٌ وســـــفور

وعليهـــا الجلبـــابُ خيـــرُ لبـــاس عســـجديٌ تغـــار منـــه الخـــدور

واليـــدان كـــلٌ بقفـــاز تقـــوى مـــا لكـــفٍ - بـــين البرايـــا - ظهـــور

والنعـــالُ لا صـــوت مـــن أي ســـير إنْ رمـــالٌ – مـــن تحتهـــا – أو صـــخور

ولهـــا صـــوت خافـــتٌ مســـتكينٌ فـــي صـــداه حقـــاً نشـــاذ يســـير

قصـــدته كـــيلا يكـــون خضـــوعٌ إنمـــا القـــولُ بالخضـــوع مُثيـــر

حـــدثتني بلهفـــةٍ واضـــطراب والتجـــاءٍ ، ذو البـــأس منـــه يخـــور

مـــا دهاهـــا حتـــى أرادتْ جـــواري؟ وعلـــى ذي الأعـــراض إنـــي غيـــور

خِلتهـــا بنتـــاً قـــد علتهـــا الـــدواهي فانبريـــتُ ، وبـــي تحـــدٍ جســـور

فأشـــاحتْ بالوجـــه عنـــي بعيـــداً ثـــم قالـــت: خلفـــي شـــبابٌ حقيـــر

تبعـــوني ، ولـــم يرقـــوا لضـــعفي وكـــأني - بـــين الضـــواري - جـــزور

بكـــــلام - منـــــه الخلاعـــــة - فاحـــــت ... وابتـــــذال طغـــــى عليـــــه الغـــــرور

فـــــدعوتُ المليـــــك قلـــــت: (اكفنـــــيهم) ... إن ربـــــي - علـــــى نجـــــاتي - قـــــدير

فـــــإذا بـــــي أمـــــام شـــــهم أمـــــين ... قلبُـــــه إذ أصـــــغى إلـــــيّ كبيـــــر

قلـــــتُ: كـــــلا ، لـــــن يجرحـــــوكِ بحـــــرفٍ ... فأنـــــا ليـــــثٌ إن ثـــــأرتُ هصـــــور

فاســـــتريحي مـــــن العنـــــاء ، وكـــــوني ... فـــــي أمـــــان ، هـــــذا أخـــــوكِ مُجيـــــر

ســـــيبوءُ - بالـــــدحر - كـــــل جبـــــان ... مـــــا اســـــتوى ليـــــث حـــــاربٌ وبعيـــــر!

ودفـــــاعي عـــــن عِرضـــــك اليـــــوم زادٌ ... ليـــــذودَ عنـــــي الـــــرحيمُ الغفـــــور

أنـــــتِ منـــــي مثـــــلُ ابنتـــــي ، صـــــدقيني ... دُوحـــــة قلبـــــي إن شـــــواكِ الهجيـــــر

ولســـــاني يصـــــدّ عنـــــك الـــــدعاوى ... ويراعـــــي إمـــــا يـــــذودُ طهـــــور

وقريضـــــي مستبســـــلٌ وانفعـــــالي ... إن يَـــــذرّوا الصَـــــبا ، فشِـــــعري الـــــدبور

كـــــلُ مـــــا قـــــد ســـــطرته عنـــــك حـــــقٌ ... ينصـــــفُ العصـــــما شِـــــعرُه والنثيـــــر

واســـــمعي يـــــا أخـــــت الحنيفـــــة نصـــــحي ... إن نصـــــحي إمـــــا غفلـــــتِ نـــــذير

لا تســـــافرْ فضـــــلى بـــــدون رفيـــــق! ... مَحـــــرمٌ يُـــــردي مَـــــن عليهـــــا يجـــــور

سُـــــنة غابـــــت عـــــن كثيـــــر ، وتاهـــــت ... بـــــين هـــــذا والهـــــازلين دهـــــور

فاســـــتفيقي يـــــا أخـــــتُ ممـــــا دهانـــــا ... مِثـــــلُ هـــــذا يحتـــــاط منـــــه الحـــــذور

بالشـــــباب الخليـــــع غصّـــــتْ قرانـــــا ... والأســـــودُ صـــــعبٌ عليهـــــا الزئيـــــر

وغزينـــــا بـــــالفن مِـــــن كـــــل لـــــون ... والحيـــــاة - إلـــــى الهـــــلاك - تســـــير

فاســـــتفيدي ممـــــا أقـــــولُ ، وجـــــدّي ... ربمـــــا تهـــــديكِ الســـــبيلَ ســـــطور

ورجـــــائي أنْ لا تعـــــودي لهـــــذا ... ورعـــــاكِ المـــــولى الجليـــــلُ القـــــدير

الضحية

(مات أبوه وهو في سن العاشرة. وتزوّجتْ أمه ذاتُ الأربعين ربيعاً من شاب في الرابعة والعشرين. فكان زواجاً لم يُرد به وجه الله. بل هي عملية مراهقة ليس إلا. فكان الابن البائس ضحية هذه الأسرة المنكوبة. فالكل يضربه: (أمه وزوجها الشاب وأخته وأخواه). وباتت الاستقامة صعبة. ولم يُحرز في التعليم قسطاً ولا حتى في الحياة. لأنه ضحية لمراهقة أم في الأربعين تتزوج من سفيه عاطل عن الدين والعمل في الرابعة والعشرين. فانحرف الابن في ظل هذه التداعيات بصورة لا يمكن تخيلها. واتسعتْ دائرة الانحراف لتشمل المخدرات. ناهيك عن شِلة الأنس من الرفاق الملعونين الذين لا يقيمون صلاة ولا يقرأون قرآناً ولا يؤمنون بالله ولا بيوم الحساب. رويَ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (من وضع يده على رأس يتيم رحمة كتب الله له بكل شعرة مدت على يده حسنة). رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أن رجلاً شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له: إن أردت تليين قلبك ، فأطعم المسكين ، وامسح رأس اليتيم". روى أحمد عن مالك بن الحارث أنه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبتْ له الجنة البتة ، ومن أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار يُجزى بكل عضو منه عضواً من النار". روى أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرّت عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين ، وفرَّق بين أصبعيه السباحة والوسطى". وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا المال خضرة حلوة ، ونعم صاحب المسلم ، هو لمن أعطى منه اليتيم والمسكين وابن السبيل). وروى أحمد عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: "مَنْ قَبَضَ يَتِيماً مِنْ بَيْنَ المُسْلِمينَ إلىَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ البَتَّةَ إلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْباً لا يُغْفَرُ له". ورواه الترمذي. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما). رواه البخاري. وقال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: [قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك]. ثم قال الحافظ ابن حجر: وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى. وقال الحافظ أيضاً: قال شيخنا في شرح الترمذي: لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة ، أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو منزلة النبي صلى الله عليه وسلم لكون النبي صلى الله عليه وسلم شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله! وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يُفطر). رواه البخاري ومسلم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة.(رواه مسلم). قال النبي صلى الله عليه وسلم: من ضم يتيماً بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبتْ له الجنة. روى أبو يعلى والطبراني وأحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه

قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه؟ قال: أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك. (رواه الطبراني). فكتبت حكاية على لسان ذلك الفتى هذه القصيدة من المتقارب. أتخيله يتحدث إلى أبيه مُلقِيا باللائمة على نفسه في حضرة أبيه! فبماذا خاطب الابنُ أباه في قبره؟)

أرانـــي - بـــأوزار غيـــري - الـــذليلْ ... ونجمـــــي يلـــــوذ بقـــــيح الأفـــــولْ

وأبكـــــي ، وتخنقنـــــي كُربتـــــي ... وينحـــــدر الـــــدمعُ مثـــــلَ الســـــيول

ويكـــوي النحيـــبُ ســـنا عزمتـــي ... وزهـــرةُ عمـــري اعتراهـــا الـــذبول

وهمّـــي جليســـي صـــباحَ مســـا ... ولـــيس لمشـــكلتي مـــن حلـــول

وأجتـــرّ حُزنـــاً كمثـــل اللظـــى ... ولـــيس - إلـــى لفظـــه - مـــن ســـبيل

وأحيـــا أكابـــدُ مُـــر الجـــوى ... بجســـم تحـــدّاه ســـيفُ النحـــول

وحـــولي الأقـــاربُ ، لكـــنْ غَثـــا ... وطـــال النشـــيجُ ، وفـــاض العويـــل

أبـــي قـــد رحلـــت ، وخلفتنـــي ... أصـــارعُ بعـــدك طـــولَ الرحيـــل

ويقتلنـــي الوَجـــدُ فـــي عـــالم ... يُخـــالفُ - بالعمـــد - هـــديَ الرســـول

فيلقـــي الحِـــرابَ بصـــدر يتيـــ ... ـــم ، ويُصـــبحُ فـــي عِرضـــه يســـتطيل

ويَقهـــرُه دونمـــا رحمـــةٍ ... ويَـــدْحرُه بالعـــذاب الوبيـــل

ويرمـــي عليـــه صـــنوفَ الأذى ... كـــأن اليتـــيم ظلـــومٌ جهـــول

أبـــي كنـــت لـــي فـــي الضـــنا جُنـــة ... تُهـــوّن مشـــوار ضـــنكي الطويـــل

وتَغمرنـــي بالعطـــاء الـــذي ... تـــزولُ الحيـــاة ، ولـــيس يـــزول

وترفـــق بـــي إن بـــدتْ زلـــة ... وإمـــا اعتـــذرتُ وجـــدتُ القبـــول

ومـــا كنـــتَ تهمـــل مـــا أشـــتكي ... فأنـــت الصـــديقُ ، وأنـــت الخليـــل

ولمّـــا تكـــنْ بيننـــا فجـــوة ... ولكـــنْ صـــفاءٌ وقُـــربٌ جميـــل

أبـــي إننـــي اليـــومَ فـــي ذِلـــةٍ ... وسُـــكنى الشـــقاء بـــلاءٌ ثقيـــل

وذلُّ الأقـــــارب قـــــد هـــــدّني ... ولا يقبـــــل الـــــذلَ إلا الـــــذليل

وإنـــــي أنـــــافحُ عـــــن عِزتـــــي ... ولســـــتُ - إلـــــى الـــــذل يومـــــاً - أميـــــل

ضـــــحيةَ مَـــــن فـــــيّ قـــــد فرَطـــــوا ... وعيشـــــي المُشـــــتت أقـــــوى دليـــــل

أراهـــــم وَصَـــــاتك قـــــد أهـــــدروا ... فكـــــلٌّ لـــــه - فـــــي التشـــــفي - مُيـــــول

وخـــــانوا الأمانـــــة ، لـــــم يحفظـــــوا ... ولـــــيس لغـــــدرهمُ مِـــــن مثيـــــل

وبيـــــنهمُ ذقـــــتُ مُـــــرّ الأســـــى ... وأردى إبـــــائي العـــــذابُ المهـــــول

أقاســـــي فتـــــونَ الطـــــوى مُكرهـــــاً ... وبعـــــدُ أنـــــام كمثـــــل القتيـــــل

ويـــــذبحُني الـــــدمعُ أبكـــــي أبـــــي ... إذا فاجـــــأتْني طيـــــوفُ الأصـــــيل

فأصـــــحو - مـــــن النـــــوم - مســـــترجعاً ... ومـــــا زادنـــــي منـــــه إلا القليـــــل

أبـــــي كنـــــتَ فرحـــــي وترنيمتـــــي ... وكنـــــتَ - بمـــــا أرتجيـــــه - الكفيـــــل

وكنـــــت الظهيـــــر إذا نـــــالني ... عـــــدوٌ ببائقـــــةٍ أو فضـــــول

ونـــــورٌ - علـــــى الـــــدرب - مســـــتعذبٌ ... وفـــــي القـــــيظ عطفـــــك ظـــــلٌ ظليـــــل

ومـــــا كنـــــتُ أدركُ مـــــا أدّعـــــي ... فهـــــذي أمـــــورٌ تراهـــــا العقـــــول

ولكـــــنْ فراقَـــــك قـــــد هزنـــــي ... وأســـــدل - حـــــول فـــــؤادي - السُّـــــدول

وأطيافـــــك اليـــــوم تُزكـــــي الجـــــوى ... وذِكـــــراك مثـــــلُ النســـــيم البَليـــــل

وأصـــــداءُ صـــــوتك فـــــي خـــــاطري ... تـــــؤثر - فـــــي الـــــنفس - مثـــــلَ الهـــــديل

ليـــــرحمْ مليـــــكُ البرايـــــا أبـــــي ... وهـــــل يـــــرحمُ النـــــاسَ مثـــــلُ الجليـــــل؟

وعوّضـــــني اللهُ عـــــن فقـــــده ... وأتحـــــفَ قلبـــــي بصـــــبر جميـــــل

وثبتنـــــي اللهُ فـــــي مِحنتـــــي ... وحســـــبيْ الإلـــــهُ ، ونعـــــمَ الوكيـــــل!

حوارٌ مع مستشعر نبطي

(ظل يجادل عن العامية ويقول: (لماذا نتكلم بها ونتعامل ونستبيحها لأنفسنا كلغة حوار يومي ، ونُحرّمها شعراً نكتبه ونتغنى به؟) فقلتُ: سؤالُ حق أريد به باطل. وقد فندتُ منذ سنوات هذا الهراء في مقدمة قصيدتي (اللاشعر المتفلت). ولا أريد هنا ذكر ما ذكرته هناك. ولكن أشير فأقول: إن العامية إقليمية ضيقة ، والكلام بها وصياغتها شعراً أو نثراً ، وإفساح المجال لها يعتبر هجوماً على الفصحى لا محالة. ألا إن العربية الفصحى تعطينا العالمية ، وتربطنا بالماضي الوريف ، ومن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل. وأنا أرى بأن المُروّجين للعامية إنْ هم إلا قوم انهزموا أمام التغريب والعولمة ، وقد عجزوا عن مواكبة العالم بلغةٍ أصيلةٍ هي العربية ، وراحوا يُقلدون غيرهم تقليداً أعمى. فإلى الإمّعات والمقلدين أقول: إن العامية لا يكاد يفهمها ويعرفها إلا أهل الإقليم الذي توجد فيه فقط. ومن هنا فالبلد الواحد يمكن أن تكون فيه حِفنة من اللهجات العامية. ومن هنا فهي لا تربط بين الناس أبداً ، وإنما الذي يربط الكل ويؤلف بينهم بعد الدين هو لسان الضاد. والدكتورة نفوسة زكريا سعيد أشارت إلى مثل هذا في مُصنفها البديع: (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) ، ويكفي ما وصف به الشيخ محمود محمد شاكر كتابها فقال: نقلاً عن كتابه البديع (أباطيل وسُمّار) ما نصه: (جاء هذا الكتاب كأنه تقريعٌ لي ، ولكل مَن نصب نفسه لعلاج المسائل العامة في حياة الشعب العربي والإسلامي ؛ لأننا عشنا دهرًا في موج متلاطم ، ثم لم يكن لنا من الحكمة والعقل ، ما يدفعنا إلى تقييد ما يجري في زماننا على ترتيب تاريخي متصل ، فيكون ذلك معوانًا لنا على جلاء الصورة التي عشناها أو التي نعيشها ، في ضوء مبين عن حقيقتها ، وتلافيفها ، وتعاريجها ، وخفاياها ، وهذه هي النكبة التي نُكِبنا بها ، وأنا أشهد على نفسي – على الأقل – أنني قصّرتُ في ذلك تقصيرًا معيبًا ؛ إذ شغلتْني نفسي عن تتبع كثير من الحقائق وتقييدها ، فلما جئتُ أطلبها وقعتُ في المآزق ، حتى جاء كتاب "تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها في مصر" ، فأنقذني مما تورطتُ فيه. وهذا الكتابُ النفيسُ ، من تأليف الدكتورة نَفُّوسة زكريا سعيد ، المُدرسَةُ بكليةِ الآداب جامعة الإسكندرية. (الطبعة الأولى 1384 هجرية / 1964م). والجهد المبذول في جَمْعِ مادةِ هذا الكتابِ جُهْدٌ يَدُلُ على التجَرُّد الصحيح السليم في طلب المعرفة ، وعلى الصدق في السعي إلى الحقيقة ، وعلى النفاذ في إدراك الحقائق ، وعلى الصبر في معاناة التّنقيب بلا كَلَلٍ ولا ملل. ولا أظنني قرأتُ مُنْذُ سنواتٍ طوالٍ كتابًا يتناولُ المسائل العامة في حياتنا الحديثة ، بذل فيه صاحبه من الوقت والجهد والأناة ما بذلت الدكتورة نَفُّوسة في كتابها هذا ، ولا أظنني قرأتُ أيضًا في الدَّهر كتابًا ينبغي لكل عربيٍ وكل مسلمٍ أن يقرأهُ مِن ألفه إلى يائه يُضارِعُ هذا الكتاب. وحسْبُها أنها استطاعتْ أن تجلو للناس صوراً صحيحة صادقة مؤيدة بالأسانيد ، بلا تزيّد ولا كذب ولا ادّعاء عن أكبر معركة تدور في العالم العربي والإسلامي ، وهي معركة البناء أو الهدم ، معركة الحياة أو الموت ، معركة الحرية أو الاستعباد ، معركة وحدة العرب والمسلمين بلغةٍ عربيةٍ واحدةٍ هي الفصحى ، أو تفرُّق العرب والمسلمين أشتاتاً بلغاتٍ متنابذة هي العامية. ولو أنَّ لي من الأمرِ شيءٌ لأمرتُ أن يُطْبع هذا الكتاب ليكون في يَدِ كُلِّ شابٍّ وشابةٍ ، وكل رجُلٍ وامرأةٍ ، ويكون له مُختصر مُيسَّر لكُلِّ من مكَّنه الله من القراءة. ولستُ أريد الإغراق في الثناء ، وإخلاء الكتاب من كُلِّ عيبٍ ، ولكني أراهُ كتابًا صالحًا لكل مُثَقفٍ ، يجد فيه مادةً صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة ، إذا وقانا

الله شرَّها باليقظة فقد نَجَوْنَا من المحنة الساحقة ، وإذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة ، فذاك ذُلُّ الأبَد ، ولا حول ولا وقوة إلا بالله وحده).هـ. ورحم الله الكاتبة والناقد! والآن أسأل المقلدين الإمعات!)

لمـــــاذا تُقلـــــدُ يـــــا إمّعَـــــةُ؟ وتُقحِـــــمُ نفســـــك فـــــي المعمعـــــةَ؟

عـــــلا صـــــوتُ هزلِـــــك مســـــتنكراً فحتـــــى متـــــى هـــــذه الجعجعـــــةُ؟

تنـــــالُ مِـــــن الضـــــاد فـــــي خِســـــةٍ ألا إن ذي خيبـــــــــــةً مُفظعـــــــــــة

وتـــــزعمُ أنـــــك ترقـــــى بهـــــا فـــــأين الإفـــــادة والمنفعـــــةُ؟

وتُلقِـــــي القـــــراراتِ وفـــــق الهـــــوى وتجرحُهـــــا بـــــالرؤى المُطمِعـــــة

فيَطمـــــعُ فـــــي الضـــــاد أعـــــداؤها لتحتـــــــــرقَ الروضـــــــــة المُونعـــــة

لمـــــاذا تعربـــــدُ يـــــا جـــــاهلاً وتُلقمُهـــــا الضـــــربة المُوجعـــــةُ؟

ومـــــا دمـــــت تجهـــــلُ بُنيانهـــــا وتجهـــــلُ طاقاتهـــــا المُبدِعـــــة

وتجهـــــلُ تـــــاريخ ســـــاداتها لمـــــاذا تقـــــودُ رحـــــى الزوبعـــــةُ؟

لمـــــاذا - علـــــى ضـــــادنا - تفتـــــري وهـــــل حُجـــــةَ المفتـــــري مُقنِعـــــةُ؟

هـــي الضـــادُ - رغـــم العِـــدا - فـــي الـــذرى بـــــــرغم المكائـــــــدِ والخيضـــــــعة

لســـــانُ النشـــــامى وأمُّ اللغـــــا وللـــــواردين هـــــيَ المَشـــــرعة

مطايـــــا جميـــــعُ اللغـــــات لهـــــا لكـــــلٍ أوامرُهـــــا طَيّعـــــةُ

هـــــي الأمُ أطفالهـــــا حولهـــــا فـــــنعمَ الكفيلـــــة والمُرضِـــــعة!

تحِـــــنّ وتُشـــــفقُ فـــــي رقـــــةٍ ورحمتهـــــا بـــــالورى مُمْرعـــــة

بهـــا أنـــزل الـــذكرُ عـــذبَ الشـــذى وعطـــرُ الهدايـــة مـــا أضـــوعه!

بلفـــظٍ مبـــين أتانـــا الهُـــدى وقـــرآنُ ربـــيَ مـــا أروعـــه!

وسُـــنة خيـــر الـــورى (أحمـــدٍ) وهـــذي أحاديثـــه المُمتعـــة

فهـــل بعـــد ذلـــك مِـــن سُـــؤدَدٍ؟ أجبنـــي عـــن الســـؤل ، يـــا إمعـــة

وهـــل بعـــد ذلـــك مـــن عـــزةٍ ومجـــدٍ تعـــاظم؟ مـــا أينعـــه!

هـــي الضـــادُ تَهـــزمُ مَـــن نالهـــا بســـوءٍ ، وإن لهـــا قَعقعـــة

تُرَجّعـــه خائبـــاً خاســـراً يَلـــوكُ الهزيمـــة والمَضـــجعة

وأهـــلُ الحداثـــة كـــم عـــاينوا وعـــانوْا مِـــن الغُصَـــص المُفزعـــة!

وتغـــريبُهم للســـراب انتهـــى ولاقـــى - علـــى الـــدرب - مَـــن زعزعـــه

وجرّعـــهُ - فـــي الأنـــام - الشـــقا وكيـــدُ الحداثـــة مـــا أشـــنعه!

وكيـــدُ المفـــاليس رغـــم الأذى تلاشـــى هنـــا ، والتقـــى مَصـــرعه

وكيـــف ينـــال - مِـــن الضـــاد - مَـــن لهـــاثُ الحداثـــة قـــد ضـــيّعه؟

وخلفـــه فـــي مهـــاوي الـــردى وأبـــئسْ بمـــا حـــل مِـــن جُندعـــة!

فـــلا لغـــة العُـــرب تســـمو بـــه فهـــذا تســـربلُه التعتعـــة

هـــي الضـــادُ تُكـــرمُ مَـــن جاءهـــا وتـــأتي - إلـــى ســـاحِهِ - مُســـرعة

وتســـحقُ مَـــن يســـتهينُ بهـــا فللضـــاد نِقمتُهـــا البَلتعـــة

إلـــى أن بُليـــتُ بُمستشـــعر ينـــال مـــن الشـــعر ، مـــا أفظعـــه!

يُـــرَدّدُ مـــا قـــال أهـــلُ الخنـــا ويُحْـــدِث مَـــن جهلـــه فرقعـــة

يُفضّـــل لهجتـــه هـــازلاً فهـــل يســـتوي القصـــرُ والصَّـــومعة؟

يُســـمي قريضـــاً هُراءاتِـــه وشـــيطانه اســـطاع أن يَخدعـــه

وإنـــي فضـــحتُ ألاعيبـــه كثيـــراً بـــديوانيَ (القوقعـــة)

وأشـــهرتُ سَـــيفي بـــلا رهبـــةٍ لكـــي أخـــرسَ الصـــوت ، أو أقمعـــه

وأبطـــلَ شـــعري أراجـــيفهم بأســـلحةٍ فـــذةٍ أربعـــة

فأولهـــا حُســـنُ تعبيـــره وجُـــرأةُ مَـــن صـــادقاً أبدعـــه

ونـــــورُ الحقـــــائق فـــــى لفظـــــه يُنيـــــر الـــــدياجير ، مـــــا أســـــطعه!

ورابعُهـــــــا حَبْـــــــكُ تركيبـــــــه بعـــــــزم يُحليـــــــه ذي مَترعـــــــة

تتبعـــــتُ - بالشـــــعر - مَـــــن حرّفـــــوا لأثبـــــت للحـــــق أنـــــي معـــــه

وأنـــي - علـــى العهـــد - مهمـــا جـــرى أعِـــــــدّ لملحمـــــــةٍ مُزمعـــــــة

وأعطـــــي - لضـــــاد الـــــديار - اللـــــوا وأحـــــــرى بمثلـــــــيَ أن يرفعـــــــه

وأكبـــــتُ مَـــــن يســـــتهينُ بهـــــا وأولـــــــى بمثلـــــــيَ أن يدفعـــــــه

وشـــــعري – بملحمتـــــي - ضَـــــيغمٌ فهـــــل ضـــــيغمٌ يشـــــتكي ضُـــــفدعة؟!

أذودُ عـــــن الضـــــاد مستبســـــلاً! لأن التطـــــاول مـــــا أبشـــــعه!

ينـــال مـــن الضـــاد فـــي دراهـــا ألا بـــــارك الله مَـــــن تعتعـــــه!

وجيـــلُ الحداثـــة غـــال الحيـــا ومَـــزق - بـــين الـــورى - بُرقعـــة

وأمســـى يُهـــدّم فـــي ضـــادنا وفـــي الهـــدم والـــدكّ مـــا أشـــجعه!

كمـــا الأخطبـــوطِ بترياقـــهِ ويُرســـلُ - فـــي عِرضـــها - أذرُعـــه

ريـــاضٌ هـــيَ الضـــادُ تُهـــدِي الشـــذى هـــل الـــروضُ – يـــا نـــاس- كالبلقعـــة؟

ســـتبقى بـــرغم هـــراءاتهم ورغـــم التجنـــي ورغـــم الضَّـــعة

هـــي النهـــرُ يَـــروي الـــدنا والـــورى وللمـــاء إمـــا جـــرى رعرعـــة

بـــه تُصـــبحُ الأرضُ مُخضَـــرّةً وإن شـــح عنهـــا غـــدتْ مَجمعـــة

وتعـــرفُ أبناءهـــا ضـــادُنا وقـــد لا تعـــيشُ بفـــرط الدعـــة

فيـــا ربنـــا احفـــظ لنـــا ضـــادنا وقـــيّضْ لهـــا هِمَمـــاً مُبدعـــة

مرة واحدة تكفي

(تزوّجها يحسَبُها صالحة ، وهي دون ذلك. ولكن أمام إلحاح الأهل ، ولقدر من الله غالب تزوّجها. فلما بنى بها فإذا به يجدها ثيباً. وهو الذي تزوجها على أنها بكْر. فجاء ذاهلاً يسأل: (ما الحل؟) فقيل: إن شئت أمسكت وسترت ولك من الله الأجر ، وإن شئت سرّحت ولا جناح عليك. فأمسك حيث إنها بكت بين يديه ، وعاهدت الله وعاهدته أنها كانت غلطة ولن تعود ، وأنها تابت إلى الله وأنابت. فاستمر الزواج ، وفي الشهر السابع اكتشف ذلك الزوج المخدوع أن حليلته تُهاتف الأخدان وتواعدُهم ، فاستوثق من ذلك وتأكد. فعزم على طلاقها فبكت بين يديه. تماماً كما بكت منذ سبعة أشهر. فقال لها: لقد بكيت مرة فصدقناك وعذرناك وأعطيناك مُهلة وفرصة. ومرة واحدة تكفي لأخذ العِبرة واستلهام الدرس. ولا أجتمع أنا وأنت تحت سقف بيت واحد أبداً ، مهما كلفني ذلك من الأثمان. ثم استشار أصحاب الخبرة وأولى الذكر ومَن تقوم بهم الحُجة ، فإذا بهم يُجمعون على نفس ما رأى. فاستخار الله عز وجل فانشرح قلبه تماماً للفكرة. وطلقها غير آسف ولا نادم. فكان الطلاق حقاً نهاية هذي اللعوب الغاشة الخائنة الغادرة. وإنها عِبرة لكل مَن تلعب بالنار أنها لا بد أن تحترق. فإن لم يكن اليوم فغداً. إن النار ستحرقها في الدنيا فضيحة وسُوء سُمعة وانتهاك عِرض ، وفي الآخرة سوف تلفحُها نارُ جهنم جزاءً وفاقاً إلا إذا تابت توبة نصوحاً. وإذن فإن شاء لها عزمُها تابت توبة نصوحاً حتى لا تندم. فقمتُ بكتابة هذه القصيدة من الوافر حكاية على لسان ذلك الزوج الشهم المحترم بعد أن طلقها وارتاح من الهموم والقلق والاضطراب ، وبدأ حياة أخرى جديدة نظيفة عفيفة طاهرة ولله الحمد! قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) ما نصه بتصرّف: (قوله تعالى: (فالصالحات) أي: من النساء (قانتات): قال ابن عباس وغير واحد: يعني مطيعات لأزواجهن (حافظات للغيب). قال السُدي وغيره: أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله. وقوله: (بما حفظ الله) أي: المحفوظ من حفظه. قال ابن جرير: حدثني المثنى ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا أبو معشر ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرّتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غِبت عنها حفظتك في نفسها ومالك". قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (الرجال قوامون على النساء) إلى آخرها. وقال الإمام أحمد: عن عبيد الله بن أبي جعفر: أن ابن قارظ أخبره: أن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها قِيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت". تفرّد به أحمد).هـ. ورحم الله ابن كثير إذ بيّن لنا حقيقة الصالحات وحفظهن للغيب والعِرض والمال والولد! ولنتابع: مرة واحدة تكفي!)

أقمـــتُ - علـــى الخيانـــة - بينـــاتي ولـــــم أعبـــــأ بـــــأقوال الوُشـــــاةِ

وخضْـــتُ غمـــار تجربتـــي بنفســـي ولـــــم أحفـــــلْ بحجـــــم التَّرّهـــــات

وباشـــــرتُ الحقـــــائق دون خـــــوفٍ وجابهـــــتُ الخلائـــــقَ فـــــي ثبـــــات

وأعطيـــتُ الأمـــان ، وقلـــتُ: أحيـــا بعيـــداً عـــن جحـــيم الشـــائعات

وقـــدمتُ الخيـــورَ ، ولـــم أخـــوّنْ وأســـديتُ النصـــيحة والعِظـــات

وأودعـــتُ النّهـــى حُســـنَ النوايـــا وقلـــتُ: حليلتـــي خيـــرُ البنـــات

وقلـــتُ: شـــريفةَ تهـــوى المعـــالي وقلـــتُ: جميلـــةَ ، أحلـــى فتـــاة

وقلـــتُ: عفيفـــةَ بـــين الصـــبايا وأفضـــلُ مِـــن جميـــع المُحصـــنات

وقلـــتُ: فريـــدة الإخـــلاص قطعـــاً كمثـــل الـــنجم بـــين المخلصـــات

وقلـــتُ: الصـــدقُ طابَعُهـــا المُرَجّـــى وتســـبقُ - فـــي النســـاء - الصـــادقات

وقلـــتُ: الطهـــرُ يجـــري فـــي دِماهـــا وتَغبطَهـــا جُمـــوعُ الطـــاهرات

وقلـــتُ: عشـــيقةَ للـــزوج حقـــاً تحِـــنّ لـــه حنـــينَ العاشـــقات

وقلـــتُ: إلـــى المهـــيمن قـــد أنابـــتْ وقـــد فاقـــتْ حشـــودَ التائبـــات

وقلـــتُ: إذا الأولادَ رزقـــتُ منهـــا فهـــذي مـــن خِيـــار الأمّهـــات

وقلـــتُ: أصـــيلةَ حســـباً وسَـــمتاً تحلـــقُ فـــي ســـماء المَكرمـــات

وقلـــتُ: نجيبـــةَ نســـباً وطبعـــاً وفاضـــلة تفـــوق الفُضـــليات

وقلـــتُ: قنوعـــةَ ، بالـــدون ترضـــى ولا تهـــوى الرخـــا والمُغريـــات

وقلـــتُ: حكيمـــةَ - بالرشـــد - خُصّـــتْ تفـــرّقَ رُشـــدُها فـــي الراشـــدات

وقلـــتُ: حصـــيفةَ رأيـــاً ولفظـــاً وســـوف تحُـــلّ كـــل المعضـــلات

وقلـــتُ: صـــديقة ترقـــى بنفســـى تبـــادلني الهـــوى كالصـــاحبات

وقلـــتُ: خليلـــة نفســـي فِـــداها تُغـــرّد كالبلابـــل فـــي حيـــاتي

وقلـــت: تجـــودُ بالمـــال احتســـاباً علـــى الفقـــراء كالمتصـــدقاتِ

وقلـــتُ: رفيقـــةَ بـــالزوج ، تصـــغِي لآهـــاتِ الفـــؤاد وللشـــكاة

وقلـــتُ: بكـــل مـــا امتلكـــتْ تُضـــحِّي إذا شـــــحّ الـــــورى بالتضـــــحيات

وقلـــتُ: تُجيبـــبُ مَـــن يرجـــو وتُعطـــي إذا مـــــا عـــــز بـــــذلُ الأعطيـــــات

وقلـــتُ: مُعِينـــة فـــي الكـــرب تحنـــو وتحمـــــي مِـــــن ســـــعير العائـــــدات

وقلـــتُ: تُحقـــق الآمـــالَ هـــذي وتغمُرُنـــــي بعـــــذب الأمنيـــــات

وقلـــتُ: ســـتمنح الرضـــوان أهلـــي وتُجـــــزل - للقرابـــــات - الهِبـــــات

وقلـــتُ: تُخفـــف الأعبـــاءَ عنـــي وتبـــذر - فـــي النقاشـــات - النكـــات

وقلـــتُ: ســـتملأ الإحســـاسَ ذكـــرى ليَرفـــلَ خـــاطري فـــي الـــذكريات

وقلـــتُ: إلـــى الفضـــيلة ســـوف تـــدعو وتســـــعى فـــــي دروب الـــــداعيات

وقلـــتُ: تقيـــةً قـــولاً وفعـــلاً وشـــمسٌ فـــي ســـماء المُخبتـــات

وقلـــتُ: نبيلـــةً أهـــلاً وداراً وطيّبـــــةً تحِـــــبّ الطيبـــــات

وقلـــتُ: لهـــا خـــلالٌ لا تبـــارَى وخيّـــرةٌ لهـــا أنـــدى الصـــفات

وقلـــتُ: صـــبورةٌ فـــي كـــل كـــرب ومَـــن للكـــرب غيـــرُ الصـــابرات؟

وقلـــتُ: لهـــا عِبـــادة مَـــن تســـامتْ وســـارتْ فـــي ركـــاب العابـــدات

وقلـــتُ: تصـــومُ شـــهراً ، ثـــم نفـــلاً وعنـــد الله أجـــرُ الصـــائمات

وقلـــتُ: ستصـــلحُ الأحـــوال حتمـــاً وإن الله مـــــولى الصـــــالحات

وقلـــتُ: ستنشـــر الإســـلام دينـــاً وتبـــذل خيرَهـــا للمســـلمات

وقلـــتُ: ســـتجعل الإيمـــان دربـــاً وســـوف يُقـــالُ: (أمُّ المؤمنـــات)

وقلـــتُ: تُقـــيم فـــي الظلمـــات لـــيلاً بـــآي الـــذكر ، أو بعـــض الصـــلاة

وقلـــتُ: لهـــا - علـــى الأخـــلاق - دمـــعٌ تحَـــدّر مثـــلَ دمـــع الخيّـــرات

وقلـــتُ: لهـــا تبتـــلُ مَـــن أنابـــت إلـــى الـــرحمن رب الكائنـــات

وقلـــتُ: لهـــا تنسّـــك مَـــن تحلـــتْ ... بتقـــــوى الله مثـــــل الناســـــكات

وقلـــتُ: لهـــا - مـــع الإحســـان - شـــأنٌ ... وفـــي النســـوان مَـــن كالمحســـنات؟

فخـــاب القصـــدُ ، وانفرطـــتْ ظنـــوني ... وكانـــــت كالســـــراب توقعـــــاتي

وطالـــت آهتـــي ، وانســـابَ دمعـــي ... علـــى الخـــدّين يشـــكو المُوجعـــات

وحـــارت فكرتـــي ، وخبَـــتْ نجـــومي ... وغصّـــــتْ - بـــــالمَرار - تـــــأمّلاتي

وعـــانى مِـــن جراحتـــه فـــؤادي ... وضـــاقت - بـــي - ســـراديبُ الحيـــاة

ونفســـي قـــد تمنـــتْ منتهاهـــا ... فمـــا عيشـــي بـــأغلى مـــن ممـــاتي

فَجعـــتُ بزوجـــةٍ تهـــوى الخطايـــا ... وترتـــعُ فـــي حضـــيض الســـيئات

وتتخـــذ الخـــدينَ بـــلا حيـــاءٍ ... وقـــد أمســـكتُ بعـــضَ البيّنـــات

تُهاتفـــه ، وتُوغِـــلُ فـــي حـــديثٍ ... يقينـــاً لـــيس ذلـــك بافتئـــات

تُواعـــدُه ، وتَرتقـــبُ التلاقـــي ... لتســـقط فـــي أتـــون المُوبقـــات

وفـــي الأقـــوال تخضـــعُ لا تبـــالي ... وتُزجـــي اللحـــن مثـــل القانيـــات

ليطمـــع - فـــي الصـــبيّة - مَـــن ينـــاجي ... فيعشـــقها ، وبعـــدُ يقـــولُ: هـــاتي!

وفـــي الغيـــب البقيـــةَ قـــد تـــوارتْ! ... ولـــيس لمـــن تُخـــادنُ مِـــن نجـــاة

لقـــد أخطـــأتُ يـــومَ اختـــرتُ زوجـــاً ... تـــدَاولُ فـــي دهـــاليز الغـــواة

ثَيوبتهـــا تُبـــيّن مُبتغاهـــا ... فـــذي ثمـــراتُ عـــيش الفاســـقات

هُويتهـــا لـــدى العُشـــاق تُـــزري ... بمـــن يهـــوى العفـــافَ مِـــن الأبـــاة

بَصُـــرتُ بهـــا ، وآثـــرتُ التـــروي! ... وغيـــري لـــيس يملـــكُ مِـــن أنـــاة

فلمـــا أســـفرَتْ عمّـــا تخبّـــي ... نكـــأتُ تـــردّدي وتوجعـــاتي

ولـــم أعبـــأ بمـــن باعـــت إبـــائي ... وســـارت فـــي ســـبيل الفـــاجرات

وأغرتهـــــا اللذائـــــذ والـــــدنايا وأعمتهـــــا ديـــــاجي الـــــداعرات

وخانـــــت غـــــافلاً يهـــــوى رضـــــاها ويَحسَـــــبُها كإحـــــدى القانتـــــات

تعاملـــــه بعطـــــفٍ واحتـــــرام كمثـــــل المؤمنـــــات الأوليـــــات

ولـــــلأولاد تغـــــدو خيـــــرَ أم رؤوم مثـــــل شـــــتى الوالـــــدات

وتجعـــــل زوجهـــــا أســـــداً هصـــــوراً تســـــلحَ - فـــــي الـــــورى - بالمَكرُمـــــات

وتحفظـــــه إذا مـــــا غـــــاب عنهـــــا كمثـــــل الصـــــالحات الحافظـــــات

فـــــتحفظ نفسَـــــها مِـــــن كـــــل شـــــين! وحفـــــظ الـــــنفس سَـــــمتُ النيّـــــرات

وتحفـــــظ مالـــــه والعِـــــرضَ طبعـــــاً وصـــــية (أحمـــــدٍ) أغلـــــى وصـــــاة

ثلاثـــــاً قـــــد بتتـــــكِ مســـــتعيناً بـــــرب النـــــاس مشـــــترياً حيـــــاتي

فمـــــا معنـــــى الحيـــــاة وأنـــــتِ منـــــي كحبـــــر قـــــرّ فـــــي أشـــــقى دواة؟

لفظتـــــكِ ، أنـــــتِ غـــــادرة تـــــدنتْ هنالـــــك فـــــي حضـــــيض الغـــــادرات

مَقتـــــكِ ، أنـــــتِ خائنـــــةً لعـــــوبٌ فكـــــوني فـــــي فريـــــق الخائنـــــات

كفـــــى مـــــا قـــــد أتيـــــتِ ، ولا تلاحِـــــي! وفرجـــــاري يَخُـــــط الـــــدائرات

ودائـــــرة المهالـــــك فالزميهـــــا وقانـــــا الله شـــــرّ الحادثـــــات

ودائـــــرةُ النجـــــاة فلـــــي أعِـــــدّتْ وتقـــــوى الله تُوصِـــــل للنجـــــاة

وأرجـــــو الله مغفـــــرة لـــــذنبي وجنبنـــــي المليـــــكُ هـــــوى العُصـــــاة

يَمـــــينَ الله إنـــــي فـــــي نعـــــيم تعطـــــر بـــــالتقى والمُعجـــــزاتِ

ويُقـــــدرني المليـــــكُ علـــــى بلائـــــي ويـــــأجرني القـــــديرُ علـــــى ثبـــــاتي

فيـــــا رب الـــــورى لطفـــــاً بـــــنفس علـــــى الأيـــــام دومـــــاً مُبـــــتلاة

فمَـــــن للـــــنفس إلا مَـــــن بَراهـــــا تعـــــالى اللهُ ربُّ الكائنـــــات

أخوتان

(دعا ذلك الشقيق أحد أشقائه كان يأنس فيه رشداً ، لأن يكون منه كما كان أصغر القطبين من أكبرهما. رحم الله سيداً وحفظ محمداً. فلقد مثلاً ثنائياً قلّ أن يوجد له نظير في التاريخ. فمن رسم من معالم الطريق وبسط ظلاله وتشخيص مشكلاته وتقعيد خصائصة ومقومانته والتفاؤل بأن المستقبل له ، إلى كشف الجاهلية التي تحاربه وبيان الواقع المعاصر وخوض معركة التقاليد ورسم دروب أصول التربية التوحيدية والعقدية وأيضا تصحيح المفاهيم وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي والاقتباس من أنوار النبي – صلى الله عليه وسلم - ألا إنه كلام ثنائي لم يتكرر حسب علمي في التاريخ. إلا أن الشقيق الآخر الذي دعاه شقيقه ليكون كذلك أدرك بذكائه وعورة الطريق ومحنة سلوكه وعذاباته والبلاءات المترتبة عليه. فاختار لنفسه السلامة ، وآثر الجاهلية فطريقها من وجهة نظره آمنٌ وسالم. وتبرّأ من راية التوحيد ومِن حاملها. ولم يُبق حتى على الإخوة. ورفع راية الجاهلية وفضل أفكارها. فآثر ما يفنى على ما يبقى. ولم يكن من أخيه قط بمنزلة أحد القطبين من الآخر. فظل الداعي على ما هو عليه! وظل المدعو على ما هو عليه. فهما إذن اخوتان الأولى أخوة إيمان ورحلة جهاد طريقها مفروش بالدم والكوارث من كل صوب ، ونهايتها إذا أخلص صاحبها لله هي الجنة. وأما الثانية فطريقها مفروش بمتاع الدنيا والتمكين فيها على حساب العقيدة. ونهايتها إذا خولفت أوامر الله والمعلوم منها من الضرورة ليس إلا النار. إنهما أخوتان متباينتان لا سبيل إلى التقريب بينهما. وليعلمن ذلك الشقيق الجاهلي المتنازل عن الحق نبأ ما قد فعل بعد حين. إن هذه الحياة الدنيا قصيرة. فما أجمل أن يترك الإنسان بعده الذكرى الحلوة التي عمادها الإيمان! قال مجاهد: صحبت ابن عمر أُريد أن أخدمه فكان هو الذي يخدمني. وقام عمر بن عبد العزيز رحمه الله يطلب النصحية من عمرو بن مهاجر وقال له: (يا عمرو إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزني ثم قل لي: ماذا تصنع). تاريخ بغداد. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: (لما أُطلق أبي من المحنة خشي أن يجئ إليه إسحاق بن راهوية فرحل أبي إليه فلما بلغ الري دخل إلى مسجد فجاء مطر كأفواه القرب فلما كانت العتمة قالوا له: اخرُج من المسجد فإنا نريد أن نغلقه فقال لهم: هذا مسجد الله وأنا عبد الله فقيل له: أيهما أحب أن تخرُج أو نجُر رجلك! قال أحمد: فقلت: سلاماً! فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدري أين أضع رجلي ولا أين أتوجه فإذا رجل قد خرج من داره فقال لي: يا هذا أين تمر في هذا الوقت؟ فقلت لا أدري أين أمر فقال لي: ادخل فأدخلني داراً ونزع ثيابي وأعطاني ثياباً جافة وتطهرت للصلاة فدخلت إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة فقيل لي: كل فأكلت معهم. فقال لي: من أين أتيت؟ فقلت: من بغداد. فقال لي: أتعرف رجلاً يقال له أحمد بن حنبل؟ فقلت أنا أحمد بن حنبل. فقال لي: وأنا إسحاق بن راهوية). المناقب لابن الجوزي. وعن تحريم تحقير المسلمين قال تاج الدين السُبكي: (كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت: اخسأ كلبٌ ابن كلب! فزجرني والدي من داخل البيت فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟ قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت: هذه فائدة). وورد عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (ما حاججت أحداً إلا وتمنيت أن يكون الحق على لسانه). وعن عبد الملك أو قيس بن عبد الملك قال: قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته ، وعرض له رجل بيده طومار (صحيفة مطوية) ، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين فخاف أن يُحبس دونه ، فرماه

بالطومار ، فالتفت عمر فوقع في وجهه فشجه ، قال: فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس ، فلم يبرح حتى قرأ الطومار ، وأمر بحاجته وخلى سبيله. وكان ابن عباس كأبي بكر وكثير من الصحابة يرى أن الجد في الميراث يُسقط جميع الإخوة كالأب ، وكان زيد كعلي وابن مسعود يرى بتوريثهم مع الجد ، فقال ابن عباس يوماً: (ألا يتقي الله زيد يجعل الابن ابناً ولا يجعل أب الأب أباً؟) ثم قال: (وددت إن الذين يخالفونني يجتمعون بي عند الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)! وذلك لثقته بصحة اجتهاده. وبعد وقت رأى ابن عباس زيد بن ثابت راكباً دابة فأخذ بركابه يقوده فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا! فقال زيد: أرني يدك فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد وقال: هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت رسولنا صلى الله عليه وسلم! ولما مات زيد قال ابن عباس: هكذا يذهب العِلم ، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير. وعند البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه وهو يصف كرم جعفر بن ابي طالب لإخوانه فقال: (كان خير الناس للمساكين فكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إنه ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها). وفي طبقات ابن سعد عن حُسن عشرة ابن عمر رضي الله عنهما عن مجاهد قال: (كنت أُسافر مع عبد الله بن عمر ، فلم يكن يطيق شيئاً من العمل أعمله ولا يكله إلينا ، ولقد رأيته يطأ على ذراع ناقتي حتى أركبها). وفي الآداب الشرعية قال عبد الله بن عثمان شيخ البخاري: (ما سألني أحدٌ حاجة إلاَّ قمت بها بنفسي ، فإن تم وإلا قمتُ بها بمالي ، فإن تم وإلا استعنتُ له بالإخوان ، فإن تم وإلا استعنتُ له بالسلطان). وقال محمد بن مناذر كنت أمشي مع الخليل بن أحمد فانقطع شسعي ، فخلع نعله فقلت: ما تصنع؟ قال: أواسيك في الحفاء. وكان الحسن البصري رحمه الله إذا افتقد الرجل من إخوانه أتاه فسلم عليه وسأله عن حاله ، فإذا خرج من عنده دعا الخادمة فأعطاها صرة فيها دراهم فقال: ادفعيها لمولاتك فقولي استعمليها ولا تُخبري بها سيدك). وقال مسور بن الورّاق: ما كنت لأقول لرجل إني أُحبك في الله تعالى فأمنعه شيئاً من الدنيا. وجاءت يزيد بن عبد الملك بن مروان غلة من عُمّاله فجعل يصررها ويبعث بها إلى إخوانه ويقول: إني أستحيي من الله عز وجل أن أسال الجنة لأخٍ من إخواني وأبخل عنه بدينار أو درهم. وكان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتى منزله ، فإن كان غائباً وصل أهله وعياله ، وإن كان شاهداً سأله عن أمره وحاله ، ثم دعا بعض ولده من الأصاغر فأعطاهم الدراهم ووهب لهم وقال: أبا فلان إن الصبيان يفرحون بهذا. وكان بشر بن منصور إذا زاره الرجل من إخوانه قام معه حتى يأخذ بركابه. وكان طلحه بن مُصَرّف يأتي أُم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة ، وذلك بعد أن مات عمارة ببضع عشرة سنة. ولقي الحسن بعض إخوانه ، فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته فألبسه وقال: إذا أتيت أهلك فبعها واستخدم ثمنها. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية عن إيثار الإمام أحمد: قال يحى بن هلال الوراق: (جئت إلى محمد بن عبد الله بن نمير فشكوت إليه ، فأخرج أربعة دراهم أو خمسة وقال: هذا نصف ما أملك! وجئت مرة إلى الإمام أحمد فأخرج إلىّ أربعة دراهم وقال: هذا جميع ما أملك). وفي الأدب المفرد عن أُخُوّةِ أنس بن مالك رضي الله عنه أنه إذا أصبح دهن يده بدهنٍ طيب لمصافحة إخوانه). وعند الطبري في الكبير ورجاله رجال الصحيح عن سلامة صدر أبن عباس رضي الله عنهما: (أن أبي بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس فقال له: أتشتمني وفيَّ ثلاث خصال ، إني لا أتي على آيةٍ من كتاب الله إلا تمنيتُ أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، ولا سمعتُ بقاضٍ عادل إلا فرحت

ودعوت له وليس لي عنده قضية ، ولا سمعت بالغيث في بلد إلا حمدت الله وفرحت وليس لي فيها ناقة ولا شاة). وفي السلسلة الصحيحة عن أبي سليمان الدارني أنه قال: (إني لأضع اللقمة في فم أخٍ من إخواني فأجد طعمها في حلقي). وفي مناقب الإمام أحمد أن أبا بكر المروزي قال: قال لي أبو عبد الله وذكر رجلاً فقيراً فقال لي: أذهب إليه وقل له: أي شيء تشتهي نعمل لك ، ودفع إليّ طيباً وقال لي: طيّبْه. ودخل علي بن الحسين زين العابدين على محمد بن أُسامة بن زيد يعوده ، فبكى ابن أُسامة فقال: ما يبكيك؟ قال: عليّ دينٌ! قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار ، وفي رواية سبعة عشر ألف دينار. قال هي عليّ. وعن الحسن قال: إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة. وفي تاريخ بغداد: (إن فتح الموصلي جاء إلى صديق له يقال له عيسى النجار ، فلم يجده ، فقال للخادمة: أخرجي إليّ كيس أخي! فأخرجته ، ففتحه فأخذ منه درهمين! وجاء عيسى لمنزله فأخبرته الخادمة بأخذ الدرهمين فقال: إن كنتِ صادقة فأنت حُرة لوجه الله ، فنظر فإذا هي صادقة فأعتقتْ). وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي ليلى: (ما ماريتُ أخي أبداً لأني إن ماريتهُ إما أن أُكذبه وإما أن أُغضبه). الآداب الشرعية. ويذكر الإمام أحمد عن ابن راهوية وكان يخالفه في أُمور فيقول: (لم يعبُر الجسر إلى خرسان مثل إسحاق بن راهوية وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً). وروى الخطيب بسنده عن عبد الله بن عبد الكريم قال: (سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيُتكئ). وروى الخطيب عن عبد الله بن الخطيب (أن الطيب إسماعيل أبا حمدون من القراء المشهورين كانت له صحيفة مكتوب فيها 300 من أصدقائه وكان يدعو لهم كل ليلة فتركهم ليلة فنام فقيل له في نومه: لِم لم تُسرج مصابيحك الليلة؟ فقعد فأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لهم واحداً واحداً حتى فرغ). وقال ابن عباس رضي الله عنه: (ثلاثة لا أُكافئهم رجل يبدأني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل اغبرت قدماه في المشي إليّ يريد السلام عليّ ، أما الرابع: فلا يكافئه عني إلا الله! قيل من هو؟ قال: رجل نزل به أمرٌ فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي). وشتم رجل الأحنف ، وجعل يتبعه حتى بلغ حيه ، فقال الأحنف: يا هذا إن بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف ، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره. وورد عن عطاء بن رباح أنه قال: (إن الشاب ليحدثني حديثاً فأستمع له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن تلده أمه). وفي تاريخ بغداد قال ابن مرار: (تكلم عبد الله بن عياش المنتوف بكلام أراد به إساءة ابن عمه عمر بن ذر ، فقام عمر فدخل منزله ، فندم ابن عياش فأتى عمر فقال: أيدخل الظالم؟ فقال: نعم ، مغفور له والله ما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه). وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه تكريماً له بل يقول: (حدثنا الثقة من أصحابنا أو أخبرنا الثقة من أصحابنا). وروى أبو نعيم عن أبي وائل الراسبي قال: (أُتي ابن عمر بعشرة آلاف ، ففرقها وأصبح يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة). وأخرج أبو نعيم في الحِلية عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما ليُفرق في المجلس ثلاثين ألفاً ثم يأتي عليه شهر فما يأكل مزعة لحم). ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة ، فمر برجل نائم فعثر به ، فرفع رأسه فقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا؟ فهمّ الحرس فقال عمر: مه إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا. وعن عبيد الله بن أبي الوسيم الجمال قال: أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا ، فأمر بالموائد فنُصبت ، ثم قال لا حتى تُصيب من طعامنا ، فيجب علينا

حقكم وذمامكم قال: فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة آلاف درهم في قضاء دين وخمسة آلاف درهم نفقة لعياله (مكارم الأخلاق). وتضع الكاتبة الفاضلة سهير الخالدي إشراقات عن الأخوة الحقيقية فتقول ما نصه: (إن أعظم ما أكّد عليه الدين الإسلامي هو التأخي والأخوة والمحبة والمودة بين الناس ، على اختلاف طبقاتهم وقومياتهم ومذاهبهم ، بل حتى على اختلاف دياناتهم السماوية ، فقط أكّد الإسلام على الأخوة والصداقة الحقيقية وجعل لها منزلة خاصة ، وأن الأخوة والصداقة في الله والتي تبنى على أسس صحيحة وحقيقية ، كما أنها لو ارتبطت بعقيدة الدين يكون دورها أكبر وأفضل وذلك عبر القران الكريم (إنما المؤمنون أخوة). أي أخوة في الدين والعقيدة ، ولا ننسى ما حصل في زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بعد هجرته الى المدينة المنورة حيث إنه (صلى الله عليه وسلم) جمع بين المهاجرين والأنصار وجعل بينهم رابط الأخوة الحقيقي والصداقة في الله ، ولذلك فإن التاريخ الإسلامي لا ينكر ذلك الموقف الذي وقفه أهل المدينة مع المهاجرين ومشاركتهم في العيش والسكن ، حتى إنه وصل بهم الأمر إلى تقسيم رغيف الخبر بينهم ، رغم تلك المعاناة والغربة والألم الذي تعرّض له المسلمون ، لكنهم بقوا متمسكين في أخوتهم في الله وأعطوا أجمل درس ترجمه التاريخ الإسلامي من خلال المؤاخاة).هـ. وأنا أسأل: أين إخوة هذا الزمان وأخواته من هذه النماذج الفذة الفريدة؟ أم أنني وقعتُ عليها ونقلتها لهم من الخيال؟ أو طالعتها في (ألف ليلة وليلة)؟ إن الفرق بينهما شاسعٌ للغاية!)

أخوتـــــان: فـــــذي هُـــــدىً وذي ضـــــللُ واســـألْ عـــن الفـــرق مَـــن ســـادوا ومَـــن عقلـــوا

أخوتـــــان: فـــــذي خيـــــر ومَعدلـــــة وتلـــــك دَيـــــدُنها الخســـــرانُ والمَيَـــــل

أخوتـــــان: فـــــذي ربـــــي يُباركُهـــــا وتلـــــك يُـــــدمعُها البـــــوارُ والفشـــــل

أخوتـــــان: فـــــذي المـــــأوى نهايتهـــــا وتلـــــك نـــــار اللظـــــى - لأهلهـــــا - نـــــزل

أخوتـــــان: فـــــذي ســـــبيلها طهـــــرتْ وتلـــــك قـــــد خبثـــــتْ بشـــــؤمها الســـــبل

أخوتـــــان: فـــــذي نـــــارٌ علـــــى علـــــم وتلـــــك يُعجمُهـــــا الإبهـــــامُ والـــــدغل

أخوتـــــان: فـــــذي دربُ الألـــــي رشـــــدوا وتلـــــك دربُ الألـــــي إيمـــــانَهم جهلـــــوا

أخوتـــــان: فـــــذي الإســـــلامُ سُـــــلمُها وتلـــــك تصـــــرفها عـــــن الهُـــــدى المِلـــــل

أخوتـــــان: فـــــذي القـــــرآنُ يُرشـــــدُها وتلـــــك تهـــــدي لهـــــا الضـــــلالة النِحَـــــل

أخوتـــــان: فـــــذي دربـــــي ، وعشـــــتُ لـــــه وتلـــــك أمْقتهـــــا ، لأنهـــــا الضـــــلل

أخـــــوة الحـــــق نـــــورٌ فـــــي دياجرنـــــا وبعـــــدُ ذكـــــرى لمـــــن - عـــــن حقهـــــا - غفلـــــوا

أخـــــوة تغـــــبط الأنـــــامُ صـــــاحبها ... لأن حـــــظ فتاهـــــا - فـــــي العـــــلا - جلـــــل

هـــــي المنـــــارُ لمـــــن يـــــأوي لسُـــــؤدَدِها ... ومَـــــن لـــــه مطمـــــحٌ فـــــي العـــــيش أو أمـــــل

هـــــي الـــــدنانيرُ إنْ فقـــــرٌ ألـــــمّ بنـــــا ... هـــــي العطـــــاءُ إذا مـــــا النـــــاس قـــــد بخلـــــوا

هـــــي الـــــدليلُ إذا حـــــارت أدلتنـــــا ... والطهـــــرُ إن عمـــــتِ الأقـــــذارُ والوحَـــــل

هـــــي الســـــلاحُ لمـــــن يخـــــوض خندمـــــة ... كـــــيلا تثبطـــــه الأعـــــذارُ والعِلـــــل

هـــــي المحبـــــة إنْ كـــــل الـــــورى كرهـــــوا ... هـــــي المبـــــادئُ والأخـــــلاقُ والمُثَـــــل

هـــــي النصـــــيحة فـــــي أصـــــفى عبارتهـــــا ... ولـــــيس ينصـــــحُ مَـــــن قـــــد عـــــاش يرتجـــــل

هـــــي الهبـــــاتُ أتـــــتْ بـــــلا مؤاخـــــذةٍ ... قـــــد ســـــاقها مَـــــن - علـــــى الـــــرحيم - يتكـــــل

هـــــي المرافـــــئُ إن تاهـــــت سَـــــفائننا ... وحـــــار مَـــــن ركبـــــوا ، وقيـــــل مـــــا العمـــــل؟

فيهـــــا يجـــــودُ - بنشـــــر العلـــــم - مَـــــن عَلمـــــوا ... ويصـــــبح القـــــدوة الشـــــهباءَ مَـــــن عملـــــوا

فيهـــــا - بأموالـــــه - يســـــخو الـــــذي ملكـــــتْ ... يـــــداه يُعْلمنـــــا أن الغِنـــــى دُول

ولا يمـــــن بمـــــا يســـــخو علـــــى أحـــــدٍ ... لأن صـــــاحبنا - بـــــالله - متصـــــل

ويحمـــــل العـــــبء عمـــــن قـــــد يضـــــيق بـــــه ... لأنـــــه إن دعـــــا داعـــــي الفِـــــدا رجـــــل

فـــــردٌ ويعـــــدل آلافـــــاً مؤلفـــــة ... مِـــــن الأراذل مَـــــن فـــــي جـــــدهم هزلـــــوا

فـــــردٌ وصُـــــحبته تســـــمو براغبهـــــا ... لأن صـــــاحبه - بـــــين الـــــورى - المَثَـــــل

فـــــردُ وتغنـــــي عـــــن الأهلـــــين رفقتُـــــه ... إذ عـــــن صـــــديق لـــــه الـــــبلاءَ يَحتمـــــل

لمـــــا يَضـــــن علـــــى خِـــــل بعارفـــــةٍ ... شـــــأن الألـــــى اعتـــــذروا فـــــوراً إذا سُـــــئلوا

أمـــــا أخـــــوة مـــــن غـــــارت مُروءتـــــه ... والخـــــذلُ شـــــيمته والبُخـــــل والختـــــل

فتلـــــك عـــــارٌ تعـــــافُ الـــــنفسُ صـــــورته ... لأن صـــــاحبها فـــــي جُبنـــــه بطـــــل!

يمـــــوت حزنـــــاً إذا مـــــا الجـــــود ناشـــــده ... شـــــيئاً مـــــن البـــــذل يُزجيـــــه لمـــــن ســـــألوا

والنـــــذلُ نـــــذلٌ ، وإن حـــــازت خزائنُـــــه ... أمـــــوال (قـــــارونَ) ، إن النـــــذل مُختبـــــل

عبـــدٌ ، وســـيده الـــدينارُ لـــيس ســـوى ... هـــو التعـــيسُ ، وبـــين النـــاس يُرتـــذل

إن البخيـــل جميـــعُ النـــاس تكرهُـــه ... أمـــا الكـــريم بـــه الأنـــام تحتفـــل

والنـــاسُ تـــدعو علـــى البخيـــل مـــا رُفعـــتْ ... كـــفٌّ ومـــا فتـــئ اللســـانُ يَبتهـــل

والنـــاسُ أحبـــابُ مَـــن بـــالجود يشـــملهم ... ولـــيس - فـــي جـــوده - زيـــفٌ ولا حِيـــل

وينفـــرون مِـــن البخيـــل يَحـــرمُهم ... وســـترُ تقتيـــره - عليـــه - ينســـدل

لنفســـه عـــاش فليلـــزمْ مَحِلتهـــا ... حتـــى يُباغتـــه فـــي حينـــه الأجـــل

لنفســـه ضـــن - بـــالأموال - يجمعُهـــا ... والمـــرءُ لا بـــد - عـــن دنيـــاه - مُرتحـــل

لنفســـه منـــعَ الحقـــوق معتقـــداً ... أن الكـــريم - علـــى الأيـــام - يُبتـــذل

وخلّـــف الشـــحُّ جرحـــاً فـــي بصـــيرته ... ولا أراه - علـــى الأيـــام - يَنـــدمل

رأى التواضـــع بـــين النـــاس مَخبثـــة ... لـــذا تكبّـــر حتـــى غـــرَّه الخطـــل

وكـــم تناســـى الـــذي عانـــاه مِـــن زمـــن ... وعـــاش شـــيئاً - مِـــن الخيـــال - ينتحـــل!

رأى الـــذي مـــرّ - مِـــن أيامـــه - طلـــلاً ... فهـــل يُغيّـــر عـــيشَ الحاضـــر الطلـــل؟

رأى الطريـــق إلـــى المـــأوى يُكلفُـــه ... وجنـــدل العـــزمَ - فـــي ضـــميره - السَّـــفل

فـــيم الدراســـةَ - فـــي الإســـلام - يَعقبُهـــا ... بُعـــدٌ عـــن العِيـــر مَـــن بـــربهم عـــدلوا؟

فـــيم التمســـكُ بـــالأخلاق فـــي زمـــن ... يعلـــو الرقيـــعُ بـــه ، والشـــهمُ مبتـــذل؟

فـــيم التبـــاهي بمـــا - فـــي الـــدين - مـــن قـــيم ... وأنـــت إمعـــة تـــؤوي مَـــن اختبلـــوا؟

زهـــدت فـــي الـــدين ، حتـــى عشـــت منحـــدراً ... إلـــى الحضـــيض تحـــاكي هـــزلَ مـــن فشـــلوا؟

إنـــي برئـــتُ مـــن الأخـــوة انـــدحرتْ ... فيهـــا معـــالمُ مَـــن مِـــن خـــذلهم خجلـــوا

أخـــوةٌ بهتـــت ألـــوانُ سُـــؤدَدِها ... ولا يُثمنهـــا إلا الألـــى سَـــفلوا

أخـــوةٌ فقـــدت روحـــاً تـــدِل بهـــا ... فأصـــبحت - بالـــذي جَنتْـــه - تختبـــل

وأصـــبحت مـــن جنـــى أفعالهـــا جـــبلاً ... وهـــل يُطـــاق جَنـــى نفـــس هـــي الجبـــل؟

أخـــوةٌ مـــا لهـــا - فـــي الخـــذل - مِـــن مَثـــل ... ويـــأمن النـــاس بلواهـــا إذا اعتزلـــوا؟

إذ تجعـــل الخـــذل تمحيصـــاً وتجربـــةً ... والحـــرصُ - فـــي زيفهـــا اللمـــاع - يَشـــتعل

وكـــم نصـــحتُ ، فلـــم تُـــدرك رســـالتها! ... وكـــم جهـــرتُ لعـــل النـــذل يَعتـــدل!

إنـــي وجـــدتُ - بأهـــل الســـلم - غـــائبتي ... مِـــن الـــذين إذا ذكّـــرتهم وجلـــوا

مَـــن يبـــذلون بـــلا مَـــن ولا ألـــم ... وينصـــحون بـــأقوال هـــي الغـــزل

مَـــن يبـــذلون ، وإن مـــدحتهم أســـفوا ... لأن قـــدوتهم - مِـــن الـــورى - الرُّســـل

فـــالجودُ طـــابعُهم إمـــا إذا برحـــوا ... والبـــذل ديـــدنهم إمـــا إذا نزلـــوا

هـــمُ الميـــامينُ فـــي ســـر وفـــي علـــن ... وهـــم تقـــاة إذا قـــالوا وإن فعلـــوا

هـــمُ الأشـــاوسُ ، لا تلـــوى إرادتهـــم ... والقـــولُ فصـــلٌ ، فـــلا هـــزلٌ ولا زلـــل

هـــم الأماجـــدُ ، والأمجـــادُ مـــوئلُهم ... والقـــوم ممـــا أتـــت أمجـــادُهم ذهلـــوا

هـــم الأفاضـــل بالأفضـــال قـــد نُعتـــوا ... والصـــيتُ مستشـــرفٌ ، والأجـــرَ قـــد حصـــلوا

ولســـتُ أقـــوى علـــى ردّ الجميـــل لهـــم ... وإن تكلفـــتُ ممـــا كنـــتُ أفتعـــل

وإنمـــا الشِـــعرُ بعـــضُ الـــرد لـــيس ســـوى ... فـــي كـــل بيـــت رؤىً نـــاءت بهـــا الجُمـــل

والشِـــعرُ يُنصـــفهم ممـــن ينـــاوئهم ... إن الحقـــائق لا يُضـــيرُها الجـــدل

أعـــيشُ مـــا عشـــتُ فـــي الـــدنيا أوقـــرهم ... فهـــم لكـــل الـــذي أدعـــو لـــه كفلـــوا

أجِـــلُّ - فـــي هـــذه الـــدنيا - أخـــوتهم ... كمـــا يُجـــلّ العِظـــامُ الســـادة الأول

أدعـــو لهـــم كلمـــا ذكـــرتُ سِـــيرتهم ... إنْ جـــاوروني ، وإنْ عـــن قريتـــي ارتحلـــوا

ربـــاه هُـــم - بجميـــع الفضـــل - قـــد ســـبقوا ... فاقبـــلْ صـــحيح الـــذي فـــي ذي الـــدنا عملـــوا

نعمتِ التربية!

(مات أبوه ، فاحترفتْ أمه بيع الفجل بعد خُذلان كل أخواله وتخلي كل أعمامه. وجاهدتْ في العيش حتى صار ابنها طبيباً جرّاحاً. وجمع بين القرآن وتعاليمه والطب وأخلاقياته وضوابطه ، فكان مثالياً. وذات يوم قال لأمه: تعالي فعيشي معي فالرزق وفير. فقالت: إن شئت أن تعيش أنت معي وتبيع الفجل فأهلاً وسهلاً ، وإلا فارحلْ واتركني وحدي. فقال: بل أبيعه طاعة لك. وتواضع الطبيب الجراح المشهور ، فكان يساعدُها بعض الوقت من كل يوم. فنعمتِ التربية من المال حلال! وفي الحديث: «لو أنكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكُّلِه لرزَقكم كما يرزُقُ الطيرَ تغدُو خِماصًا وتروحُ بِطانًا». رواه أحمد والترمذي وهو صحيح الإسناد. يقول الحافظ ابن رجب – رحمه الله -: (هذا الحديث أصلٌ في التوكُّل ، وهو من أعظم الأسباب التي يُستجلَبُ بها الرزق). قال بعضُ السلف: (توكَّل تُسَق إليك الأرزاق بلا تعبٍ ولا تكلُّفٍ). إن التوكُّل لا يُعارِضُ الأخذَ بالأسباب ، والاجتهاد في الطلَب ؛ بل قال أهلُ العلم: (إن السعيَ في الجوارِح واقتِفاء الأسباب طاعةٌ لله ، والتوكُّل بالقلبِ إيمانٌ به سبحانه). وقد قال – عزَّ شأنُه – في طلب الأسباب: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) ، وقال – عزَّ شأنه -: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ). يقول القرطبيُّ – رحمه الله -: (سوَّى الله في هذه الآية بين درجة المُجاهِدين والمُكتسِبين المال الحلال للنفقَة على النفس والعيال والإحسان والإفضال). وعُمر – رضي الله عنه – يقول: (لا يقعُدُ أحدُكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزُقني ؛ فقد علِمتُم أن السماءَ لا تُمطِرُ ذهبًا ولا فضَّة). ولما أعجبني سلوك الطبيب الجرّاح مع أمه أنشدت في الثناء عليه وعلى أخلاقه أقول:)

نُبــــلُ أصـــــل يُـــــزاحمُ الجـــــوزاءَ ... واعتـــــــزازٌ يَستأصـــــــلُ الخُـــــيلاءَ

وافتخـــــــارٌ بعـــــــزةٍ لا تُبـــــــارَى ... وعلـــــــوٌّ يســـــــتأهلُ الإطـــــــراء

واحتفـــــاءٌ - بـــــالخير - يُتـــــرعُ قلبـــــاً ... وسُـــــموٌّ يَهـــــوى الثنـــــا والســـــناء

هـــــل رأينـــــا شـــــهامة مثـــــلَ هـــــذي؟ ... إن نَقُـــــلْ: (إي) لعُـــــدّ هـــــذا افتـــــراء

هـــــل ســـــمعنا بمثـــــل هـــــذا احترامـــــاً ... فـــــاق - فـــــي القـــــدر - المنتهـــــى والعـــــلاء؟

هـــــل علمنـــــا نجابـــــة مثـــــل هـــــذي؟ ... كـــــل شـــــهم يـــــوقر النجبـــــاء

لـــــم يقـــــلْ: (لا) إنـــــي طبيـــــبٌ ضـــــليعٌ ... لـــــي سُـــــمُوٌّ يســـــتوعبُ الشـــــرفاء

لـــــي مكـــــانٌ فـــــي عِليـــــة القـــــوم ســـــام ... واحتفـــــــاءٌ يســـــــتهجنُ الحُقـــــــراء

لـــــيَ قـــــدري ، يـــــا أمُ فلتعـــــذريني ... والـــــدنوُ كـــــم يلفـــــظ الكرمـــــاء!

والتـــــدني - بـــــين الخلائـــــق - عـــــارٌ ... يمحـــــقُ الســـــعدَ والصـــــفا والهنـــــاء

كيـــف أرضـــى بالـــذل يُـــودي بعـــزي ... ثـــــم أحيـــــا أداهـــــنُ الفضـــــلاء؟

وأداري كـــــل الأطبـــــاء أنـــــي ... قـــد أتيـــت الســـوآى أو الفحشـــاء

أتـــوارى مـــن كـــل صـــاحب قـــدْر ... وأجـــاري - بـــين الـــورى - السُّـــفهاء

لـــم يُصـــرّحْ: يـــا أم خلـــي ســـبيلي ... إن قلبـــي مـــلّ الأســـى والشـــقاء

فـــدعيني أحيـــا ســـعيداً رضِـــياً ... وارحمينـــي ، أنـــا مللـــتُ الـــبلاء

كـــم شـــقيتُ فـــي العـــيش دون اختيـــار! ... واستســـــــغثُ الآلامَ والبأســـــــاء

كيـــف أحيـــا فـــي محنـــةٍ مـــا تبقـــى ... مـــن سِـــنيّ عمـــر تـــولى هبـــاء؟

عِشـــتُ يـــا أمـــي فـــي ابـــتلاءٍ وضـــنكٍ ... وألِفـــــتُ التضـــــييقَ والضـــــراء

عشـــتُ دهـــراً أغـــضّ ذلاً جبينـــي ... وأواري مَرثيتـــــــي الكـــــأداء

كـــم كـــواني احتقـــارُ أهلـــي وصـــحبي ... عنـــدما كـــالوا الســـوآى والاســـتهزاء!

كـــم أزادونـــي سُـــبة واحتقـــاراً ... فأهـــاجوا - فـــي خـــاطري - الشـــحناء!

لـــم يقـــلْ: لا ، يـــا أم رفقـــاً بحـــالي! ... لـــكِ إنـــي أزجـــي الغِنـــى والرخـــاء

قـــد كُفِينـــا بفضـــل رب كـــريم ... فلمـــاذا تهْـــوينَ هـــذا العنـــاء؟

لـــم يقـــلْ: لا ، يـــا أم عيـــبٌ علينـــا ... بـــل أطـــاع – إي - طاعـــةً عميـــاء

مســـتكيناً لمَـــا ارتأتـــه عجـــوزٌ ... إنـــه خيـــرٌ مَكســـباً وعَـــزاء

بـــائعُ الفجـــل فـــي المســـاء طبيـــبٌ ... فـــي المَشـــافي يُعـــالجُ الأدواء

نِعمـــتِ الأخـــلاقُ الكريمـــة هـــذي! ... ونِعِمّـــا أمٌ تحـــبُ الإبـــاء!

ليـــت شـــعري تأيمـــتْ رغـــم حُســـن ... وأراهـــا لـــم تعـــدم الأكفـــاء

ثـــم عاشـــت لشـــبلها فـــي اجتهـــادٍ ... ثـــم كـــان الشـــبلُ التقـــيّ العـــزاء

تقبلي العزاء

(تزوج عليها دون علمها. فلما علمتْ أقامت مأتماً ، وأتت النسوة يشاطرنها مصيبتها. وقالت إحداهن في شجن متصنع: ليته مات ، ولا أن يتزوج عليك. وقالت الأخرى: آمين! إن موته أهون من أن يفكر فى الزواج عليك. وقالت ثالثة: ليتكِ تقيمين مأتماً آخر لزوجته الثانية. وقالت رابعة: إن خبر موتك أنتِ عندنا أهون من أن يتزوج عليك. وقالت خامسة: اهجري البيت والعيال ، واتركيه للدمار حتى لا ينعم. وقالت سادسة: وهل نحن في عصر الجواري حتى يتزوج كل رجل على زوجته؟ وقالت سابعة: اختلعي منه ليتأدب أدباً رفيعاً وليعرف حدوده. وقالت ثامنة: خذي سكيناً وقطعي هذه الزوجة الجديدة كما تقطعين اللحم. وقالت تاسعة: بل اقتليهما معا لتُريحي البشرية من الخائنين. وقالت عاشرتهن وهي الأخيرة: بل اطلبي الطلاق وتزوجي من غيره. والحق أن الحيزبونات الشمطاوات إماءُ الإعلام المنحل الإباحي ، وفاسداتُ العقيدة والدين وفاقداتُ الرحمة والقيم ، مازلن بالمرأة الضحية حتى أجّجن النار في قلبها. ماذا تفعل؟ (تقتل نفسها؟ تقتل زوجها؟ تقتل الزوجه الجديدة التي خطفتْ زوجها؟ تقتل ثلاثة: نفسها وزوجها وزوجته؟ هل تترك البيت والأولاد؟ هل تختلع من زوجها؟ هل تطلب من زوجها الطلاق لتتزوج من غيره؟) ومن هنا شرعْتُ في كتابة قصيدتين: الأولى بعنوان (تقبلي العزاء) على لسان الحيزبونات. والثانية بعنوان: (لن أتقبل عزاءكن) على لسان الزوجة الضحية بعد أن علمتِ الحقيقة ، وعادت للحق والرشد. وهناك كلام نفيس للعلامة ابن باز يحسن أن نورده هنا لعموم الفائدة! يقول ابن باز في مسألة التعدد ما نصه بتصرف كبير: (قد شرع الله ـ عز وجل ـ لعباده تعدد النساء إذا استطاع الزوج ذلك ولم يخف الجور والعول في قوله جل وعلا: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ). وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عدة من النساء ، وتوفي صلى الله عليه وسلم وعنده تسع ، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام فيما زاد عن أربع ، أما رجال الأمّة فليس لهم إلا أربع فقط ، فقد فرّق النبي صلى الله عليه وسلم بين من أسلم على أكثر من أربع وأمره أن يفارق الزائد وخيّره أن يختار أربعاً ويفارق ما زاد على ذلك. فالواجب على المسلم أن يقف عند حد الله وأن لا يزيد على ما شرع الله وهو الأربع ، فإن استطاع أن يتزوج أربعاً وقام بحقهن فلا حرج عليه في ذلك ، بل ذلك أفضل له إذا استطاع ذلك ؛ لما في ذلك من المصالح من عفة فرجه وغض بصره وتكثير الأمة وتكثير النسل الذي قد ينفع الله به الأمة ، وقد يعبد الله ويدعو لوالديه فيحصل لهم بذلك الخير العظيم. ولولا أنه أمر مطلوب وأمر مشروع وفيه مصالح جمّة لما فعله النبي عليه الصلاة والسلام. فإذا تزوج المؤمن اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لمصالح شرعية ، لأنه يحتاج إلى ذلك أو لقصد تكثير الأولاد ، أو لقصد كمال العفة وكمال غض البصر ؛ لأنه قد لا تكفيه الواحدة أو الاثنتان أو الثلاث فكل هذا أمر مطلوب شرعي. ولا يجوز لأي مسلم ولا لأي مسلمة الاعتراض على ذلك ، ولا يجوز انتقاد ذلك ، ولا يجوز لأي إذاعة ولا أي تلفاز أن ينشر ما يعارض ذلك ، بل يجب على جميع وسائل الإعلام أن تقف عند حدها ، وليس لها أن تنكر هذا الأمر المشروع ، ولا يجوز لمن يقوم على وسائل الإعلام أن ينشر مقالاً لمن يعترض على ذلك لا في الوسائل المقروءة ولا في الوسائل المسموعة ولا في الوسائل المرئية. وهل يجوز لمسلمة تخاف الله وترجوه أن تنكر ذلك؟ وهي تعلم يقيناً أن كونها مع

زوج عنده زوجة أو زوجتان أو ثلاث خير لها من بقائها بدون زوج حتى تموت عانساً لا زوج لها؟ وربما رزقها الله بهذا الزوج الذي ليس لها إلا جزء منه ربما رزقها الله ذرية صالحة تنفعها في الدنيا والآخرة ، وربما حصل لها في ذلك عفة فرجها وغض بصرها وحصن سمعتها وسلامة عِرضها ، فمن استطاع أن يتزوج اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً فلا حرج عليه ، بل هو مأجور ومشكور إذا نوى بذلك إظهار دين الله وتكثير الأمّة وغض بصره وإحصان فرجه والإحسان إلى أخواته في الله المحتاجات إلى النكاح ، فهو مشكور ومأجور. والواجب على جميع المسلمين وعلى جميع المسلمات أن يرضوا بما شرع الله ، وأن يحذروا الاعتراض على ما شرعه الله ، وأن يخافوا نقمته سبحانه ، وعقابه في اعتراضهم ومخالفتهم لأمر الله - عز وجل - ، وقد قال الله - عز وجل - في كتابه العظيم: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ). فأخشى على من كره هذا الأمر المشروع أن يحبط عمله وأن يخرج من دينه وهو لا يشعر! نسأل الله العافية ، وقال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ). فالمقصود أنه يجب على المؤمن أن يرضى بما شرعه الله وأن يبغض ما أبغضه الله وأن يكره ما كرهه الله وأن يحب ما أحبه الله في جميع الأمور إذا كان مسلماً مؤمناً يخاف الله ويرجوه. ونوصي جميع النساء ألا يمتنعن من الزوج الذي عنده زوجة ، نوصيهن جميعاً أن يحرصن على عفتهن وسمعتهن الحسنة ، وعلى حفظ فروجهن وغض أبصارهن وعلى حفظ أعراضهن ، أن يبادرن بالزواج ولو كن جارات ولو كانت ثانية أو ثالثة أو رابعة ، وأوصي الأزواج القادرين أن يتزوجوا وأن يعفوا كثيراً من نساء أمتهم ، وأن يحرصوا على تكثير النسل ، وعلى حفظ فروجهم وغض أبصارهم بما أحل الله لا ما حرم الله. كثير من الناس - نعوذ بالله - يأبى أن يتزوج ثانية ولكنه يرضى بالصديقات فيما حرم الله! وتعلم زوجته ذلك وذلك قد يكون أحب إليها من زوجة مسلمة على الوجه الشرعي! فهي تعلم عنه أنه يذهب إلى المحرمات وإلى الصديقات وإلى الزنا ولكن لا يهمها ذلك ، لكن لو تزوج لغضبت وأنكرت! ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فترضى بالحرام أو تقِر الحرام ولكن لا ترضى بالحلال! هذه من المصائب ومن ضعف الدين ومن ضعف الإيمان وقلة البصيرة ، نسأل الله الهداية والسلامة. وليس لأي زوجة أن تنكر على زوجها ذلك ، وليس لها أن تعترض عليه ، وليس لها تسيء إليه ولا إلى أولاده ، وإنما فعل ما أباح الله له. نعم ، إذا ظلم إذا جار عليها إذا لم يعدل فلها أن تتكلم ، ولها أن تشكوه في المحكمة إلا أن تصبر وتحتسب ، أما مادام لم تر منه إلا الخير أو حتى الآن ما فعل شيئاً فإنها تصبر وتحتسب وترجو الله أن يقدر لها الأصلح ، وأن يعينها على الصبر ، وسوف يجعل الله فرجاً ومخرجاً ، يقول الله - عز وجل - في كتابه العظيم: (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً). ويقول سبحانه: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) ، فالله هو الذي يعلم سبحانه وتعالى ، فربما كان هذا الزواج سبباً لعطفه عليها ومزيد من محبته لها ؛ لأنه رأى من الثانية ما لم ير من الأولى ، ورأى أن خصال الأولى أحسن وأن سيرتها أطيب وأن دينها أكمل فيعطف عليها أكثر ، وربما طلق الثانية وزاد حبه للأولى ، فلا ينبغي لها أن تجزع من هذا وربما كان خيراً لها ، فإن نجح في زواجه وعدل بينهما فالحمد لله ، وإذن فالمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فينبغي أن تحب لأخواتها في الله أن يرزقهن الله أزواجاً وذريات ، هكذا المؤمن مع أخيه ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). وهكذا لا تؤمن

حتى تحب لأختها ما تحب لنفسها ، هذا معنى كلامه عليه الصلاة والسلام ، لأن قوله يعم الرجال والنساء والله المستعان).هـ. جزا الله خيراً شيخنا ابن باز على فتواه وموعظته ونصيحته. والحقيقة أنه كلما أثيرتْ قضية التعدد كلما لقينا التشنج والرفض الشديد لمجرد طرحها بقطع النظر عن التفاصيل والحيثيات! وبعضهم يورد أبيات الأعرابي الذي يذم التعدد: (تزوجت اثنتين لفرط جهلي) أو قصيدة الزهراني: (أتاني بالنصيحة بعض ناس)! والأصل أنها قضية عقيدة وتشريع!)

مـــــدامعُنا تُعـــــرّض بـــــالأذاةِ ... وتُطفـــــئ بـــــالعزاء لظـــــى الشـــــكاةِ

تُشـــــاطرُك الكآبـــــة فـــــي مصـــــاب ... بـــــه انتحـــــرتْ أســـــاريرُ الحيـــــاة

وتحمـــــلُ عنـــــكِ همـــــاً كالرواســـــي ... وكربـــــاً فـــــاق أعتـــــى المُعضـــــلات

وترثـــــي للعـــــذاب دهـــــاكِ حتـــــى ... أحـــــاط البيـــــت مِـــــن كـــــل الجهـــــات

وتنعـــــي الابتســـــامة عنـــــكِ زالـــــتْ ... مُؤججـــــة ســـــعير الـــــذكريات

وتأســـــى للخطـــــوب بـــــكِ اســـــتبدتْ ... مُحطِمَـــــة أريـــــج الأمنيـــــاتِ

وتبكـــــي وردة فقـــــدتْ شـــــذاها ... فـــــلاذتْ ـ فـــــي المصـــــيبة ـ بالسُّـــــكات

وتحمـــــل غـــــادة ثَكِلـــــتْ صِـــــباها ... علـــــى الصـــــبر المُضـــــمّخ بالأنـــــاة

ألا فلتقبلـــــي منـــــا التعـــــازي ... بقلـــــب قـــــد تســـــلحَ بالثبـــــات

ونفـــــس لا تدهـــــدُهها الرزايـــــا ... وروح تغتـــــــــذي بالمُوجعـــــــــات

وعاطفـــــــةٍ تقويهـــــا البلايـــــا ... وعقـــــل يســـــتفيد مـــــن العِظـــــات

وإحســـــاس تُعضّـــــدُه المنايـــــا ... وهِمـــــة مَـــــن تحـــــب التضـــــحيات

وخـــــاطر فـــــذةٍ تغـــــدو وتمســـــي ... يفكـــــرُ فـــــي النصـــــيحة والوصـــــاة

وعـــــزم يســـــتهين بمـــــا يعـــــاني ... ويســـــبح فـــــي خِضـــــمّ المشـــــكلات

وتصـــــميم علـــــى خـــــوض التحـــــدي ... ولـــــو أفضـــــى النـــــزال إلـــــى الممـــــات

وبـــــأس لـــــيس يردعُـــــه التجنـــــي ... ولا يُضـــــنيه وخـــــزُ الشـــــائعات

وعـــــزة مَـــــن تؤازرُهـــــا الـــــدواهي ... وتُوصِـــــلها لأســـــمى المَكرمـــــات

زواجُ البعـــل مِـــن أخـــرى بـــلاءٌ وأهـــونُ منـــه بلـــواءُ الوفـــاة

فـــإن مـــات الحليـــلُ حزنـــتِ حينـــاً وبعـــد الحـــزن عـــزفُ الأغنيـــات

وتـــذهب لوعـــة الأحـــزان حتـــى يَســـر القلـــبَ ذِكـــرُ الحادثـــات

وتنســـين الـــذي قـــد كـــان زوجـــاً ونســـيانُ الجـــوى أنـــدى الســـمات

وأمـــا زوجـــة أخـــرى فنـــارٌ ولـــيس - مِـــن التلظـــي - مِـــن نجـــاة

وكيـــدُ الضُّـــرة المـــوتُ المُـــدنى وبعـــضُ الكيـــد فـــي كتـــب الـــرواة

حكايـــاتٌ تعـــذب مَـــن تلاهـــا بإمعـــان وبعـــض تـــأملات

فكـــم مِـــن ضُـــرةٍ هاجـــت وماجـــت وخلفـــتِ الأذى والمُنكـــرات!

وكـــم مِـــن ضُـــرةٍ ســـفكتْ دمـــاءً بتحـــريض الرّعاديـــد الجُنـــاة!

وكـــم مِـــن ضُـــرةٍ ذبحـــتْ بريئـــاً بظـــن ســـاقهُ بعـــضُ افتئـــات!

وكـــم مِـــن ضُـــرةٍ ركبـــتْ هواهـــا وجـــاهرتِ الـــورى بالســـيئات!

وكـــم مِـــن ضُـــرةٍ هـــدمتْ بيوتـــاً وشـــردتِ الـــذراريَ والبنـــات!

وكـــم مِـــن ضُـــرةٍ بلغـــتْ مُناهـــا بتـــرويج الخنـــا والموبقـــات!

وكـــم مِـــن ضُـــرةٍ لـــم تـــألُ جهـــداً بترويـــع النســـاء الآمنـــات!

وكـــم مِـــن ضُـــرةٍ خانـــتْ فخابـــتْ وســـربلها مصـــيرُ الخائبـــات!

فـــلا تهنـــى إذا مـــا خـــان زوجٌ وأوغـــلَ فـــي مَريـــع المَعصـــيات

وعـــالج بالتعـــدّدِ مـــا يلاقـــي وإنّ - علـــى الخيانـــة - بيّنـــات

ســـيوردُه تعـــددُه البلايـــا وســـوف تـــرين عُقبـــى التزّهـــات

وهـــل فَضـــلى التـــي قبلتـــه زوجـــاً؟ فمـــا هـــذا بســـمتِ الفَضـــليات

ومَـــن تـــرض الـــزواجَ بـــذي عِيـــال ستُشـــطب مِـــن ســـجل الطيبـــات

ألا فلتهجـــــري بيتـــــاً تـــــداعى ... فـــإن الضـــيم مِـــن أخـــزى الصـــفات

دعيـــه ومَـــن يعـــول ، ولا تبـــالي ... ولا تستســـــــــلمي للنائبـــــــات

سيســـجنه العيـــالُ بصـــحن بيـــتٍ ... ليغـــرقَ فـــي عميـــق توجعـــاتِ

وينـــدمُ أنـــه ضـــحّى ببيـــتٍ ... وذبّحـــه كتـــلّ الأضـــحيات

وينفعـــه التعـــددُ فـــي زمـــان ... يُعـــاني مِـــن قطيـــع الإمّعـــات

يقلـــد بعضـــهم بعضـــاً نفاقـــاً ... وجُـــلُّ القـــوم أشـــبهُ بالعُتـــاه

أعادونـــا إلـــى عصـــر الجـــواري ... فكـــلٌّ يســـتبيحُ المُحصَـــنات

وبتنـــا كالإمـــاء بـــلا اعتبـــار ... فلـــم تحـــو الـــديارُ الســـيدات

فـــإن لـــم تهجـــري فـــالخُلع أولـــى ... ولا تسّـــــمّعي للمُرجفـــــات

فـــإن لـــم تفعلـــي فتتبعيـــهِ ... وبعـــدُ فســـلطي بعـــضَ الكُمـــاة

ليُرمـــى بالســـهام بـــلا احتـــرام ... ويُهـــدى للأوابـــد فـــي الفـــلاة

أو انطلقـــي بســـكين ونِطـــع ... وأكيـــاس تُـــواري العينـــات

وبعـــدُ تصـــدقي ليـــزول ذنـــب ... ومَـــن - فـــي النـــاس - كالمتصـــدقات؟

أو انطلقـــي لزوجتـــه بـــرهطٍ ... لتُمســـي فـــي عِـــداد المَيتـــات

فيرجـــع للعيـــال أبٌ تنـــاءى ... وخلّـــف بالرحيـــل تحســـرات

فـــإن لـــم تفعلـــى فالعشـــق حـــلٌّ ... وقـــومي استرشـــدي بالعاشـــقات

أحبّـــي غيـــرَه ، ودعيـــهِ يأســـى ... ولا يفتنـــك يومـــاً بالتفـــات

نصـــحْنا ، والخيـــارُ لمـــن أصـــيبتْ! ... وإن النصـــحَ طبـــعُ الخيّـــرات

لأنـــكِ - جِـــدُّ - غاليـــةٍ علينـــا ... نعـــزي اليـــوم خيـــرَ الصـــاحبات

لن أتقبل عزاءكن!

(فرغتْ هذه المرأة التي تزوّج عليها زوجها من محنة صدمتها الأولى (على حد تعبيرها). وبعد أن درستِ تلك الأفكار الحيزبونية والوساوس الشيطانية الغثة التي استمعت إليها من رفيقات السوء وصويحبات الجاهلية. والمقترحات التي استقتها من المعزيات في مجلس العزاء. والتي منها (الزواج من آخر بعد التطليق من هذا الرجل – أو قتله انتقاماً – أو قتلها (أي الزوجة الثانية) - أو قتلهما معاً: زوجها وزوجته الثانية - أو الخلع - أو اتخاذ خدين أي عشيق عليه – أو ترك البيت أو الانتحار الذي يعني أن تقتل نفسها) ، قررت هذه الزوجة استشارة إحدى الحكيمات الراشدات الفقيهات من غير صويحباتها ، ثم عرضتْ قضيتها على شريعة الإسلام. وعند ذلك فاءت إلى ذكر الله ، وعلمت أن الذي فعله زوجها إنما هو شرع الله تعالى ، وأنه محض حق الزوج وأنه لم يخنها وأنه لم يظلمها لأنه يعدل ويقيم الحق جهده بين الزوجتين. وإذن فهو لم يغدر بها. وبعد حين التقت بضرتها وتعاونتا وتحابتا وعاشتا معاً تحت سقف بيت واحد. وعندما عاودت النسوة الحيزبونات هذه المرأة الموفقة بالنصيحة الشيطانية قالت لهن جميعاً في حزم وجد: (لن أتقبل عزاءكن). ومن هنا رُحتُ وعلى ذات البحر الذي كتبتُ عليه (تقبلي العزاء) وعلى ذات القافية والروي أخط هذه القصيدة حكاية على لسان الزوجة الموفقة السعيدة وهي تفئ إلى ذكر الله وما نزل من الحق. وهي تقرّر أن تردّ على الحيزبونات بصوت الحق العالي المدوي المنصف الموفق. هذا ويضيف موقع (طريقة الوصفة الدقيقة) وتحت عنوان: (فوائد تعدد الزوجات في الإسلام) ما نصه: (إنه لا شك أن هناك فوائد عظيمة من تعدد الزوجات! وهي موجودة وعديدة بالرغم من أنها من القضايا التي شكلت ولا تزال مدخلاً للهجوم على الإسلام والطعن في أحكامه وشريعته ، سواء من بعض المنتمين للإسلام أو من غيرهم ممن يرون في التعدد إهداراً لكرامة المرأة ، وانتقاصاً لحقوقها. وفوائد تعدد الزوجات في الإسلام لو نظرنا إليه بإنصاف لوجدنا أن فيه منافع للمرأة أكثر من المنافع التي يحصل عليها الرجل ، وفيه أيضا منافع عديدة للمجتمع ، لأنه يضبط العلاقة بين الرجل والمرأة ، ويحمي المجتمع من التفكك والانهيار. إن موضوع تعدد الزوجات في الإسلام تعرّض للهجوم والتشويه من قبل مبغضي الإسلام ومبغضي تشريعاته وأحكامه ، حتى صار التعدد تهمة ينفيها الرجال عن أنفسهم بما في ذلك مشاهير العلماء والدعاة ، وصار التعدد جريمة في العديد من الدول ومنها للأسف دول عربية وإسلامية! والتعدد صار من المكروهات والمحرّمات عند الكثير من النساء ومنهن من تعتبره خيانة ، وذلك نتيجة تشويه صورة ومفهوم التعدد والجهل بأحكامه في الشريعة ، وهو ما دعا الكثير من النساء الجاهلات بالشرع والدين إلى تفضيل الخليلة على الزوجة الثانية ، وقد أجرت مجلة نسائية شهيرة تحقيقًا واستطلاعًا للرأي بين النساء ، ونشرت على صدر صفحتها الأولى عنوانًا مفاده أن النساء يفضلن تعدد الخليلات على زواج الرجل بأخريات! ومهمة تشويه صورة التعدد في الشريعة الإسلامية قامت بها الناشطات والجمعيات والمنظمات النسائية التي تزعم أنها تدافع عن المرأة وحقوقها ، وهي في الحقيقة تهدر حقوق المرأة وكرامتها ، وتسعى لهدم المجتمعات وتخريبها عندما تحارب التعدد الذي يحفظ حقوق المرأة وتغض الطرف عن طرق الاستغلال الجنسي للمرأة تحت مسمى الصداقة أو من خلال امتهان جسم المرأة في الإعلانات والأعمال الفنية أو في ممارسة البغاء. وهذه المهمة قامت بها أيضًا وسائل

الإعلام المختلفة التي تزعم أن تعدد الزوجات يمزق الأسر ويضع أعناق النساء على مذبحة الظلم ، وتزعم أنه فيه امتهانًا لكرامة المرأة وانتقاصًا لحقوقها! وتشويه صورة التعدد تم من خلال الأفلام والمسلسلات التي تسخر من التعدد ، وتظهر المرأة بمظهر الضعف والاستكانة والرضا بالهوان بحجة الحفاظ على البيت والأولاد ، وتظهر الرجل بمظهر الشهواني الذي يبحث عن المتعة فقط. وتشويه صورة التعدد وتجريمه ، وتنفير الرجال منه ، وكراهية التعدد من قبل فئة واسعة من النساء ، وتضييق دائرة الحلال وتوسيع دائرة الحرام ، كل ذلك أدى إلى انتشار الزنا والعلاقات الجنسية المحرمة بين الجنسين. يجب إدراك محاسن التعدد وأنه يعتبر حقًا من حقوق المرأة ، يتم من خلال عقد مقارنة بين وضع المرأة في حالة تعدد الزوجات ووضعها في حالة تعدد الخليلات: * أولاً: في حالة تعدد الزوجات هناك عدد محدد قيده الشرع الحنيف بأربع نسوة ، أما في اتخاذ الخليلات فالعدد غير محدود ولا نهاية له ولا ضوابط تحكمه. * ثانيًا: في تعدد الزوجات الرجل مطالب بالإنفاق على زوجاته والعدل بينهم في النفقة ، أما في تعدد الخليلات فالرجل يمكنه الاستمتاع بالمرأة بدون أعباء أو تكاليف ، والمرأة في كثير من الحالات هي التي تتولى الإنفاق على الرجل الذي يؤذيها ويضربها ويهجرها إلى غيرها في كثير من الأحيان. * ثالثًا: في تعدد الزوجات حفظ لحقوق المرأة ، أما في تعدد الخليلات فلا توجد حقوق للمرأة ، والعلاقة بين الرجل والخليلة لا تترتب عليها أية التزامات. * رابعًا: في حالة التعدد هناك حفظ لحقوق الأولاد وفي مقدمتها الحق في النسب ، أما في حالة تعدد الخليلات فلا توجد حقوق للأطفال ، والمجتمعات غير المسلمة تعاني من مشكلة اللقطاء ومجهولي النسب. * خامسًا: التعدد في أسوأ الحالات وهي الحالات التي لا يتحقق فيها العدل بين الزوجات يعتبر أفضل للمرأة من وضع الخليلة ، لأنه يوفر لها الضمان الاجتماعي ويعطيها الحق في السكن والنفقة وبخاصة إذا كانت كبيرة في السن. * سادسًا: التعدد يحمي المرأة من الإصابة بالأمراض التي تنتقل عن طريق الممارسة الجنسية وفي مقدمتها مرض الإيدز ، وذلك بخلاف الخليلة التي تكون أكثر عرضة للإصابة بهذا المرض ، لأن الإيدز ينتشر نتيجة العلاقات الجنسية غير الشرعية وتعددها سواء للرجل أو المرأة. وإذن فتعدد الزوجات فيه الكثير من الحِكَم التي غابت عن الكثير من المسلمين وعن غيرهم ، وتشريع التعدد يتوافق مع الفطرة التي فطر الله عز وجل الناس عليها ، وهو اللطيف الخبير الذي خلق الإنسان ويعلم ما نفسه ، ويعلم ما يصلح أحواله ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة ، يقول الله عز وجل: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}. وتشريع التعدد يحمل الكثير من المعاني والفوائد بل والإعجاز في التشريع ، يقول الله عز وجل: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا}. ورد في تفسير ابن عاشور: (قوله {مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} تدُلّ كلّها على معنى تكرير اسم العدد لقصد التوزيع كقوله تعالى: {أولي أجنحة مَثْنَى وثُلاث ورُباع} ، أي لطائفة جناحان ، ولطائفة ثلاثة ، ولطائفة أربعة. والتوزيع هنا باعتبار اختلاف المخاطبين في السعة والطَّول ، فمنهم فريق يستطيع أن يتزوّجوا اثنتين ، فهؤلاء تكون أزواجهم اثنتين اثنتين ، وهلمّ جرّاً. وقوله: {فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة} أي فواحدة لكلّ من يخاف عدم العدل ، وخوف عدم العدل معناه عدم العدل بين الزوجات ، أي عدم التسوية ، وذلك في النفقة والكسوة والبشاشة والمعاشرة وترك الضرّ في كلّ ما يدخل تحت قدرة المكلّف وطوقه دون ميل القلب). والإسلام وضع حدًا لعدد

الزوجات ، بينما الشرائع السابقة لم تضع حدًا للتعدد ، يقول الطاهر بن عاشور: (ولم يكن في الشرائع السالفة ولا في الجاهلية حدّ للزوجات ، ولم يثبت أن جاء عيسى عليه السلام بتحديد للتزوّج ، والإسلام هو الذي جاء بالتحديد ، فأمّا أصل التحديد فحكمته ظاهرة: من حيث إنّ العدل لا يستطيعه كلّ أحد ، وإذا لم يقم تعدّدُ الزوجات على قاعدة العدل بينهنّ اختلّ نظام العائلة ، وحدثت الفتن فيها ، ونشأ عقوق الزوجات أزواجهنّ ، وعقوق الأبناء آباءهم بأذاهم في زوجاتهم وفي أبنائهم ، فلا جرم أن كان الأذى في التعدّد لمصلحة يجب أن تكون مضبوطة غير عائدة على الأصل بالإبطال). والتعدد فيه الكثير من الفوائد والمصالح ، يقول ابن عاشور في تفسيره: (وقد شرع الله تعدّد النساء للقادر العادل لِمصالح جمّة: منها أنّ في ذلك وسيلة إلى تكثير عدد الأمة بازدياد المواليد فيها ، ومنها أنّ ذلك يعين على كفالة النساء اللائي هنّ أكثر من الرجال في كلّ أمّة لأنّ الأنوثة في المواليد أكثر من الذكورة ، ولأنّ الرجال يعرض لهم من أسباب الهلاك في الحروب والشدائد ما لا يعرض للنساء ، ولأنّ النساء أطول أعمارًا من الرجال غالباً ، بما فطرهنّ الله عليه ، ومنها أنّ الشريعة قد حرّمت الزنا وضيّقت في تحريمه لمّا يجرّ إليه من الفساد في الأخلاق والأنساب ونظام العائلات ، فناسب أن توسّع على الناس في تعدّد النساء لمن كان من الرجال ميّالاً للتعدّد مجبولاً عليه ، ومنها قصد الابتعاد عن الطلاق إلاّ لضرورة. والتعدد فيه حفظ لحقوق المرأة ومن هذه الحقوق الحق في الزواج وتكوين الأسرة ، والحق في الاستمتاع بالعلاقة الزوجية أسوة بالرجل وبباقي النسوة ، ولو لم يُشرع التعدد لعانت الكثير من النساء من العنوسة والترمل. ومن هذه الحقوق الحق في الإنجاب! فالمرأة مفطورة على حب الأولاد وعلى تحمل المعاناة في الحمل والولادة والرضاعة والرعاية. ومنها أيضًا الحق في النفقة والسكنى ، والحق في العناية والرعاية والحماية التي تحتاجها المرأة نظرًا لضعفها وخاصة إذا كانت تعيش في مجتمعات لا تراعي حقوق الفئات الضعيفة وتقسو عليها وتنتهك حقوقها. وما عرضناه هو بعض المنافع والمصالح المترتبة على التعدد وكلها تصب في صالح المرأة وذلك من ناحيتين: الأولى حفظ حقوقها ، والثانية رعايتها والحفاظ على كرامتها. ويجب على العلماء والدعاة أن يُظهروا ويبينوا للناس الحكمة من التعدد والفوائد المترتبة عليه للمرأة والرجل وللمجتمع. والمؤسسات العاملة في مجال حقوق الإنسان ومجال الدفاع عن حقوق المرأة مطالبة بأن تسعى من أجل إقرار التعدد كحق من حقوق المرأة والعمل من أجل إلغاء القوانين التي تُجرّم التعدد ، والعمل من أجل تجريم العلاقات غير الشرعية بين الجنسين حفاظًا على كرامة وحقوق المرأة وعلى طهارة المجتمع. وينبغي علينا كمسلمين أن ننتقل من موقع الدفاع عن الشريعة وأحكامها ومنها التعدد ، إلى التعريف بمحاسن الشريعة الإسلامية التي جاءت لتحقيق السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة).هـ. وهذه مختارات من كتاب (افتراءات وأباطيل) حيث يرى البعض أن التعدد يؤدي إلى الكثير من الأضرار الاجتماعية والعائلية! وقد ظن هؤلاء أن الإسلام هو من استحدث هذا الأمر دون غيره من الديانات السماوية ، ولكن التعدد كان موجودا قبل الإسلام في الحضارات القديمة والأديان السماوية. فالإسلام لم يوجدْه أو يوجبه. لقد عدّد الفرْس زوجاتهم فتعاليم زاردشت كانت تخوّل لهم الجمع بين العديد من الزوجات واتخاذ الحظايا والخليلات لأن الشعوب المحاربة تحتاج دائماً إلى الفتيان. وحال الرومان لم يختلف عن حال الفرس فقد جمع الإمبراطور سيلا بين خمس زوجات ، كما جمع كل قيصر وبومبى بين أربع زوجات. كما عدد أهل اليونان بدون قيد للعدد وعدد المصريون في عهد ديودور

وكذلك الهندوس القدماء والبابليون والآشوريون. أباحت الديانة اليهودية التعدد بمشيئة الزوج وحسب رغبته ، وفى ذلك يقول نيوفلد في كتابه: (قوانين الزواج عند العبرانيين والأقدمين): "إن التلمود والتوراة قد أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه". وبما أن التوراة من المصادر التشريعية بالنسبة للديانة النصرانية فإن ما ينطبق على الديانة اليهودية ينطبق على الديانة النصرانية ، ولقد قال نبي الله عيسى عليه السلام: "ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء بل جئت لأتمم وأكمل" ، ولم يرد في الإنجيل نص صريح يحرّم التعدد وإن كان بولس المسمى بالرسول قد استحسن الاكتفاء بواحدة لرجل الدين ، ولقد بقى التعدد مباحاً في الأقطار النصرانية حتى القرن السادس عشر. ولقد زعم البعض أن الكنيسة حرّمت التعدد لقول عيسى عليه السلام: "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً". ولا شك أن هذا تحميل لمعنى اللفظ أكثر مما يحتمل ، وإن صح سنده للمسيح فهو خطاب للقاعدة العامة وهي الزيجة الواحدة ، لأنها الأصل والتعدد الاستثناء ، ولو أن المسيح استعمل كلمة زوجاته لفهم ذلك من البعض بأنه أمر بالتعدد).هـ. نعود إلى من رفضت عزاء الحيزبونات ، وخاطبتهن في وضوح قائلة: لن أتقبل عزاءكن!)

عـــــزاءُ الهـــــازلات علـــــيّ عـــــاتِ ... ولا أرضـــــــى بهـــــــذي الترّهـــــــاتِ

وقـــــد بانـــــت ـ لرائيهـــــا ـ النوايـــــا ... وقـــــد جفـــــتْ دمـــــوعُ الشـــــامتات

وجلـــــى الزيـــــفُ مـــــا حملـــــتْ قلـــــوبٌ ... خلـــــتْ مِـــــن كـــــل ألـــــوان العِظـــــات

وأســـــفرتِ المتاهـــــة عـــــن نفـــــوس ... تُفـــــــاقمُ بالعِنـــــــاد المشـــــــكلات

وأرشـــــدني العـــــزاءُ إلـــــى صـــــوابي ... ولـــــم أعمـــــلْ بتوصـــــية العِـــــداة

تطـــــــرقتنّ للتســـــــريح حَـــــــلاً ... وإطفـــــــاءً لنـــــــار المعضـــــــلات

وأعميـــــتنّ – بـــــالتحريض ـ قلبـــــي ... وخمّشـــــــتن كـــــــل توجعـــــــاتي

وأعملـــــتنّ ســـــيفَ الحقـــــد ردحـــــاً ... فقطعـــــــتُن ـ بالحقـــــــد ـ الصِـــــــلات

وضـــــخمتُنّ أمـــــراً كـــــان ســـــهلاً ... ودمـــــــرتنّ صـــــــرحَ المَكرُمـــــــات

وأفســـــــدتنّ ذات البـــــين عمـــــداً ... وحطمـــــــتنّ عنـــــــدي الـــــــذكريات

وقسّـــــــيتنّ قلبـــــــي بالتحـــــــدّي ... فلـــــم يـــــدركْ شـــــموخ التضـــــحيات

وزهّـــــدتنّ قلبـــــي فـــــي المعـــــالي ... لـــــذا لـــــم أحتفـــــلْ بالأمنيـــــات

وأســـــلمتنني للظـــــى انتقـــــامي ... إلـــــى أن ضـــــقتُ ذرعـــــاً بالحيـــــاة

ومـــــا الثكلـــــى كمـــــن ناحـــــت ترائـــــي ... لقـــــد فقـــــتنّ كـــــل توقعـــــاتي

وكـــم قـــد حـــار فكـــري فـــي ولايـــا أقمـــن - علـــى الشـــمات – البينـــات!

وفـــي الأحـــداق ســـال دمُ المـــآقي يُـــؤجّج - فـــي الفـــؤاد - المُوجعـــات

وفـــوق خـــدودهن الـــدمعُ يكـــوي ضـــميراً هـــدّه عـــدمُ الثبـــات

يولـــولنَ انتحابـــاً فـــي مصـــابي فهـــل زوجـــي توشّـــح بالوفـــاة؟

ويُلهـــبن الجـــوى فـــي قلـــب ثكلـــى فيجرفنـــي عـــذابُ تحسّـــراتي

ويُلقـــين الكـــلامَ لـــه بريـــقٌ كـــأني قـــد بُليـــتُ بشـــاعرات

وأحيانـــاً يُدهـــدهن احتمـــالي فبـــت فريســـة للمُرجفـــات

ونلـــن مـــن الحليـــل بـــدون حـــق وبعـــدُ جَـــرحن عـــاطفتي وذاتـــي

كـــأني بـــالمَلام يُـــذيب نفســـي ويـــدفعني لفعـــل الســـيئاتِ

ولـــو أنـــي انتبهـــتُ لكـــان خيـــراً ولكنـــي أطلـــتُ تـــأمّلاتي

حسِـــبتُ النصـــحَ يَصـــدر عـــن نســـاءٍ تعـــافُ نفوسُـــهن المُوبقـــات

وكـــم أخطـــأتُ إذ أحســـنتُ ظنـــي بنســـوان تُحـــب المنكـــرات!

فواحـــدة تحـــرّضُ: (دعـــكِ منـــهُ) بكيـــدٍ يرتـــدي ثـــوبَ الوَصـــاة

وتُهـــدِرُ حـــق زوجـــي بـــالتجني وتلعنـــه ، وتـــأمرُ بالسُـــكات

وثانيـــة علـــى الأولاد تقســـو وتحملنـــي علـــى هجـــر البنـــات

تقـــول: دعيـــه فـــي الـــدنيا يُعـــاني بـــأولادٍ لهـــم أشـــقى الصـــفات

ليُحـــرمَ راحـــةَ العـــيش انتقامـــاً ويُحـــرمَ مِـــن مُـــراودة السُّـــبات

وثالثـــة تُشـــيرُ بقتـــل زوجـــي تمامـــاً مثـــل ذبـــح الأضـــحيات!

ووضـــع اللحـــم فـــي الأكيـــاس حتـــى يُقسّـــم للأوابـــد فـــي الفـــلاة!

ورمْـــي العظـــم فـــي البحـــر احتقـــاراً لـــزوج كـــان مـــن أطغـــى الطغـــاة

ورابعـــــة تفاضـــــل بـــــين مـــــوتٍ وبـــــين زواجـــــه الغـــــضّ المُـــــواتي

فتمتـــــدحُ الوفـــــاة علـــــى نكـــــاح بـــــأخرى ، ثـــــم تُغـــــري بالممـــــات

كـــــأني إن يمـــــتْ بعلـــــي ســـــأحيا أرجّـــــعُ فـــــي الحُـــــداء مـــــع الشُّـــــداة

وخامســـــة تقـــــول مُـــــري فريقـــــاً شـــــديدَ البـــــأس مِـــــن أعتـــــى العُتـــــاة

فهـــــم سيخلصـــــونك مِـــــن حليـــــل مصـــــابُ زواجـــــه فـــــي الســـــر عـــــات

ولا تســـــتكثري شـــــيئاً علـــــيهم فـــــإن جَمـــــيلهم يـــــزنُ الهبـــــات

وسادســـــة تطـــــالبُني بعشـــــق لغيـــــر الـــــزوج مثـــــلَ الفاســـــقات

فأرضـــــخ للخـــــدين ، ولا أبـــــالي وأمسِـــــي كالنســـــاء الفـــــاجرات

وأسْـــــلم - للعشـــــيق زمـــــام - أمـــــري وأهـــــزلُ مثـــــلَ كـــــل الجـــــاهلات

وأشـــــربُ - مـــــن رقيـــــع العشـــــق - كأســـــاً تعتـــــق فـــــي حَضـــــيض المَعصـــــيات

وســـــابعة تقـــــول لـــــيَ: اقتُليهـــــا وتـــــوبي ، واقتـــــدي بالصـــــالحات

أأقتـــــل زوجـــــةً عُصِـــــمتْ بـــــنص وأكتَـــــبُ فـــــي ســـــجل القـــــاتلات؟

أريـــــقُ دمَ البريئـــــة دون حـــــق؟ فهـــــل أنـــــا مـــــن شِـــــرار المُجرمـــــات؟

وثامنـــــة تـــــرى فـــــي الخُلـــــع حَـــــلاً لأنهـــــيَ مـــــا تمخـــــض مـــــن شَـــــكاة

وأبـــــوابُ المحـــــاكم فـــــي انتظـــــاري لأدخـــــلَ ثـــــم أحكـــــيَ للقضـــــاة

وأكشـــــفَ ســـــر عـــــائلتي وزوجـــــي ويلفحَنـــــي جحـــــيمُ الحادثـــــات

ولـــــيس بنـــــافعي خُلعـــــي ، ولكـــــنْ لأرضـــــيَ - بـــــالطلاق - صُـــــوَيحباتي

ويشـــــمتَ فـــــيّ مَـــــن دمّـــــرن بيتـــــي وعنـــــي قـــــد نســـــجن الشـــــائعات

وألقـــــين الـــــدغاول فـــــي طريقـــــي وعـــــرقلن المســـــير بالافتئـــــات

وزخـــــرفن الأدلـــــة نُصـــــب عينـــــي فكانـــــت كالشِـــــباك المُلقيـــــات

وتاســـــعة رأيـــــتُ لهـــــا لعابـــــاً ... يســـــيلُ كدفقـــــة المـــــاء الفـــــرات

كـــــأن لُعابهـــــا يَشـــــفي غلـــــيلاً ... يَفـــــور مـــــن الغـــــداة إلـــــى الغـــــداة

تقـــــول: تزوّجـــــي حتـــــى تعـــــودي ... شـــــباباً فيـــــه شـــــتى المُغريـــــات

وخلـــــي عنـــــك أولاداً وزوجـــــاً ... ولا تخشَـــــيْ شِـــــماتَ الأخريـــــات

فبيتـــــك ســـــوف تغمـــــرُه الـــــذراري ... مـــــن الثـــــاني كبـــــاقي الوالـــــدات

وعاشـــــرة تحـــــض علـــــى التحـــــدي ... كـــــأني فـــــي مُنازلـــــة الكُمـــــاة

وتـــــأمرُني بأخـــــذ الثـــــأر جبـــــراً ... كـــــأني فـــــي مواجهـــــة البُغـــــاة

يمـــــينَ الله أوغـــــرتنّ صـــــدري ... بهاتيـــــك الوصـــــايا المُغرضـــــات

ولـــــو أنـــــي أخـــــذتُ بهـــــا لضـــــاعت ... كرامـــــةَ أســـــرتي وإبـــــاءُ ذاتـــــي

ولـــــو أنـــــي انتهجـــــتُ لكُـــــنّ دربـــــاً ... لخـــــانتني منـــــاراتُ الجهـــــات

ومـــــاذا قـــــد جنـــــى زوجـــــي ليُرمـــــى ... ويُنعـــــى؟ يـــــا لتـــــدجيل النّعـــــاة!

تـــــزوجَ ، والتعـــــددُ شـــــرعُ ربـــــي ... فهـــــل هـــــذا يُضـــــيرُ المؤمنـــــات؟

وزوجـــــي قـــــد بنـــــى عِـــــزي وجَـــــاهي ... وأعطـــــاني جزيـــــل الأعطيـــــات

ولـــــم يبخـــــلْ بعارفـــــةٍ بتاتـــــاً ... ولـــــم يكـــــتُم - عـــــن النـــــاس - العِظـــــات

وينصـــــحُ فـــــي هـــــدوءٍ واصـــــطبار ... لأن النصـــــح يُثمـــــرُ بالأنـــــاة

وفـــــي التقـــــوى لـــــه لـــــونُ اجتهـــــادٍ ... ومَـــــن أنقـــــى مِـــــن القـــــوم التقـــــاة؟

وإنـــــي قـــــد رجعـــــتُ إليـــــه طوعـــــاً ... أقبّـــــلُ كـــــفَّ أســـــتاذ الـــــدعاة!

وأعلـــــنُ تـــــوبتي مـــــن كـــــل ذنـــــب ... وإن الله مـــــــــولى التائبـــــــــات

ألا يـــــــا رب كَفـــــــرْ سَـــــــيئاتي ... فمـــــن لـــــي غيـــــرُ رب الكائنـــــات؟!

عنوسة إلى الأبد

(تزوّج العاشق الولهان من أخرى تَفضُل عاشقته التي هي مخدوعة ولا شك. فصممت الحمقاء على أنْ لا تتزوج أبداً. وفعلاً أمضت من ذلك العهد المشؤوم سنوات. فكلما تقدم إليها رجل رفضت الزواج منه بحجة أنها مضربة عن الزواج ولاءً وحبا للعاشق الأول ، الذي تزوج غيرها وغدر بها – على حد تعبيرها التافه – ومن هنا راحت تضربُ في تيه العنوسة إلى الأبد ، وهذا كله من رواسب الجاهلية المعاصرة التي حرفت مفاهيم الناس وتصوراتهم وأفكارهم في جملة ما حرفت. وعلى لسان إحدى العوانس تحكي عن تجربتها مع العنوسة ، وتحت عنوان: (عنوسة في ريعان الشباب) ، قال الأستاذ خالد سعد النجار ما نصه: (كانت الدنيا كلها ملكي ، وكنت أعيش بمعادلة واحدة «من جد وجد ومن زرع حصد». لكن مع دخولي في سن الزواج بدأتِ الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن. حتى الآن لم يتقدم أحد لخِطبتي رغم أن رفيقاتي وقريباتي بدأن في دخول القفص الذهبي الواحدة تلو الأخرى ، وانتبهتُ لأمور لم تخطر على بالي يوماً. إني سمراء في مجتمع يعشق شبابه الشقراوات! والمجتمع يعاني من أزمة بطالة استعصت معها أمور الزواج وتكاليفه من شقة وشغلة ومهر وميزانية تثقل كاهل أي شاب حديث العهد بمسئوليات الحياة. جرت السنون سراعاً ودخلتُ على أعتاب الثلاثين وبدأت كلمة «عانس» ترن في أذني وترد مراراً على خاطري. بأي ذنب وجريرة. وليت الأمر اقتصر على ذلك! بل أجدني فريسة مستباحة في المجتمع لأني بدون رجل ، ووصل الأمر إلى خوف بعض المتزوجات مني على أزواجهم! إن الأرض تكاد تمور من تحت قدمي وأوشك أن أفقد توازني واستقراري النفسي الذي كنت أتمتع به. لقد بدأت المعادلة التي كنت أعيش بها تهتز وأيقنتُ مع تجارب الأيام أن ليس بحتم أن كل من جد وجد وليس كل من زرع حصد! وكم في السجن من مظاليم! وكم في الحياة من مساكين! بلا جريرة تذكر ولا خطيئة تؤثر ولكنها الأقدار. كانت مناسبات الزواج السعيدة من حولي أشبه بمأتم شخصي يذكرني بزوجي وفقيدي الذي لم يأت ، وكانت تهنئة «عقبى لك» كسكين يغرز في قلبي ووجداني ، وأتمنى ساعتها لو انشقت الأرض وابتلعتني من شدة الإحراج الذي أحاول أن أدفعه بكل ما أوتيت من إرادة وعزيمة كيلا يبدو على قسمات وجهي. كنت أحس بالغربة عندما أرى زوجة قد تعلقت بيد زوجها في الطريق وأمامهما طفلان جميلان أشبه بالعصفورين ، وكنت كالصمّاء بين السيدات اللاتي يتحدثن عن أزواجهن وغيرتهم أو غضبهم أو حنانهم. إن العنوسة عالم غريب دخلته رغماً عن أنفي ، وأغرب ما فيها أنني ما تصورتها بحياتي يوماً ، ولا تخيلت أنني سأعيش كالمتهمة تلاحقني نظرات الشفقة حيناً ونظرات التهمة حيناً آخر. ولقد دفعني الفضول لأن أغوص في هذا العالم وأتعرف على مكنوناته وأسراره ، فوجدت أن المختصين قالوا بأن العانس قد تعاني من بعض السلوكيات النفسية الغريبة كالانطوائية ، أو الميل للعدوانية نحو النساء المتزوجات كنوع من التعبير عن الحقد عليهن ، أو التعلق الزائد بالوالد (عقدة إلكترا) لإرواء الحاجة بوجود رجل في حياتها ، أو السخط على المجتمع عامة وأفراد الأسرة خاصة وبالذات لو كان قرار الأب أو الأم عائقا في تزويجها كغلاء المهر أو الانتماء القبلي أو تزويج الكبرى أولاً أو غيرها من الآفات الاجتماعية التي توقع البنت المسكينة في شراك العنوسة بلا ذنب ولا جريرة. وقالوا أيضاً أن العانس تكون غارقة في أحلام اليقظة عن فتى الأحلام الذي تصبو نفسها إليه ، مع النزعة

التشاؤمية وفقدان المعنى من الحياة. أما الفقهاء الإسلاميين فتناولوا الآفات الاجتماعية التي تعرقل الزيجات بما يعرف باسم «العضل» ، حيث يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً}. والطامة الكبرى «الطفولة» التي حرمت منها ولفظة (أمي) التي طالما حلمت بها. إن حبي للأطفال لا يصفه وصف ولا يحده حد ، وكم كنت أتمنى أن يكون لي طفل أحتضنه وأشتمه وأقبله وألاعبه ، وأملأ به دنياي! لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه. لكني اليوم ومع طول خبرتي في العنوسة أدركت أنني كنت خاطئة بهذه المشاعر المبالغ فيها. إنني اليوم أكثر نضجاً مما مضى ، وأكثر تفهما لطبيعة الحياة ، فبعد استيعاب الصدمة وهدوء المشاعر والتفكير بواقعية وعقلانية أكثر تبين لي أن العنوسة لا تعدو كونها قدراً وابتلاءً ومحنة كسائر المحن ، ومن منا استقامت له الحياة دوماً على دروب السعادة والهناء. إن لكل منا أزمته ومحنته مع اختلاف الصور والأشكال لا أكثر ولا أقل. فكم من معاق أغلى أمانيه أن يرد الله له صحته! وكم من فقير تمنى أن يسد الله فاقته! وكم من سجين تمنى أن يفك الله حبسته! وكم من خائف تمنى أن يؤمن الله روعته! وكم من غريب تمنى أن ينهي الله غربته! وكم من مدين وتعيس وجاهل ومكروب ومأزوم. والقائمة تطول. وهل كل من تزوج فهو سعيد ، حتى لو اختار الزوجة الجميلة وعنده الطفل البريء والمسكن الهنيء. كلا وألف كلا ، فأين الزوج البخيل والشكّاك وضعيف الشخصية والفاشل والمدمن والسلبي والحقود والغيور؟ وأين الزوج الثرثارة والغير نظيفة والمتهورة والغبية والخائنة؟ أليست كلها مشكلات تعشش في القفص الذهبي؟ أليس من الزوجات من تصبح كل يوم على أمل أن يقبض الله روح زوجها لتستريح من ضربه المبرّح أو إدمانه أو نزواته أو ألفاظه الجارحة وتصرفاته الخشنة؟).هـ. إنه لا رهبانية في الإسلام. ومن رغب عن سُنة الإسلام في الزواج فهو آثم. ومن هنا كتبتُ شعراً لصبايا العنوسة.)

ألا إن العنوســـــــة فـــــــي الصـــــــبايا تـــؤجّجُ - فـــي الـــديار - لظـــى الرزايـــا

وتـــــــدفعُ بـــــــالعوانس لانحـــــــرافٍ يقـــــودُ إلـــــى المصـــــائب والـــــدنايا

وكـــم بالعشـــق كـــم خربـــتْ بيـــوتٌ! وكـــم للعشـــق يـــا كـــم مـــن ضـــحايا!

أأعلنـــــــتِ التـــــــأيّمَ دون حـــــــق وبَيّـــــتِّ العنوســـــة فـــــي النوايـــــا؟

فمَـــن عَاقبـــتِ يـــا حمقـــاءُ؟ قـــولي؟ ومَـــن حَطمـــتِ فـــي دنيـــا البرايـــا؟

ومَـــن دَمـــرتِ إذ رهبنـــتِ ذاتـــاً تحِـــنّ إلـــى البعولـــة كالصـــبايا؟

عليـــكِ وبـــالُ مـــا تـــأتين قطعـــاً وفـــي الغيـــب الـــدغاولُ والخفايـــا

ونفسَـــكِ تقتلـــين بـــدون شـــكٍ لمـــاذا تتْبعـــين خُطـــى البغايـــا؟

فإحـــداهن تـــدأبُ فـــي التـــردي وتُمعِـــن فـــي متاهـــات الخزايـــا

وتُوغـــلُ فـــي السُّـــفول بـــلا اكتـــراثٍ وتغـــرقُ فـــي دُجُنـــاتِ الخطايـــا

وأخـــرى - عـــن فضـــائحها - تُلاحـــي وتجعـــل مِـــن تهتكِهـــا قضـــايا

وتســـبحُ فـــي الضـــلال بكـــل عشـــق وترمـــي الفســـقَ فـــي شـــتى الزوايـــا

ألا فلتدرســـي مـــا ســـاد فينـــا بشـــؤم عـــوانس خـــنّ الوصـــايا

أيرفضـــن الـــزواج بـــدون عـــذر ويَنســـجْن التخـــرصَ والشـــكايا؟

وإن فـــات القطـــارُ ذرفـــن دمعـــاً ويحبســـن الفواجـــعَ فـــي الحنايـــا

وينـــدبن الحظـــوظ بكـــل وجْـــدٍ وتســـحقهن أقـــدامُ المنايـــا

فيـــا هـــذي العشـــيقة أصـــدقيني ألســـتِ تـــرين نفســـكِ فـــي المَرايـــا؟

فوجهُـــك جَـــفّ مـــاءُ الحســـن فيـــه وتـــأنفُ مِـــن بشـــاعته العظايـــا

وعُرجـــونٌ قوامُـــك ، ســـاءَ شـــكلاً! وتحـــت عبـــاءة الحمقـــا الخبايـــا

وشَـعرُك شـاب ، مـا جـدوى التصـابي؟ وفيـــكِ الشـــيبُ قـــد أزرى المزايـــا؟

وماتـــت فيـــكِ نشـــوةُ كـــل أنثـــى وكِبْـــرُك قـــد تكفـــلَ بالبقايـــا

وزايلـــكِ الجمـــالُ ، ولـــم يُعقـــبْ ولـــم يُقرئـــك مِـــن عـــذب التحايـــا

وصـــاحبُكِ الحيـــاة لـــه اســـتكانت وعنـــه النـــاسُ يحكـــون الحكايـــا

لـــه زوجٌ تحِـــنّ إليـــه دومـــاً وإن العطـــف مِـــن أحلـــى الســـجايا

وتُهديـــه المحبـــة كـــل حـــين وإن الحُـــب مـــن أغلـــى الهـــدايا

وصـــاحبُها بعيشـــتها ســـعيدٌ وجُـــل الـــودّ يَســـكنُ فـــي الطوايـــا

فنفسَـــكِ أدركـــي ، وخـــذي بنُصـــحي زواجُـــكِ ســـوف يَـــذهب بالبلايـــا

لعـــل فتـــىً يَميـــل إليـــكِ أعمـــى لديـــه الغيـــدُ صِـــدقاً كالمطايـــا

على يديك أتوب

(أخ كبيرٌ ابتلي في أختٍ له انزلقتْ إلى طريق الرذيلة فعيّره الناس بها! وذات يوم قرر الخلاص منها بالقتل ، وشجّعه شيطانه على ذلك. فعلمتْ ففرّتْ. فسأل عنها فلما ظفر بها أخذت تبكي وتنتحب ، وتأخذ العهد عليه إن هو أبقاها فإنها سوف تتوب. فأعطاها الأمان والفرصة معاً. فتابت وحسنتْ توبتها لدرجة تهافت الخطاب عليها. فحكيتُ على لسانها هذه القصيدة! إنه يجب صون عِرض المسلم والمسلمة: ففي الحديث: «ساب المؤمن كالمشرف على الهلكة». الراوي: عبد الله بن عمرو بن العاص - المحدث: المنذري- المصدر: الترغيب والترهيب. وكذلك: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء». الراوي: عبد الله المحدث: أبو نعيم - المصدر: حلية الأولياء. وأيضاً: «المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه». الراوي: أبو هريرة - المحدث: أبو داود- المصدر: سنن أبي داود. وكذلك: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم». [الراوي: أبو هريرة - المحدث: الترمذي- المصدر: سنن الترمذي-. وأيضاً: «إن من أربى الربا الاستطالة في عِرض المسلم بغير حق». الراوي: سعيد بن زيد - المحدث: أبو داود- المصدر: سنن أبي داود. وكذلك: «الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم». الراوي: عبد الله بن مسعود - المحدث: البيهقي- المصدر: شعب الإيمان-. وأيضاً: «كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». الراوي: أبو هريرة - المحدث: أبو داود - المصدر: سنن أبي داود . وكذلك: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ها هنا- وأشار إلى القلب- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». الراوي: أبو هريرة - المحدث: الألباني- المصدر: صحيح الجامع. وإنه يجب الستر على المسلم والمسلمة: ففي الحديث: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته». الراوي: أبو برزة الأسلمي - المحدث: أبو داود - المصدر: سنن أبي داود. وأيضاً: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة». الراوي: عبد الله بن عمر - المحدث: البخاري- المصدر: صحيح البخاري-. وكذلك: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته». الراوي: عبد الله بن عباس - المحدث: الهيتمي المكي- المصدر: الزواجر-. وكذلك: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة». الراوي: عبد الله بن عباس - المحدث: الهيتمي المكي- المصدر: الزواجر. المهم أنني تخيلت هذه الفتاة تقول لأخيها الذي ظفر بها وكاد يقتلها!)

سَـــقطتُ حتـــى قلانـــي الـــدينُ والأدبُ وبـــات دمعـــي - علـــى الخـــدّين - ينســـكبُ

وضِـــعتُ - فـــي لجـــج الأهـــواء - دون حيـــا ولـــم يـــزلْ شـــرَفي - بـــالرغم - ينشـــعب

لعبتُ بالنار ، لم أدركْ ضرواتها ... حتى كواني اللظى والصعقُ واللهب

وغربلتني أراجيفٌ مزخرفة ... فبتّ - مِن ثِقل الإرجاف - أضطرب

وحطمتني ألاعيبٌ بُليتُ بها ... ومِن مضاربها ما كدتُ أقترب

حتى سقطتُ - على الأرجاس - هائمة ... وطاب لي - في دجى سعيرها - الطرب

مَددتُ كفي إلى الأدناس ، أحسبُها ... مثلَ الخِضاب بها الكُفوف تختضب

صارعتُ سيلاً من البلوى ، فأغرقني ... فكان للسيل - في بلوائيَ - الغلب

دخلتُ كهف المخازي خلف من دخلوا ... وفي الدياجير لبيتُ الذي طلبوا

وبُؤتُ بالعار يجري في العروق دماً! ... أنى اتجهتُ أراني صَيدَ مَن رَغبوا

وعدتُ أحمل رجساً ليس يغسله ... ماءُ البحار ، فبئس الرجسُ والعِيَب!

وما اعتبرتُ بدِينٍ كان يَعصمُني ... لو أنني - بأصول الدين - أعتصب

وما ارتدعتُ بعُرفٍ لو رجعتُ له ... لردّني العُرف عمن - في الخنا - رسبوا

وما احترمتُ مغاوياً أعاربَة ... إلى قبيلتهم - في الدار - أنتسب

وما اتعظتُ بمن في غيّهم رتعوا ... ومَن عن الخير - في هذي الدنا - احتجبوا

وما احتميتُ بصِيتٍ قد عُرفتُ به ... لو قيل قومُك مَن؟ لقلت: هم عرب

وما احتفظتُ بأخلاق بها اتصفتْ ... هذي الديارُ ، وكانت سَمتَ مَن ذهبوا

وما اشتريتُ - مِن المَزاد - عائلتي ... بالبُعد عمن به كرامتي اغتصبوا

وما افتديتُ أباً ، كم كان يأمرني ... بالعُرفِ ، هذا الذي على الورى يجب!

وما ارعويتُ لتقليدٍ يُشرّفني ... إذ لم يكن - في الذي أتيته - لبب

وما اشترعتُ بشرع لو لجأتُ له ... لمَا دهاني الأذى والبأسُ والنوب

ولا أبرّرُ ما ركبتُ مِن فتن! ... إذ ليس للهزل قد باشرْته سبب

ولا أرانـــي مِـــن العقـــاب ناجيـــة ... فبالعقـــاب يـــزول الشـــك والرّيَـــب

وأســـتحقُ الـــذي الإســـلامُ يُوجبـــه ... مـــن الحُـــدود ، ولـــن يُفيـــدني الهـــرب

الحـــدّ - فـــي هـــذه الـــدنيا - يُطهّرنـــي ... كمـــا يطهّـــرُ - مِـــن أخلاطـــه - الـــذهب

مَـــن تســـتقم فســـتحيا فـــي بُلهنيـــةٍ ... وعيشُـــها مرتـــعٌ مُعشوشـــبٌ خصِـــب

ومَـــن تجـــدْ فـــي الزنـــا هنـــاءة خســـرتْ ... وكـــل فضـــلى - لهـــذا الـــرجس - تجتنـــب

ولـــيس يَعـــدمُ أهـــلُ الخيـــر مـــن حجـــر ... ليَرجمـــوا مَـــن حـــرامَ الله ترتكـــب

والســـوط ينظـــرُ مَـــن تزنـــي ، ويُنـــذرها ... عـــن الغوايـــة ، والجـــلادُ مُرتقـــب

والنِطـــع يـــدعو التـــي تبيـــع عِفتهـــا ... وفـــي كِنانتـــه الأســـيافُ واليَلـــب

حتـــى الشـــريعة إن غابـــتْ معالمُهـــا ... فكـــل جُـــرم لـــه يـــومَ الجـــزا كُتـــب!

لـــم يمحُـــه الله مـــن ديـــوان فاعلـــه ... فـــيمَ التجمّـــلُ والتـــدليسُ والكـــذب؟

يستنســـخ الـــرب مـــا عِبـــادُه فعلـــوا ... فلـــيس شـــيءٌ عـــن الخبيـــر يحتجـــب!

فليفعـــل النـــاسُ مـــا شـــاءتْ ضـــمائرُهم ... إن المليـــك سيُحصـــي كـــل مـــا ارتكبـــوا

وســـوف يُملـــي لهـــم ، فهْـــو الـــرؤوفُ بهـــم ... وكـــل عبـــدٍ - إلـــى العزيـــز - منقلـــب

والعُمـــرُ قـــد حُبســـتْ عنـــا نهايتـــه ... يـــا شـــقوة العِيـــر مَـــن أهـــواءَهم ركبـــوا!

أخـــي الحبيـــب أرانـــي جَـــدّ تائبـــةٍ ... عـــن الـــذنوب ، وقلبـــي باكيـــاً يجـــب

والعـــينُ تبكـــي جـــوىً ، والـــدمعُ يُلجمهـــا ... والـــروحُ - مِـــن ألـــم النشـــيج - تنتحـــب

والوَجـــدُ يَخنـــقُ إحساســـي وعـــاطفتي ... وخـــاطري - مِـــن ســـعير اللـــوم - يلتهـــب

أبيـــتُ تلفحُنـــي سِـــياط معصـــيتي ... وكـــل معصـــيةٍ ختامُهـــا الـــودب

والليـــلُ يطـــرقُ بـــابي حـــاملاً شـــجناً ... حتـــى تراكمـــتِ الأشـــجانُ والكُـــرب

وكـــم أئـــنّ مـــن العـــذاب يقطعُنـــي ... ومنـــه مـــا ســـلمتْ نفســـي ولا العصـــب!

وكـــم أنـــوح علـــى حـــالي ، وأنـــدبها! شـــأنَ الـــذين - علـــى مصـــيرهم - غلبـــوا

وكـــم أؤمّـــلُ أن تنـــزاح نـــازلتي فـــلا يُهـــددُني خـــوفٌ ولا رهـــب!

وكـــم أتـــوقُ لغفـــران الـــذي اجترحـــتْ نفـــسٌ إلـــى حِيَـــل الشـــيطان تنجـــذب!

وكـــم أحِـــنّ إلـــى الطاعـــات ترفعُنـــي مـــن الحضـــيض إذا مـــا عشـــتُ أحتســـب!

وكـــم أحـــاولُ نســـيان الـــذي كســـبتْ يـــدايَ حتـــى طـــواني الهـــمّ والعطـــب!

أخـــي أعِنـــي علـــى مـــا قـــد نويـــتُ ، ولا تلـــمْ مُحطمـــة ، أودى بهـــا النصـــبُ

عليـــكَ قـــد عُقـــدتْ آمـــالُ يائســـةٍ تجتـــرّ كُربتهـــا كُرهـــاً ، وتكتئـــب

وفيـــكَ تلـــتمسُ الحنـــانَ فـــي زمـــن طغـــى - علـــى النـــاس - مـــوتُ القلـــب والتبـــب

ومنـــكَ تطلـــبَ عفـــواً ، فيـــهِ نجـــدتها وإنّ عفـــو كِـــرام النـــاس يُطلـــب

فأعطهـــا فرصـــة للتـــوب خاتمـــة فأنـــت - بعـــد أبـــي - نعـــم الأبُ الحَـــدِب!

لـــو كـــان حيـــاً أبـــي لمَـــا رجوتُـــك فـــي مُصـــيبتي ، إذ أبـــي - فـــي النائبـــات – أب!

أخـــي نـــدمتُ ، وهـــذا الـــدمعُ ترجمـــة ولـــيس تُفصـــحُ - مثـــلَ الدمعـــة - الخُطـــب

أراك تُعْـــرضُ حتـــى عـــن مناقشـــتي ألـــم يكـــن بيننـــا - مهمـــا جـــرى - نســـب؟

فهـــل غـــريبيْن أصـــبحنا بـــلا صـــلةٍ؟ إن قلـــتَ: إى هكـــذا الإخـــاءُ ، فالعجـــب!

أو قلـــت: لا. كيـــف بيّـــتّ الخـــلاصَ ضُـــحىً منـــي بقتـــل أيـــا ذا الفـــارسُ الضـــرب؟

هـــل الأخـــوة يغـــدو القتـــلُ ديـــدنَها؟ أم أنهـــا عنـــد مَـــن يلهـــو بهـــا لقـــب؟

فـــررتُ منـــكَ ، لأن المـــوتَ يرقَبنـــي ولـــيس كـــالموت - فـــي هـــذي الـــدنا - رُقَـــب

وأنـــت تســـألُ عنـــي دونمـــا كَلَـــل حتـــى دُللـــت ، وقـــد أودى بـــك التعـــب

وقـــد نويـــتَ هنـــا قتلـــي أيـــا ابـــن أبـــي مـــن بعـــد مـــا زالـــت الأســـتارُ والحُجُـــب

كنـــتُ اتخـــذتُ خِبـــاءً لا طريـــق لـــه بـــين الشـــعاب هنـــا ، ومـــا لـــه طَنُـــب

وبـــي ظفـــرت ، وذا يـــا صـــاحبي قـــدري ... فكـــن رحيمـــاً لـــه - مـــن أختـــه - عتـــب

فربمـــا أســـكنَ العِتـــابُ صـــولةَ مَـــن ... إذا اســـتُثير مضـــى بعقلـــه الغضـــب

أخـــي تريّـــثْ فِـــدتك الـــروحُ هينـــةً ... صَـــوابُك الآنَ قـــد أبـــاده الـــدأب

ســـتندمُ الـــدهرَ لـــو يومـــاً أرقـــت دمـــي ... وســـوف يَمقُتـــك الأشـــهادُ والغِيَـــب

وســـوف تُســـأل يـــوم العـــرض فـــي مـــلأ ... عـــن قتـــل نفـــس ، فمـــاذا يـــا تُـــرى الســـبب؟

عـــاران: أختُـــك أصـــلٌ فـــي حُـــدوثهما ... عـــارُ التحلـــل مـــعْ مَـــن عِرضَـــها ســـلبوا

وعـــارُ قتلـــك نفســـاً لســـتَ واليَهـــا ... فـــاحقنْ دمـــاً ســـفكُه الـــدمارُ والـــودب

كـــيلا تعيّـــر بالعـــارين يـــا رجـــلاً! ... منـــدوبٌ الـــدعرُ ، والتقتيـــلُ منتـــدب

وألســـنُ النـــاس - كالأســـياف - ماضـــية ... وكـــل رهـــطٍ - علـــى الأعـــراض - يحتـــرب

لا يســـتحي مـــن مليـــك النـــاس أغلـــبُهم ... والعِـــرض صَـــيدٌ ، وضُـــلالُ الـــورى عُقُـــب

فاربـــأ بنفســـك عـــن قتلـــي ، وكـــن فطِنـــاً ... والعفـــوُ والصـــفحُ والـــذكرى هـــي القـــرَب

إنـــي وعظتـــك ، والأنفـــاسُ شـــاهدة! ... متـــى ســـيهدأ قلـــبٌ مُحنِـــقٌ صـــخب؟

متـــى ســـتفقهُ - مِـــن نفســـي - عزائمَهـــا؟ ... متـــى سيشـــرق صـــبحٌ باســـمٌ شـــنِب؟

واللهُ يقبـــلُ مَـــن تأتيـــه تائبـــة ... تبكـــي ، ودمـــعُ أســـاها هاطـــلٌ ســـرب

ولســـتُ أضـــربُ - للـــرحمن - مِـــن مثـــل ... فلســـتُ ممّـــن لـــه أمثـــالهم ضـــربوا

فإنمـــا المثـــلُ الأعلـــى لخالقنـــا ... أقـــول ذلـــك ، يُجْلـــي لفظتـــي الأدب

فـــاقبلنيْ أختـــاً ، أتتـــك اليـــوم تائبـــةً ... ولـــيس يصـــرفُها - عـــن دينهـــا - اللعـــب

علـــى يـــديك أتـــوبُ اليـــومَ مُعلنـــة ... أنـــي - لعفـــو مليـــك النـــاس - أرتقـــب

وحســـبيَ اللهُ فـــيمن لوّثـــوا شـــرفي ... وافعـــلْ أخَـــيّ الـــذي تهـــوى وتنتـــدب

أعود كما أتيت

(كان من أغنى الأغنياء. ولكنه كان تقياً ورعاً متصدقاً مُحْسناً متفضلاً. ولما رأى افتتان الناس به وبغناه وبماله أخذ يُبين لهم ويدعوهم إلى عدم الافتتان به ، ولكن دون جدوى. ولذا قال لأبنائه لما حضرته الوفاة: إذا أنا مِت ، فأخرجوا يديّ من الكفن ليراها الناس خالية من المال والثراء والنعيم. ففعل الأبناء الوصية. وكانت المسافة طويلة إلى القبر ، والناس تنظر وكأن لسان حاله يُشهدهم أنه عاد كما أتى إلى الدنيا. قال الأستاذ ناصر بن سعيد السيف واصفاً الموت: (الموت هو هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وقاطع الأمنيات ، وميتم البنين والبنات ، وهو الواعظ الصامت يأخذ كل أحد بدون استئذان ؛ يأخذ الغني والفقير ، والملك والحقير ، والرقيق والأمير ، والكبير والصغير ، والصحيح والسقيم. فمهما طال العمر فلا بد أن يأتي اليوم الذي يكون فيه العبد طريحاً بين أهله ، لا حراك له وقد وقعت منه الحسرة ، وجفت منه العَبرة ، وثقل منه اللسان ، واشتدت به الأحزان ، وعلا صُراخ الأهل والولدان ، ونادَوْا بالأطباء للدواء ، ووقع القضاء وفي هذه اللحظات ينظر العبد آخر النظرات إلى الأبناء والبنات ، والإخوان والأخوات ، وتسبقها الآهات والزفرات ، وتعقبها السكرات والحسرات ، فتخرج الروح وتبقى السيئات والحسنات).هـ.)

أخرجـــوا كَفـــي ، وقولـــوا أمَـــرا ... عَلهـــا تُزجـــي لقـــومي العِبَـــرا

كانـــتِ الـــدنيا تُغنينـــي صَـــدىً ... وترانـــي - فـــي ســـماها - القمـــرا

والملايـــينُ التـــي خلفتهـــا ... رجعـــتْ – للـــوارثين - القهقـــرى!

كـــم بـــأموالي تجـــاوزتُ الـــذرى! ... وبـــأموالي اشـــتريتُ البَشـــرا!

ثـــم أعتقـــتُ الألـــى أحببـــتهم ... وتجنبـــتُ الخطـــا والمُنكـــرا

وانتظـــرتُ المـــوتُ حتـــى جـــاءني ... ورحيلـــي اليـــوم أمســـى قـــدرا

فـــانظروا يـــا نـــاسُ فحـــوى قصـــتي ... وأعيـــدوا - فـــي الأمـــور - النظـــرا

وخـــذوا عنـــي ، ألا واعتبـــروا ... فـــاز مَـــن خلـــى الهـــوى ، واعتبـــرا

إن أردتـــم عِبـــرة ترقـــى بكـــم ... أرجعـــوا فيمـــا ذكـــرتُ البصـــرا

واحـــذروا الـــدنيا ومَـــن يحيـــا لهـــا ... وارحمـــوا - فـــي ذي الحيـــاة - الفقـــرا

زهـــرة الـــدنيا ستمضـــي للفنـــا ... كالخيـــالات يراهـــا الشَّـــعرا

وأنـــا عُـــدتُ كمـــا جئـــتُ ، فـــلا ... مـــالَ يُجـــدي فـــي ســـراديب الثَـــرى

تيسٌ يرثُ نعجة

(أراد ذلك الزوج الجاهل الديوث أن يُرجع إلى عصمة الزوجية امرأته التي طلقها الثالثة ولم تعد تحل له إلا من بعد زواجها من غيره. فإن طلقها الثاني بدون إكراه ولا تدليس أو مات عنها ، وأراد الأول أن يتزوجها فإنها تحل له. وهذا حكم الله وتلك شريعته. ولم يكن ذلك منه حباً وتعلقاً بها بل حباً وتعلقاً بأموالها التي يتوقع أنها ورثتها عن أبيها الذي مات بعد طلاقها البائن بينونة كبرى! ولكن على عادة الجهلاء المتنطعين المعْرضين المتعمدين مخالفة أمر النبى – صلى الله عليه وسلم – في التحذير من المُحَلل والمحلل له ولعْنهما ، إلا أن هذا الزوج قد أتى لزوجته (زمزم) بالتيس المستعار (المحلل) حتى يُحِل هذه النعجة أقصد زوجته التي قبلت رغم عِلمها بحُرمة ذلك ومخالفته للقرآن والسنة. وعُقد للتيس على النعجة. وعندما بنى بها إذا بها تموت عند الفجر موتاً طبيعياً مخلفة أموالاً طائلة وثروة كبيرة ورثتها عن أبيها. الأمر الذى أطمع فيها زوجها الأول والثاني. وآلت الأموالُ إليها. وحُرم زوجها الأول من كل شئ باعتباره أجنبي لا قرابة بينه وبينها ولا نسب. ودار الصراع الطاحن بين الرجلين هذا يقول: أنا أرثها ، وذلك يقول: أنا أرثها. وحكمتِ المحكمة للزوج الجديد باعتبار العقد ، ورفضتْ دعوى التحليل حيث إن العقد معتبرٌ مشهودٌ عليه. كما رفضتْ دعوى اتهام الزوج الجديد بقتلها ، حيث إنها قد ماتت موتاً طبيعياً لا دخل فيه لأحدٍ البتة! وهذا درسٌ عظيم للمُحَللين الديوثيين في كل مكان وزمان. ونعوذ بالله تعالى من مخالفته. ** يقول الله عز وجل: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). والمعنى: أن الطلاق الذي تحصل به الرجعة بين الزوجين مرتان (واحدة بعد الأخرى). وإذن فحكم الله بعد كل طلقة هو إمساك المرأة بالمعروف وحسن عشرتها ، أو تخلية سبيلها وآداء حقوقها كاملة. وأما إذا طلق الرجل زوجته الطلقة الثالثة ، فلا تحل له إلا إذا تزوجت رجلاً غيره زواجاً صحيحاً عن رغبة ، لا بنية تحليل المرأة لزوجها الأول. ثم بعد ذلك إن طلقها الزوج الآخر أو مات عنها كما قلنا ، وقد انقضت عدتها يمكن أن يتزوجها زوجها الأول بعقد ومهر على أنها أجنبية عنه تماماً. وأما نظام الديوثية المعروف عند كثير من الناس اليوم ، فقد أسمى رسول الله صاحبه بالتيس المستعار بل ولعنه. ولمّا كان التيس في بداهة العقل لا ينكح إلا نعجة من فصيلته ، عنونتُ لقصيدتي بـ (تيسٌ يرث نعجة) وذلك أن التيس يرثها إذا ماتت عنه ، كما أنها ترثه إن مات عنها. فلا غرابة في العنوان المضحك المبكي. وأصبح التيس المستعار - الذي كانت أجْرته ثمانين جنيها – آلافاً مؤلفة من الجُنيهات! وأدلل على تسمية النبي – صلى الله عليه وسلم -: * روى ابن ماجه بإسناد صحيح أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (هو المحلل. لعن الله المحلل والمحلل له). وأورد الدمشقي في الكبائر (طبعاً إن صحت النسبة إليه في التأليف وما هي عندي بصحيحة): عن ابن عمر - رضي الله عنهما – أنه سئل عن رجل طلق ابنة عم له ثم ندم ورغب فيها. فأراد رجل أن يتزوجها ليحللها له. فقال ابن عمر: (كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة). وقال إبراهيم النخعي إذا كان نية أحد الثلاثة: الزوج الأول والزوج الثاني

والمرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ، ولا تحل للأول. ولمّا سئل الشيخ المنجّد عن هذا النوع من الزواج أجاب بقوله: (إذا طلق الرجل امرأته الطلقة الثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، لقول الله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ). ويشترط في هذا النكاح الذي يحلها لزوجها الأول أن يكون نكاحاً صحيحاً ، فالنكاح المؤقت (نكاح المتعة) أو النكاح من أجل أن يحلها لزوجها الأول ثم يطلقها (نكاح التحليل) كلاهما محرّم وباطل في قول عامة أهل العلم ، ولا تحل به المرأة لزوجها الأول. انظر: "المغني". وقد صحت الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتحريم نكاح التحليل. روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ). وصححه الألباني في سنن أبو داوود. والْمُحَلِّلَ هو من تزوجها ليُحِلها لزوجها الأول. وَالْمُحَلَّلَ له هو زوجها الأول. وروى ابن ماجة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟ قَالُوا: بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: هُوَ الْمُحَلِّلُ ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ). وحسنه الألباني في صحيح سنن بن ماجة. وروى عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب الناس: (والله لا أوتى بمحلِّل ومحلَّل له إلا رجمتهما). وسواء في ذلك إذا صرح بقصده عند العقد ، واشترطوا عليه أنه متى أحلها لزوجها طلقها ، أو لم يشترطوا ذلك وإنما نواه في نفسه فقط. روى الحاكم عن نافع أن رجلاً قال لابن عمر: امرأة تزوجتها أحِلها لزوجها ، لم يأمرني ولم يعلم. قال: لا ، إلا نكاح رغبة ، إن أعجبتك أمسكها ، وإن كرهتها فارقها. قال: وإن كنا نعده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سِفاحاً. وقال: لا يزالان زانيين ، وإن مكثا عشرين سنة. وسئل الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة ، وفي نفسه أن يُحِلها لزوجها الأول ، ولم تعلم المرأة بذلك. فقال: هو محلل ، إذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون).هـ. وأسْهل شئ عند الناس اليوم تضعيف الأحاديث التي لا توافق أهواءهم لذا أستشهد هنا بأحاديث صحيحة أربعة: [1] عن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل أن ابن عمر - رضي الله عنهما - سُئل عن تحليل المرأة لزوجها ، قال: ذلك السفاح ، لو أدرككم عمر لثكلكم. [2] عن عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟" ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: "هو المحلل ، لعن الله المحلل ، والمحلل له". [3] عن نافع قال: (سأل رجل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فقال: إن خالي طلق امرأته ثلاثاً فدخله من ذلك هم وأمر شق عليه ، فأردت أن أتزوجها لأحلها له ولم يأمرني بذلك ولم يعلم به فهل تحل له؟ فقال ابن عمر: لا ، إلا أن تنكح نكاح رغبة إن وافقتك أمسكت ، وإن كرهت فارقت ، وإلا ، فإنا كنا نعد هذا في زمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم – سِفاحاً! [4] عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المحلل والمحلل له". وعموماً أنا أجعل هذه القصيدة رسالة عزاء للزوج الأول في زوجته (زمزم) الراحلة!)

أعزيـــكَ فـــي الموقـــف المُـــؤلِمِ بفـــــرْح العـــــواذل واللـــــوَّمِ

لقـــد آل كـــل الـــذي خلفـــتْ لتـــــيس تـــــزوّج للـــــدرهم

وذاق العُســـــــيلة مســـــــتعذباً جمـــــالَ الصـــــبيّة والمَغـــــنم

ولـــم يـــكُ يحلـــمُ يومـــاً بهـــا ... فأصـــبح فـــي حِضـــنها يرتمـــي

أرادوه تيســـاً ، فمـــا لامَهـــم ... ولـــم يـــكُ - فـــي الأمـــر - بـــالمُرغم

ونعجـــتهم أيّـــدتْ مـــا ارتـــأوْا ... بلفـــظٍ - عـــن الكـــل - لـــم يُكـــتم

وأمســـى زواجُهمـــا صـــفقة ... وكـــلٌ تجَـــرّأ ، لـــم يُحْجـــم

كمثـــل البغـــاء لـــه أجـــرة ... وبيـــتٌ يقـــومُ علـــى قـــيّم

وعقـــدُ المُجـــون لـــه صِـــبغة ... فهـــذا - علـــى الشـــرع - لـــم يُبـــرم

نفـــوسٌ - علـــى الـــدين - قـــد راهنـــتْ ... ومهمـــا تكـــنْ للهُـــدى تنتمـــي

وكـــم بـــالزواجر كـــم ووجهـــتْ! ... كـــأن خطيـــب الغثـــا أعجمـــي

وكـــم بالأدلـــة كـــم قوبلـــوا! ... فهـــل طغمـــة القـــوم لـــم تفهـــم؟!

مُحللهـــم تـــيسُ أغنـــامهم ... ويلعـــن ربـــيَ مـــن قـــد عمـــي

ونعجـــتهم نفقـــتْ بالقضـــا ... وكـــلٌ بأموالهـــا يحتمـــي

تبـــاكَوْا جميعـــاً علـــى مـــن ثـــوتْ ... وضـــمّتهمُ خيمـــة المـــأتم

وكـــلٌ يغنـــي علـــى حصـــةٍ ... مِـــن المـــال فـــي الموقـــفِ المُـــؤلم

يريـــد بعَبراتـــه مـــا انتـــوى ... مـــن المـــال يُنفـــقُ فـــي المَنـــدم

ويأمـــلُ أن يســـتجيب لـــه ... حليـــلٌ تبـــاكى علـــى (زمـــزم)!

فهـــاج ومـــاج ، وصـــاح بهـــم ... ألا إن ذي قســـمة المُـــنعم

ورِثـــتُ الـــدنانير عـــن زوجتـــي ... وودّعْـــتُ عـــيش الشـــقا المُعـــدِم

أردتُ ثمـــانين فـــي تجـــرةٍ ... فباتـــتْ ألوفـــاً كســـيل طمـــي!

فقـــالوا: صـــدقت ، ومَـــن يعـــشُ عـــن ... شـــريعة رب الســـما يُهـــزم

عندما يذهب الحياء

(كتب أحدهم قصيدة نبطية (على حد تعبيره) يُحَيّي فيها صديقاً له يوم عرس الثاني. وطلب مني أن أقرأ عليه الذي كتب. فاعتذرتُ أنني لا أقرأ إلا ما كان باللغة العربية الفصحى. ثم إنني عندما أكون بحضرة شاعر ضيفاً عليه أو هو ضيفٌ علي فإنني أحب جداً أن أستمع إلى القصيدة من شاعرها. فقبلَ ذلك الرجل مني عذري وتبريري بأنني لا أحب الشعر العامي بأي لهجةٍ كانت. ولا أعترف بالشعر إلا أن يكون على شروط العربية وقواعدها وأصولها وضوابطها. فقال في نهاية المطاف: أنا سوف أقرأها عليك. فقلت: تفضل. فأخذ يقرأ وأنا أستمع في ألم وضيق! حيث لا أوزان ولا قوافي ولا وحدة موضوعية ولا ترتيب للفكرة. ليس ذلك فقط ، بل راح يتغزل في جمال العروس وكأنها قد أصبحتْ عروساً له هو. ويُشبّب بها ويذكر دقائق أوصاف النساء فيها ويحكى من أسرار ذلك الجمال والسحر الأنثوى ما يستحيي كل ذي مروءة من تصوره فضلاً عن سماعه من صاحبه. إنني أتعجب كيف يسمح لنفسه شاعرٌ ما أن يتغزل بامرأة ويُشبّب بها ويعتبر ذلك هدية يهديها لزوجها الذي يُفترض أنه فحلٌ من فحول الرجال يغار على زوجته؟ وأعجب ما في الخيال أنني والله قلت لهذا المستشعر النبطي: وماذا يقول العريس إذا هو أحس بالغيرة على زوجته التي قد عرّيتها بألفاظك وأهنتها بتعبيراتك ونلت منها بتشبيهاتك الجارحة يا هذا؟ فلم أكن أتوقع منه قوله: إن الأمر عادي وأن العريس سوف ينشرح صدره بسماعها مني هكذا. فقلت في نفسي: نسأل الله عز وجل العافية والسلامة! والذي أراه أن ما يسمى بالشعر النبطي قد زاحم الشعر العربي الفصيح الأصيل! وتحت عنوان: (جناية الإعلام العربي على اللغة العربية!) للأستاذ الدكتور عبد الله بن أحمد الفَيْفي ، عرّج على الأدب العربي برُمته ، ثم جاء للشعر النبطي وشاركني الرأي وقال بالنص: (لقد صار لنا أدبان ، وصار لنا شِعران ، عامّي ، له الساحة والأضواء ، وعربيّ فصيح ، ليس له غير الفتات وذرّ الرماد في العيون. ثقافتنا العربيَّة مصابة بشيزوفرينيا اللغة والأدب والإعلام. وقد أشرتُ مرارًا إلى أن القضيّة ليست في أنه لا معيار للمفاضلة بين الأدبَين العامّي والفصيح في مستوى الجماليَّة ، وإنما القضيّة في اللغة نفسها ، تلك التي ترسِّخ انحراف اللسان العربي ، أو العودة به إلى طورٍ بدائيٍّ متخلِّفٍ ، والرضَى بذلك ، واستساغته ، وإبعاد الناشئة عن اللغة العربيَّة القويمة وتحريف ألسنتهم عن اللسان المبين. ولا يقولن أحد أنْ لا تأثير للعاميَّة على الفصحى ، إلّا جاهل أو مكابر أو دجّال. فالناس ليسوا من السذاجة بحيث يقنعهم مثل هذا الهراء ، ناهيك عمَّن يعرف شأن اللغات وعوامل تقوّيها وإقوائها. بل إنه لشأنٌ عامٌّ ، وسُنَّة كونيَّة في كلّ شيءٍ ، إذ ما زوحمت مادة بمادة إلَّا جاءت إحداهما على حساب الأخرى ، فإنْ قَوِيَت وتمكَّنت ، قَضَت عليها شيئًا فشيئًا. تلك معادلة ، لولا لجاجة البعض وطول جدالهم ، ما احتاجت إلى ذِكرٍ ها هنا ؛ فهي بدهيَّة من البدهيَّات. ولكن ما العمل في أكاذيب تُردَّد حتى لتوشك أن تصبح قناعات في الرؤوس؟! هذا فضلًا عن سلبيَّات للعاميَّة ، وقبليَّة ، ممّا تحمله مَضامينُ ذلك الشِّعر النبطي).هـ.)

نـــــاجِ العـــــروسَ بتشـــــبيب وتأجـــــاج إن العـــــريس لمَـــــا تبثـــــه راجـــــي

مازلـــــت تّـــــذكرُ فـــــي شـــــوق مفاتنهـــــا وتنشـــــر الحُســـــن فـــــي فـــــرْح وإبهـــــاج

مارست أخبث ما في الوصف من سفهٍ بمِ رقم عفنِ المِداد درّاج

أبنتَ ما سَترَتْ ، حتى افتتنت بها ولم يردّك عنها بعضُ إحراج

سرحت في شعرها ، تلهو به شبقاً وقلتَ: يا هذه الجديلة اهتاجي

وكم تغزلت في القوام دون حيا تخالها نعجةً ذلت لهزلاج

والوجنتان - من التشبيب - قد همَتا لكنّ مثلك لا يُصغي لإنشاج

أعطيت نفسك حقاً لست تملكُه ورُحْت تُوغل في تيهٍ وأهزاج

حتى غدوت بما يُشين تنعتها كأنك المادحُ المستهزئ الهاجي

بريشةٍ صُبغتْ بالفحش ترسمُها واللفظ يسبحُ في لظىً وتأجاج

أما استحيت من الألفاظ فاضحة تسوقها سَوْق ملهوفٍ ومُهتاج؟

يا ليت شعري إذا ما نفسُك انطلقتْ وروّجتْ - في الورى - لشر مِنهاج!

أو ليت شعري إذا ما قوّضَت دِعَماً وناولت مَن يهيمُ الحِندسَ الداجي!

لأن صاحبها في الغي مرتكسٌ يظن هِمته في بُرجها العاجي

والشعرُ يبرأ من مُستشعِر خرفٍ يُهدي تغزله إهداء محتاج

والضادُ قد برئتْ مما صدحت به وليس بينكما لو ظِلُّ أوشاج

الشعرُ فَصحى وأوزانٌ وقافية مثل الذي نقشت يمينُ (عَجّاج)!

الشعرُ بحرٌ من الأخلاق ملتطمٌ وكل بيتٍ حوى آلافَ أمواج

والشاعرُ الحق مَن فاضت قريحته بطيّب من أصيل الفكر مِبهاج

أجارنا الله مِن عزيف مَن فسقوا إليه نجأرُ في سُؤلٍ وإلحاج

(ماسحة الأحذية)

(تزوجت هذه الشابة من ماسح أحذية. وكان من قدر الله أن رزقتْ منه بابنتين وولد ، ثم توفاه الله تاركاً الكل في أمسّ الحاجة إليه. ولمّا عدمتِ المرأةُ القلوبَ الرحيمة في مجتمع لا يعطف على اليتيم ، بل يقهره ، ولا يحض على طعام المسكين ، بل يحرمه ، قررتْ أن تأخذ صندوق مسح الأحذية وتجلس به عند باب المسجد تمسح به أحذية الناس وتستدرّ عطفهم وتستجدي حنانهم. فرقّ لها ولحالها قلبُ شاعر قد ذهب إلى المسجد ليس إلا للصلاة. وراح يعطف عليها العطف الذي بينه وبين ربه. وجعل عنوان ديوانه يحمل مِهنتها. أخرج البخاري في "صحيحه" ، ومسلم في "صحيحه" ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ). ويرى الشيخ المنجد: (أن معنى الحديث أن من سعى على الأرملة ، وهي من فقدت زوجها ، أو من لا زوج لها ، فعمل لها ، وكذلك من سعى على حاجة المسكين ، وهو من لا يجد كفايته ، فإن أجره كأجر المجاهد في سبيل الله ، وكأجر الصائم القائم. قال النووي في "شرح مسلم": "السَّاعِي: الْكَاسِبُ لهما ، العامل لمؤنتهما ، والأرملة من لا زوج لَهَا ، سَوَاءٌ كَانَتْ تَزَوَّجَتْ أَمْ لَا ، وَقِيلَ هي التي فارقت زوجها. قال ابن قُتَيْبَةَ: سُمِّيَتْ أَرْمَلَةً لِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْإِرْمَالِ ، وَهُوَ الْفَقْرُ وَذَهَابُ الزَّادِ بِفَقْدِ الزَّوْجِ ، يُقَالُ أَرْمَلَ الرَّجُلُ إِذَا فَنِيَ زَادُهُ ". انتهى. وقال ابن هبيرة في "الإفصاح عن معاني الصحاح": "والمراد أن الله تعالى يجمع له ثواب الصائم والقائم والمجاهد في دفعة ؛ وذلك أنه قام للأرملة مقام زوجها فكان نفعه إذن [يكافئ] الصوم والقيام والجهاد ".هـ. فقلتُ للماسحة من الطويل!)

بصُـرتُ ، فهـال القلـبَ مـا قـد تبصـرا ... وأحـرى بقلـب المـرء أن يتـذكرا

تضـيقُ بـأقوام حيـاة تريـدُهم ... عبيـداً لهـا بعـد الـبلاء الـذي جـرى

وتتسـعُ الـدنيا لتُسـعدَ غيـرهم ... وتمقـتُ أقوامـاً ، تـذيقهمُ الثـرى

ألا فاصـبري يـا أختُ ، فـالخيرُ قـادمٌ ... حنانيـكِ يـا أختـاً دَهاهـا الـذي أرى

ولـو كـان عنـدي المـالُ ضـاعفتُ منحتـي ... وأعطيتـك المـالَ الـوفيرَ المّقنطـرا

ولـو كـان عنـدي الـدارُ أسـكنتك العُـلا ... فتعلـين قـدراً فـي البيوتـات والـورى

ولـو كـان عنـدي الـدُرّ ألبسـتك السـنا ... وقلـدّتُ منـكِ الجيـدَ تِبـراً وجـوهرا

ولـو كـان عنـدي الأرضُ لـم أحـتفظ بهـا ... فـإن جنـان الله بالبـذل تُشـترى

وأعطيـتُ للأيتـام حتـى أعِفهـم ... وأجعلهـم - بالبـذل والجـود - فـي الـذرى

ولكـنّ عنـدي مـن قريضـي قصـيدة ... أجـلّ بهـا مَـن صُـبحُها اليـومَ أسـفرا

ولستُ بمدّاح ، ولا المدحُ شيمتي ... وأمقتُ مِن قلبي الأكاذيبَ والفِرى

وإن غلاة المدح - في الزيف - أوغلوا ... ولم يخرجوا حتى أصابَهُم المِرا

أحييكِ بالأشعار طابت رموزها ... تفوحُ - بذكراكِ الجميلة - عنبرا

وتغمرُني فخراً بأغلى أخيةٍ ... تكافحُ في العيش الذي ما تيسرا

وتضربُ في الصخر الذي هو يابسٌ ... بعينين لم تبصرْ بإحداهما الكَرى

وجسم نحيل حطه الدهرُ من علٍ ... يُلاقي - من العيش - البلاء المُقدرا

عليه حجابٌ من وقار وحِشمةٍ ... ووجهٍ - عن الأغراب - قد تخمّرا

فلم تُنسِها البلوى احتشاماً وسُترة ... لهذا فقد باتت مِثالاً ومَفخرا

لأن لديها همّة في انتمائها ... وتقوى ، وقلباً - في البليّات - خيّرا

ونوراً مِن القرآن يُحيي التزامها ... ونصراً على الشيطان حقا مُؤزرا

وتعمل في جدٍ ، وتُبدي اهتمامها ... لكيلا يقول الناسُ: تُبدي التضوّرا

ولا ترتضي مالاً يزيد على الذي ... به قد أجادت شغلها المتيسرا

فقد عدمتْ - في الناس - شَهماً يُعينها ... على محنةٍ - صدقاً - تَضيق بها القُرى

فكلٌ يراها تغتدي كل جُمْعةٍ ... وليس هنا قلبٌ لها قد تمعّرا

ألا استشعروا يا قومَنا ما أصابها ... فإحساسُكم - بالناس - مِن أوثق العُرى

وقد يستديرُ الحالُ يوماً بأهلكم ... ألا فاجعلوا هذي لمَن شط مُنذِرا

ألا واكفلوها والعيالَ لتأمنوا ... فقهرُ اليتامى عُدّ جَوْراً ومُنكرا

وعارٌ عليكم مسحُ هذي نعالكم ... وإني أرى هذا مِن الصفوة افترا

أعان المليكُ الحق مَن قد أعانها ... وأعطاه ما أعطى وضِعفاً وأكثرا

واختلاف ألسنتكم وألوانكم

(على متن العَبّارة (نياغوس) اليوغوسلافية التي قد مخزتْ عُباب البحر الأحمر من السويس إلى العقبة. وفي رحلة ذهابها ، كنت في طابقها الثاني مسافراً إلى الأردن في عام 1983م. وفي الكافتيريا أردتُ أن أشرب كوباً من الشاي. فإذا بطاقم البحارة اليوغوسلاف يستمعون إلى مغنية تقول (سالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة) هكذا بالعامّية ، عامية العِبارة. فقلتُ: سبحان الله ، حتى أنتم فتنتم بهذه الأغنية؟ ثم راح أحدُهم يسأل عن المعاني فاعتذر المسؤول إذ لا يجيد لغة القوم. فتدخلتُ وترجمتُ لهم ، ثم طربوا أكثر. وأعقب ذلك حديث آخر عن القيم والمبادئ على هامش الحوار العام ، ولعل هذا كان هدفي منذ البداية. وكان هذا آخر عهدي بهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام ، ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيكون من أمته من يستحل الحِر والحرير والخمر والمعازف ، وذكر أنهم يمسخون قردة وخنازير). المجموع. قال الألباني: اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم آلات الطرب كلها. قال تعالى مخاطباً الشيطان: "واستفزز من استطعت منهم بصوتك". عن مجاهد رحمه الله قال: استنزل منهم من استطعت ، قال: وصوته الغناء والباطل ، قال ابن القيم رحمه الله: (كل متكلم في غير طاعة الله أو مصوّت بيراع أو مزمار أو دف حرام أو طبل فذلك صوت الشيطان ، كما ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: رَجله كل رجل مشت في معصية الله) إغاثة اللهفان. وقال تعالى: "أفمن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ، وأنتم سامدون". قال عكرمة رحمه الله: عن ابن عباس السُمود الغناء في لغة حِميَر ، يقال: اسمدي لنا أي غني! ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى "وأنتم سامدون" قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال: الغناء ، هي يمانية ، اسمد لنا غنِّ لنا ، وكذلك قال عكرمة. تفسير ابن كثير. والمهم أن اللغات من عند الله وليست من ابتكار أحد. وأعود إلى اليوغوسلاف فأقول بأنني كنت سعيداً إذ تحدثت إليهم بالإنجليزية ، واستطعت أن أصل إلى قلوبهم ولو بالظاهر! يقول الله عز وجل (ومن آياته خلقُ السماوات والأرض واختلافُ ألسنتكم وألوانكم). ولقد أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كاتبَ وحيه زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أن يتعلم اللغة السريانية التي يكتب بها اليهود. فأتقنها قراءة وكتابة. واستغنى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك عن الوسطاء من اليهود. هذا ، وكان كثير من الصحابة يعرفون الفارسية والرومانية والحبشية. يقول صفي الدين الحلي في تعلم اللغة:

بقـــدر لغـــاتِ المـــرء يكثـــرُ نفعُـــه فتلـــك لـــه ـ عنـــد المُلمّـــات ـ أعـــوانُ

فأقبـــلْ علـــى درس اللغـــات وحِفظهـــا فكـــل لســـان ـ فـــي الحقيقـــة ـ إنســـان

رحم الله تعالى الحِلّي! ومن هنا رحتُ بكل حزم أذم الأغاني والسماع. وأمتدح اللغات ودراستها!)

بالأغـــاني كـــم سُـــربلتْ مـــن عقـــولِ فاســـتكانتْ لدنـــدنات الطبـــولِ!

واســـتلذتْ مـــا تشـــتهيه مِـــراراً واســـتحلتْ فســـقاً بـــدون دليـــل

واســـتباحتْ سُـــكر الغنـــاء ، فضـــلتْ ثـــم ضـــاعت مِـــن بعـــد عـــبّ الشـــمول

وأعـــارتْ تفكيرَهـــا كـــل غـــاو بعـــدما تاهـــتْ عـــن ســـلوك الســـبيل

وأضـــلتْ أهـــلاً وداراً وقومـــاً ثـــم ضـــاقتْ ذرعـــاً بشـــتى المُيـــول

وأحاطتهـــا ظلمـــةٌ واضـــطرابٌ عنـــدما غابـــت عـــن ضـــياء الأصـــول

عنـــدما باعـــت نهجَهـــا للأعـــادي أحرقتهـــا نـــارُ العـــذاب الوبيـــل

حُرمـــتْ رُشْـــداً كـــان يُجْلـــي دُجاهـــا! والرشـــادُ يمحـــو ضـــلال العقـــول

والأغـــاني تغتـــال فيهـــا ذكـــاءً ثـــم تكـــوي آمالهـــا بـــالخُمول

والســـعيدُ مَـــن حَكّـــم الشـــرعَ فيهـــا ثـــم يســـعى مُنقبـــاً عـــن بـــديل

والشـــقي مَـــن بالغنـــاء تســـلى مـــا لـــه - فـــي تهريجـــه - مـــن مثيـــل

ســـألوني: مـــاذا تقـــول (دليـــدا)؟ قلـــتُ: هـــزلٌ ، ينعـــي ابتـــداءَ الرحيـــل

فاستســـاغوا مـــا قلتـــه باشـــتياق والتـــدني يَســـبي فـــؤاد الجهـــول

وانطلقـــتُ أفضـــي إلـــيهم بســـرٍّ ولســـانُ الإفـــرنج كـــان دليلـــي

قلـــتُ: هـــلاّ - مـــن الغنـــاء - أفقـــتم وتـــأملتم قـــولَ خيـــر رســـول؟

وتـــركتم شِـــركاً بـــه قـــد عُـــرفتم ثـــم آذنـــتم فـــي الهـــدى بالـــدخول

أذكيـــاء مِـــن مَـــرةٍ قـــد وعيْـــتم مـــا أقـــولُ؟ يـــا للـــذكاء المَهـــول!

فكـــروا فـــي أحـــوالكم يـــا نـــدامى ســـوف يـــأتي يـــومُ الشـــقا والعويـــل

إننـــي قـــد دعـــوتكم للمعـــالي وختمـــتُ قـــولي بنُصـــح جميـــل

واللغـــا كـــالألوان مِـــن عنـــد ربـــي جـــلّ مولانـــا مـــن إلـــهٍ جليـــل!

قـــد هـــدى - للإســـلام - بعـــض البرايـــا وجـــزى ربـــي بـــالجزاء الجزيـــل

وفريـــقٌ فـــي المُهلكـــات تـــردّى بـــاء منهـــا بعِـــبء وزر ثقيـــل

واجبنا نحو اللغة العربية

(لقد كتبتُ قصائد كثيرة عن الحبيبة لغة الضاد. حتى إنها لتصلح أن تكون وحدها ديوان شعر منفصلاً عن العربية ، فلقد عارضتُ الشاعر حافظ إبراهيم في رثائه للغة العربية ، بمعلقة تفوق ضعفيْ قصيدة حافظ. وكتبتُ (من وحي اللغة العربية). وكتبتُ رسالتين شعريتين متناقضتين عن لغة العرب: الأولى بعنوان (رسالة مشفق على اللغة العربية) ، والثانية بعنوان (رسالة عدو للغة العربية). وكتبتُ (ليس هذا من اللغة العربية). ولا زلت أدافع عن اللغة العربية ، وعن شعرائها وأدبائها وكتابها ونقادها من المخلصين الأوفياء لها ، وأراني برغم هذا كله لا أزال مقصراً في حق العربية ، وما أديت حقها عليّ! والذي يستعرض أشعاري تلك التي امتدت في عشر من الدواوين الشعرية: (نهاية الطريق – عزيز النفس – القوقعة الدامية - سويعات الغروب - من وحي الذكريات – ترنيمة على جدار الحب – الأمل الفواح - الصعايدة وصلوا - ماسحة الأحذية – ذل الجمال) ، يجدني فعلاً أتبنى قضايا اللغة العربية دفاعاً وذوداً ومنافحة عنها بكل ما أملك. وكلما وجدت متطاولاً على العربية ونائلاً من عِرضها بغير حق ، أعتبر نفسي مسؤولاً عن الدفاع عنها وردع المفتري وقمع الغالي الجافي المتزايد. واليوم أكتب هذه القصيده بعد تأثري بهذا المقال البديع الجميل الذي يسير على ما أسير من توقير العربية ما أمكن. إننا مهما كتبنا عن اللغة العربية ما أظننا وفيناها حقها في أي جيل من الأجيال. ولا ينال من اللغة العربية إلا حاقدٌ سفيه! واللغة تهيب بأهلها أن يكرموها ، فلا تهان من أي منتقص. وكفاها اليوم ما تلقاه من أعدائها أعداء الحق والإسلام. فكيف بأهلها من أهل الديار العربية؟ لماذا هان عليهم اللسانُ العربي المبين الذي هو سِجل حضارتهم وعزهم بكل ما تعنيه الكلمة من معان؟ إنني عبر قصيدتي هذي ، وأنا أتغنى بالعربية وللعربية أبيّن واجبنا نحوها ، وأهيب بكل فذ في كل موقع أن يحافظ معنا على العربية. وأشكرُ لصاحب هذا المقال غيرته وحَميّته العظيمة ، التي إن دلت على شئ فإنما تدل على شهامة وحب العربية وأهلها والمحافظين عليها. إننا يجب أن نقف في وجه التغريب القائم اليوم لنحمي ديننا وعربيتنا. وإنه لمقال طالعته عن اللغة العربية في مجلة منار الإسلام ، وأحسستُ بعد مطالعته بغير أن أهتف معه شعراً على ذات الفكرة الحماسية! فأما نص المقال فهو:- (الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون" ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله. أفصح من نطق بالعربية. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد فيا عباد الله أوصيكم ونفسى بتقوى الله عز وجل ، يقول سبحانه: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقُ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مُسلمون". أيها المؤمنون: اعلموا أن اللغة العربية هي ركن الدين الأصيل ، وأساسه المتين الذي لا نستطيع أن نفهم الدين إلا به ، ولا نستطيع أن ندرك مراد الله تعالى ولا مراد رسوله (صلى الله عليه وسلم) بدونه! بل إننا لا نفهم أحكام القرآن وآدابه ، ولا ندرى عِبر قصصه ، ولا نفرق بين محكمه ومشابهه ، ومفصّله إلا بمعرفة اللغة العربية معرفة تامة. قال تعالى: "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ". فالأمم تحافظ على مجدها وتنشر نور حضارتها باللغة التى تتقنها ، لأن لغتها هى مجدها وهويتها ، وبها تتميز حضارتها. واللغة العربية هي شرف أمة الإسلام وهويتها ، فبها تحافظ على عزها ومجدها. وهي التي تربط ماضينا بحاضرنا

ومستقبلنا. واللغة العربية هي أساس الدين المتين وسراجه المنير! حرص الصحابة رضوان الله عليهم على تعليمها لأولادهم. فهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يكتب إلى أبي موسى الأشعرى (رضي الله عنه) يقول له: "ادرسوا السُنة ، وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن ، فإنه عربي". وهذا علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر وغيرهم (رضي الله عنهم أجمعين) يعلمون العربية ليلتزموا بذلك. وقال أحد العلماء: على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأن محمداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى ، وينطق بالذكر فيما عليه. والعربُ قبل الإسلام كانوا أحرص الناس على حفظ لغتهم. فكانوا يجتمعون في منتدياتهم ونواديهم يقرّضون الشعر. وينتثرون الجميل من الكلام. ويتنافسون في ذلك. سلوا العرب وأسواقهم قبل الإسلام كيف كانوا يجتمعون لينتثروا لغتهم فيحافظوا على هويتهم ومجدهم ، سلوا عكاظ وذا المجاز ومِجَنة ، تلك أسواق العرب شاهدة على فعلهم والحفاظ على لغتهم ، سلوا أصحاب المعلقات السبع ، سلوا زهيراً وطرفة وعنترة ، سلوا امرأ القيس ولبيداً والحارث ، سلوا عمرو بن كلثوم ، سلوا شعراء الإسلام ، سلوا حسان بن ثابت ، سلوا أرباب الكلام ، سلوا الشعراء ، سلوا الناثرين الحديث ، سلوا الأدباء ، سلوا أهل الثقافة والذوق ، سلوا الخبراء ، يُجيبوكم أن الأمر جد والدين قد أمر ، أن اللغة هي الحياة وهي الضياء ودونها يضيع العلم ويندثر. وإذا فعلت الصحابة ذلك حفاظاً على لغة القرآن وطاعة للرحمن واتباعاً لسيد الأنام (صلى الله عليه وسلم) فلا بد من أن نتشبه بهم! فاللغة هي الرابط بين مجدنا الغالي وحاضرنا ومستقبلنا المزهر بإذن الله تعالى. فقد خدم العلماء كتاب الله خدمة عظيمة من فهم وتوضيح وبيان وتعليم وتطبيق ، فمن أراد أن يكون وريثاً مطيعاً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مُرْضياً لربه خادماً لمجتمعه ، فليحافظ على هذه اللغة وليتعلمها ، وليعلمها أبناءه وذويه اقتداء بالخلفاء الراشدين ، وقد قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): (عليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسّكوا بها وعَضّوا عليها بالنواجد). أيها المسلمون: لا يحسبن أحد أن اللغة تضيق عن وصف ما جد من اختراعات واكتشافات وغيرها ، إنما لغتنا وصفت وتصف وسمّت وتسمّي كل ما يحتاج إليه الإنسان لحياته ، فقد جعلها الله تعالى غنية ثرية بمفرادتها ، جزلة العبارات ، سهلة الكلمات ، جامحة للمعاني ، كثيرة المفردات ، عذبة جمالها من جمال القرآن الكريم ، سهولتها من سهولة حديث سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم) ، صفاؤها من صفاء العربي ، رونقها من رونق الذهب الخالص ، نورها من نور الحق الذى جعلها لغة كلامه وآياته! ويكفي العربية فخراً وشرفاً تحديها الخصوم وبقاؤها على كر الدهور وتعاقب العصور بهذا الثبات الجميل المتوازن! وكأني بها تقول لخصومها من أبناء جلدتها ومن أعدائها أنها على العهد باقية! ولقد تخيلها حافظ إبراهيم تقول عن نفسها:

وسِعتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً ... وما ضِقتُ عن آي به وعِظاتِ

فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلةٍ ... وتنسيق أسماءٍ لمخترعات؟

أنا البحرُ في أحشائه الدرّ كامنٌ ... فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي؟

فإذا كانت اللغة العربية هي ركن الدين الأصيل وأساسه المتين (طبعاً بعد التوحيد) ، وإذا كانت اللغة العربية هي مجدنا وعزنا ، وهي الرابط بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وإذا كانت هي التي لا نستطيع فهم الدين ، ولن نستطيع أن ندرك مراد ربنا إلا بها ، فعلينا أن نحافظ عليها بأن نقرأ القرآن ونحفظه في البيوت والمدارس والمساجد ، وأن نعلمها الصغار في مهدهم ومدارسهم ، وأن نتكلم بها في نوادينا وأسواقنا ومدارسنا وجامعاتنا وبيوتنا ، وأن نجعلها في قلوبنا وعيوننا ، وأن نكتب بها المقالات والخطابات ، وأن ننشر الوعي الصحيح بسهولة اللغة وجمالها ، وأن نستخدم وسائل الإعلام في بيان التعريف بلغتنا الجميلة ، وأن نربط هويتنا بلغتنا ، وأن نقيم المسابقات وأسواق الشعر ومنتديات الأدب. ندائي إلى أصحاب الأقلام والفكر والثقافة ، ورجائي إلى أرباب اللغة وشعرائها وناثريها وأدباء الأمة ومعلميها ، أن حافظوا على عزكم ومجدكم).هـ. يقول الأستاذ زيد الرُمّاني في غيرته على العربية ما نصه: (إنّ اللغة العربية ذات أهمية قصوى فهي لغة القرآن! وهي أكثر لغات المجموعة السامية متحدثين ، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم ، يتحدثها أكثر من 422 مليون نسمة. ولقد أثرّ انتشار الإسلام ، وتأسيسه دولاً ، في ارتفاع مكانة اللغة العربية ، وأصبحت لغة السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون ، وأثرت العربية تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي. واللغة العربية من أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية ، فعلى سبيل المثال ، يحوي معجم "لسان العرب" لابن منظور أكثر من 80 ألف مادة. إن اللغة العربية أداة التعارف بين ملايين البشر المنتشرين في آفاق الأرض ، وهي ثابتة في أصولها وجذورها ، متجددة بفضل ميزاتها وخصائصها. إن اللغة من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها ، وهي الأداة التي سجلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا ، وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها ، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل ، إنها تمثل خصائص الأمة. وأورد هنا بعض الأقوال في أهمية اللغة العربية ، يقول الفرنسي إرنست رينان: "اللغة العربية بدأت على غاية الكمال ، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة" ، ويقول الألماني فريتاغ: "اللغة العربية أغنى لغات العالم" ، ويقول وليم ورك: "إن للعربية ليناً ومرونة يُمكّنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر". ولقد ظلت اللغة العربية لغة العلم العالمي لأكثر من عشرة قرون. لكن الكارثة التي تعيشها لغة القرآن الكريم اليوم ، والتي جعلت التدريس للعلوم الطبيعية وتقنياتها وأحياناً العلوم الإنسانية والاجتماعية - يتم باللغات الأجنبية - والتي جعلت العربية غريبة في بلادها. إن الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها والعمل على انتشارها والتمكين لها في أوساط المجتمعات العربية ولدى الجاليات العربية الإسلامية في بلاد المهجر ، ليس عملاً تعليمياً تربوياً ، أو نشاطاً ثقافياً أدبياً! أو وظيفة من وظائف وزارات التربية والتعليم والمؤسسات والهيئات والمنظمات المختصة فحسب! ولكنه عمل من صميم الدفاع عن مقومات الشخصية العربية ، والذود عن مكونات الكيان العربي الإسلامي ، وعن خصوصيات المجتمعات العربية الإسلامية ، وعن الركيزة الأولى للثقافة العربية وللحضارة العربية الإسلامية. عملٌ بهذا المستوى وبهذا القدر من الأهمية ، يدخل ضمن خطة بناء المستقبل ورسم معالمه. فاللغة العربية ركن أساسي من أركان الأمن الثقافي والحضاري والفكري للأمة العربية الإسلامية في حاضرها وفي مستقبلها ، واللغة العربية هي القاعدة المتينة

للسيادة الوطنية والقومية والإسلامية ، وهي ليست لساناً فحسب ، ولكنها عنوان لهذه السيادة التي تحرص عليها كل دولة من دول المجموعة العربية الإسلامية. ولذلك ، وباعتبار أن اللغة العربية قضية استراتيجية في المقام الأول ، تمسّ الأمن الثقافي والحضاري للأمة ، فإن المسألة في عمقها وجوهرها تتطلب يقظة أشملُ وأعمقُ ، وحركة أكبر وأنشط ، وعملاً أكثر جدية وفعالية ، واستنفاراً للطاقات الحية وحشداً للجهود المخلصة ، في إطار من التنسيق والتكامل والتعاون ، والعمل العربي المشترك على مستوى المنظمات والمؤسسات والجامعات والهيئات المختصة. ونعتقد أن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تتحملان صدقاً مسؤولياتٍ مهمة في هذا المجال ، وهما تعملان في إطار اختصاصاتهما ، من أجل توسيع نطاق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، خاصة في البلاد الأفريقية والإسلامية وفي أوساط الجاليات العربية الإسلامية في بلاد المهجر. وتنفذ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالخصوص ، برامج وأنشطة متعددة تدعم حضور اللغة العربية في مستويات التعليم العربي الإسلامي في العالم الإسلامي. ولئن كان العمل الذي تنهض به المنظمتان الإسلامية والعربية في مجال خدمة اللغة العربية ، يستجيب لبعض متطلبات الحفاظ على لغة الضاد وحمايتها وتوسيع رقعة انتشارها ، فإن دور الوزارات المعنية والجامعات والمنظمات والمؤسسات والهيئات والجمعيات المتخصصة ، ينبغي أن يتكامل في هذا الميدان ، وينسق ويدعم الدعم المادي والأدبي المطلوب لإحداث نهضة لغوية شاملة تسترجع فيها اللغة العربية وظيفتها الحيوية في الحياة العامة ، بحيث تكون اللغة ذات السيادة الكاملة غير المنقوصة).هـ. هذا ، ويقول الدكتور محمد موسى جبارة (الحاصل على الدكتوراه في اللغة العربية - جامعة الأزهر) وتحت عنوان: (اللغة العربية مشكلات وحلول) ما نصه: (تواجه اللغة العربية في عصرنا هذا عدّة مشكلات ، ولولا أنها لغة التنزيل الذي تكفل الله - عز وجل – بحفظه ، لكانت مشكلة واحدة فقط من هذه المشكلات كفيلة بالقضاء المُبْرم على هذه اللغة الشريفة. هذه المشكلات نراها - وللأسف - تتضخم يومًا بعد يوم ، دون أن نجد خطوة عملية من أهل هذه اللغة نحو القضاء عليها ، أو حتى العمل على الحدّ من خطورتها ، بل قد أكون غير مبالغ إن قلت: إننا - نحن العرب - نعمل في كثير من الأحيان - ونحن نشعر أوْ لا نشعر - على ترسيخ هذه المشكلات ، وذلك بإهمالنا لها في: خُطَبِنا ، وندواتنا ، وحواراتنا ، وإعلامنا ، ومدارسنا ، وجامعاتنا ، بل في مناقشة رسائلنا العلمية المختصة باللغة العربية. إن حالنا مع اللغة العربية حال تدعو إلى الأسى ، لأننا بإهمالنا لغتنا نهمل- في الحقيقة- أنفسنا وحضارتنا ، وتاريخنا ومجدنا ، وتراثنا ، إننا نعمل على ذوبان أنفسنا في غيرنا ، الذي يسعى جاهدًا لتحقيق ذلك ؛ لذا جاءتنا صيحات منه تدعو مرة إلى الحداثة ، وأخرى إلى العولمة ، وما ذلك إلا للقضاء على هويتنا! فهل تفيق أمتنا من هذا السُّبات العميق؟ إن اللغة العربية عامل أساسي من عوامل الحفاظ على كياننا ، لذا وجب علينا الحفاظ عليها ، والاهتمام بها فهي لغة القرآن الكريم ، من هذه المشكلات: مزاحمة العامية للغة الفصحى في كثير من الميادين ، التي ينبغي أن تكون للفصحى دون غيرها ، مثل: أ- قاعات الدرس وما شابهها: حيث تزاحم العاميةُ اللغةَ العربيةَ الفصحى في معقل من أهم معاقلها! إذ إنها تزاحمها وتحاصرها في قاعات الدرس داخل المدرسة والجامعة ، فنجد تدريس العلوم المختلفة ومنها: اللغة العربية ، يتم بالعامية ، وهذا يحمل في طياته اتهامًا للفصحى بعدم صلاحيتها للتدريس ، بل لتدريس الفصحى ، شعرًا ونثرًا وقواعد ، وإن هذا لمن أشد

الأمور خطرًا على هذه اللغة ؛ إذْ تُهَان على يد مَنْ يُفترض فيهم إعلاء شأنها ، وإعادة مجدها ، والذوْد عن حياضها. إن طلاب المدارس والجامعات لا يعرفون الفصحى إلا مكتوبة فقط ، أما العامية - التي تحاصرهم في كل مكان - فتقرع آذانهم داخل الفصول والقاعات ، ثم بعد ذلك نرجو للغة الفصحى بقاء! وننعي طلابها ، وننعتهم بضعف المستوى! بل إن مما يؤسف له أن تُستخدم العامية في مناقشة الرسائل العلمية التي تُعنى باللغة العربية الفصحى وآدابها ، فكثير من هذه المناقشات - إن لم تكن جميعها - تختلط فيها العامية بالفصحى ، مما يذهب برونق الفصحى وجمالها. ويضاف إلى كل ما سبق المحاضرات العامة ، والندوات ، والخطب ، كل ذلك وما شابهه نجد العامية مسيطرة عليه ، عدا قلّة قليلة ما زالت – بفضل الله – متمسكة بالفصحى. فهل هانت علينا لغتنا إلى هذا الحدّ؟ إن الفصحى المنطوقة لم يَعُدْ لها وجود في المدارس ، ولا في الجامعات ، ولا في الندوات العلمية ، وهذا نذير خطرٍ ، لأن ضياع اللغة يعني ضياع أهلها ، وطمس هويتهم.
ب- وسائل الإعلام المختلفة: فالناظر إلى الإعلام العربي بوسائله المسموعة والمرئية ، الأرضية والفضائية ، يجد أن اللغة التي يستخدمها هي العامية ، ولا يستخدم الفصحى إلا في نشرات الأخبار. أما البرامج ، والمسلسلات ، والأفلام ، والمسرحيات ، والتعليق على المباريات ، وغير ذلك فالعاميات هي المستخدمة ، إذ يستخدم كل قُطر عاميته فيما ينتج من برامج وأفلام... إلخ. ج- الإعلانات التجارية: حيث يعمد أصحاب المصانع والشركات ، والمحلات التجارية إلى الإعلان عن بضائعهم في الصحف والمجلات ، والإذاعة والتليفزيون ، كما يكتبون لافتات ويعلقونها في الأماكن المزدحمة ، ويعمدون – كذلك – إلى طباعة أوراق وتوزيعها على جمهور الناس ، يفعلون ذلك كله كي تروج بضائعهم. وعندما ننظر إلى هذه الوسائل نجد أن العامية تختلط فيها بالفصحى اختلاطًا مشينًا ، ولكي نكون جادّين في العمل على انتشار الفصحى وانحسار العاميات ، علينا أن نُبدي اهتمامًا كبيرًا بالفصحى في عدّة ميادين منها: أ- البيت: فنهتم بها في بيوتنا ، نحببها إلى أبنائنا ، ونعلمهم إياها ، فالبيت هو البيئة الأولى التي تولد فيها لغة الطفل. ب- المدْرَسة والجامعة – فلهما أهمية كبرى في نشر الفصحى وحلولها محل العاميات ، ويكون ذلك باختيار المنهج الملائم ، حيث تعتمد العملية التعليمية في المدارس على اختيار موضوعات في علوم مختلفة ، والأصل فيها أن تكون مناسبة للمستوى الذي اختيرت له ، وبالنظر في حال اللغة العربية ، وما آلت إليه من ضعف نجد أن «كثيرًا من أسباب القصور الحاصل في تعليم اللغة العربية لأبنائنا ، يرتبط بالمنهج إلى حدٍّ كبير». كما أن طريقة التدريس لها دور كبير في تفاقم المشكلة اللغوية أو علاجها ، فتقديم المادة العلمية في قالب عاميّ ، له أثر كبير في القضاء على الفصحى ، وتقديم العامية بديلاً لها ، وفي ذلك اتهام للفصحى بالعجز عن توصيل المفاهيم ، وتزداد خطورة هذا الاتهام إذا كانت المادة العلمية المقدمة للطلاب هي اللغة العربية شعرًا ونثرًا. وأرى - من الواجب - أن يتوجه هذا الاتهام إلى هؤلاء المستمسكين بالعامية داخل الفصل الدراسي ، فهم الذين يعجزون عن استعمال الفصحى في توصيل ما يريدون ، أو شرح ما هم بصدده من شعر أو نثر. وقد يقول قائل: إن هذا يحدث داخل الفصول مراعاة لحال الطلاب ، وأقول: إن هذه حجة واهية ، فالطلاب الذين يدخلون كلية الطب - مثلاً - تلقي عليهم المحاضرات من أول يوم باللغة الإنجليزية ، ومعظمهم لا يؤهله مستواه فيها لفهم كل ما يسمعه ، ولكنه يعمل على رفع مستواه ، وشيئًا فشيئًا نجده يفهم ما يسمع. مع أننا في حالة التحدث بالفصحى أمام الطلاب ، سنخاطبهم بلغتهم الأمّ ، فالأمر أيسر كثيرًا ، وحتى لو وجدنا

منهم صعوبة في الفهم ، ستكون مؤقتة سرعان ما تزول ، بإذن الله تبارك وتعالى ، المهمّ أن نبدأ ، دون تباطؤ أو تكاسل. وأمر آخر يجب التنبيه إليه في طريقة التدريس ، وهو التخلي عن طريقة التلقين ، فهي طريقة تعتمد على طرف يُلْقِي ، أما الآخر فلا يفعل سوى أن يتلقى ، وبهذا يفقد الطالب التفاعل مع لغته. ج- وسائل الإعلام: فمن المعلوم أنه لا يستطيع الإعلام أن يساهم في حلّ المشكلة اللغوية ، إلا إذا كان قدوة يُحتذى بها ، في الالتزام بالفصحى ، والدعوة إلى التزامها نطقًا وكتابة ، وبيان أهميتها في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية ، بل الكفّ عن تشويه صورة مُعَلِّميها ، والحطّ من شأنها. لقد انتشرت القنوات الفضائية انتشارًا واسعًا ، وبالتالي لم تعد الرسالة الإعلامية موجهة إلى بلدٍ دون بلد ، وأصبح من الضروري أن يلتفت القائمون على أمر هذه القنوات إلى الوسيلة الفاعلة في توصيل رسالتهم إلى جميع الناطقين باللغة العربية ، وحينئذ لن يجدوا أفضل من الفصحى وعاءً لحمل هذه الرسالة وتوصيلها ، دون أن يغيب عن هذا أو ذاك معنى كلمة من الكلمات ، بخلاف العاميات والرطانات التي لا يعرفها إلا أهلها المتحدثون بها ، ولو فعل هؤلاء ذلك لاستفادوا توصيل رسالتهم ، ولاستفادت اللغة العربية ذيوعًا وانتشارًا ، وأهلها عزّة وفخارًا. أما ما نراه الآن من طغيان العامية ، بل العاميات على هذه القنوات فهو أمر محزن حقًّا ، إذ يهدر قيمة اللغة بين أبنائها ، ويهدد الهدف الذي من شأنه أُعدّ هذا البرنامج أو ذاك ، لأنه عندما يذاع بعامية بلدٍ ما ، فإن أهل البلدان الأخرى لا يستطيعون إدراك كثير من الكلمات التي يسمعونها. ورغم كثرة القنوات الناطقة باللغة العربية فضائيةً وأرضيّةً ، وتنوع اهتماماتها ، فإننا - للأسف - لا نجد منها- حسب علمي - إلا قناة واحدة تلتزم الفصحى في كل ما تبثه هي Space Toon ، وهذا دليل قويّ على أهمية السماع في تكوين الملكة اللغوية وتنميتها ، كما أنه دليل قوي على أهمية وسائل الإعلام المرئي - خصوصًا - في علاج المشكلة اللغوية ، والارتقاء بالفصحى. ومن المشكلات التي تواجهها لغتنا الفصحى - كذلك - مزاحمة اللغات الأجنبية لها ، حيث تزاحم اللغاتُ الأجنبيةُ اللغةَ العربيةَ في عدة ميادين ، والسبب القويّ في ذلك - حسبما أرى - يكمن في تخلفنا حاليًا في الجانب الماديّ من الحضارة ، ومن هذه الميادين: أ- الحوار اليومي بين المثقفين. ب- الإعلانات التجارية. ج - التدريس في كليات الطب والصيدلة وما شابهها. د- مواقع بعض الجامعات على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت). هـ- في المناهج الدراسية حيث نجد اهتمامًا ملحوظًا - في العالم العربي - بتعليم اللغات الأجنبية وتعلمها - خصوصًا الإنجليزية - ويتم ذلك بداية من مرحلة رياض الأطفال ، وأؤكد - هنا – أنني لست ضدّ تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها ، بل إن ذلك يصل في بعض الأحيان إلى درجة الضرورة ، أو الفرض الكفائيّ ، ولكن المؤسف أن يكون ذلك قبل نضج التلاميذ وتمكنهم من لغتهم الأصلية. وإذا كانت اللغات الأجنبية تزاحم اللغة العربية ، في عدة ميادين - كما سبق - فإن علاجها يكون من عدّة نواح منها: أولاً: العمل على غرس الاعتزاز باللغة العربية الفصحى في نفوس أبنائها ، والانتماء لها ، كيلا تُفْقد في الحوار الحيّ والاستعمال اليومي وتحلّ محلَّها لغةٌ أجنبية ، أو تختلط بها اختلاطًا مشينًا على ألسنة الناطقين ، وأرى أن يتم غرس هذا الاعتزاز في النفوس عن طريق أمور عديدة منها: أ- بيان الارتباط الوثيق بين الحفاظ على اللغة العربية الفصحى ، وبين القرآن الكريم والسنة النبوية ، من حيث إنها وعاءٌ لهما ، فضياعها والقضاء عليها ، يهدف إلى القضاء على القرآن الكريم ، وذلك لن يكون بإذن الله - عز وجل - لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). ب- تعريف الجمهور العربيّ بالجهود العظيمة

المباركة التي قام بها علماؤنا القدامى ، من أجل الحفاظ على الفصحى ، ونزولهم البوادي لجمع اللغة ، وتحمّلهم في سبيل ذلك المشاق والمصاعب والآلام ، وأنه يجب علينا أن لا نكون أقلّ منهم غيرة على الفصحى ، لغة القرآن الكريم. ج- قيام الأدوات الفاعلة بواجبها في توعية الجمهور العربي ، بالمكائد التي يُراد منها ضياع اللغة العربية ، وفقدان الشخصية العربية الأصيلة ، وأهم هذه الأدوات وسائل الإعلام ، لما لها من تأثير كبير في التوجيه والإرشاد. د- نشر الوعي بالآثار الحميدة التي تترتب على الالتزام باللغة العربية الفصحى ، من التفاهم بين أبناء الوطن العربي ، مما يؤدي إلى الوحدة المنشودة ، وعدم الذوبان في الثقافات الوافدة. هـ- نهوض مَنْ هم في موقع المسئولية بالواجب الذي يُحتّم عليهم أن يكونوا قدوة صالحة في غرس الاعتزاز بالفصحى. ثانيًا: إعادة النظر في فرض تعليم اللغات الأجنبية منذ وقت مبكر ، فإذا كانت لتعليم اللغات الأجنبية فوائدُ عظيمة ، فإن هذا يجب أن يبدأ بعد أخْذِ الطالب جرعة كافية - إلى حدٍّ ما - من لغته الأصلية. ثالثًا: تشريع القوانين اللازمة أو تفعليها في حال وجودها ، لمنع استعمال اللغات الأجنبية في الإعلانات التجارية وأسماء الشركات والمصانع والمحلات التجارية والمنتجات.. الخ. ولقد أدركتْ فرنسا خطورة هجمة اللغة الإنجليزية التي أوصلتها الأقمار الصناعية إلى بيوت الفرنسيين ، حتى نجح الإبهار الأمريكي في جذب عدد كبير من المشاهدين ، واختراق ألسنتهم ، مما دفع حرّاس المشروع الفرنسي في مايو 1994م لتشريع قانون أُطلق عليه اسم «لزوم الفرنسية» يمنع أيّ مواطن فرنسيّ من استخدام غير الفرنسية طالما أن هناك ألفاظًا أو عبارات مماثلة ، تؤدي ذات المعنى في الفرنسية ، والمجالات التي يسري عليها الحظر هي: كافة الوثائق والمستندات ، والإعلانات المسموعة والمرئية ، وكافة مكاتبات الشركات العاملة على الأرض الفرنسية ، وبوجهٍ خاصّ المحلات التجارية ، والأفلام الدعائية ، التي تُبثّ عبر الإذاعة والتليفزيون ، بل إن القانون اشترط على الجهات المحلية والحكومية أن لا تمول سوى المؤتمرات والندوات التي تكون الفرنسية لغتها الأساسية ، كما تم منع نشر أعمال تلك المؤتمرات والأبحاث التي قدمها أجانب بلغتهم الأصلية ، ما لم تكن مصحوبة بملخص مكتوب بالفرنسية ، وأوصى القانون بعقوبة المخالف بالسجن أو الغرامة المالية ، التي تصل إلى ما يعادل ألفيْ دولار ، وذلك كله محاولة لاستنقاذ التراث الفرنسي المهدد بالإغراق اللغوي. وما أحوجنا إلى مثل هذا القانون! شريطة أن يُطبق ويُعمل به ، ليردع المخالفين ويردّ للغة العربية كيانها وعزتها ، التي كادت تفقدها بين أهلها. رابعًا: العمل على تكوين قاعدة علمية في الوطن العربي ، تكون نقطة الانطلاق للمشاركة في التقدم التقنيّ ، ليكون العالم العربي مشاركًا في صنع التكنولوجيا ، لا مجرد مستهلك لها اسْمًا ومُسَمًّى. خامسًا: تعريب التعليم الجامعي! أي تدريس العلوم الطبيعية باللغة العربية. سادسًا: مواكبة التقدم العلمي بوضع مصطلحات علمية موحدّة ، مع ضرورة نشرها على الجمهور العربي عمومًا ، وعلى المختصين بالعلوم الطبيعية درسًا وتدريسًا على وجه الخصوص ، وذلك بالوسائل المختلفة ، لئلا تظل حبيسة الأدراج أو بطون المعاجم).هـ) جزا الله خيراً أساتذتنا الكرام على هذه الغيرة وهذا الطرح!)

بالضـــاد يفخـــرُ علـــمُ النـــاس والأدبُ والضـــادُ يُكْبرهـــا الأعجـــامُ والعـــرَبُ

ألفاظهـــا بلغـــتْ شـــأواً ومنزلـــة وصـــار بعـــدُ لهـــا - بـــين اللغـــا - رُتـــب

أنغامُهـــا تأسِـــرُ الأســـماعَ فـــي ولـــهٍ ... وســلْ عــن الجــرْس مَــن - لوقعِــه - طربــوا

إيحاؤهـــا بالمعـــاني غيـــرُ مـــنعجم ... وبالصـــدى يشـــهدُ الأشـــهادُ والغيُـــب

وعـــن تراكيبهـــا حـــدّثْ ، ولا حـــرجٌ ... هـــي اللآلـــئُ - فـــي الأصـــدافِ - تُحتجـــب

وعـــن شـــواردها كالغيـــث منهمـــراً ... سُـــقيا مراتعنـــا فاضـــت بـــه السُّـــحب

وعـــن محاســـنها كـــم دَوّنـــتْ قمـــمٌ! ... وعـــن أصـــالتها كـــم ألفـــتْ كُتـــب!

وعـــن مناقبهـــا كـــم قيـــل مـــن زُبـــدٍ! ... كأنهـــا المـــاسُ - فـــي التقيـــيم - والـــذهب!

وعـــن فرائـــدها العصـــماء كـــم نقشـــتْ ... أيـــدي النحـــارير مَـــن جـــاءوا ومَـــن ذهبـــوا!

بالضـــاد أنـــزل ربُ النـــاس شِـــرعته! ... إن القـــرآن - بضـــاد العُـــرْب - يختضـــب

كـــذاك سُـــنة خيـــر النـــاس قاطبـــة ... بالضـــاد قـــد نزلـــت تزفهـــا القُشُـــب

والضـــادُ صـــامدة فـــي كـــل معتـــركٍ ... بهـــا تُرصّـــعُ - فـــوق المنبـــر - الخُطـــب

وســـوف تـــدحَرُ أعـــداءً بهـــا مكـــروا ... وســـوف تُرْجـــع مـــا أعـــداؤها غصـــبوا

بَغـــوْا عليهـــا ، ونـــالوا مِـــن كرامتهـــا ... والبغـــي - دومـــاً علـــى البـــاغين - ينقلـــب

تعقبـــوا أهلهـــا فـــي عُقـــر دارهـــمُ ... ونحـــن نســـألهم يـــا قـــوم مـــا الســـبب؟

لـــمَ التطـــاولُ فـــي ســـر وفـــي علـــن ... ولـــيس يـــؤذى بـــه الأعـــلام والنّخـــب؟

لـــم التعـــدّى ضُـــحىً علـــى ثوابتنـــا؟ ... ألـــيس عنـــدكمُ رُشـــدٌ ولا لبـــب؟

لـــم الهجـــوم علـــى الفُصـــحى علانيـــة ... وإنهـــا - لِلأنـــام - المَعقـــلُ الأشـــبُ؟

لـــمَ التنصّـــل منهـــا رغـــم حاجتنـــا ... دومـــاً إليهـــا؟ أمَـــا لنـــا بهـــا نَسَـــب؟

ولســـتُ أدري لمـــاذا يســـتهين بهـــا ... أهـــلُ الحداثـــة مَـــن عـــن خيرهـــا حُجبـــوا؟

كـــلٌّ يكيـــل لهـــا الأحقـــادَ لاهبـــةً ... واللهُ مُـــوهنُ مـــا قـــالوا ومـــا كتبـــوا

ويُوقـــدون لظـــى التغريـــب يلفحُهـــا ... حتـــى غـــدتْ - فـــي ديـــار - العُـــرْب تغتـــرب

ويبـــذلون قصـــارى الجهـــد تشـــفية وجـــيشُ بـــاطِلِهم - فـــي حربهـــا - لجـــب

ويُخربـــــون تراثـــــاً زاخـــــراً عبقـــــاً كـــأنهم - لِـــدُنا الأعـــراب - مـــا انتســـبوا

ويَخرجـــــون بأفكـــــار مُعلمنـــــةٍ بباطـــــل الغـــــرب والضُّـــــلال تعتصـــــب

وإن واجبنـــــا أن نســـــتعدّ لهـــــم كـــيلا يكـــون لهـــم - فـــي حربنـــا - الغلـــب

وأن نُلقـــــنهم درسَ الإبـــــاء ، فـــــلا نبيـــتُ نخشـــى الـــذي شـــادوا ، ونضـــطرب

وأن نُفنـــد مـــا صـــاغوه مـــن شُـــبهٍ إذ إن تفنيـــدَ مـــا قـــد أصّـــلوا يجـــب

وأن نجـــدّ ، فـــلا يصُـــدّنا كســـلٌ إنّ الأعـــاديَ مـــا كَلـــوا ، ومـــا نصـــبوا

وأن نُـــدافع عـــن ضـــاد تهيـــبُ بنـــا أن نســـتكين لمـــن جمالهـــا اغتصـــبوا

وأن نقـــيم - لضـــاد العُـــرب - أروقـــة كـــي تستضـــيف الألـــى مـــن أجلهـــا غضـــبوا

وأن نـــروّج للضـــاد التـــي هُجـــرتْ وأصـــبحتْ - فـــي بقـــاع الأرض - تُجتنـــب

وأن نعاقـــب مَـــن يجتـــاحُ بيضـــتها ومَـــن بحُرمتهـــا - بـــين الـــورى - لعبـــوا

وأن نقلـــــدها أســـــمى مكانتهـــــا إن كـــــان عالمُنـــــا - للضـــــاد - ينتســـــب

فالضـــادُ أغلـــى مـــن الأمـــوال نجمعُهـــا ولـــــيس يَعـــــدِلها أرضٌ ولا نشـــــب

والضـــادُ تـــاجٌ - علـــى رؤوســـنا - ألـــقٌ ولا تباريـــــــه أطيـــــــانٌ ولا حِسَـــــــب

والضـــاد فخـــرٌ لمـــن يريـــد مفخـــرة بهـــا كـــم افتخـــر الفطاحـــل النّجـــب!

والضـــاد عِـــز لمـــن يـــأوي لعزتـــه والأرضُ شـــاهدةٌ ، والـــدارُ والحِقـــب

مـــدى الزمـــان لســـانُ الضـــاد يكلأنـــا! أمٌّ رؤوم تربّـــــــي ، أو أبٌ حَـــــــدِب!

يـــا ضـــادُ تفـــديك منـــا أنفـــسٌ عزمـــتْ علـــى التصـــدّي لمـــن خيراتِـــك انتهبـــوا

ثمن المروءة

(ذات يوم ضننتُ على ولدي (عمر الفاروق) بشيءٍ ما طلبه مني. فقال لي: لماذا أبَيت كذا؟ ألست أنت القائل: (تجمّلْ بالعطاء تعش كريماً * * وتلقى السعد في دنيا البرايا) ، وهو بيت من أبيات القصيدة التي اغتصبتْ (نسيم الشوق)! فحاجّني ولدي ، وعزني في الخطاب. وما استطعتُ ساعتها إلا أن أطيعه فيما طلب. حيث خشيتُ أن يكون لي نصيب من الآية: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون!). قيل لسفيان بن عيينة رحمه الله: "قد استنبطت من القرآن كل شيء فأين المروءة في القرآن؟" فقال: (في قول الله تعالى: "خذ العفو وأمُرْ بالعُرف وأعرض عن الجاهلين" ، ففيه المرءوة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق ، إذ جمع في قوله "خذ العفو" صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين ، وفي قوله "وأمر بالعُرف" صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام ، وفي قوله تعالى: "وأعرض عن الجاهلين" الحض على التخلق بالحِلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة وغير ذلك من الأفعال الحميدة والأخلاق الرشيدة).هـ. وعموماً للمروءة ثمن.)

أهـــلُ المـــروءة يـــا بُنـــيّ كِـــرامُ ... وصُـــوى التفضّـــل لـــيس فيـــه سَـــوامُ

والشـــحّ يُـــزري بـــالخلائق مثلمـــا ... يُـــزري - بصِـــيد العـــالمين - الـــذام

والجـــودُ يرفـــعُ - فـــي الـــورى - أربابَـــه ... إن الجَـــوَادَ هـــو الفتـــى المِقـــدام

ثمـــنُ المـــروءة يـــا بُنـــيّ مُكلِـــفٌ ... وذوو المـــروءة - فـــي الأنـــام - عِظـــام

وأبـــوك لـــم يبخـــلْ ، وإنـــكَ شـــاهدٌ ... يـــأبى عليـــه الطبْـــعُ والإســـلام

وجميـــعُ مَـــن هـــو خصّـــهم بعطائـــه ... نكِـــروا الجميـــل ، وبالمكائـــد قـــاموا

وأهـــينَ مِعطـــاءٌ ، وأكـــرمَ مُمســـكٌ ... وجـــراحُ هـــذا الظلـــم لا تلتـــام

وجـــدُوا تكـــاليفَ المـــروءة جمّـــة ... فاســـتمرأوا الخـــذلانَ وهْـــو حـــرام

واســـتعذبوا هـــدمَ الإخـــاء تشـــفياً ... والظلـــمُ داءٌ - فـــي الأنـــام - عُقـــام

وأبـــوك عـــانى مِـــن شـــناعة مكـــرهم ... وأتـــتْ عليـــه - مـــن العُتـــاة - سِـــهام

والعُـــذرُ بعـــضُ جمـــيلهم وعطـــائهم ... وأبـــوك - فـــي حـــرب العُتـــاة - هُمـــام

مهمـــا تكلفـــه المـــروءة لـــم يـــزل ... فـــي كفـــه الـــدينارُ والصمصـــام

نِعمة الحياء

(ما من فتاةٍ أو امرأةٍ تعتاد الحديث مع الرجال من غير ضرورة ، إلا وهي فاقدة لنعمة الحياء. والحياءُ في ديننا من الإيمان. ولزومُ الحياء والأدب والأخلاق وصدق العلاقة بالله وحفظ الأسرار والأعراض قيمٌ إسلامية أصيلة. وصيانة العِرض والبعد عن مواطن الريب والشكوك والسخرية والغيرة على الدين والمحارم والعفة في النفس وحماية النفس من الشهوات والشبهات ، كلها عواصمُ من الزلل وحوائط صدٍ من الوقوع في الرذائل والموبقات! ولقد أنشدتُ هذي القصيدة عندما وجدتُ فتاة تدعى آمنة ، رأيتها من هذا النوع ، حيث تبسطتْ في حديثها مع الرجال رغم حجابها ، والرجال راحوا يطمعون في الحديث معها. فأخذتني الغيرة عليها ، وكانت هذه القصيدة ترجمة حية لتلك الغيرة! لئلا أكون منكوت القلب ، لا أغار على أعراض المسلمات بنص الحديث!)

أعيـــــذكِ بـــــالله يـــــا آمنـــــة ... أقلـــــي مِـــــن النبـــــرة الفاتنـــــة

وبـــــالقول لا تخضـــــعي لحظـــــة ... فتفتـــــتنُ الأنفـــــسُ الماجنـــــة

فرِقـــــة صـــــوتكِ تزْكِـــــي الهـــــوى ... وتبـــــدي بواعثـــــه الكامنـــــة

ويعشـــــقُ بعـــــضُ الرجـــــال الصـــــدى ... مِـــــن الغـــــادة الغضـــــة الحاســـــنة

ويُغـــــري حـــــديثك أوغـــــادَهم ... ويلعـــــب بـــــالهمم الآســـــنة

رأيـــــتُ الحيـــــاءُ يَـــــزينُ النســـــا ... وتُحتـــــرَمُ المـــــرأة الســـــاكنة

ويُـــــزري الكـــــلامُ بمَـــــن ترتضـــــي ... حـــــديثاً يلـــــي الأنفـــــسَ الخائنـــــة

وإمّـــــا اضـــــطررتِ فـــــلا تكثـــــري ... حـــــديثاً عواقبُـــــه شـــــائنة

نصـــــحتك فاستمســـــكي بالحيـــــا ... وكـــــوني لمَـــــا قلتِـــــه صـــــائنة

ولا تهزلـــــي قـــــط أو تســـــمُري ... فمـــــا أنـــــتِ بـــــالمرأة الماهنـــــة

وعِيشـــــي الحييـــــة فـــــي عـــــالم ... تـــــداعتْ مصـــــائبُه الطاحنـــــة

حيـــــاؤكِ - بـــــين الـــــورى - نِعمـــــة ... تـــــدلُ بهـــــا الغـــــادة الحاصـــــنة

أراكِ - لكـــــل النســـــا - قـــــدوة ... بأزمتنـــــا الفجّـــــة الراهنـــــة

وإن حيـــــاءك أســـــمى صـــــوىً ... فصـــــوني حيـــــاءكِ يـــــا آمنـــــة

حتى متى؟!

(دخلتُ إحدى المكتبات أبحث عن كتاب جديد أشتريه إن أنا قدرتُ على ثمنه ، أو أتصفحُه إن أعجزني ضيقُ ذات اليد عن شرائه. فلمّا تصفحتُ عناوين الكتب والإصدارات صُدِمتُ ، وكِدت أن أصعق عَلم الله. وأوشكتُ على الانهيار حُزناً وكَمَداً على الإسلام. ماذا دهى أهله وعلماءه؟ حيث إنني وجدت العناوين عبارة عن مجموعة من التطاولات والتجاوزات والسباب والشتائم ، ناهيك عن المحتوى الذي كله تكفير زيدٍ من العلماء لعمْر. أو بالأحرى تفسيقه أو تبديعه أو إخراجه من ملة المسلمين. وحسبك من كتاب عنوانٌ قد سُطر على غلافه يُخبرك عن كل الذي احتواه الكتاب. إنني أسأل: حتى متى ولمصلحة من؟ وما هي الفائدة الراجحة من ذلك كله؟ إن قيل بيان الحق ، أقول: ألا يمكن أن نبين الحق دون تكفير أو تفسيق أو رمي الآخرين واتهام نواياهم؟ ومنهم أقوام والله أعلم ربما قد حط أحدهم رحله في الجنة منذ مئات السنين ، وتلقتِ الأمة علمه بالقبول. وقديماً كان يُظن أن العلماء لا يخطئون فقيل: (لحوم العلماء مسمومة)! والحقيقية أن لحوم العلماء مسمومة لكل من يتطاول عليهم ويفسقهم ويخطئهم ويبدّعهم بغير حق ولا دليل! وتحت عنوان: فهمان خاطئان لعبارة (لحوم العلماء مسمومة) ، يقول الأستاذ سليمان بن صالح الخراشي ما نصه: (العبارة الشهيرة: "لحوم العلماء مسمومة" ذكرها ابن عساكر - رحمه الله - في كتابه "تبيين كذب المفتري" ، وفهم منها البعضُ فهمين خاطئين دعاهما إلى السخرية منها ، وعدم قبولها: * الفهم الأول: أن العلماء معصومون من الخطأ ، لا يُستدرك عليهم. وهذا ما لم يفهمه عاقل يعي أن العلماء بشرٌ كغيرهم ، وإن فُضّلوا بحمل ميراث الأنبياء عليهم السلام. ولكن يكون الاستدراك عليهم بعلم وأدب. * الفهم الثاني: أن هذا يدعو إلى التهوين من غيبة غير العلماء! وهذا أيضًا خطأ على قائل العبارة أو من يستشهد بها. ولتوضيح المقصد الصحيح من هذه العبارة ، وأنها لا تعني الفهمين السابقين ؛ أحببتُ أن أنقل كلمات متفرقة من شرح "رياض الصالحين" للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -. - قال – رحمه الله – في شرح حديث "يا عبادي إني حرمتُ الظلم..": (إن غيبة العلماء تُقلل من شأن العلم الذي في صدورهم ، والذي يعلمونه الناس ، فلا يَقبل الناس ما يأتون به من العلم ، وهذا ضرر على الدين). - وقال: (الكلام في أهل العلم جرحٌ في العلماء وجرحٌ فيما يحملونه من الشريعة ، لأن الناس لن يثقوا فيهم إذا كثر القول فيهم والخوض فيهم ، ولهذا يجب عند كثرة الكلام وخوض الناس في أمر من الأمور أن يحرص الإنسان على كف لسانه ، وعدم الكلام إلا فيما كانت مصلحته ظاهرة ، حتى لو سئل فإنه يقول: نسأل الله الهداية: نسأل الله أن يهدي الجميع). - وقال – رحمه الله – تعليقًا على "باب: توقير العلماء والكبار وأهل الفضل.": (يريد المؤلف رحمه الله بالعلماء: علماء الشريعة الذين هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن العلماء ورثة الأنبياء. وإذا كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم ، فلمن ورثهم نصيب من ذلك ، أن يُبجل ويُعظم ويُكرم. وبتوقير العلماء توقر الشريعة ؛ لأنهم حاملوها ، وبإهانة العلماء تهان الشريعة ؛ لأن العلماء إذا ذلوا وسقطوا أمام أعين الناس ذلت الشريعة التي يحملونها ، ولم يبق لها قيمة عند الناس ، وصار كل إنسان يحتقرهم ويزدريهم ؛ فتضيع الشريعة. فإذا استهان الناسُ بالعلماء لقال كل واحد: أنا العالم ، أنا النحرير ، أنا الفهامة ، أنا العلامة ، أنا البحر الذي لا ساحل له ، ولمَا بقيَ عالمٌ ، ولصار كلٌ يتكلم بما شاء ، ويُفتي بما شاء ، ولتمزقتِ

الشريعة بسبب هذا الذي يحصل من بعض السفهاء). - وقال: (ثم قال صلى الله عليه وسلم: "يرحم الله موسى ، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر". والشاهد هذه الكلمة وهي أن الأنبياء يُؤذون ويصبرون ، فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم قيل له هذا الكلام بعد ثماني سنين من هجرته. يعني ليس في أول الدعوة ، بل بعدما مكّن الله له ، وبعدما عُرف صدقه ، وبعدما أظهر الله آيات الرسول في الآفاق وفي أنفسهم ، مع ذلك يقال هذه القسمة لم يعدل فيها ولم يُرِد بها وجه الله. فإذا كان هذا قول رجل في صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تستغرب أن يقول الناس في عالِم من العلماء: إن هذا العالِم فيه كذا وفيه كذا ويصفونه بالعيوب ، لأن الشيطان هو الذي يؤز هؤلاء على أن يقدحوا في العلماء. لأنهم إذا قدحوا في العلماء وسقطتْ أقوالهم عند الناس ما بقي للناس أحدٌ يقودهم بكتاب الله. بل تقودهم الشياطين وحزبُ الشيطان ، ولذلك كانت غِيبة العلماء أعظم بكثير من غِيبة غير العلماء ، لأن غِيبة غير العلماء غِيبة شخصية إن ضرَّت فإنها لا تضر إلا الذي اغتاب والذي قيلت فيه الغِيبة ، لكن غِيبة العلماء تضرُّ الإسلام كلَّه ؛ لأن العلماء حملة لواء الإسلام ، فإذا سقطت الثقة في أقوالهم ، سقط لواءُ الإسلام ، وصار في هذا ضرر على الأمة الإسلامية. فإذا كانت لحوم الناس بالغيبة لحوم ميتة ، فإن لحوم العلماء لحوم ميتة مسمومة لما فيها من الضرر العظيم. فأقول لا تستغرب إذا سمعت أحداً يسبُّ العلماء! وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فيه ما قيل ، فاصبر ، واحتسب الأجر من الله عز وجل ، واعلم أن العاقبة للتقوى). فائدة: قال الشيخ: (العلماء ثلاثة أقسام: عالم مِلة ، وعالم دَولة ، وعالم أمة. أما عالم الملة: فهو الذي ينشر دين الإسلام ، ويُفتي بدين الإسلام عن علم ، ولا يُبالي بما دل عليه الشرع أوافق أهواء الناس أم لم يوافق. وأما عالم الدولة: فهو الذي ينظر ماذا تريد الدولة فيفتي بما تريد الدولة ، ولو كان في ذلك تحريف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأما عالم الأمة: فهو الذي ينظر ماذا يرضي الناس ، إذا رأى الناس على شيء أفتى بما يرضيهم ، ثم يحاول أن يحرّف نصوص الكتاب والسنة من أجل موافقة أهواء الناس).هـ. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال في مؤمن ما ليس فيه ، أسكنه الله ردغة الخبال ؛ حتى يخرج مما قال. رواه أحمد ، وأبو داود وصححه الألباني. فكيف بمن يكذب ويفتري على العلماء. وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته". إنني أنصح ببيان الحق دون تجريح ، خاصة من العلماء العملاء الذين هم سدنة مَن عَيّنوهم ونصبوهم ليضلوا الناس بغير حق لهم في ذلك ، مهما يكن سمو الغاية ، فإننا يجب أن ننزلهم المنزلة اللائقة بهم. ولا يجب أن ننسى أبداً أن مثل هذه الممارسات تسعد أعداء الإسلام كثيراً. فهم ينتظرونها على أحرّ من الجمر.)

حتـــى متـــى يســـتطيلُ اللاحـــنُّ اللاحـــي ... ويســـــــتعينُ بســـــــيافٍ ورمّـــــــاحِ

ويُشـــــهر الـــــبعضُ أســـــيافاً لإخـــــوتهم ... مـــــا بـــــين مفتعـــــل الســـــوآى وســـــفاح؟!

كـــلٌ حـــريصٌ علـــى إهـــلاك صـــاحبه ... وتحصـــــدُ الحـــــربُ ظلمـــــاً بعـــــضَ أرواح

والـــبعضُ يصـــطاد أخطـــاءً يُضـــخمها وقـــد يُضـــيفُ لهـــا كثيـــرَ إيضـــاح

والـــبعضُ يختلـــقُ الأغـــلاط معتمـــداً علـــى التـــداجي بـــإبلاغ وإفصـــاح

والـــبعضُ يجعلهـــا فـــي ثـــوب ســـخريةٍ بلفـــظ منتخِـــب الألفـــاظ مَـــزاح

والـــبعضُ يجعلهـــا نـــيْلاً وتشـــفية بحِقـــد مقـــتحم الأمجـــاد مُجتـــاح

والـــبعضُ يـــدخلُ فـــي أبـــواب مصـــلحةٍ وهـــل أســـيرُ الهـــوى يرمـــي لإصـــلاح؟

ويـــدّعي الـــبعضُ تحقيقـــاً ليُوهمنـــا فـــإذ بـــه شـــر همّـــاز وقـــدّاح

والـــبعضُ ينشـــدُ أن يكـــون مُشـــتهراً علـــى حســـاب نحـــارير وشـــرّاح

وللمطـــابع إخـــراجٌ لـــه ألـــقٌ حتـــى يعـــود - علـــى الصـــرعى - بأربـــاح

حتـــى إذا طـــالعَ الأقـــوامُ مـــا طبعـــتْ هـــذي المطـــابعُ مِـــن كُتْـــب بإلحـــاح

وأرجعـــوا فـــي الـــذي قـــد طـــالعوا نظـــراً بـــاؤوا بخيبـــة آمـــال وأتـــراح

كـــأن كاتبهـــا عـــدو مِلتنـــا أو أن عقـــل الفتـــى قـــد غِيـــل بـــالراح

حتـــى متـــى فتنـــة كالنـــار موقـــدة تقـــود أهـــل الهُـــدى قســـراً لضحضـــاح؟

يـــا قـــوم فلتنصـــحوا بـــدون تشـــفيةٍ مـــا الناصـــحُ الفـــذ - فـــي رأيـــي - بجـــراح

إن حقـــقَ الـــنصَ لـــم يُهـــدر كرامتـــه ولـــم يـــزل حُســـنه كالقاصـــل المـــاحي

وإن يجـــدْ خطـــأ يَرفـــقْ بصـــاحبه وليُظهـــر الحـــق مشـــفوعاً بأمـــداح

لـــم يـــتهمْ نيّـــة ، هـــذي مزايـــدة ولـــم يُقـــبّحْ بتجريحـــاتِ مُلتـــاح

مَـــن ذا علمـــت بـــلا ذنـــب ولا خطـــأ؟ ألســـتَ تخطـــئُ يـــا ذا الشـــامت اللاحـــي؟

إن خـــرّج الـــنص لـــم يـــذبح نصـــاعته فـــي كفـــه قلـــمٌ ، لا نصـــل ذبّـــاح

إن الشِـــقاق يزيـــد الغـــربَ تســـلية يُمســـي ويُصـــبح فـــي ســـعدٍ وأفـــراح

لا يزال في عالم الوهم

(ترك قريته ، وبعد عقدين كان يظن بعد هذا الانفتاح الجاهلي على الفضائيات العُهرية والمواقع الإباحية في الإنترنت أن يعود فيجد أهل القرية كما كانوا من قراءة القرآن وقيام الليل وصوم النفل ولكن هيهات هيهات. لقد تغير كل شيئ وصاحبنا لا يزالُ موهوما. وتحت عنوان: (الاستخدام السلبي لشبكة الإنترنت) يقول الأستاذ الدكتور مجدي محمد يونس ما نصه: (من أهم إيجابيات شبكة الإنترنت ما يلي: * أنها قلصت الحدود والمسافات بين الدول ، وحدّت من مساحة الزمن. * وأسهمت بفاعلية في كافة نواحي الحياة ، ففي المجال الاقتصادي ازدهرت التجارة الإلكترونية عبر الانترنت. * وفي المجال التعليمي فإن شبكة الإنترنت تقدم إسهامات عديدة تخدم هذا المجال ، بل وأحدثت فيه ثورة كبيرة في تنوع مصادر المعلومات من كتب إلكترونية ودوريات. وقواعد للبيانات والموسوعات ، والمواقع التعليمية والبحثية ، كما أنها تساهم في حل كثير من المشكلات التعليمية كتعليم اللغات الأجنبية والتغلب على صعوبات التعليم ، وتغير في مفاهيم وطرق وأساليب التدريس ، وغيرها من العمليات التعليمية المتعددة. * وثمّة استخدامات ومزايا أخرى عديدة في قطاعات الخدمات مثل البنوك والصحة والتأمينات الاجتماعية ، وقطاعات الاقتصاد والزراعة ، والسياحة ، والدفاع وغيرها.....وعلى الرغم من الإيجابيات المتعددة والمزايا المتنوعة لاستخدامات شبكة الإنترنت ، إلا أن الأمر لا يخلو من العديد من المخاطر والسلبيات ، ذلك أن الإنترنت لا يتمتع بأي قدر من الخصوصية أو السرية ، وليس لها حماية قانونية للأفراد أو المؤسسات ، ولعل من أبرز الأخطار الناجمة عن الاستخدامات السلبية للإنترنت ما يلي: # الاستخدامات اللا أخلاقية في الإطلاع على الأفلام الإباحية ، وما تحمله من شذوذ وخروج على ناموس القيم الدينية والفطرة السليمة ، وهذه التي تروّج لها اليوم شركات ومراكز متخصصة لأغراض الكسب المادي ، وكذلك لغرض آخر خفي وهو التأثير السلبي على شخصيات الشباب المتدين وإفقار الشعوب المتدينة وتجريدها من القدرة على العمل والإنتاج والإبداع ، ومن ثم تظل تبعيتها قائمة للدول المتقدمة وغير قادرة على الاعتماد على ذاتها ، فتظل أسواقها مفتوحة أمام الشركات الكبرى الرأسمالية ، والتي تسيطر اليوم على غالبية الاقتصاد العالمي. # الغزو الفكري والثقافي ، وذلك بإشاعة المذاهب الهدامة. وهذه المذاهب الهدامة خطرها أكبر لأنها تشكل العقول وتجرفها في تيارات الإلحاد ومناهضة الأديان ، وبالطبع فثمة جهات ودول ومراكز عديدة في مقدمتها الحركات الصهيونية هي التي تروّج لهذه المذاهب بغية شغل العقل المتدين والمسلم بالذات بأمور جدلية ، وإبعاده عن التدين الصحيح ، وتشكيكه في عقيدته وشريعته. وهناك على شبكة الإنترنت اليوم العديد من هذه المراكز والمواقع التي تناهض الأديان وتمارس دورها في عمليات (غسيل مخ الشباب) ، وهي تقدم برامج علمية ومعلومات تهم الشباب ولكنها محملة بالمغالطات والسموم ، كما أنها تشكك الشباب في العلاقة بين العلم والدين ، وأن الدين هو أفيون الشعوب ، وأن الأديان هي التي تعطل التقدم والإبداع.. الخ. # كذلك هناك مواقع عديدة على الإنترنت اليوم تقود الشباب من حيث لا يدري إلى العنف والجريمة والتطرف والإدمان ، وتقدم برامج تتسم بالجاذبية وتستخدم المنطق في عرض أفكارها ، ولكن أهدافها الخفية تنحو إلى استثارة الغرائز ، وإشاعة اتجاهات الانحراف والتطرف وذلك لترويج سلع معينة ، والاتجار في المخدرات والبرامج

والأفلام المشبعة بالجنس والجريمة والعنف. وكافة هذه الاستخدامات السلبية وغيرها بالطبع لها آثارها وتداعياتها على تربية الشباب ، وصرفة عن القيم والأخلاقيات ، وإهدار طاقاته بعيداً عن الإنتاج والعمل والإبداع ، ومن ثم فإن الخاسر الحقيقي هو أمتنا العربية الإسلامية ، لأن الانحراف نحو مزيد من الاستخدامات السلبية للإنترنت سوف يخرجنا من حلبة المنافسة العملية والتقنية والتعليمية في عصر المعلوماتية ، ومن ثم يكرس حالة التخلف والتبعية التي تعاني منها أمتنا اليوم. وتوصلت الدراسات حول الآثار السلبية لاستخدام النت لعدة نتائج منها: * أن الاستخدام غير الأخلاقي للشبكة العنكبوتية قد يصل إلى آلاف المراهقين مما يؤثر سلباً على نمو شخصياتهم ويوقعهم في أزمات شخصية ، وأزمات قيمية لا تتماشى مع النظام الاجتماعي السائد ، وبخاصة عند التعامل مع المواقع الجنسية والإباحية. * أن المراهقين الذين يرتادون الصفحات والصور الإباحية على الإنترنت ، لا يدري أولياء أمورهم عن طبيعة ما يتصفحونه وأن مستخدمي المواقع الإباحية على الإنترنت تتراوح أعمارهم ما بين (12 – 17 سنة). * أن شبكة الإنترنت تساعد في عمليات الغزو الثقافي والفكري للمجتمع.....ولكن ما دور التربية لمواجهة الاستخدامات السلبية لشبكة الإنترنت؟ إنه مما لا شك فيه أن كافة مؤسسات التربية (النظامية وغير النظامية واللا نظامية) معنية بمواجهة الاستخدامات السلبية السيئة لشبكة الإنترنت ، وخاصة مع تزايد هذه الاستخدامات وإتاحة مساحة كبيرة من الحرية أمام الشباب من الجنسين ، وفي ظروف تزايد وقت الفراغ ، نتيجة البطالة التي أصابت قطاعات عديدة من الشباب وخاصة من مخرجات التعليم الجامعي .. ويتأكد دور مؤسسات التربية في مجتمعنا ، من كون مبادئ وقيم العروبة والإسلام هي التي توجه ثقافتنا ونظامنا التعليمي ، ومن ثم فإن منظور التربية في مواجهة الاستخدامات السلبية لشبكة الإنترنت سوف يستمد من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية وهما المصدران الرئيسيان للتشريع والتوجيه الإسلامي ، يقول عز من قائل: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصرهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن) ، ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: "لكل بني آدم حظ من الزنا ، فالعينان تزينان وزناهما النظر.." (مسند الإمام أحمد). ولعل التوجيهات التربوية التالية تعزز من الأداء التربوي للآباء والأمهات والمعلمين والإعلام وكافة مؤسسات التربية ، وذلك فيما يلي: # تحصين الشباب وبالذات في المرحلتين الثانوية والجامعية بوجهة نظر الدين فيمن يرتكب المعاصي الأخلاقية ، وضرورة أن ينأى الشاب والفتاة عن الوقوع في مثل تلك المعاصي ، وأن يتم ذلك في المدارس والجامعات من خلال توجيهات المعلمين ، والمناهج الدراسية ، ومن خلال الندوات التي تنعقد باستضافة كبار العلماء ورجال الدين وأساتذة التربية وعلم النفس والاجتماع وقادة الرأي والفكر في المجتمع.. والبحث في إمكانية طرح مقرر مستقل حول كيفية الاستفادة من استخدام الإنترنت في المرحلتين الثانوية والجامعية. # ضرورة مشاركة الآباء والأمهات أولادهم وبناتهم في العمل على الإنترنت ومصاحبتهم ومناقشتهم فيما يعرض على الشاشات ، وأن يتوفر الوقت اللازم من جانبهم لتلك المشاركات ، فالرقابة المنزلية أمرٌ في غاية الأهمية. # أن تسعى مؤسسات التربية إلى مخاطبة ضمائر الشباب وإيقاظهم وتحذيرهم من الوقوع في براثن المواقع الإباحية ، فهي بالإضافة إلى كونها تدخل الشباب في دائرة المعاصي ، فهي لها أيضاً آثارها وتداعياتها الصحية والنفسية

والاجتماعية، والأخلاقية ، وأن التعامل مع هذه المواقع يبدد انتباه الشباب ويشتت وعيه ويصرفه عن الإنتاج والإبداع. # من الأهمية أن تتوالى الدراسات والأبحاث التربوية والنفسية حول طبيعة الاستخدامات لشبكة الإنترنت من جانب الشباب وفهم الدوافع وتقصى وجهات نظرهم من مواجهة الاستخدامات السلبية. # ضرورة أن ينهض الإعلام بدور تربوي إزاء قضية الاستخدام السلبي لشبكة الإنترنت ، وذلك عبر الفضائيات وفي إطار البرامج الدينية والبرامج الموجهة للشباب ، وبحيث تبرز هذه البرامج خطورة هذه الاستخدامات على الفرد وعلى المجتمع. # ومن منطلق أن الفكر المنحرف يحتاج إلى فكر صحيح يناهضه ويفند مزاعمه ، فإن من الأهمية إنشاء مواقع متخصصة على شبكة الإنترنت تدار بواسطة قادة التربية والفكر والدعوة لتضاد المواقع اللا أخلاقية التي تغزو عقول شبابنا ، ومن ثم يتوجه الشباب إلى هذه المواقع الفكرية والأخلاقية وتخاطب الشباب بلغتهم وتشبع لديهم العلم وتحصنهم لمواجهة المواقع الإباحية والمشبوهة).هـ.)

غـــرق الـــورى فـــي لُجـــة الطوفـــانِ ومضـــى زمانـــكَ ، وابتلـــو بزمـــانِ

والقـــومُ - بعـــدك - يـــا تقـــيّ تنـــازلوا وتعثـــروا فـــي الغـــيّ والنّكصـــان

واســـتعذبوا فتنـــاً تحطـــم ديـــنهم وتســـلحوا بالفســـق والعِصـــيان

واســـتهزأوا بالمُنـــذرين ، وعربـــدوا وســـعوْا وراء ثقافـــة الصُّـــلبان

واستمســـكوا بالمُوبقـــات ، وأذعنـــوا واستســـلموا لفظاعـــة الطوفـــان

ســـيلٌ مـــن التغريـــب يَجـــرفُ دارهـــم مـــا قـــاوموه بهمّـــةٍ وتفـــان

بـــل بـــاركوه ، وأكملـــوا حلقاتـــه وتـــزوّدوا بـــاللف والـــدوران

دُعـــرٌ أتـــاهم بعـــد طـــول ترقـــب نيرانـــه أعتـــى مـــن البُركـــان

مِـــن أجلـــه تركـــوا الصـــلاة ، وفـــارقوا شـــرعَ الهُـــدى وقـــراءة القـــرآن

مـــاذا تُؤمّـــل فـــي قطيـــع شـــاردٍ قـــد ســـاقه الكفـــارُ كالقُطعـــان

فتنـــوه عـــن ديـــن يُقلـــده العُـــلا ضـــحكوا عليـــه بخمـــرةٍ وغـــوان

ثـــم استســـاغ العُهـــر فـــي قنـــواتهم ومواقـــع خُصّـــتْ بشـــر زوان

دعْ عنـــكَ وهْمـــاً لا يُبـــيّن حـــالهم وابـــكِ الهُـــدى بالمَـــدمع الهَتـــان

وســـلِ الثبـــات علـــى الهدايـــة ، واتبـــعْ هَـــديَ النبـــي المُجتبـــى العـــدنان

ليس هذا من اللغة العربية

(في أمسية بجمعية حماية اللغة العربية ، وكنت مدعواً لألقي من أشعاري معارضتي الشعرية لقصيدة الشاعر حافظ إبراهيم ، شاعر النيل ، في رثاء اللغة العربية. وإذا بالأستاذ المنسّق الدكتور يعيب عليّ أمام الضيوف جميعاً مبدأ المعارضة. وإذا بالحيثيات بعد ذلك في استهجان. منها أن الشاعر الذي يعارضُ شاعرٌ ضعيفٌ ومقلد ، وأن التقليد مذموم ، وأن فن المعارضة فنٌ دخيلٌ على الضاد وليس منها في شيء. فقمتُ بالرد عليه شعراً. وإنْ أريد فقط إلا الإصلاح وبيان الحق والانتصار للسان الضاد. وتحت عنوان: (تعريف المعارضات ونشأتها) يقول الأستاذ الفاضل إبراهيم الوكيل أبو مهند ما نصه بتصرف: (المعارضة في اللغة مأخوذة من: (عرض) لغة: ظهر ، و(عارضه) سار حياله ، أو أتى بمثل ما أتى به. و(عارض) الكتاب بالكتاب: قابله. وقد جاء في معجم (لسان العرب) أن (المعارضة) هي المحاذاة. واصطلاحا: هي أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما ، فيأتي شاعر آخر فينظم قصيدة أخرى على غرارها ، محاكياً القصيدة الأولى في وزنها وقافيتها وموضوعها ، مع حرصه على التفوق. وهكذا تقتضي (المعارضة) وجود نموذج فني ماثل أمام الشاعر المعارض ليقتدي به ويحاكيه أو يحاول تجاوزه. ولهذا لم تكن في الشعر الجاهلي (معارضات) لأن المثال (أو النموذج) الشعري قبله كان مجهولاً. والشعر الجاهلي هو أقدم شعر وصل إلينا. ولهذا اتخذ مثلاً و(نموذجاً) ينبغي احتذاؤه دون أن تجد فيه ذكراً لمعارضات شعر قبله ، بل فيه. ومن ذلك حادثة الاحتكام إلى أم جندب (زوجة امرؤ القيس) ، والتي كانت بين زوجها وعلقمة بن عبدة (الفحل) ، حيث قالت لهما: قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على روي واحد وقافية واحدة. فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها: (خليليَّ مُرّا بي على أمّ جندب). ثم أنشد علقمة قصيدته التي مطلعها: (ولم يكُ حقاً كلُّ هذا التجنبِ). فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك. فقال: وكيف ذاك؟ قالت لأنك جهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك. أما علقمة فقد أدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مراه بساق ، ولا زجره. فقال امرؤ القيس: ما هو بأشعر مني ، ولكنك له وامقة. فطلقها وخلف عليها علقمة فسمي (الفحل). وعلى الرغم من أن أثر التكلف والوضع في هذه القصة فإنها ذات دلالة واضحة. أما الشعر في صدر الإسلام فيبدأ بالبعثة النبوية (13هـ) ، وينتهي بآخر الخلفاء الراشدين ، وقيام الدولة الأموية (40هـ). وفيه انصرف الشعراء إلى القرآن الكريم يستلهمونه كتعويض فني عن الشعر ، وعلى الخصوص عندما نزلت الآيات التي تسفّه الشعر (وما هو بقول شاعر) ، و(الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا). والأحاديث النبوية: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً). ولهذا صمت بعض الشعراء مثل: لبيد الذي قال: لقد عوضني الله عن قول الشعر بالقرآن. وتحول بعضهم عن القيم الجاهلية إلى القيم الإسلامية ، فناصر الدين الجديد بشعره ، كما فعل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، ممن جندوا شعرهم في سبيل الدين الجديد. ومن هنا تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم لحسان وقوله له: "اهجهم ومعك جبريل روح القدس. والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات" وتزويجه إحدى الجاريتين اللتين أهداهما له المقوقس ، فولدت له عبد الرحمن. ومن هنا أيضاً استماعه إلى كعب بن زهير يلقي مدحته ، بعد أن كان قد أهدر دمه . واستمر الخلفاء الراشدون على ذلك ، فعمر بن الخطاب

ينهى الناس عن أن يتناشدوا ما كان بين الأنصار ومشركي قريش من مناقضات ، ويرى في ذلك إثارة للعصبية وتجديداً للضغائن. ولما جاءت الفتوح تشاغلت العرب عن الشعر بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته كما يقول ابن سلام ، ولم يتح للمجاهدين الإخلاد إلى نفوسهم ، فقد حرمتهم التعبئة المستمرة ساعات الفراغ وملأت حياتهم ، فانطلقوا في البلدان يشرعون سيوفهم في سبيل الله. والواقع أن الفتوح ينبغي أن تثري الشعر عندما تتيح للشاعر أن يشهد ما لم يشهده من بلدان بعيدة وطبيعة جميلة وحروب شديدة ، وحنين إلى أهله وذويه. ولكن الحركة الدائبة والتنقل المستمر لم يتيحا له قول الشعر إلا على عجل. ومن هنا برزت ظاهرة فنية جديدة في شعر الفتوحات هي أن هذا الشعر أصبح شعر مقطوعات لا قصائد ، وأن الشاعر لم يعد بحاجة إلى مقدمات طللية ، وإنما هو يهجم على موضوعه دون تمهيد ، كما يضرب المحارب بسيفه. وأما العصر الأموي فيبدأ سنة 40هـ وينتهي سنة 132هـ وقد استرد الشعر فيه مكانته ، بعد أن هدأت موجات الفتوح ، وعادات العصبية القبلية ، وتوجهت الحراب إلى الداخل ، بدلاً من توجيهها إلى الخارج. وظهرت الأحزاب السياسية: الأمويون والزبيريون والهاشميون والخوارج. ولكل حزب أدباؤه. وإذا كانت (النقائض) قد استعرت في العصر الجاهلي بسبب العصبية القبلية ، وفي العصر الإسلامي بسبب الرد على قريش ، وبلغت أوجها في العصر الأموي ، فإن (المعارضات) لم تكن قد عرفت بعد باستثناء حادثة بين جميل بن معمر ، وعمر بن أبي ربيعة ، فقد قال جميل بثينة: (عرفت مصيف الحي والمتربعا) ، فقال عمر بن أبي ربيعة معارضاً: (ألم تسألِ الأطلالَ والمتربعا؟). فقد جاءت الألفاظ في القصيدة الثانية شبيهة بمفردات القصيدة الأولى المعارضة ، وهذا لا ينقص من قدر القصيدة الثانية. والقصيدتان تعارضان قصيدة الصّمّة القشيري (95هـ) ومطلعها: (حَنَنْتَ إلى ريّا ونفسُكَ باعَدَتْ). والحق أن عمر بن أبي ربيعة قد تأثر بشعر جميل بثينة ، فأبدى إعجابه برائيته التي منها قوله: (أغاد أخي من آل سلمى فمبكر؟). فعارضها عمر برائية لا تقل عنها روعة وجمالاً ، تبعه فيها وزناً وقافية ورويا وموضوعاً ، ومنها قوله: (أمِنْ آلِ نُعْم أنتَ غادٍ فمبكرُ). وأما العصر العباسي فقد بدأ سنة 132هـ وانتهى سنة 656هـ وفيه اتسعت رقعة الخلافة ، وضعف دور الخلفاء ، فاستقلت كل دولة ببلادها: البويهيون في الديلم ، والعراق وفارس ، والحمدانيون في شمالي الشام ، والإخشيديون في مصر ، والفاطميون في مصر والسلاجقة في العراق ، والأيوبيون في مصر والشام.. إلخ. وفي هذا العصر نشب الصراع بين القدماء والمحدثين ، وانصبت في نهر العربية الكبير روافد ثقافات عديدة ، وحضارات أمم منهارة. واستفاد الشعراء اللاحقون من السابقين: فقد اقتفى شعراء الغزل أثر جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة من العصر الأموي ، وأفاد شعراء الخمرة والمجون من خمريات أبي نواس ، ونهج بديع الزمان الهمذاني في (مقاماته) نهج أستاذه أحمد بن فارس في مقاماته ، واحتذى الحريري حذو البديع في مقاماته. ولم تكن (المعارضات) قد عرفت بعد على نطاق واسع ، كما عرفت (النقائض) في العصور الجاهلية والإسلامية والأموية ، باستثناء حوادث فردية تأثر فيها الشعراء بقصائد معاصرة ، فحاكوها ، مثال ذلك أن أبا نواس عندما قال قصيدته: (يا ريم هاتِ الدواةَ والقلما). وعارضه الشاعر الخراز بقصيدة التزم فيها الموضوع والوزن والقافية وحركة الروي ، قال فيها: (إن باح قلبي فطالما كتما). ولم تكثر (المناقضات) الشعرية ولا (المعارضات) في الشعر العباسي ، وإنما كثرت (المطارحات) الشعرية التي هي قريبة من باب (المعارضات) ، والتي ازدهرتْ في

مجال الأنس والسمر والشراب ، من ذلك قصيدة أبي نواس الهمزية في وصف الخمر ، والتي مطلعها: (دَعْ عنك لومي فإنّ اللومَ إغراءُ) فعارضه الحسين بن الضحاك (الخليع) بقوله: (بُدّلت من نفحات الوردِ بالآء). فقد تابعه الخليع في ذكر الخمر والشعوبية. كما عارضه ابن المعتز في قصيدة يقول فيها: (أمكنت عاذلتي من صمت أباء). كما عارض أبو تمام قصيدة أبي نواس التي مطلعها: (يا دارُ ما فعلتْ بكِ الأيامُ؟). فقال أبو تمام: (دِمَنٌ ألمّ بها فقال سلامُ). وعندما قال أبو تمام قصيدته الرائعة التي مطلعها: (السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتب) ، عارضه ابن القيسراني بقصيدة مطلعها: (هذي العزائمُ لا ما تدعي القُضُبُ). وأما المتنبي فقد عارضه الكثير من الشعراء باعتباره (مالئ الدنيا وشاغل الناس). فعندما قال قصيدته في مدح سيف الدولة: (على قَدْرِ أهلِ العزم تأتي العزائمُ) عارضها ابن زريك (ت 556هـ) بقصيدة مطلعها: (ألا هكذا في الله تمضي العزائمُ). كما عارضه أسامة بن منقذ بقصيدة مطلعها: (لك الفضل من دون الورى والأكارم). وعندما قال المتنبي قصيدته التي يمدح بها سيف الدولة ، ومطلعها: (أعلى الممالك ما يُبنى على الأسَل) ، عارضه عبيد الله الموصلي بقصيدة مطلعها: (ظبا المواضي وأطراف القنا الذبل). وعندما قال المتنبي بائيته التي مطلعها: (بأبي الشموس الجانحات غواربا) ، عارضه صفي الدين الحلِّي بقصيدة مطلعها: (أسبلن من فوق النهود ذوائباً). ولعل (المعارضات) الحقيقية بدأت في الشعر الأندلسي عندما شعر الأندلسيون أنهم دون المشارقة علما، فاعترفوا بفضل المشرق عليهم ، وقام الكثير من أدبائهم وشعرائهم بمعارضة الأدباء والشعراء المشارقة الذين يعتبرونهم أساتذتهم ، فمحمد بن عبد ربه يضع كتابه (العقد الفريد) ليشابه كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة ، والصاحب بن عباد يقول عندما يطلع عليه: (هذه بضاعتنا رُدّت إلينا). كما صنفوا شعراءهم تصنيفاً يتصل بشعراء المشرق ، فقد لقبوا ابن دراج القسطلي بمتنبي الأندلس ، ومثله ابن هانئ ، وابن زيدون بحتري الأندلس من ذلك معارضة أبي بكر الأشبوني لرائية أبي فراس الحمداني التي مطلعها: (أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ) ، فقال الأشبوني: (وليل كهمّ العاشقين قميصُهُ ** ركبتُ دياجيه ومركبُهُ وعْرُ). ومعارضة ابن دراج القسطلي لأبي نواس التي يمدح فيها الخصيب ، ومطلعها: (أجارةُ بيتينا أبوك غيورُ) ، فعارضه ابن درّاج بقصيدة يمدح فيها المنصور بن أبي عامر ، ومطلعها: (ألم تعلمي أنّ الثواءَ هو الثرى). وعارض أبو الحسن البغدادي (الفكيك) مسلم بن الوليد في قصيدته التي قالها في مدح الرشيد والتي فيها: (أديرا عليّ الكأسَ لا تشربا قبلي) ، فقال الفكيك معارضاً: (لأية حال عن سُنّةِ العدل). كما عا رضها محمد بن عبد ربه بقوله: (أتقتلني ظلماً وتجحدني قتلي). وعارض أبو بكر بن نصر الإشبيلي أبا تمام في رائيته التي يمدح بها المعتصم والتي مطلعها: (رقّتْ حواشي الدهر فهي تمرمرُ) ، فقال الإشبيلي: (انظرْ نسيمَ الزهر رقّ فوجههُ). وعارض ابن خفاجة أبا تمام في رائيته التي يمدح بها المعتصم ، ويقول فيها: (الحقُ أبلجُ والسيوفُ عوارِ) ، فقال ابن خفاجة معارضاً: (سمح الخيال على النوى يزار). وعارض ابن هانئ الأندلسي (الذي يفتخر بلقبه: متنبي الأندلس) المتنبي الذي يمدح ابن عامر الأنطاكي بقوله: (أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدهرُ) ، فعارضه الشاعر ابن هانئ برائيته يمدح فيها المعز لدين الله الفاطمي لفتح مصر من حكم العباسيين: (تقول بنو العباس هل فتحت مصر ** فقل لبني العباس قد قضي الأمرُ). وعارض ابن عبدون المتنبي في بائيته: (كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا ** وحسبُ المنايا أن يكنّ أمانيا) ، فقال ابن عبدون معارضاً: (وإني لاستحيي من المجد أن أرى ** عليّ لمأمول سواك أياديا). أما

(معارضات) الشعراء الأندلسيين لبعضهم بعضاً فأكثر من أن تحصى ، ولا سيما في (الموشحات). ولم تقتصر (المعارضات) على الشعر ، فقد تعدته إلى النثر، فشملت الرسائل والمقامات. فلقد عارض ابن شرف الأندلسي بديع الزمان الهمذاني في مقاماته ، فعمل مقامة في ذكر الشعر والشعراء ، وكما عارض الهمذاني أندلسيون كثيرون. وأما عصر الدول المتتابعة فيبدأ بسقوط بغداد عام 656هـ وينتهي سنة 1220هـ ، وهي سنة قيام محمد علي في مصر. وفيه سيطر العنصر التركي ، وساد المماليك في العالم الإسلامي. ولعل هذا العصر من أغزر عصور الأدب العربي (معارضات) شعرية ، بسبب ضعفه السياسي والحضاري الذي انعكس ضعفاً فنياً ، فتوخى الشعراء فيه سابقيهم ، يعارضونهم ويحاكونهم. وأما عصر النهضة الحديثة فيبدأ منذ 1220هـ إلى يومنا هذا. ويمتاز بالنهضة في كل مناحي الحياة ، وبظهور أجناس أدبية حديثة كالقصة والرواية والمسرح. وقد كثرت فيه (المعارضات) الشعرية لا سيما مع البارودي رائد مدرسة الإحياء ، وشوقي رائد مدرسة الاتباعية (الكلاسيكية) الجديدة. وهكذا كثرت (المعارضات) عندما وجدت أمام الشعراء نماذج شعرية ذات مستوى فني عال ، تستحق أن يجرد لها الشاعر التالي عبقريته معارضاً ، وطامحاً إلى أن ينسج على نهجها إثباتاً لمقدرته الفنية).هـ.)

هـوّنْ عليكَ! فقد نقضت أصولا ... بمقالةٍ عابت رؤىً وعقولا

أتُراك ما طالعت سيرة ضادنا ... كيلا تكون بما تقول جهولا؟

أتُراك تنقد دون خبرة ناقدٍ ... إن قال أورد - في المقال – دليلا؟

إني ألوم ، وأثبت الحق الذي ... قد حاز - عند ذوي البيان - قبولا

فن المعارضة الذي هو ثابتٌ ... كم أفرد النقادُ عنه فصولا!

إن شئت سُقت - من النقول - شهادة ... إن كنت تقرأ شاهداً ونقولا

فعساك ترضى بالشواهد بيننا ... ليكون حُكمك - في الأمور - أصيلا

كيلا تسفه من يُخالف ما ترى ... فلقد حَقرت تذوقاً ومُيولا

كيلا تنال بدون حق مِن فتىً ... خبرَ القريضَ ، وأصّلَ التأصيلا

جعلوك مِن ثقةٍ منسق قاعةٍ ... فاجز الجميل - وقد قدرت - جميلا

واجعلْ لضيفك - مِن ثنائك - حِصة ... حتى تكون مُعززاً مقبولا

هو قد أتاكم سيداً متفضلاً! ... ما جاء يطلب منكم التنويلا!

أشهر قرآنك

(هناك وعلى متن العبارة (نياغوس) اليوغسلافية في ميناء السويس تقل ركابها من مصر إلى ميناء العقبة في الأردن ، وفي رحلة عودتها كنت واحداً من العائدين صيف 1983م. وصعد الكلُ سُلم العبارة بعد تدقيق الجوازات ووضع كل راكب متاعه ، وراح يبحث عن مكانه حسب تذكرته. وكان بعض المسافرين يحملون أجهزة التسجيل الصوتى ويشغلونها. فهذا مع أغنية كذا ، وذلك مع أغنية كذا. إلا هذا الصعيدي فقد آثر أن يعيش مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد في أحد تسجيلاته لقصار السور. وكم استمعت لهذا الشريط مئة مرة ومرة إلا هذه المرة. فلقد كان لها مذاق خاص جداً. حيث ظهر لكل محب حبيبه ، وخلا كل خليل بخليله. فمن حبيبه المطربُ الفلاني ، ومن خليله المغني العلاني. ومن خليله وحبيبه كتابُ الله تعالى يتلوه الشيخ عبد الباسط. فرحتُ أقول لابن الصعيد: (أشهر قرآنك). وعلى بحرنا الخفيف وبكل صفاء. قال صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه الناس ، ولا تزال كذلك حتى يأتيك الموت ، فإنه إن أتاك الموت وأنت كذلك حجت الملائكة إلى قبرك كما تحج المؤمنون إلى بيت الله الحرام". أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة. ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصًا كل الحرص على إتقان القراءة. وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه القرآن كما تلقاه من جبريل عليه السلام ، ويلقنهم إياه بنفس الصفة. ثم خص صلى الله عليه وسلم نفرًا من أصحابه أتقنوا القراءة ، حتى صاروا أعلامًا فيها منهم: أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وغيرهم. فكان صلى الله عليه وسلم يسمع منهم القرآن. لقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "ورتل القرآن ترتيلاً". وقال تعالى: "وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً". ولقد جعل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم للأدواء شفاءً ، وللصدور جلاءً ، وأن خير القلوب قلب واعٍ للقرآن الكريم ، وخير الألسنة لسان يتلوه ، وخير البيوت بيت يكون فيه ، وأنه أعظم الكتب منزلة ، فهو النور المبين الذي لا يشبهه نور ، والبرهان المستبين الذي ترتقي به النفوس وتنشرح به الصدور ، لا شيء أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ، ولا أكثر من إفادته ، ولا ألذ من تلاوته ، من تمسك به فقد نهج منهج الصواب ، ومن ضل عنه فقد خاب وخسر وطرد عن الباب. يقول المستشرق المنصف بارتلمى شتيلر: "إن القرآن بقي أجمل مثال للغة التي أنزل بها ، ولم أر ما يشبه ذلك في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الإنساني". (جولة مع المستشرقين ص55). أما جوستاف لوبون فيقول: "حسب هذا الكتاب جلالة ومجداً أن الأربعة عشر قرناً التي مرّت عليه لم تستطع أن تجفف من أسلوبه الذي لا يزال غضاً كأن عهده بالوجود أمس! ولم يكن هذا النبى الجليل داعياً إلى الآخرة وحدها بل أمر أتباعه بأن يأخذوا نصيبهم من الدنيا". (المرجع السابق). ونأتي إلى جميس إتشنر الذي يقول: "لعل القرآن هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم ، وهو بكل تأكيد أيسرها حفظاً ، وأشوقها أثراً في الحياة اليومية لمن يؤمن به ، فهو ليس طويلاً كالعهد القديم ، وهو مكتوب بأسلوب رفيع. ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه ، وتزداد إيماناً وسجوداً....هذا هو القرآن الكريم معجزة نبي الإسلام ورسول السلام خاتم الرسل والأنبياء". (المرجع السابق). بينما يقول الدكتور موريس بوكاي في مقدمة ترجمته للقرآن: "إن هذا هو الكتاب الذي ادخرته العناية الإلهية

لبني البشر ، وإن هذا الكتاب ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لمن يطلب الغة ، ودار معارف لمن يطلب الشرائع والقوانين. وقال صلى الله عليه وسلم: "القرآن أفضل من كل شيء دون الله ، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله عز وجل على خلقه ، فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن لم يوقر القرآن فقد استخف بحق الله ، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده". (أخرجه الترمذي والحاكم في تاريخه). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حَلّه (أي ألبسه حُلة) فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يارب زده فيلبس حُلة الكرامة ، ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقال له: اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة". رواه الترمذي. ولننظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لمعاذ رضي الله عنه: "يا معاذ إن أردت عيش السعداء وميتة الشهداء والنجاة يوم الحشر والأمن من الخوف والنور يوم الظلمات والظل يوم الحرور والري يوم العطش والوزن يوم الخسفة والهدى يوم الضلال فادرس القرآن فإنه ذكر الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان (أخرجه الديلمي). القرآن يُعلّم الناس أمور دينهم ودنياهم. يرفع قيمة الأم والأب الذين يحفظ ابنهما القرآن الكريم ، ويلبسهما الله تعالى تاجاً من نور ، نورُه أفضل من نور الشمس. يعتبر قارئه ومتعلمه من الذين قال الرسول عليه الصلاة والسلام فيهم: (خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه). [صحيح]. يعطي لقارئه العبرة والموعظة ، حيث تحمل سوره الكثير من قصص الأمم الغابرة. يرغب المؤمنين بالعبادة والجنة ، لما في سوره من ذكر للجنة ، وحسنها ، ومتاعها ، ودرجاتها ، وفي سوره أيضاً تحذير من نار جهنم ووصف لها ، مما يعمق إيمان العبد بربه. يدعو للتفكر في خلق الكون والإنسان وكلّ ما في الحياة. يرفع أخلاق المرء ويهذبها ، ويزيد الصدق والأمانة وحب الخير للناس ، حيث يُحبب فعل الخير. يقي قارئه من الإصابة بالسحر والمس الشيطاني ، ويحميه من العين والحسد. وفضل القرآن الكريم متعدد لكل من قرأه وسمعه وعمل به. فإنه يكسب قارئه الحسنات الكثيرة والأجر العظيم ، ويضاعف الحسنات ، ففي كلّ حرف منه حسنة ، وتُضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، والله يضاعف لمن يشاء. يرفع درجة صاحبه في الجنة ، فيُقال لقارئ القرآن يوم القيامة: (اقرأ ، وارتق ، ورتّل). وكل الأعمال مطلوبة في الدنيا إلا ذكر الله وتلاوة القرآن ، فتلك في الدنيا والآخرة! يقي صاحبه من عذاب القبر وضغطته ، وتقدم صاحبه عند الدفن. تتنزل الرحمة والسكينة والنور والسرور في البيت الذي يُقرأ فيه القرآن الكريم، ويُشعر أهله بالراحة والاطمئنان. يمنح صاحبة الوقار والهيبة في قلوب الناس وبين الخلق. يُلبس صاحبه تاجاً من نور وكرامة يوم القيامة ، ويُحاجج عن صاحبه ، ويرفع قدره في الدنيا والآخرة. يغشي صاحبه بالرحمة التي دعا الرسول عليه الصلاة والسلام لصاحب القرآن الكريم بها. يباهي الله تعالى ملائكته بقارئي القرآن الكريم وحافظيه من عباده. يشفي بقراءته الكثير من الأمراض الجسدية والنفسية. هذا وللقرآن على قارئه أثر طيب وكرامة في جميع أحواله: سواء كان مؤمناً أو منافقاً بنص حديث أبي هريرة الذي في الصحيح! وأعود للعبّارة نياغوس والصعيدي وعبد الباسط!)

فـــي النـــدامى فلتُشـــهر التـــرتيلا ربمـــا أيقظـــت الـــرؤى والمُيـــولا

ربمـــا ألبـــابٌ تُعيـــرُ انتباهـــاً لكـــلام يُزْكـــي النّهـــى والعقـــولا

ربمـــــا آنســـــت الرشـــــادَ لـــــديهم فالتمســـــت - عنـــــد الغُفـــــاة - قَبـــــولا

أو وجـــــدت الآذان تُصـــــغي فتهـــــدي - للمعـــــالي - جـــــيلاً تـــــلا التنـــــزيلا

أو دعـــــوت لله قومـــــاً تمـــــادَوْا فـــــي الـــــدنايا ، واســـــتعذبوا التضـــــليلا

أو حملـــت القنـــديلَ تمحـــو الـــدياجي واللبيـــــبُ مَـــــن يحمـــــلُ القنـــــديلا

أو أبنـــت الســـبيلَ حتـــى يجـــوزوا قـــد يســـوقُ مُـــرَّ القضـــاء الـــرحيلا!

فيُلاقـــون المـــوت فـــي البحـــر غرقـــى ثـــم يغـــدو معلـــومُهم مجهـــولا

وحـــدك الشـــهمُ ، والجميـــعُ تـــردّوا فـــي انحطـــاطٍ يســـتوجب التنكـــيلا

وحـــدك الحـــقُ فـــي قطيـــع تـــدنى والتـــــدني يســـــتعذبُ المـــــرذولا

وحـــدك النـــورُ ، والغُثـــا فـــي ظـــلام لـــم يُطيقـــوا - عـــن الـــدجى - تحـــويلا

وحـــدك الخيـــرُ ، والرفـــاقُ شـــرورٌ بالمليـــك كـــم يعـــدلون عـــدولا!

وحـــدك الجـــودُ ، فابـــذل النصـــحَ طوْعـــاً قـــد غـــدوت عـــن غـــيّهم مســـؤولا

وحـــدك العطـــفُ فـــي قَســـاة قلـــوب فافعـــل الخيـــر ، ثـــم أســـدِ الجمـــيلا

وحـــدك البَـــرُ فاحتســـبْ كـــل بـــذل إن ربـــي يُجـــزي الثـــوابَ الجـــزيلا

وحـــدك الرشـــدُ ، فاهـــد جـــيلاً عطيبـــاً بـــات - صـــدقاً - يســـتروحُ التجهـــيلا

وحـــدك النبـــعُ ، فاســـق قومـــاً عِطاشـــاً ثـــم غسّـــلْ ألبـــابهم تغســـيلا

وحـــدك الـــدربُ ، والمجاهيـــلُ شـــتى صـــاح بـــيّنْ – للتـــائهين - الســـبيلا

وحـــدك الظـــلُ ، والهجيـــرُ كـــواهم كـــن - لأهـــل الإعـــراض - ظـــلاً ظلـــيلا

وحـــدك الـــرأسُ ، والنـــدامى ذيـــولٌ عـــادة الـــرأس أن يقـــود الـــذيولا

وحـــدك الـــنجمُ ، والـــدياجي ســـرابٌ لا تخـــفْ يـــا نجمـــاً تســـامى أفـــولا

شـــيخك الفـــذ قـــد أبـــاد الأغـــاني فـــي النـــزال ، إذ حبّـــر التـــرتيلا

واســـأل البحـــر ، والســـفينة تجـــري واللحـــــونُ قـــــد ذَللـــــتْ تـــــذليلا

وجبـــالُ الأمـــواج أمســـتْ تغنـــي والعُبـــــابُ فيهـــــا يَـــــذرّ الســـــيولا

والطيـــورُ - فـــوق الســـفين - تمطـــتْ ثـــــم أزجـــــتْ تغريـــــدَها المعســـــولا

والـــــتلالُ عنـــــد الشـــــواطئ غنـــــتْ والهضـــــابُ قـــــد هللـــــتْ تهلـــــيلا

والحقـــولُ فيهـــا الـــزروع تهـــادتْ ثـــــم أهـــــدتْ إعجابهـــــا المـــــذهولا

وظـــــلامُ الليـــــل البهـــــيم تثنـــــى ثـــــم ســـــاق الإعـــــزاز والتبجـــــيلا

والســـــماءُ فيهـــــا النجـــــومُ تلالـــــتْ عنـــــدما نـــــورُ القـــــرآن تـــــلالا

والأغـــاني أمســـت ضـــجيجاً تلاشـــى إذ غـــدت آي الـــذكر عنهـــا بـــديلا

شـــيخُنا - بـــالقرآن - أمتـــعَ قومـــاً وأمـــام الصـــرعى أقـــام الـــدليلا

إن هـــذا القـــرآن يُحيـــي قلوبـــاً ثـــم يُقصـــي - عـــن غيـــه - الضِـــليلا

ولهـــذا بالـــذكر شـــيخي تغنـــى وأعـــاد الإجمـــال والتفصـــيلا

فالتمســـتُ الفـــؤادَ يبكـــي دموعـــاً! والضـــميرُ يســـتقرئ التـــأويلا

والشـــعورُ فـــي عـــالم مُخملـــي بـــات فيمـــا يخلـــو بـــه مشـــغولا

والأحاســـيسُ - بـــالأداء - اســـتعزتْ تســـتزيدُ اســـتماعها المـــأمولا

والجمـــالُ يُهـــدي العواطـــفَ شـــوقاً كـــي يزيـــد أســـماعنا تبتـــيلا

إن شـــيخي تجويـــدُه لا يُبـــارى قـــل أن نلقـــى – للهُمـــام - مثـــيلا

إن هـــذا القـــرآن صـــدقاً جليـــلٌ وأرى مَـــن يتلـــوه يغـــدو جلـــيلا

ويَميـــل مَـــن يســـتطيب الأغـــاني والـــذي يهـــوى الـــذكر لا لـــن يمـــيلا

وقتيـــلُ الأنغـــام بـــئس قتـــيلاً! وقتيـــلُ القـــرآن لـــيس قتـــيلا

والحيـــاة – بـــالوحي - أحلـــى حيـــاة والمعـــالي تســـتأهل التفضـــيلا

رجّـــع الآي شـــيخنا فـــي انكســـار ... لـــيس شـــيئٌ - مِـــن شـــذْوكم - مملـــولا

كـــم ســـمعتُ الآيـــاتِ تُشـــجي فـــؤادي! ... وكـــأن الآيـــاتِ تُزجـــي الهـــديلا

أطربـــتْ ســـمعاً يســـتطيب صـــداها ... وبهـــا يشـــدو بُكـــرةً واصـــيلا

مِنـــة هـــذي الحيـــاة ، ودربٌ ... كـــم تســـوق - للمعضـــلات - حلـــولا!

وتُزيـــلُ الـــدجواءَ فـــي كـــل حـــين ... وتخـــصّ – بالبُشـــريات - الجـــيلا

ثـــم تهـــدي هـــذي الحيـــاة ســـناها ... وتعـــز مـــن عـــاش فيهـــا ذلـــيلا

وتجـــل مَـــن يهتـــدي بهـــداها ... ويُقـــيم - فـــي ذي الحيـــاة - الأصـــولا

كـــم تســـاوي الحيـــاة مـــن غيـــر ديـــن؟ ... ســـوف يغـــدو المعـــاشُ فيهـــا وبـــيلا

والضـــياعُ عُقبـــى ركـــوب المعاصـــي ... خـــاب عبـــدٌ أمســـى بهـــا مشـــغولا

والـــدنايا تجـــرّ - للنـــار - عبـــداً ... ســـعيه قطعـــاً لـــم يكـــن مقبـــولا

والمخـــازي تُشـــين كـــل شـــريفٍ ... فيَصـــير مســـتهجناً مَخبـــولا

ينصـــر المـــولى كـــلَ عبـــدٍ منيـــب ... عـــاش للـــدين ، لـــيس يعصـــى الرســـولا

والشـــقي مـــن أفســـد العمـــر عمـــداً ... ثـــم عـــاش مســـتقبحاً مخـــذولا

لـــيس شـــيئ مثـــل الأغـــاني مُبيـــداً ... فهْـــى دومـــاً تُزجـــي الخنـــا والسُّـــفولا

والمتـــابُ - مـــن كـــل ذنـــب - يُنجّـــي ... والنجـــاحُ أمســـى بـــذا مكفـــولا

ربِ ســـلمْ مـــن ظلـــم أهـــل التـــدني ... لـــيس مثـــلُ الـــرحمن - قـــط - وكـــيلا

غـــرّهم حِلـــمُ الله ربـــي علـــيهم ... وهْـــو أقـــوى - فـــي حـــربهم - تنكـــيلا

ثمن الحرية

(عمدتْ هذه الزوجة الحمقاء إلى إذلال زوجها وإخضاعه لأهلها. ويشهد الله أن الرجل مخلصٌ لها ولأولادها ولأهلها بدرجةٍ لا توصف. فتنازل الزوج كثيراً من أجل بيته وأولاده. أما هي فكانت تعتبر التنازلات من جانبه رضوخاً وإذعاناً لأوامرها. وما ذاك إلا بسبب حمقها وجهلها. إذ لم يهدها ذلك الحمقُ إلى أن ذلك الإذعان والتنازل إنما كانا لأجل الإبقاء على الحياة التي يحيانها سوياً. تلك التي أصبحت حقاً في مهب الرياح من جراء التدخل السافر الكالح من جانب أهلها في حياتهما معاً. والذي اكتشف أخيراً أنه كان بتخطيط وتدبير منهم جميعاً. وعندما بلغ السيل الزبى في الخلافات ، وطف صاع النقاشات ووصلت الأمور إلى منتهاها ولم يفلح التفاهم إلا بتركيعه شبه الكامل لأهلها. قرر الزوج الحُر المحايدة والخلاص والتجنب الكامل. فكان ثمناً ـ للحرية ـ غالياً. فرحتُ أنشد على لسان هذا الزوج البائس كلمته: (إذا لم تستحي أيتها الزوجة الرعناء فافعلي ما شئت). ورحتُ أتغنى بهذه الكلمة شعراً. وعلى بحر الرمل في تحدٍ كله إباء وعزة ، وفي عزة كلها تحدٍ وعزيمة وثقة. وإن كل زوجة راعنة تستطيع أن تجعل أهلها في جانبها بدموع الكذب ونبرة الانكسار الخادع وبريق الأنين الساحر. ولكنها لن تستطيع أبداً أن تغير الحقائق يوماً ما. إذ إنها مهما حاولت تظل عاجزة عن قلب الحق إلى باطل. وإن كل زوجة يرزقها الله أهلاً حكماء منصفين ، فإنهم لا ينصفونها على زوجها بالباطل حتى لا يغرقوا السفينة ويخربوا عليها بيتها ويهدموا سعادتها. ويرحم الله أيام زمان حيث كان أهل الزوجة الأصهار يقبلون بالهوان والمذلة والإهانة والتجاوز من جانب زوج ابنتهم ، ويحتسبون ذلك كله عند الله تعالى. فما بالنا إن كان زوج ابنتهم رجلاً ديناً محسنا محكّما للكتاب والسُنة ، ثم يصِرون على إذلاله وتخريب بيته ، الله أكبر. لقد رغب الإسلام في الزواج ، ودلت على ذلك آيات قرآنية كريمة ، كقوله تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" ، وقوله تعالى: "والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً" ، وقوله تعالى: "خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها" ، وقوله تعالى: "فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً" ، وقوله تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً" ، وقوله تعالى:"هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها" ، وقوله تعالى: "ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية" ، وقوله تعالى: "والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات"! وفي المسند وصحيح ابن حبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها وحصّنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت". وروى أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصّنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت. وأخرج الإمام أحمد في المسند والبيهقي في شعب الإيمان عن حُصين بن محصن الأنصاري عن عمةٍ له أتت النبي صلى الله عليه وسلم لحاجة لها ، فلما فرغت من حاجتها قال لها: أذات زوج أنت؟ قالت نعم ، قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلو إلا ما عجزت عنه. قال: انظري أين أنت منه ، فإنه جنتك ونارك. وأخرج الحاكم في مستدركه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي. وإن صبر المرأة على طاعة زوجها سبب من أسباب دخول الجنة ، كما في الحديث الذي رواه ابن حبان: "إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت"! والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير. يقول الأستاذ خالد بن سعود البليهد وتحت عنوان: (نشوز الزوجة) ما نصه بتصرف: (إن الحياة الزوجية قد تصفو أحياناً وتتعكر تارة أخرى ، ومن مظاهر سوء العلاقة الزوجية نشوز المرأة على زوجها. والنشوز هو امتناع المرأة من أداء حق الزوج أو عصيانه أو إساءة العشرة معه ، فكل امرأة صدر منها هذا السلوك أو تخلقت به فهي امرأة ناشز ما لم تقلع عن ذلك أو تصلح خلقها. قال ابن قدامة "معنى النشوز معصية الزوج فيما فرض الله عليها من طاعته مأخوذ من النشز وهو الارتفاع فكأنها ارتفعت وتعالت عما فرض الله عليها من طاعته". ومن مظاهر نشوز المرأة: * امتناع المرأة عن المعاشرة في الفراش ، وقد ورد ذم شديد لمن فعلت ذلك. أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعاً: "إذا دعا الرجل امراته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح". وعند مسلم بلفظ: "ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها" ، فيحرم على المرأة الامتناع عن زوجها إذا دعاها للفراش على أي حالةٍ كانت إلا إذا كانت مريضة أو بها عذر شرعي من حيض أو نفاس. ولا يحل لها حينئذ أن تمنعه من الاستمتاع بما دون الفرج ، ولا يجوز للمرأة أن تتبرم أو تتثاقل أوتتباطأ أو تطلب عِوَضاً أو تنفره بأي طريقة وكل ذلك يدخل في معنى النشوز ، والواجب عليها أن تجيبه راضية طيبة نفسها بذلك محتسبة الأجر. * مخالفة الزوج وعصيانه فيما نهى عنه كالخروج بلا إذنه وإدخال بيته من يكرهه وزيارة من منع من زيارته وقصد الأماكن التي نهى عنها والسفر بلا إذنه. وقد نص الفقهاء على تحريم ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح). رواه مسلم. * ترك طاعة الزوج فيما أمر به وكان من المعروف كخدمته والقيام على مصالحه وسائر حقوقه وتربية ولده ، والامتناع عن الخروج معه إلى بيت آخر أو بلد أخرى آمنة ولا مشقة عليها في مصاحبته ما لم يكن قد اشترطت على الزوج في العقد عدم إخراجها من بيتها أو بلدها إلا برضاها ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: "{الرجال قوامون على النساء} يعني أمراء ، عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته ، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت) رواه أحمد. والضابط في حدود طاعة الزوج ما تعارف عليه أوساط الناس وكان شائعاً بينهم ، ويختلف ذلك بحسب غنى الزوجين وفقرهما والبيئة التي يعيشون فيها. * سوء العشرة في معاملة الزوج والتسلط عليه بالألفاظ البذيئة وإغضابه دائما لأسباب تافهة وإيذائه ، ويدخل في ذلك إيذاء أهل الزوج ، وقد فسر ابن عباس وغيره الفاحشة في قوله تعالى: (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) بما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال. ولكن ما هي أسباب نشوز المرأة: # سوء خلق المرأة وعدم تلقيها قدراً كافياً من التربية الصحيحة. # قلة وعي المرأة بمكانة الزوج وجهلها لحقوقها وأهمية طاعته. # وجود من يُحرّضها على الخروج عن طاعة

الزوج أو عيشها في بيئة تشجع المرأة على ذلك. # التباين الاجتماعي والفكري بين الزوجين ووجود فارق كبير بينهما. # تفوق المرأة على الزوج في شيء من الصفات في المال أو الجمال أو الحسب أو النسب مما يحملها ذلك على الغرور والتكبر على الزوج. # تأثر المرأة بالأصوات والأطروحات المتغربة التي تحررها فكرياً من أحكام وآداب الأسرة الإسلامية وتقنعها بمساواة الرجل وعدم التزام الطاعة له. # وجود مشاكل بين المرأة وزوجها وعدم تفهمها لنفسية الزوج واحتياجاته الخاصة. # ظلم الزوج وتقصيره في حقوق المرأة وجفاؤه لها وعدم مراعاة حدود الله في علاقته بها. وإذا كان ذلك كذلك فكيف يكون علاج نشوز المرأة: إن هناك علاجاً وقائياً للمرأة قبل وقوع النشوز وعلاجاً عملياً بعد وقوعه: * علاج معرفي بأن تتفقه المرأة في أحكام الأسرة وتطلع على حقوق الزوج ووجوب طاعته وحدود هذه الطاعة وأن ذلك عبادة والثواب المترتب على التزامها بذلك وتحريم النشوز والإثم المترتب على ذلك ومعرفة الآثار والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة في طاعة الزوج وعكس ذلك. * إذا وقعت المرأة في النشوز وخرجت عن طاعته يشرع للزوج حينئذٍ في علاجها ، ويتدرج معها بأساليب على حسب حالتها ومستوى نشوزها ولا ينتقل إلى المرتبة الثانية إلا إذا تعذر إصلاحها بالأولى ، وترتيبها على النحو الآتي: # أولاً - يعظها ويخوفها بالله وعقابه ويبين لها وجوب طاعة الزوج وتحريم معصيته وما يلحقها من الضرر الجم. # يهجرها في الفراش ويُعرض عن جماعها بأن يوليها ظهره. قال ابن عباس: "لا تضاجعها في فراشك". # يضربها ضرباً خفيفاً لا يكسر عظماً ولا يسم لحماً ويتجنب الوجه والمَقاتل ويكون في ملاين الجسم. قال الخلال: "سألت أحمد بن يحي عن قوله: (ضرباً غير مبرح) قال: "غير شديد". قال تعالى: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا). قال في المقنع: "وإذا ظهر منها أمارات النشوز بأن لا تجيبه إلى الاستمتاع أو تجيبه متبرمة متكرهة وعظها ، فإن أصرت هجرها في المضجع ما شاء وفي الكلام ما دون ثلاثة أيام ، فإن أصرت فله أن يضربها ضربا غير مبرح". ولا بأس للرجل أن يستخدم أساليب أخرى للعلاج في درجة هذه الأساليب كهجرها في الكلام وترك طعامها وغير ذلك مما يختلف تأثيره من امرأة إلى أخرى. والمقصود في استعمال ذلك هو ردع المرأة عن النشوز وردها إلى البر والطاعة وإيصال رسالة من الزوج تتضمن سخطه وعدم رضاه بسلوكها ، وليس المقصود من ذلك تعذيب المرأة والانتقام منها والتسلط عليها لأن ذلك ليس من خلق المسلم ولا يحقق مصلحة ومن الظلم الذي نهى عنه الشرع. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها في آخر اليوم). رواه البخاري ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ضرب أحدكم ، فليتق الوجه). رواه مسلم. ولا يجوز لأحدٍ مهما كان أن ينكر هذا الأدب الشرعي (الضرب) ، لأنه أمر محكم في القرآن وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه الفقهاء ، وهو وسيلة مباحة ، والأفضل للمسلم تركه والترفع عنه إلا إذا اضطر إليه. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب النساء! قالت عائشة رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله شيئاً قط ، ولا امرأة ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل). رواه مسلم. وإن أقلعت الزوجة عن النشوز وصلحت حالها ، وجب على الزوج حينئذ الكف عن تأديبها وعدم التعدي عليها ، لأن السبب الموجب لذلك قد زال ، ولا سبيل له عليها شرعاً ، وإنما أبيح له ذلك حال نشوزها فقط. وإذا

نشزت المرأة سقط عنها حقوق لا تثبت لها إلا إذا تركت النشوز: (النفقة ـ السكنى والقسم لها). قال ابن قدامة: "فمتى امتنعت من فراشه أو خرجت من منزله بغير إذنه أو امتنعت من الانتقال معه إلى مسكن مثلها أو من السفر معه فلا نفقة لها ولا سكنى في قول عامة أهل العلم". والأصل في ذلك عند الفقهاء أن هذه الحقوق تثبت للمرأة في مقابل استمتاع الرجل بها وتمكينه له فإذا زال زالت الحقوق. وما سوى ذلك فهي زوجة يثبت لها سائر الأحكام من المحرمية والإرث وغير ذلك. وهناك أمور ليست من النشوز: # أن لا تطيعه في معصية الله ، فإذا امتنعت عن خلع الحجاب إذا أمرها بذلك أو الاختلاط أو شرب المسكر فليست بناشز لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وإنما الطاعة في المعروف. # أن يكون في إجابتها ضرر عليها في نفسها أو دينها أو يحصل لها مشقة بذلك ، فإذا طلب منها السفر إلى بلد مخوفة أو الخروج إلى بيت مهجور ، فامتنعت فليست بناشز ، وكذلك إذا طلب منها السفر إلى بلد الكفر ، فلها حق الامتناع عن ذلك ولا يلزمها طاعته قط. # أن تسافر لأداء فريضة الحج أو الهجرة الواجبة ، فإن منعها وفعلت فليست بناشز على الصحيح ويستحب لها استئذانه ومداراته ، وكذلك إذا سافرت لحاجتها بإذنه لا تعد ناشزاً على الصحيح ولا تسقط نفقتها. # أن تمتنع عن إجابته في الفراش لعذر شرعي أو حسي أو لعدم وجود المكان المستتر والمناسب عرفاً. # أن تقطع علاقتها بأقاربها أو أقارب زوجها لفساد في الدين أو حصول ضرر عليها أو على أولادها. # أن لا تطيع الزوج في عمل يشق عليها فوق طاقتها أو لا يصلح لمثلها ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها. # أن تمتنع عن الإقامة في مسكن يجمعها مع ضرتها لأن انفرادها في سكن خاص بها حق لها يجب على الزوج توفيره لها إلا إذا وافقت على إسقاط حقها في العقد وشرط الزوج عليها عدمه. والحاصل أن أي فعل عمل أو تركه يؤدي إلى حصول ضرر ديني أو دنيوي للمرأة أو يلحقها بفعله مشقة ظاهرة فلا تلزم طاعة الزوج في ذلك وتركه ليس من النشوز. وإذن فكيف تتصرف المرأة عند نشوز الزوج: إنه إذا حصل من الزوج ظلم وتقصير في حقوق المرأة أو جفاء فلا يسوغ للمرأة شرعاً النشوز عليه وترك طاعته أو ضربه والتعدي عليه لأن الواجب عليها لا يسقط عنها مهما قصر الزوج وينبغي لها أن تتخذ الخطوات الآتية: أولاً ـ أن تعظه بالله وتذكره بحقوقها وأن ذمته مشغولة بذلك. ثانياً ـ فإن لم يستجب وسطت بينهما رجلاً حكيماً من أهل الخير والأمانة ينصحه ويتفاهم معه وليكن ذلك برفق دون تشهير به. ثالثا ـ فإن لم يستجب رفعت أمره للحاكم وطالبت بحقوقها ونظر لها الحاكم بالأصلح من فسخ أو طلاق أو خلع. ولا بأس للمرأة إذا أعرض عنها الزوج لكبر أو مرض أو سبب آخر وكانت ترغب في استمرار النكاح أن تصالحه على إسقاط بعض حقوقها كالمبيت والنفقة على أن يبقيها في عصمته ولا يطلقها لقوله تعالى: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً). قالت عائشة رضي الله عنها: "هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج عليها تقول له: أمسكني ولا تطلقني وأنت في حل من النفقة علي والقسمة لي". رواه البخاري. وقالت عائشة: إن سودة لما أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ قالت يا رسول الله يومي لعائشة ، فقبل ذلك منها ففي تلك وأشباهها أراه أنزل الله: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً). وقد يكون هذا الخيار هو الأصلح للمرأة لوضعها الاجتماعي والنفسي وحال أولادها).هـ. ولقد أتت أسماء بنت يزيد الأنصارية النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك وأعلم ـ نفسي لك الفداء ـ

أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي. إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات. قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله. وإن الرجل منكم إذا أخرج حاجاً أو معتمراً ومرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم ، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تَبَعّل إحداكن لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله. فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه). رواه البخاري في النكاح. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة). رواه أبو داود في الطلاق ، قال الحافظ في الفتح: وصححه ابن خزيمة وابن حبان. وعن عبد الله بن أبي أوفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله تعالى لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها ، حتى تؤدي حق زوجها كله ، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه". [قال الشوكاني إسناده صالح]. وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح". [رواه البخاري ومسلم]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها ، قلت: فأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال: أمه. رواه البزار والحاكم بإسناد حسن. ولقد روى الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة". وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم ، العبد الآبق حتى يرجع ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وإمام قوم وهم له كارهون". رواه الترمذي في سننه وحسنه الألباني. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله عز وجل ، و نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ، وتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى. صحيح الجامع ، السلسلة الصحيحة. وروى الترمذي عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل ، يوشك أن يفارقك إلينا. صححه الألباني ، ورواه أحمد وابن ماجه والحاكم الطبراني وغيرهم. ويصف الأستاذ أحمد الجعفري الزوجة الصالحة بصفات نقتبس منها: (عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة». [رواه مسلم]. ومن صفات هذه الزوجة الصالحة: * أنها ذات دين وخلق

تقوم بما أوجب الله عليها من عبادته ، فتمتثل أمره وتجتنب نهيه وتقف عند حدوده ، وتقوم أيضاً بما أوجب الله عليها من حقوق لزوجها ، تطيعه إذا أمرها ، وتبره إذا أقسم عليها ، وتحفظه في نفسها وماله إذا غاب عنها ، وتربي أولاده على طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة الوالدين ، وتقف معه في سرائه وضرائه ، وتعينه على نوائب الدهر وعاديات الزمن. * أنها تطيع زوجها في غير معصية الله ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وبطاعتها لزوجها تستقيم الحياة الزوجية بينهما ، ويسعدان في حياتهما ، وتقل المشاكل إن لم تختف البتة ، وتدوم المودة وتحسن العشرة ، ويعمر الزواج ، ويحل التفاهم ، فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله - عز وجل - خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله». [رواه ابن ماجه]. * محبتها لزوجها: وهذا الحب أحد الأسباب القوية في بقاء العلاقة الزوجية وديمومتها وهو أمر فطري يجعله الله في قلبي الزوجين لجعل الحياة الزوجية سعيدة هانئة مستقرة قال تعالى: {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}. ومن علامة هذا الحب: تعلقها بزوجها ، وتفضيل الحياة معه على غيره ، وطاعته وطلب مرضاته ، وتقديم هواه على هواها ، واسترخاص بذل المال لأجله! ومن صفات الزوجة الصالحة مسارعتها إلى طلب مرضاة زوجها إذا أغضبه شيء منها ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى». [رواه الطبراني]. ومن صفاتها: خدمة زوجها وخدمة ضيوفه في حدود المعروف ، وقد كن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم يخدمنه ويخدمن ضيوفه ، وكذلك زوجات أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم أجمعين ، بل هذه أحب الخلق إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة طحنت بالرحى واستقت الماء حتى تقطعت يداها واخشوشنت ، مما جعلها تطلب من أبيها - صلى الله عليه وسلم خادماً ، فيدلها على أفضل من ذلك وهو الذكر عند النوم ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة. * المحافظة على مال زوجها ، فلا تنفق منه إلا بعلمه ولا تتصدق منه إلا بإذنه ، إلا إذا كان بخيلاً فتأخذ من ماله بغير علمه بقدر حاجتها وحاجة أولادها. وفي الحديث الصحيح: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها». وفي حديث آخر رواه ابن ماجه وفيه: «وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله». *رعاية أولاده وتربيتهم تربية صالحة ، فتنشئهم على العبادات وسائر الأخلاق الفاضلة ، وذلك لكون الأب مشغولاً في طلب الكسب فلا يتفرغ لتربية أبنائه ، فتتولى هي هذه المهمة وواجب عليها أن تقوم بها حق القيام ؛ لأنها مسئولة كما في الحديث الصحيح: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها». وإذا فرطت في ذلك فقد توعد الله كل من فرط فيما استرعاه عليه بالحرمان من دخول الجنة. ففي صحيح مسلم: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». * صيانة عرضه في غيبته فلا تتكلم فيه ، ولا تحقره أمام النساء ولا تقلل من قيمته ومكانته ورجولته ، ولا تتخذه مهزأة تسخر منه وتُضحك عليه النساء ، ولا تُفشي له سراً. وقد ورد في صحيح مسلم: «أن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته والمرأة تُفضي إلى زوجها ثم ينشر أحدهما سر صاحبه». ولتتأمل كل امرأة بامعان حديث أم زرع التي أثنت على زوجها في غيبته ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم لعائشة: « كنتُ لك كأبي زرع

لأم زرع غير أني لا أطلق». * إعانته على فعل الخير من بر وصدقة وإحسان ودعوة ومشورة).هـ.
والمجال في هذا الباب واسع ، وأظنني أسهبت فيه بحثاً واقتباساً لأجليَ معالمه للقراء الكرام من بعدي! ومهما كتب الكاتبون الأفذاذ في طاعة المرأة لزوجها بالمعروف ما أظنهم يستطيعون إيفاء الموضوع حقه! ومن هنا رحتُ أقول للمرأة: تحدي كيف شئتِ وسوف تهزمين لا محالة!)

افعلـــي مـــا شـــئتِ لـــن تنتصـــري! ســـوف لـــن آســـي عليـــك انتحـــري!

واخـــدعي الـــدنيا بإفـــكٍ مُفتـــرىً واقمعـــي الحـــق ، ولا تعتـــذري

والبســـي الزيـــفَ رداءً ســـابغاً لتـــداري مـــا بـــدا مِـــن خطـــر

واصـــبغي الغـــدرَ بـــألوان الصـــفا ربمـــا خففـــتِ بعـــضَ الضـــرر

واجعلـــي التزويـــرَ أبهـــى حلـــةٍ واخلعـــي - فـــي الحَـــرب - ثـــوب الحـــذر

واغســـلي كفيـــكِ فيمـــا بيننـــا كـــان عقـــداً مثـــل بيـــع الغـــرر!

خـــاب ظنـــي فـــي التـــي أحببتهـــا والألـــي كـــانوا كـــبعض النـــوَر

فيـــكِ كـــم أحســـنتُ ظنـــي والـــروى! وبـــذلتُ الخيـــرَ مثـــلَ المطـــر

وضـــربتُ الـــذكرَ صـــفحاً عامـــداً عـــن أذىً يُـــزري بمَـــن لـــم تشـــكر

وتحملـــتُ الكثيـــرَ عـــن رضـــىً علنـــي أحظـــى بـــبعض البُشُـــر

وارتضـــيتُ الـــذل عيشـــاً والشـــقا وتوشـــحتُ بمُـــر الكـــدر

وســـهرتُ الليـــل وحـــدي واجمـــاً واحترقـــتُ بســـعير الســـهر

كـــي تنـــامي فـــي انشـــراح وهَنـــا وتعيشـــي فـــي ريـــاض السَـــمر

وشـــربتُ المُـــر جبـــراً والعنـــا واصـــطلى قلبـــي بنـــار الغجـــر

أتحـــداكِ ابحثـــي عـــن مخلـــص فـــي القطيـــع المُعـــرضِ المُســـتهتر

مَـــن مِـــن الأوغـــاد شـــهمٌ طيـــبٌ صـــادقُ التقـــوى صـــحيحُ النظـــر؟

مـــؤمنُ القلـــب لطيـــفٌ خيّـــرٌ تـــأنسُ الـــنفسُ بـــه كالبَشَـــر؟

عـــاطرُ الـــذكرى مُحِـــبٌ ناصـــحٌ مشـــرقٌ كالشـــمس أو كـــالقمر؟

مســـــلمٌ نفســـــاً وروحـــــاً والنهـــــى ونقـــــــيُ الملتقـــــــى والبَصـــــــر

لا يُرائـــــــي ، لا يـــــــداجي أبـــــــداً لا يميـــــــلُ لحظـــــــة للخـــــــوَر؟

أخبرينـــــــي عـــــن أصـــــيل فـــــيكمُ ثاقـــــبِ الرؤيـــــا ســـــليمِ النظـــــر؟

بصَـــــري أرجعتـــــه كـــــم مـــــرةٍ! باحثـــــاً عـــــن قيمـــــةٍ أو أثـــــر

فأتـــــاني بصـــــري منحســـــراً لســـــتُ أدري مـــــا دوا المنحســـــر؟

ثـــــم حاولـــــتُ مـــــداراة الغثـــــا وتجملـــــتُ بشـــــتى الصـــــور

وعلـــــيهم كـــــم قصصـــــتُ قصـــــة فـــــي ثناياهـــــا جميـــــلُ العِبَـــــر

لكـــــن القـــــومُ استشـــــاطوا غضـــــباً ولـــــذا مـــــا انتفعـــــوا بالنـــــذر

وأراكِ اليـــــوم مـــــنهم ، صـــــدّقي ونصـــــيبي أنّ هـــــذا قـــــدري

زوجـــــة ترتـــــاح فـــــي ذل الـــــذي خصّـــــها دومـــــاً بـــــأغلى الـــــدُرر

دُررُ العلـــــم صـــــحيحاً نافعـــــاً صـــــادقَ الفحـــــوى نقـــــيّ الخبـــــر

دُررُ النصـــــح علـــــى درب الهُـــــدى ولـــــه فـــــي الخلـــــق أحلـــــى السِـــــير

دُررُ الأمـــــوال لـــــم يبخـــــلْ بهـــــا لقضـــــاء المُبتغـــــى والـــــوطر

لـــــن تنـــــالي مـــــن إبـــــائي لحظـــــة أنـــــتِ أوشـــــكتِ بـــــأن تســـــتعري

لســـــتِ منـــــي ، لســـــتُ منـــــكِ ، انتبهـــــي واعقلـــــي مـــــا قلتـــــه ، واعتبـــــري

بيننـــــا لـــــم يبـــــق أدنـــــى صـــــلةٍ صـــــرتُ حُـــــراً رغـــــم بـــــأس الغِيـــــر

فـــــاغرُبي عنـــــي ، كفـــــاني حرقـــــة فـــــي دجـــــى إذلالـــــكِ المُنكـــــدر

وانشـــــدي غيـــــري حلـــــيلاً آخـــــراً وارجمـــــي مـــــا بيننـــــا بـــــالحجر

عندما يستنوقُ البعير

(قبل سنواتٍ كتبتُ قصيدة عن ضرب الزوجات أثبتُ فيها أن ضرب الزوجات (ضرباً غير مبرّح) عملٌ إسلامى نصّ عليه كتابُ الله ونصتْ عليه كذلك سُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – واليوم أكتبُ عن ضرب الأزواج. وأعنون لها بـ: (عندما يستنوق البعير). وكان الباعث على هذا القصيد مقال كتبه الأستاذ / أكرم القصاص في جريدة الخليج في يوم 2007/3/23م. وكان المقال تحت عنوان: (عولم خانة) ، تناول فيه عكس الذي تناولتُ أنا من قبل. حيث إن الزوج في قصيدتي كان الضارب ، ولكنه في هذي القصيدة أصبح المضروب! وضرباً انتقامياً قد يُفضي إلى القتل أو على أقل تقدير إلى عاهةٍ مستديمةٍ وكسر عظم وإسالة دماء. فمقالُ الأستاذ القصاص الذي أُوردُه كما هو في مقدمة القصيدة ليعلم الناس جمال الإسلام: (عولم خانة حرب الرجال والنساء والأزواج والزوجات ، التي تصل إلى التصادم العنيف في بعض الأحيان. الأمرُ يبدأ بإحصائيات تؤكد تغير الاستراتيجية والتكتيك. وبعد أن كانت النساء يشكين من القهر ، انقلبت الآية. وأصبح كثير من الرجال يشكون من القهر الزوجى ، الأمر المعضل الذي أدى لنشوء جمعيات الدفاع عن الرجال المضروبين. ومواجهة عنف الزوجات. فقد احتلت المرأة الأمريكية المرتبة الثانية في التصدي للأزواج وضربهم. والبريطانيات في المرتبة الثالثة ثم الهنديات في المرتبة الرابعة. بينما احتفظت المصريات بالمرتبة الأولى! ضمن أحدث إحصائيات مركز البحوث الاجتماعية وتكشفتْ قدرات الزوجات على تطوير أدوات الردع. فى مواجهة الأزواج من السكاكين إلى السم والأسلحة النارية وأخفها المكنسة اليدوية ، ويصبح سعيد الحظ من تطاله منفضة أو مكنسة أو مقلاة ليجد الرجل نفسه فى موقف الضعيف المغلوب المضروب. المرأة أصبحت تنافس الرجل في القدرة على التعامل بقسوة على عكس الرقة التي كانت سائدة حتى وقت قريب. أما عن أحدث الطرق التي وصلتْ إليها المرأة في مواجهة الزوج وردعه فقد تفاوتت من الضرب إلى الإرهاب. أما الأحدث فهو محاصرة الزوج بالديون ، فقد لجأتْ زوجة زكية إلى حيلةٍ أذكى عندما علمتْ أن زوجها ينوى الزواج من أخرى. هداها تفكيرها إلى حيلة جهنمية إذ اقترضت مبالغ طائلة على حساب الزوج. واستدانت واستهلكت أطناناً من الطعام وأسرفت فى الشراء ، وعندما عاد الزوج من سفره اكتشف أنه مدين بأكثر مما يملكه ، واجه الزوجة فأعلنت أنها قررت الاستمتاع بأموال الزوج قبل أن تستمتع به أخرى. المفارقة هنا أن هذا العقاب القاسى اتضح أنه بلا معنى ، لأن خبر الزواج كان مزحة لكن العقاب كان شديداً لدرجة أنه أقعد الزوج ، واعتبرت الزوجة أن ما فعلته نوعٌ من الردع في مواجهة الطوارئ. وزوجة ألمانية قررت عقاب زوجها عندما عانت من كسله ورفضه العمل. فألقت به إلى الشارع غير مأسوفٍ عليه ومنعته من دخول المنزل رافعة شعار: "لا مكان للكسالى في منزلي"! لكن الإحصاءات تشير إلى تصاعد قوة الزوجات التي يتم تضخيمها من قبل الأزواج الذين مازالوا يتفوقون على زوجاتهم في الحرب الباردة. ثم إن المشاجرات الزوجية تعد عنواناً على حيوية العلاقة المنزلية طالما كانت في الإطار المأمون والمسموح به دولياً ، والذي لا يصل إلى أكياس البلاستيك. وطالما ظل الزوج حياً يرزق خالياً معافاً من الإصابات والعاهات المستديمة. فقضية الضرب شاعت فى الغرب. فلينظر الناس الفرق بين ضرب غير مبرح القصد منه الزجر ، وبين ضرب مبرّح يُفضي إلى قتل أو عاهةٍ في قوم يقال أنهم يحترمون النساء أو يعبدونهن).هـ.

هذا هو الغرب الذي رسمت حول تقديسه للمرأة الهالات تلو الهالات! هذا هو الغرب الذي كلما تشدق متشدقٌ ذكر من مناقبه في معلملة النساء المعاملة الرقيقة الجميلة! أظن أنه بعد بيان الحقيقة من خلال الإحصائيات والتقارير والدراسات لم يعد لمحتج أدنى حجة إلا المغالطة بالباطل! وأزيد القارئ من الشعر بيتا فآخذه معي إلى (إيلاف) ، ففي (إيلاف) أول يومية إليكترونية - صدرت من لندن 21 مايو 2001م ، نشرت في يوم الثلاثاء 9 أغسطس ، بأن المصرية الأولى عالميًا في ضرب زوجها! وفي الحيثيات والدهاليز الخاصة بالتقرير تقول: (صدر تقرير عن الأمم المتحدة يؤكد أن مصر تحتل المرتبة الأولى في ممارسة العنف ضد الرجل ، وأكد التقرير استخدام الزوجات عدة أساليب مختلفة في الضرب ، منها الحزام وأدوات المنزل والحذاء واليد وأحياناً يلجأن للعض. ويكاد لا يخلو يوم إلا ويتم فيه ذكر مصطلح العنف المنزلي إنْ في الإعلام أو في المجالس اليومية ، وفور ورود هذه الكلمات نتعاطف تلقائياً مع المرأة التي تتعرض لعنف دائم من قبل الرجل ، لكن الوضع اختلف في مصر حيث يقوم بعض النساء بضرب أزواجهن ومعاملتهم بطريقة سيئة ، بحسب تقرير صدر عن الأمم المتحدة مؤخراً. ويشير التقرير إلى أن نسبة النساء اللواتي يضربن أزواجهن ويقفن أمام محاكم الأسرة طلباً للطلاق والخلع ، وصلت إلى 66٪ من إجمالى الدعاوى. وعلى جانب آخر يشتكي الرجال من التعرض للعنف داخل الحياة الزوجية ، وتوجّهوا للمحاكم نفسها ليقيموا 6 آلاف دعوى نشوز وطلب في بيت الطاعة. ووفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة تحتل مصر المركز الأول عالمياً في قائمة أكثر النساء في العالم اعتداءً وضرباً للأزواج بنسبة 28٪ ، وهي ما وصفتها بالنسبة الكبيرة والتي تعد ظاهرة جديدة على المجتمع المصري ، وتلي مصر في ضرب الأزواج أميركا بـ 23٪ وتليها بريطانيا بنسبة 17٪ ثم الهند بنسبة 11٪. وتشير الدراسة إلى أنه غالباً ما يسبق ممارسة العنف ضد الأزواج نشوب خلافات زوجية بين الطرفين. وأكدت الإحصائية استخدام الزوجات عدة أساليب مختلفة في الضرب ، منها الحزام وأدوات المنزل والحذاء واليد وأحياناً يلجأن للعض. وأوضحت الإحصائية أن الزوجات تستغل وضع الحبوب المنومة لأزواجهن ويعاقبنهم إما ضرباً أو حرقاً أو عن طريق استخدام الدبابيس والأدوات الحادة ، ليتركوا آثارا في أجسادهم لا يعرفون مصدرها عند الاستيقاظ).هـ.)

وقانـــــا اللهُ شـــــرّ المُجرمـــــاتِ ... وجنبنـــــا فَسُـــــوقَ الناشـــــزاتِ

وأبعـــدَ - عـــن حلائلنـــا - التـــردّي ... هنالـــك فـــي حضـــيض المُنكـــرات

وأمتعنـــــا بطاعتـــــه إلـــــى أنْ ... نفـــــارقَ عنـــــوة فلـــــك الحيـــــاة

وبَصّـــرَنا بـــدين الحـــق دومـــاً ... وجَمّلنـــــا بفعـــــل الطيبـــــات

وألزمَنـــــا صـــــراطاً مســـــتقيماً ... وأرشـــــدَنا لنيْـــــل المَكرُمـــــات

وأصـــلحَنا ، فمَـــن يُصـــلِحْ فنـــاج! ... ومَـــن يُضـــللْ تنكـــرَ للعِظـــات!

فجُـــل النـــاس فـــي الإعـــراض غاصـــوا ... وأفســـد عيشـــهم ظلـــم الطَغـــاة

وســـادتْ شِـــرعة الغابـــات قســـراً ... وعـــانى النـــاسُ مِـــن بطـــش العُتـــاة

وطـــال الجـــورُ أفئـــدة الولايـــا ... وفـــي (الأخبـــار) أعتـــى البيّنـــات

وأفســـدتِ النســـاءَ رحـــى التـــدني ... وأزتهـــن عـــدوى الانفـــلات

وأردتهـــن مهزلـــة التجنـــي ... وقلـــدْن النســـاءَ الفـــاجرات

وبـــتن ـ علـــى البعولـــة ـ كالضـــواري ... فـــأجّجْن الشـــقا والمُشـــكلات

وضـــيّعن البنـــينَ بســـبق عمـــدٍ ... وأفســـدْن الـــذراريَ والبنـــات

ودمّـــرن العوائـــلَ فـــي ديـــار ... تفـــاخِرُ غيرَهـــا بالوالـــدات

وهـــتكن الوشـــائجَ بـــين قـــومٍ ... يُـــذبّح أهلُهـــا كالأضـــحيات

وجُنـــدلتِ البيـــوتُ ، فلـــم تخـــرّجْ ... شـــباباً يَحتفـــي بالتضـــحيات

وأســـألُ أيـــن حـــق الـــزوج ولـــى؟ ... وتـــؤلمُني سِـــهامُ توجّعـــاتي

وتُبكينـــي الحكايـــا والشـــكاوي ... فقـــد فاقـــتْ بعيـــدَ توقعـــاتي

وتجرحُنـــي روايـــاتُ الخزايـــا ... فـــأغرقُ فـــي خِضـــمّ تـــأمّلاتي

ولا ألقـــى لأســـئلتي جوابـــاً ... فأوغـــلُ فـــي عميـــق تحسّـــراتي

فـــأرجو ، ثـــم أدعـــو باجتهـــادٍ ... وأمعـــنُ فـــي رطيـــب الأمنيـــات

ومَـــن يتتبـــع الأخبـــارَ يُصـــدَمْ ... بمـــا تـــأتي النســـا مِـــن مُوبقـــات

فواحـــدة بيُمناهـــا تعـــدّتْ ... وخصّـــتْ زوجهـــا بالمُوجعـــات

وثانيـــةٌ عصـــاها لـــم تخنهـــا ... كمثـــل الســـهم فـــي أيـــدي الرمـــاة

وثالثـــةٌ يشـــاركُها فريـــقٌ ... مـــن الأرحـــام ، تعســـاً للجُنـــاة

ورابعـــةٌ تـــؤجّر مَـــن يُـــؤدي ... عِقـــابَ الـــزوج كـــيلاً بـــالأذاة

وخامســـةٌ عصـــابتها تحـــدّتْ ... حلـــيلاً لـــم يوفـــقْ للنجـــاة

وسادســـــةَ لهـــــا نـــــارٌ تلظـــــى وتحـــــرقُ مَـــــن تصـــــارعُ بافتئـــــات

وســـــابعةَ لهـــــا سِـــــكينُ غـــــدر وإن الغـــــدر مِـــــن أخـــــزى الصـــــفات

وثامنـــــةَ لهـــــا ســـــوطٌ وســـــيفٌ ومِطرقـــــةَ ، ويـــــا كـــــم مِـــــن أداة!

وتاســـــعةَ لـــــديها الســـــمّ أمضـــــى لتســـــقيَ زوجهـــــا كـــــأس الوفـــــاة

وعاشـــــرةٌ تـــــروّجُ للأحـــــاجي وتقتـــــلُ زوجَهـــــا بالشـــــائعات

وأخـــــرى تهتـــــكُ الســـــترَ انتقامـــــاً وتســـــخرُ مِـــــن جميـــــع الحافظـــــات

وأخـــــرى زوجُهـــــا المســـــكينُ صَـــــيدٌ يُـــــراوَدُ بالشـــــباكِ المُلقيـــــات

وأخـــــرى زوجُهـــــا عبـــــدٌ لـــــديها وغـــــل الـــــرق بـــــين النـــــاس عـــــات

وأخـــــرى فـــــي التلـــــوّن كالعظايـــــا تعامـــــلُ زوجَهـــــا مثـــــلَ الحُـــــواة

وأخـــــرى لفظهـــــا عســـــلٌ مُصَـــــفى وتـــــتقنُ - ويحهـــــا - شـــــتى اللغـــــات

وأخـــــرى فـــــي التجمّـــــل لا تبـــــارى وتســـــبي أعـــــينَ العِيـــــرِ الغُـــــواة

ولكـــــنْ زوجُهـــــا يشـــــكو لظاهـــــا وتنحـــــدرُ الـــــدموعُ علـــــى الشـــــكاة

فهـــــذي الغـــــادة الحســـــناءُ نـــــارٌ تســـــوقُ حَليلهـــــا نحـــــو الممـــــات

تعانـــــدُه ، وتوسِـــــعُه احتقـــــاراً وتضـــــربُه ، فيُهـــــرعُ للسُـــــكات

لأن النطـــــقَ يُـــــوردُه المنايـــــا ويُسْـــــكِنه أتـــــونَ الحادثـــــات

وأخـــــرى تســـــتبدّ بكـــــل شـــــيئ وتنســـــجُ – للحليـــــل - المُعضـــــلات

وتثقلـــــه بـــــدين بعـــــد ديـــــن لتُشـــــمِت فيـــــه شِـــــرذمة الشـــــمات

وكـــــيلا يـــــنكحَ المَـــــديونُ أخـــــرى لأن زواجَـــــه فـــــرْحُ العِـــــداة

فينهـــــارُ المَـــــدينُ لمَـــــا يُعـــــاني لأن الـــــدَيْنَ ينخـــــرُ فـــــي الثبـــــات

فيـــــؤثرُ أن يعـــــيش علـــــى الأمـــــاني ويُبحِـــــرُ فـــــي بحـــــار الـــــذكريات

ويفتـــــرضُ الســـــفيهُ زوالَ بُـــــؤس ... فيُحرقـــــــه جحـــــــيمُ الحادثـــــــات

وأخـــرى العشـــقُ كـــم أدمـــى صِـــباها! ... فـــــأن العشـــــقَ يكـــــوي العاشـــــقات

فتعشـــــقُ مَـــــن تريـــــد بـــــلا حيـــــاءٍ ... ويلفحُهـــــــــا دخـــــــانُ الســـــــيئات

وتُلقـــــي بـــــالوعود لكـــــل صَـــــب ... ويُغريهـــــــا بريـــــــقُ الأمســـــــيات

وتختـــــــرعُ القـــــــرائنَ ، لا تبـــــــالي ... ولا تحتـــــــاط فـــــي حَبـــــكِ النكـــــات

وتخـــــدعُ زوجهـــــا دومـــــاً ، وتســـــعى ... بكـــــل العمـــــد فـــــي درب العُصـــــاة

وإن يحـــــــتجّ فـــــــالحربُ العـــــــواني ... وقـــــد تُغـــــري بـــــه بعـــــضَ البُغـــــاة

فتوشـــــي عنـــــه عنـــــد عـــــدو كـــــلٍ ... وعنـــــــــد الله عاقبـــــــــةَ الوشـــــــاة

وقـــــد تنهـــــالُ ضـــــرباً دون تقـــــوى ... فمـــــا أقســـــى قلـــــوبَ القاســـــيات!

ألسْـــــن يخفـــــن مـــــن رب البرايـــــا؟ ... ألـــــيس لهـــــن دمـــــعٌ فـــــي الصـــــلاة؟

ولســـــتُ ألـــــومُ مـــــن كفـــــرتْ وضـــــلتْ ... ولكنـــــــــي ألـــــــــومُ المُســـــــلمات

أبعـــــدَ الكفـــــر ذنـــــبٌ؟ قلـــــتُ: كـــــلا ... وتـــــــــوبيخي يَخـــــــصّ المؤمنـــــــات

أريـــــدُ لهـــــن كـــــل الخيـــــر حتـــــى ... يســـــــرن علـــــــى دروب الأوليـــــــات

فلـــــــلأزواج حـــــــبٌ واحتـــــــرامٌ ... كمـــــا خُصـــــوا ببـــــذل الواجبـــــات

فـــرائضُ فَصّـــلتْ فـــي الشـــرع قطعـــاً ... وبيّنهـــــــا مليـــــــكُ الكائنـــــــات

فهـــــل تطبيـــــقُ ذلـــــك مســـــتحيلٌ؟ ... وهـــــل يحتـــــاجُ بعـــــضَ المعجـــــزات؟

يمـــــينَ الله ميســـــورٌ ، ولكـــــنْ ... يُـــــرادُ مِـــــن النســـــاء المُخلصـــــات

فتكليـــــفُ المهـــــيمن مســـــتطاعٌ ... وكـــــم سُـــــقتُ الـــــدلائل واضـــــحات!

ودِيـــــنُ الله مصـــــدرُ كـــــل خيـــــر ... وحِصـــــنُ المـــــرء فـــــي دنيـــــا الشـــــتات

وحـــــبُ الـــــزوج قيّمهـــــا وفـــــاءٌ ... تفـــــيض بـــــه قلـــــوبُ الصـــــالحات

وجـــــزءٌ مـــــن عبادتـــــه تعـــالى تجـــــودُ بـــــه نفـــــوسُ العابـــــدات

ولـــــيس - كطاعـــــة الأزواج - ذخـــــرٌ يســـــوقُ - إلـــى الجنـــان - المُحســـنات

بمعـــــروفٍ يكـــــون الأمـــــرُ طبعـــــاً كمـــــا هـــــو ديـــــدنُ القـــــوم التقـــــاة

وتحنـــــو زوجـــــةً ، وتلـــــينُ أخـــــرى لأن اللـــــــينَ خيـــــــرُ الأعطيـــــــات

وترفـــــقُ زوجـــــةً ، وتحِـــــنّ أخـــــرى لأن الرفـــــــقَ سَـــــــمْتُ الفَضـــــليات

وتحلـــــمُ زوجـــــةً ، وتـــــرقّ أخـــــرى لأن الحِلـــــــــــم دأبُ الخيـــــــــرات

وإن تُضـــــرَبْ فصـــــبرٌ واحتســـــابٌ فـــــإن الصـــــبر مفتـــــاحُ الأنـــــاة

وإنّ تهـــــــــوّرَ الإنســـــــــان داءٌ يَعيـــــبُ الصِـــــيدَ ، يُـــــزري بالأبـــــاة

ولـــــو كـــــان الســـــجودُ لغيـــــر ربـــــي لكـــــان لزوجهـــــا العَـــــف المُـــــواتي!

لأن حقـــــوقهم بلغـــــتْ سُـــــمُواً ترفـــــعُ عـــــن عقـــــول الفاســـــقات

ومَـــــن تحســـــنْ معاملـــــة لـــــزوج تجـــــدْ بـــــر البنـــــين مـــــع البنـــــات

وتحيـــــا فـــــي بهـــــي العـــــيش فَضـــــلى وتُـــــــــرزقُ لـــــــــذة المتبـــــــــتلات

وتشـــرُفُ - فـــي الـــورى - سَـــمْتاً وهـــدياً وترفـــــلُ فـــــي ثيـــــاب الخاشـــــعات

وتُـــذكَرُ - فـــي الأنـــام - بكـــل خيـــر وتُمســـــــــي قـــــــدوةً للمُقـــــــبلات

نصـــحتُ ، وأجـــرُ نصـــحي عنـــد ربـــي فيـــــا رب الـــــورى بـــــارِكْ وَصـــــاتي

وأيّـــدْ مـــن يتُـــبن مـــن المعاصـــي ألا واقبـــــلْ جميـــــعَ التائبـــــات

الصعيدي عندما يعف

(القناعة يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: (قد أفلح من أسلم ، ورُزق كفافاً ، وقَنَّعه اللهُ بما آتاه). (مسلم). ولذلك قالوا: (القناعة كنز لا يفنى). قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس). (متفق عليه). وقال: (وارْضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس). (الترمذي وأحمد). ولقد أظهرت دراسة نشرتها صحيفة "ديلي اكسبريس" أن القناعة هي المفتاح إلى حياة سعيدة. ووجدت الدراسة أن القانعين بحياتهم هم أقل الناس احتمالاً للإصابة بأمراض القلب ، والسعداءُ يحمون أنفسهم من الأمراض المهلكة. وأضافت الدراسة التي أجرتها جامعة بريطانية أن القناعة في مجالات معينة من الحياة ، وخاصة الوظيفة والأسرة ، هي أصول صحية إيجابية. روى الدكتور خالد أبو شادي في سلسلته: (هبي يا رياح الإيمان) رسالة (حسن الحسنات) ص 16 عن صعيدي قنوع شهم ، فقال ما نصه: (يُروى أن طالب علم في الأزهر قدم من بلاد الصعيد ، فجلس في حلقة شيخه ، وكانت نفقته قد تأخرتْ من الصعيد ، ففارق حلقة الشيخ ، عساه أن يحصل على كِسراتٍ من الخبز ، فبينما هو يسير إذ دخل في شارع ضيق ، فوجد باباً مفتوحاً ، ووجد مأدبة طعام ، فمد يده إلى الطعام ، وكان من المحشي ، ثم بعد أن تناول قطعة ووضعها في فمه ، تذكّر أنه جاء ليطلب العلم ، والعلم نور ، وأبى أن يأكل شيئاً من هذا الطعام ، وعاد لحلقة شيخه ، وبه من الجوع ما الله به عليم. وبعد الدرس إذا بامرأة تأتي وتكلم الشيخ بكلام لم يفهمه الحاضرون ، ولمّا انصرفتْ قال الشيخ لهذا الطالب: ألك رغبة في الزواج؟! قال: أتهزأ بي؟! والله ما دخل جوفي طعام منذ ثلاثة أيام فكيف أتزوج؟! قال: المرأة توفي زوجها وترك لها ابنة صالحة ومالاً كثيراً ، وتريد رجلاً صالحاً يتزوج البنت ويرعى المال ، فقال الشاب: إن كان كذلك فلا بأس ، فخرجوا جميعاً حتى وصلوا الدار ، فلما وُضع الطعام بكى هذا الشاب! فقال له الشيخ: لم تبكي؟ هل أكرهناك على الزواج؟! قال : لا ، ولكني من سُويعاتٍ دخلتُ هذا البيت لآكل الطعام الذي وُضع بين أيدينا فذكرتُ أنه حرام فتركته لله فأعاده الله لي ومعه عروس بالحلال).هـ.)

اشـــمخ - بعـــزك - بُكـــرة وأصـــيلا فلقـــد أقمـــت - علـــى العفـــافِ - دلـــيلا

واقنـــعْ - بعيشـــك - هانئـــاً مســـتعففاً فلقـــد ســـلكت - إلـــى النعـــيم - ســـبيلا

واثبـــتْ علـــى درب الفضـــائل والهُـــدى وازرعْ - علـــى تـــاج العُـــلا - إكلـــيلا

وأدمْ صـــلاتك - للمليـــك - تضـــرعاً فلقـــد جـــزاك - علـــى الجميـــل - جمـــيلا

واشـــكرْ لربـــك جُـــوده وعطـــاءه إذ إن للشـــكر العمـــيم قبـــولا

واقـــرأ كتـــاب الله محتفيـــاً بـــه دومـــاً ، ورتـــلْ آيَـــهُ تـــرتيلا

واعمـــدْ إلـــى الصـــدقاتِ وارجُ ثوابَهـــا فالمـــالُ قـــد خوّلتـــه تخـــويلا

وامســـحْ علـــى رأس اليتـــيم تلطفـــاً أبـــداً ، وكـــنْ – للمُعـــدِمين - كفـــيلا

وإلـــى الأرامـــل أحســـنْ تنـــل الرضـــا! وتكـــــون عنـــــد مليكنـــــا مقبـــــولا

وإلـــــى ذوي الحاجـــــات أدّ حقـــــوقهم وانثـــــرْ عطـــــاءك فـــــوقهم مبـــــذولا

وأعِـــرْ - لأهـــل الفقـــر - أذنـــاً تشـــتهي إســـــــعادَهم ، وتزيـــــــدُهم تفضـــــــيلا

وألـــنْ حـــديثك للـــذي - لـــك - قـــد أتـــى يرجـــــو نـــــوالاً ، وابـــــذل المـــــأمولا

واذكُـــــرْ بأنـــــك كنـــــت يومـــــاً مثلـــــه مســـــتهجَناَ - فـــــي ذي الحيـــــاة - ذلـــــيلا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت تنشـــــدُ لقمـــــة وتبيـــــتُ مِـــــن ذلّ الســـــؤال علـــــيلا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت ترجـــــو شـــــرْبة وتظـــــل - مـــــن لهـــــب الظمـــــا - متبـــــولا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت تطلـــــبُ مســـــكناً ترتـــــاحُ فيـــــه - مـــــن العنـــــاء - قلـــــيلا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت تأمـــــلُ ملبســـــاً فـــــإذا ثـــــوى ، لـــــم تبـــــغ عنـــــه بـــــديلا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت أفقـــــرَ أيّـــــم لمّـــــا تكـــــنْ إحـــــدى يديـــــه الطّـــــولى

واذكـــــرْ مُكوثـــــك فـــــي الخلائـــــق واجمـــــاً تهجـــــو القنـــــوط ، وتنفُـــــدُ التنكـــــيلا

واذكـــــرْ ســـــؤالك مَـــــن يَـــــدل بمالـــــه حتـــــى قـــــلاك ، وكـــــان بعـــــدُ بخـــــيلا

واذكـــــرْ وقوفـــــك – بالمفـــــارق - ســـــائلاً والنـــــاسُ تمقـــــتُ طالبـــــاً وسَـــــؤولا

واذكـــــرْ تزلّفـــــك الحيـــــيّ تريـــــدُهم أن يُكرمـــــوك ولا يـــــردّوا الســـــولا

واذكـــــرْ دموعـــــك يـــــوم ســـــالت تشـــــتكي ضـــــنكَ الحيـــــاة وســـــيفها المصـــــقولا

واذكـــــرْ أنينـــــك مِـــــن مُكابـــــدة الضـــــنا واذكـــــر ســـــتار حيائـــــك المســـــدولا

واذكـــــرْ نحيبـــــك زاده فـــــرطَ الجـــــوى! يبكـــــي مصـــــيراً غامضـــــاً مجهـــــولا

واذكـــــر نشـــــيجك يـــــوم ســـــربلك الـــــدجى وتعلقـــــاً باليُســـــر كـــــان ضـــــئيلا

واذكـــــر إبـــــاءك يـــــوم زلزلـــــه الطـــــوى والـــــدمعُ يحفـــــرُ - فـــــي الخـــــدود - مَســـــيلا

واذكـــــر عفافـــــك فـــــي المصـــــاب قـــــد اكتـــــوى بالنـــــــار تحـــــــرقُ زادَه المَكفـــــــولا

واذكـــــر ســـــؤال الله يـــــوم قيامـــــةٍ عمـــا اكتســـبت بـــذي الحيـــاة الأولـــى

يـــا ابـــن الصـــعيد جُزيـــت خيـــراً وافـــراً ووقيـــت شُـــحاً - فـــي القلـــوب - وبـــيلا

والمـــــرءُ بالإســـــلام يَصـــــلحُ حالـــــه فالشـــــرعُ خيـــــرٌ مَـــــوْرداً وأصـــــولا

والشـــرعُ فـــي الظلمـــات بـــدرٌ ســـاطعٌ وهُـــــدىً يُبيـــــدُ الغـــــيّ والتضـــــليلا

والشـــرعُ يهـــدي – للرشـــاد - مُريـــدَه فـــــــيُحكّمُ الأخـــــــلاقَ والتنـــــــزيلا

والشـــرعُ موئـــلُ مَـــن يـــودّ نجاتـــه فيُثـــاب فـــي - يـــومِ الجـــزاء - جـــزيلا

والشـــرعُ حُجـــةَ مَـــن يعـــيش لدينـــه هـــو - فـــي الـــدياجر - يحمـــل القِنـــديلا

والشـــرعُ أعظـــمُ مـــا يُميّـــز عـــاقلاً كـــم شـــاد تشـــريعُ المليـــك عقـــولا!

والشـــرعُ يمـــنحُ كـــل نفـــس رُشـــدَها كـــي تســـتطيعَ - إلـــى الجنـــان - وصـــولا

يـــا ابـــن الصـــعيد درســـت دينـــك راغبـــاً ثـــم انطلقـــت تـــدَوّن التأصـــيلا

فعلمـــت مقصـــود الشـــريعة واعيـــاً وفقهـــت مِـــن منصوصـــها المَـــدلولا

وســـبرت أغـــوار الأمـــور وفقههـــا والحـــــق والتحـــــريمَ والتحلـــــيلا

ووعيـــت قـــرآن المهـــيمن مســـلماً علِـــمَ المُـــراد ، وأتقـــنَ التـــأويلا

واللهُ خصّـــك بالتفقـــه فـــي الهُـــدى والعلـــمُ أصـــبحَ ســـيفك المســـلولا

تقـــتصّ مِـــن نفـــس تجرّعَـــك الشـــقا وتبيـــدُ مجتهـــداً بصـــائرَ حُـــولى

وتضـــيئ عزمـــاً لـــم يكـــنْ متـــرهّلاً وعلـــى التطفـــل لـــم يكـــن مَجبـــولا

وتعـــيشُ بـــالتقوى رضـــيّاً قانعـــاً كـــيلا تكـــون معانـــداً ضِـــليلا

لـــم تتخـــذ ديـــن الإلـــه دراســـة ترجـــو بهـــا - بـــين الـــورى - تنـــويلا

فالأكـــلُ بالإســـلام أخبـــثُ مـــنهج تعـــسَ التكسّـــب ، كـــم أضـــل كهـــولا!

شـــابوا علـــى بيـــع الشـــريعة للمَـــلا واســـــتعذبوا التطويـــــع والتعطـــــيلا

ضـــلوا ، فللـــدنيا تفقـــه حـــزبُهم وأراهـــمُ فعـــلاً أضـــلوا الجـــيلا

لكـــنّ صـــاحبنا ترفـــعَ ، واعتلـــى مَـــتن العفـــافِ مُـــبجّلاً بُهلـــولا

واللهُ أكـــرم فـــي الخلائـــق شـــأنه لمّـــا تفكـــر فـــي المصـــير طـــويلا

أكـــلُ الحـــرام يُميـــتُ قلبـــاً مُخبتـــاً ويَـــدُكّ عزمـــاً - فـــي الضـــمير - جلـــيلا

هـــي أكلـــةَ حُـــبُ الكبـــائر بعـــدها ويبيـــتُ آكلهـــا العصـــيّ أكـــولا

ولـــذا تـــورّع أزهـــريّ صـــعيدِنا فغـــداً سيُصـــبح - فـــي الكُـــدى - مـــأكولا

حتـــى أتـــت شـــيخاً لـــه خيـــرُ النســـا مَـــن آثـــرتْ - فـــي الاختيـــار - عُـــدولا

وتُريـــد زوجـــاً - للفتـــاة - موحّـــداً وعلـــى تديّنـــه يُقـــيمُ دلـــيلا

والشـــيخُ طمأنهـــا ، وبلغهـــا المُنـــى طربـــاً ، وهلـــلَ ضـــاحكاً تهلـــيلا

وأتـــى - لصـــاحبنا - ببُشـــراه التـــي قـــد ذللـــتْ - لفـــؤاده - تـــذليلا

وأتتـــه دنيـــا مـــا ســـعى لنوالهـــا بـــل سُـــهلتْ لجنابـــه تســـهيلا

وتملـــكَ المـــالَ الكثيـــر بصـــبره وتـــزوّج العـــزبُ العفيـــفُ بَتـــولا

وتحـــوّل الحُلـــم العجيـــبُ حقيقـــة حتـــى الخيـــالُ غـــدا لـــه معقـــولا!

والنـــاسُ بعـــدُ فمُكْبـــرٌ لعلومـــه ومُبجّـــلٌ أخلاقـــه تبجـــيلا

حـــاز الأصـــالة مِـــن جميـــع مِهادهـــا ديـــنٌ وأرضٌ أنبتـــاه أصـــيلا

أخلاقـــه الإســـلامُ هـــذب سَـــمتها وصـــعيدُنا زكّـــى - لديـــه - مُيـــولا

أصـــلٌ وأخـــلاقٌ ونُبـــلُ مَحاتـــدٍ والـــدينُ جمّـــلَ طبعـــه تجمـــيلا

اللهُ أكبـــر ، لا أزكـــي خلقـــه يـــا ليتنـــي أمسِـــي لـــذاك خلـــيلا

للهـــمّ بـــاركْ فـــي الـــذين تمسّـــكوا بعُـــرى الهُـــدى ، كـــنْ ناصـــراً ووكـــيلا

احتسبتُكَ عند الله يا خالد!

(علمتُ بوفاة أحد أحبابي في الله ورسوله والإسلام ، فذهبتُ فرداً لأشيّعه ، فأدركتُ التغسيل والتكفين في داره. ولمّا خرجتِ الجنازة من الدار متجهة إلى المسجد للصلاة عليها سمعتُ زوجته تقول: (احتسبتك عند الله يا خالد). فتحركتْ في نفسي قشعريرة الشعر ، وأنشدتُ هذي القصيدة التي جعلتُ كلمات هذه الزوجة الفاضلة المؤمنة عنواناً لها. تلك المرأة التي ما لطمت خداً ولا شقت جيباً ولا دعت بدعوى الجاهلية. ولمّا وجدتُ ثباتها ومَضاءها وصبرها واختلاط دموع احتسابها بدعائها الفذ العذب الجميل ، هزني هذا كله مقارنة بما كنتُ أجد من بعض النسوة في مثل هذي المواقف من اللطم والصياح والعويل ودعوى الجاهلية واليأس والقنوط. ولقد روى مسلم من حديث أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطِران ودرعٌ من جرب). وروى مسلم كذلك من حديث أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً ، فإن ملائكته يؤمنون على تقولون). فلما مات أبو سلمة قالت: اغفر له وأعقبني عُقبى صالحة. قالت: فأعقبني الله تعالى رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم -). يقول الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}. والأحاديث - عن فضل من مات صفيه واحتسب - كثيرة ومتعددة ، نذكر منها على سبيل المثال: – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة ، فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا ، فيأتون ، فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم محبنطئين ، ادخلوا الجنة ، فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا ، فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم». [حديث حسن]. – وعن أبي أمامة – رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يقول الله سبحانه: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى ، لم أرض ثوبًا دون الجنة». [حديث حسن]. – وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة». [حديث صحيح]. – وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي! فيقولون: نعم ، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده! فيقولون: نعم ، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة ، وسمّوه بيت الحمد». [حسنه الألباني]. ألا إن الصبر عند الصدمة الأولى كما أثِر عن النبى – صلى الله عليه وسلم -. ألا جزا الله خيراً هذه الأخت الصالحة التي احتسبتْ زوجها عند الله ، والتزمتْ أدب الإسلام وخلقه! ولنتابع قراءة هذه القصيدة من المتقارب وعلى القافية الذالية النادرة. ولكن حُباً وكرامة في هذا الميت الحي الحبيب: (خالد الحدّاد) الذي كم كانت علاقته بي حميمة وأصيلة إذ هي في الله. ولا أزكيه على الله ، والله حسيبه.)

حُروفُـــكِ قـــد فـــاح منهـــا الشـــذى بـــــــرغم المُصـــــــاب ومُـــــــرّ الأذى

ورغـــــم توشّـــــحِها بـــــالجوى تُشـــــــيّع مُلتاعـــــــة جَهبـــــــذا

يُصـــــارعُها الـــــدمعُ مستبســـــلاً ... ويُرســـلُ - للعـــين - أعتـــى القـــذى

فحـــــرفٌ يُكابـــــدُ وخـــــذ البُكـــــا ... وحـــــرفٌ تصَـــــلى بـــــوهج الجُـــــذا

وصـــــاحبةَ الـــــدمع لـــــم تنهـــــزمْ ... وكـــــان لهـــــا دينهـــــا منقـــــذا

ولـــــم يســـــكن اليـــــأسُ فـــــي قلبهـــــا ... وأمســـــى الثبـــــاتُ لـــــه منفـــــذا

لأن التصـــــــبر قـــــــد زانهـــــــا! ... وخاطرُ هـــــــا بـــــــاليقين اغتـــــــذى

فمـــا لطمـــتْ - فـــي الـــبلا - وجهها ... ومنهـــا اللســـانُ وعـــى مـــا هـــذى

ومـــا شـــقتِ الجيـــبَ فـــي كربهـــا! ... مثـــالاً غـــدتْ فـــي النســـا يُحتـــذى

وعاشـــــــت وَدوداً لمحبوبهـــــــا ... وإذ مـــــات لمّـــــا تكـــــنْ مِلـــــوذا

وكانـــت قـــد احتســـبتْ زوجهـــا ... بلفـــظٍ تضـــوّع منـــه الشـــذى

ولمّـــا تـــنُحْ قَـــط أو تنتحـــبْ ... ولمّـــا تقُـــلْ كـــان زوجـــي كـــذا

فبُوركـــتِ مـــن قـــدوةٍ للـــورى ... فيـــا ليـــتهم - فـــي الـــبلا - هكـــذا

إذا مـــا ابتُلـــوا قـــاوموا حـــزنهم ... وكـــان التصـــبر نعـــم الغِـــذا!

وكـــان الـــدعاءُ لهـــم مَـــوئلاً ... ويـــا حبـــذا الصـــبر ، يـــا حبـــذا!

فلـــيس يـــردُ القنـــوطَ القضـــا ... و(لـــوْ) تُـــورث الهـــم مثـــل (إذا)!

و(لـــــولا) تُعـــــذب أصـــــحابَها ... يقولـــون: مـــا مـــات لـــولا كـــذا!

فيـــا رب رفقـــاً بمكلومـــةٍ ... بـــك اليـــومَ ذي أصـــبحت مُعْـــوذا

حنانيـــك خفـــفْ مُعاناتهـــا ... وســـامحْ إذا مـــا أتـــت مأخـــذا

هدى اللهُ بها امرأتين

(كانت هذه الأخت الصالحة الموفقة في زيارة دعوية ، وذلك برفقة زوجها في إيطاليا ، وكانت تُمرّض جارتها النصرانية التي كانت تصارع الموت. إذ جاءت أختها تطلب شيئاً من العون. فذهبتْ أم مُهند الداعية وهي تعلم أن ليس في شقة جارتها تلك سوى أختين (مارينا وجريسا) فقط. وهناك قامت بتلقين المريضة الشهاديتن. وفصّلتْ لها حقائق الإسلام باللغة الإنجليزية. فقبلت (مارينا) وماتت بعد نصف ساعة على الإسلام ، بعد أن نطقتْ بالشهادتين في جلاءٍ ووضوح ، وظهرتْ عليها علاماتُ الرضا والارتياح والابتسام ، وأشارت بإصبعها السبابة إلى السماء ، ونطقت بلا إله إلا الله ، محمد رسول الله. وأما (جريسا) فسألت: ماذا قلت لها؟ ولماذا ابتسمت وفرحتْ قبل أن تموت؟ فشرحتْ أم مهند لها ما شرحته من قبلُ لأختها. واستفاضت في الحديث عن التوحيد والعقيدة إلى أن اقتنعت هي الأخرى ، وأقرتْ وأنابت وقبلت وشهدت شهادة الحق. وإنه لشئ مشرّف أنّ امرأتين كانتا تقولان بأن المسيح ابن الله وبأن الله ثالث ثلاثة. فإذا بهما تنطقان بالشهادتين وتسْلِمان. ومن هنا كتبتُ هذه القصيدة أحيي أم مهند الداعية اللبقة المخلصة المباركة الموفقة ، التي لا أزكيها على الله ربي أبداً. وأقول لها بأنه لا أحد مثلها في الشرف والكرامة والمكانة. وإنه لشرفٌ عظيم ونعمة غالية هداها الله إليها. فأنشدتُ هذه الفائية من البسيط محيياً ومهنئاً أم مُهند حفظها الله. روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه» ، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال صلى الله عليه وسلم: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: يشتكي من عينيه يا رسول الله ، قال: «فأرسلوا إليه فأتوني به» ، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلى الإسلام ، وأخبرْهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم». وتحت هذا العنوان: (الحرص على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام) يقول الدكتور راغب السرجاني ما نصه: (لقد ظلَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يُحاول معهم بكل السبل على الرغم من سخافتهم واستهتارهم ؛ بل ظلَّ حزينًا على عدم إيمانهم إلى الدرجة التي طلب الله عز وجل منه أن يُخَفِّف من وتيرة الحزن عليهم ؛ حرصًا عليه من أن يُهلكه هذا الحزن! قال تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا). وقال أيضًا: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ). بل إنَّه قال: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ). إنَّنا نُطالع في هذه الآيات درجةً عجيبةً من درجات الحزن النبوي على المشركين والكافرين! إنَّه لا يحزن هنا على ولدٍ حبيب ، ولا على صديقٍ حميم ؛ إنَّما يحزن على مجموعةٍ من قساة القلوب ، غلاظ الأنفس ، إنَّ هذا لموقفٌ يحتاج إلى تدبُّر!).هـ.)

مـــن مثلـــكِ اليـــوم فـــي عِـــز وفـــى شـــرفِ؟ يـــا مـــن أعـــدتِ لنـــا مناقـــبَ الســـلفِ

دعـــوتِ لله فـــي صـــبر وفـــي وضـــح بـــدمع مؤمنـــةٍ - فـــي الله - منـــذرف

أبنـــتِ حقـــاً لمـــن ـ فـــي كفرهـــا ـ رتعـــتْ والحـــقُ أفضـــلُ مـــا أبنـــتِ مِـــن هـــدف

والـــدعوة ـ اليـــوم ـ علـــمٌ قبـــل تجربـــةٍ وهمّـــــة تغتـــــذي بالصـــــبر والثقـــــف

شـــمرتِ عـــن ســـاعد التنظيـــر موقنـــة بالنصـــر للحـــق فـــي عـــز وفـــي شـــرف

ثـــم انطلقـــتِ ـ إلـــى الميـــدان عازمـــة علـــى الجهـــاد بقلـــب غيـــر مرتجـــف

تُنـــافحين ـ عـــن الإســـلام ـ فـــي جلـــدٍ ومَـــن تنـــافحْ عـــن الإســـلام تنتصـــف

لـــم تُثنـــكِ الشـــبَهُ الرّعنـــاء أطلقهـــا رؤوس مَـــن رضـــعوا مِـــن حَمْـــأة الخـــرَف

قـــالوا: المليـــكُ لـــه إبـــنٌ وصـــاحبةٌ أبـــئسْ بجيـــل ـ بهـــذا الشـــركِ ـ مُتصـــف!

عيســـى بـــرئٌ مِـــن الـــدين الـــذي ابتـــدعوا ومِـــن ضـــلال هـــمٌ خطـــوهُ فـــي الصُّـــحف

و(مـــريمُ) الخيـــر مِـــن تخـــريفهم برئـــتْ وكـــم يُضـــلُ الـــورى تزويـــرُ منحـــرف!

ضـــلوا ، وثـــم أضـــلوا مَـــن يُتـــابعُهم لا شـــيئ يُخـــزي الـــورى فـــي الأرض كالســـرف

(أمَ المهنـــد) حيـــاكِ المليـــكُ علـــى مـــا قـــد بـــذلتِ بـــلا ضـــيق ولا أفـــف

مازلـــتِ بالنصـــح غاديـــةً ورائحـــة فـــي صـــبر داعيـــةٍ كالناقـــة الألـــف

حتـــى هـــدى اللهُ (مارينـــا) ، وقـــد رحلـــتْ ومـــا عليهـــا بمـــا نالتـــه مـــن أســـف

قـــد أســـلمتْ فعســـى الـــرحمنُ يقبلهـــا ولا يؤاخـــــذها بســـــالف الصـــــلف

وذي (جريســـا) وقـــد تابـــتْ لبارئهـــا وأقبلـــتْ تتبَـــعُ الإســـلامَ فـــي شـــغف

وزايلـــتْ كـــل مـــا الصـــليبُ أصّـــله مِـــن العقائـــد والتضـــليل والجنـــف

وأقبلـــتْ تشـــرب الإيمـــان فـــي نهـــم ومَـــن تـــذقْ لـــذة الإيمـــان ترتشـــف

(أم المهنـــد) جـــازاكِ الإلـــهُ علـــى عطـــاكِ ، مَـــن يقـــرأ الكتـــابَ يعتـــرف

بمـــا بـــذلتِ ، وربُ النـــاس مطلـــعٌ ولـــم تكـــن توبـــة النســـاء بالصـــدف

لكنـــهُ قـــدَرٌ أجـــراه خالقنـــا تبـــاركَ اللهُ ذو الإحســـان واللطـــف!

إنك لا تهدي من أحببت

(كان يدرّسُها حيناً من الدهر. وكانت تلميذة متبرجة. وذات يوم طمع في هدايتها على عنادها ولجاجها. واجتهد معها وظلت على ما هي عليه. وبعد سنين أثمرتِ الدعوة. وإذا هو بالطالبة في مقام العروس تستحي العيون المحترمة من النظر إليها وإلى ما هي عليه من الوقار والحشمة والعباءة والجلباب الذي أخفاها عن كل عين. وإذا هي تبدأ الحوار مع الأستاذ: (ألا تعرفني ، إنني فلانة بنت فلان التي كنت تدرسها من سنوات وها أنذا استمعت لكلامك ولكن بعد حين؟) فأجاب الأستاذ: (الحمد لله ، وبارك الله فيك يا بُنية. وصدق الله: إنك لا تهدي من أحببت. فإلى تلميذتي المحترمة (حفصة) أهدي هذه القصيدة! يقول الأستاذ حميد بن خيبش في مسألة اتباع الحق في هذا الزمان العصيب الذي نعيش ما نصه: (لمّا أبدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه احتجاجه على صلح الحديبية ، ورأى فيه دنية تُعطى لأهل الشرك ، أجابه أبو بكر رضي الله عنه بعبارة تلخص معنى اتباع الحق: "الزم غرزه! أي أمره ونهيه ، فإني أشهد أنه رسول الله ، وأن الحق ما أمر به ولن يخالف أمر الله ، ولن يضيعه الله". ألا ما أحوج شبابنا اليوم في متاهة الشبهات والتلفيقات والتأويل الفاسد لنصوص مجتزأةٍ من سياقها ، إلى إدراك هذا المعطى الجليل ، والوقوف على صور أخرى للاتباع غير التي يحفل بها اليوم خطاب ناعم انتقائي! إن حركة الحياة حين تكون منسابة هادئة كجدول ماء ، فإن النفس تجد في بعض كلام الحكماء وتصرفاتهم ما يُغريها بالاقتداء به وتمثله ، ولو على نطاق ضيق ، حتى إن الحديث عن القيم الإنسانية أو السلوك الحسن أو التفاعل الإيجابي مع الغير لا يحقق الأثر المطلوب إلا إذا استحضر نموذجاً تطبيقياً ، تشعر النفس بالميل إلى محاكاته. لكن حين يجد الإنسان نفسه أمام مواقف حرجة ، أو في خضم معارك أو أزمات أو حتى دوائر قلق متتالية ، فإن كل النماذج تنهارُ أو تتوارى لتصبح الغرائز وحدها سيدة الموقف! من هنا نفهم سر الجمع بين التوحيد والاتباع في الشهادتين كركن أول من أركان الإسلام ، إذ لا يستقيم في عقل لبيب أن يُترك المنتسب للدين وحيداً في معترك الحياة ، دون أن يسترشد بنموذج مضيء تستوعب سيرته حقائق ذاك الدين ومبادئه. لذا كان الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم دون تحقيق شرط اتباع الحق انحرافاً عن المسار ، لا تزال الأمة حتى اليوم تعاين آثاره السلبية في كافة المجالات ، بدءاً بمنظومة القيم ، ووصولاً إلى السيادة وحرية صنع القرار. لا يقف اتباع الحق عند حدود محاكاة النبي صلى الله عليه وسلم في المأكل والملبس ، أو المعاملة اليومية مع الزوجة والصاحب والجار ، بل يمتد إلى المواقف الحرجة التي قد ينطفئ فيها سراج العقل ، أو يهتز أمامها بنيان القيم. فلا يتحقق شرط الاتباع إلا حين تكون النفس خائفة مضطربة ، أو هائجة تدير دفتها فورة الغضب. ولنلق نظرة على مواقف من السيرة النبوية لتدعيم صواب هذا الطرح. حين عزمتْ قريشٌ على قتل زيد بن الدثنة رضي الله عنه في مأساة الرجيع الشهيرة ، قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه ، وأنك في أهلك؟ فقال: لا والله ، ما يسرني أني في أهلي ، وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه. فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً.).هـ)

أذهِبـــي مـــا بـــالنفس مـــن أشـــجانِ واســـتقيمي علـــى الهُـــدى الربـــاني

وأعيـــدي مـــن ذكريـــات التســـامي ... مـــا يُسَـــلي خـــواطرَ الإنســـان

وأميطـــي الأســـتارَ عمـــا تـــوارى ... مِـــن بقايـــا قصـــائد الـــديوان

وأعيـــري الإحســـاسَ حُبـــاً وشـــوقاً ... لبيـــان الإســـلام والإيمـــان

وأذيبـــي بُعـــداً طـــوى كـــل ذكـــر ى ... وتحـــدّي بُحبوحـــة الســـلوان

واملئينـــي فخـــراً بمـــا شِـــدتِ يومـــاً ... مِـــن جليـــل الأخـــلاق والأركـــان

واجعلينـــي أختـــالُ تِيهـــاً بنصـــحي ... يـــوم كنـــتُ أدعـــو بكـــل تفـــان

واصـــدُقيني الأقـــوالَ لـــم تحـــو كِـــذباً ... أتملـــى منهـــا الـــرؤى والمعـــاني

واغمرينـــي بطاعـــة الله دومـــاً ... لـــيس شـــيءٌ كطاعـــة الـــديان

واشـــتريني مـــن وسوســـاتِ فـــؤادي ... حيـــث كنـــتُ استيأســـتُ ممـــا أعـــاني

أنـــت منـــي بُنيتـــي بعـــضُ ذاتـــي ... نبتـــة قـــد سَـــقيتها إحســـاني

كـــم أجبـــتُ عمـــا ســـألتِ بصِـــدق! ... دون غـــش فـــي القـــول أو كِتمـــان

ثـــم كانـــت إرهاصـــة للمعـــالي ... عبْـــرَ نصـــح مســـتيقن العرفـــان

كنـــتُ آســـي أن لـــم تـــردّي جـــوابي ... ويُواســـيني فيـــكِ طيـــفُ الأمـــاني

كـــم رســـمتُ - للحـــق - دربـــاً جليـــاً ... مســـتعيناً بـــالعلم والقـــرآن!

كـــم أبنـــتُ الشـــرعَ المطهـــر قصـــدي ... أن تعشـــن فـــي طاعـــةٍ وأمـــان!

كـــم تصـــدقتُ بالبيـــان احتســـاباً ... والبنـــاتُ يرفضـــن أنقـــى بيـــان!

كـــم حملـــتُ البشـــرى لكُـــنّ انتصـــاراً ... للســـجايا مـــن عـــالم الخســـران!

كـــم وعظـــت حتـــى مللـــتُ الوصـــايا! ... ثـــم بـــاءت بـــالترك والخـــذلان!

كـــم تناولـــتُ أمّهـــاتِ القضـــايا! ... كـــم وزنـــتُ الأمـــور بـــالميزان!

كـــم قصصـــتُ مـــن قصـــةٍ ذاتِ مغـــزى ... بـــاحترام فـــي الســـر والإعـــلان!

كـــم دللـــتُ دومـــاً علـــى الخيـــر غيـــري رغـــم مـــا ألقـــى مـــن لظـــى العـــدوان!

وأرانـــــي أدليـــــتُ دلـــــوي وحيـــــداً فـــــي فريـــــق يـــــأوي إلـــــى العصـــــيان

همّهُـــم جمـــعُ المـــال دون اكتـــراثٍ كيـــف مـــالوا للمـــال كالعُبـــدان؟

كنـــتُ وحـــدي أصْـــلى بنـــار التحـــدي كيـــف أنـــأى عـــن لفحـــة النيـــران؟

كنـــت أبنـــي مـــا يهـــدمون ، وربـــي بينمـــا هـــدّوا بنيّـــة البنيـــان

والبنـــاتُ فـــي الفصـــل مســـتهجناتٌ مـــا يقـــول المســـتنكر المتفـــاني

لا يُطقـــن التـــذكيرَ بـــالله يُجْلـــي هاجســـاً مِـــن وســـاوس الشـــيطان

كيـــف تـــأبى هـــذي البنـــاتُ التســـامي عـــن ضـــياع فـــي عـــالم الـــذوبان؟

كيـــف تـــأبى الســـموَ عـــن كـــل رجـــس جـــاءهن مِـــن أمـــة الكفـــران؟

قـــد غـــرقن فـــي تيـــهِ أهـــل المخـــازي وانحـــلال التلمـــود والصـــلبان

كنـــتُ أرجـــو لهـــن أطهـــرَ هـــدي شِـــرعة الله الخـــالق الـــرحمن

كنـــتُ أرجـــو انتشـــالهنّ ، وربـــي مـــن ضـــلال الأحبـــار والرهبـــان

كنـــتُ أرجـــو إنقـــاذهنّ ، وربـــي مـــن أســـاليب الطغمـــة الـــذؤبان

كنـــتُ أرجـــو إيضـــاحَ مُـــر الخفايـــا بالـــدليل المصـــحوب بالبرهـــان

كنـــتُ أرجـــو احتشـــامهنّ ، وهـــذا أمـــرُ ربـــي والمصـــطفى العـــدنان

كنـــت أرجـــو تعلـــيمهن المعـــالي فـــي عشـــير يـــأوي إلـــى الأوثـــان

كنـــت أرجـــو مـــا أرتجيـــه لنفســـي مـــن نجـــاةٍ ومـــن دخـــول الجنـــان

كنـــت أرجـــو لهـــن خيـــراً كثيـــراً سُـــقته بالإخـــاء والتحنـــان

قـــد غـــرقتن فـــي التبـــرج ردحـــاً وهْـــو بحـــرٌ عـــاتٍ بـــلا شـــطآن

ففتـــاة جـــاءتْ بـــدون حجـــاب! والحجـــابُ دِرعٌ لـــذي الأبـــدان

كيـــف تســـعى بـــين الرجـــال فتـــاة ... بالجمـــــال المســـــتعرض الفتـــــان؟

وفتـــاة تختـــال فـــي ثـــوب عُـــري ... فـــاح منهـــا غصـــباً شـــذى الريحـــان

غصـــنُ بـــانٍ قوامُهـــا يتمطـــى ... بـــات يســـبي نـــواظرَ الشـــبان

وعلـــى الوجـــه دنـــدناتُ التصـــابي ... هـــل جمـــالٌ يســـبي كحســـن الحِســـان؟

والشـــعورُ فـــوق الظهـــور تـــدلتْ ... قـــد تثيـــر غرائـــز العُميـــان!

والعيـــونُ فيهـــا مِـــن الكُحـــل سِـــحرٌ ... يـــا لبلـــواء العاشـــق الولهـــان!

وفتـــاة تمشـــي بكـــل دلال ... مِشـــية الصـــبّ المُغـــرم الســـكران

تضـــرب الرجـــل كـــي تبـــين اللآلـــئ ... مثلمـــا تمشـــي مُومســـات الغـــواني

تختـــلُ الصـــب بـــالحُلِي ، وتســـبي ... عقـــلَ كـــل مَـــن مـــال للنســـوان

وفتـــاة بـــاللفظ تســـبي خـــديناً ... مســـتهاماً مِـــن شِـــلة الأخـــدان

كـــل حـــرفٍ لـــه طـــلاوة نطـــق ... والتراكيـــبُ مثـــلُ جـــرْس الأغـــاني

والتـــرانيمُ - كالأغاريـــد - نشـــوى ... مشـــرقاتٌ مســـتعطراتٌ حـــوان!

كـــروانٌ يشـــدو بصـــوتٍ رخـــيم ... والمعـــاني تـــذوب فـــي الألحـــان

وخضـــوعٌ بـــالقول دون احتيـــاطٍ ... مِـــن قلـــوب تنـــوءُ بالأضـــغان

كنـــتُ أعطـــي ، والصـــدّ مـــنكن أعتـــى ... وي كأنـــا فـــي ذي الـــوغى خصـــمان!

فابنـــة منـــي تشـــتكي دون حـــق ... ثـــم تزجـــي الزعُـــومَ بالبهتـــان

وتشـــيعُ عنـــي الأغـــاليط ظلمـــاً ... كـــي ترانـــي فـــي ذلـــةٍ وهـــوان

وابنـــة عنـــي تفتـــري ، لا تبـــالي ... والقلـــوبُ فيهـــا مـــن الشـــنآن

تتجنـــى - زوراً - علـــى مُستضـــام ... كـــم يُقاســـي خيانـــة الخـــلان!

تـــدّعي أنـــي - للبنـــات - عـــدوٌ ... هـــنّ عنـــدي مثـــلُ الإمـــاء عـــوان!

كيـــف رجمـــاً بالغيـــب تطعـــنُ عِرضـــي؟ بكـــــلام قـــد فـــاق جـــرح الطِعـــان؟

وابنـــــة عنـــــي عرّضـــــتْ بالحكايـــا زيفهـــــن يُـــــزري بكـــــل لســـــان!

رغـــم أنـــي مـــا نلـــت منهـــا بتاتـــاً بـــــل بـــــذلتُ المعـــــروفَ دون تـــــوان

وابنـــة فـــي الإعـــراض ليســـت تبـــارَى فـــــالكلامُ منهـــــا كضـــــرب السِـــــنان

شوّشـــتْ عـــن أســـتاذها فـــي أنـــاس يعشـــــقون التشـــــويش كـــــل أوان

واحتســـبتُ علّـــي أفـــوز بفضـــلي تســـــتفيد مـــــن جـــــذوة التبيـــــان

والمليـــكُ يهـــدي الـــذين اســـتجابوا واســـــتبانوا معـــــالمَ الفرقـــــان

قـــد هـــداكِ للحـــق بعـــد التـــردي فنجـــــوتِ مـــــن لجـــــة الطوفـــــان

فاشـــكري مـــولاكِ الجليـــلَ جـــزيلاً فالمَزيـــــدُ فـــــي كثـــــرة الشـــــكران

(حفصـــــة الخيـــــر) زادكِ الله عِـــــزاً والتزامـــــاً علـــــى مـــــدى الأزمـــــان

أنـــتِ ترجمـــتِ النصـــحَ قـــولاً وفعـــلاً وفـــــق تشـــــريع الواحـــــد المنـــــان

ولـــــيَ الفخـــــرُ أن دعـــــوتُ فتـــــاة واســـــتجابت ترجـــــو سَـــــنا الغفـــــران

كلمـــاتٌ مـــن فيـــك أحيـــتْ طمـــوحي والوعـــــودُ إشـــــراقها قـــــد ســـــباني

(حفـصُ) وفـي مـا قـد وعـدتِ وكـوني مـــــن ربيبـــــات الرشـــــد والرّجْحـــــان

والزمـــي الحـــق فـــي ثبـــاتٍ وعـــزم واحـــذري (حفـــصُ) مـــن دنـــدنات القِيـــان

والحيـــــاة كنـــــز ، فـــــلا تفســـــديها كيـــــف تُـــــرْدِين غـــــاليَ الأثمـــــان؟

واهجـــري مَـــن تهـــوى ركـــوب الـــدنايا كـــــاللعوب تشـــــتاق للأخـــــدان!

أنـــتِ فضـــلى ، لا تصـــحبي غيـــرَ فضـــلى ذاتَ ديـــــن - بـــــين الـــــورى - وصِـــــيان

وختـــــامُ الأشـــــعار عـــــذبُ دعـــــائي والحنايـــــا تـــــزفّ أزكـــــى التهـــــاني

المروءة

(إنني أكتب قصيدة المروءة لأدلل على أن أغلب أهل زماننا بريئون منها ، كما أنها حقيقة بريئة منهم ، براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب – عليه وعلى أبيه وعلى نبينا صلوات الله وتسليماته. ولننظر ما كتبه أبو حاتم محمد بن حبان البستي في كتابه الرائع: (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) الباب (41) ، قال أبو حاتم رحمه الله: (صرّح النبي صلى الله عليه وسلم بأن المروءة هي العقل! والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ. فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة ، بقدر عليه من الخصال المحمودة ، وترك الخلال المذمومة. وقد نبغتْ نابغة اتكلوا على آبائهم وأجدادهم ، في الذكر والمروءات ، وبعُدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم. ولقد أنشدني منصور بن محمد في ذمّ مَن هذا نعته فقال لي ذات يوم:

خساسةُ أخلاق الرجال تشينهم ... وقلّ غناءً عنهمُ النسبُ المَحضُ

يصولون - بالآباء - في كل مشهدٍ ... وقد غيّبتْ آباءَهم عنهمُ الأرض

طويلٌ تبدّيهم بمَجدِ أبيهمُ ... وما لهم - في المجد - طولٌ ولا عَرض

قال أبو حاتم رحمه الله: ما رأيتُ أحداً أخسر صفقة ، ولا أظهر حسرة ، ولا أخيب قصداً ، ولا أقل رشداً ، ولا أحمق شعاراً ، ولا أدنس دثاراً ، من المفتخِر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد أشباههم ، متوهماً أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدّمَهم وهيهات! أنى يسود المرءُ إلا بنفسه؟ وأنى ينبل في الدارين إلا بكدّه؟ وأنشدني الأبرش فقال:

فإن قلتَ: لي آباءُ صدق ومنصبٌ ... كريمٌ ، وإخوانٌ مضتْ وجدودُ

صدقت ، ولكنْ أنت هدّمت ما بنوْا ... بكفك عمداً ، والبناءُ جديد

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي مشيداً بمبدأ المروءة المبنية على أفعال العبد ذاته فقال:

إن لم تكنْ بفعال نفسكَ سامياً ... لم يُغن عنك سُموُ مَن تسمو بهِ

ليس القديمُ إلى الحديث براجع ... إن لم تجدْهُ آخذاً بنصيبه

ولربما اقترب البعيد بوُدّه ... وغدا القريبُ مباعداً لقريبه

وعن الحسن قال: لا دين إلا بمروءة. فمن قائل قال: المروءة ثلاثة: إكرام الرجل إخوان أبيه ، وإصلاحه ماله ، وقعوده على باب داره. ومن قائل قال: المروءة: إتيان الحق ، وتعاهد الضيف. ومن قائل قال: المروءة: تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغداء والعشاء في الأفنية. ومن قائل قال: المروءة: إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو فوقه ، والجزاء بها أتى إليه. ومن قائل قال: مروءة الرجل: صدقُ لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ، وبذله المعروف لأهل

زمانه ، وكفه الأذى عن أباعده وجيرانه. ومن قائل قال: إن المروءة: التباعد من الخلق الدني فقط. ومن قائل قال: المروءة: أن يعتزل الرجل الرّيبة: فإنه إذا كان مريباً كان ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والإبقاء على نفسه في مطعمه ومشربه. ومن قائل قال: المروءة: حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء ما يعاب به. ومن قائل: المروءة: سخاوة النفس ، وحسن الخلق. ومن قائل قال: المروءة العفة والحرفة ، أي يعف عما حرم الله ، ويحترف فيما أحل الله. ومن قائل قال: المروءة كثرة المال والولد. ومن قائل قال: المروءة: إذا أُعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت. ومن قائل قال: المروءة: حسن الحيلة في المطالبة ، ورقة الظرف في المكاتبة. ومن قائل قال: المروءة: اللطافة في الأمور ، وجودة الفطنة. ومن قائل: المروءة: مجانبة الريبة ؛ فإنه لا يُنبل مريب وإصلاح المال. فإنه لا ينبل فقير ، وقيامه بحوائج أهل بيته ؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره. ومن قائل قال: المروءة: النظافة وطيب الرائحة. ومن قائل قال: المروءة: الفصاحة والسماحة. ومن قائل قال: المروءة: طلب السلامة ، واستعطاف الناس. من قائل قال: المروءة: مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود. ومن قائل قال: المروءة: التدلل للأحباب بالتملق ومداراة الأعداء بالترفق. ومن قائل قال: المروءة: ملاحة الحركة ، ورقة الطبع. ومن قائل قال: المروءة: هي المفاكهة والمباسمة. قال ربيعة: المروءة مروءتان: فللسفر مروءة ، وللحضر مروءة: فأما مروءة الحضر: فالإدمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ، وقراءة القرآن. قال أبو حاتم رضى الله عنه: اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة ، ومعاني ما قالوا قريبة بعضها إلى بعض. والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال ، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال).هـ. لقد كانت هذه الأقوال العظيمة التي أوردها البُستي في كتابه فعلاً دقيقة في تعريف المروءة وأهل المروءة. وإن شئنا أن ننظر إلى نماذج خاطفة من مروءات أغلب أهل زماننا ، فمنها مثلاً: ** مروءة تقوم على مبدأ (عش نذلاً تمت أو تعش مستوراً). **مروءة قوم تقول: (نفسي ومن بعدي الطوفان لكل من حولي). **مروءة أوباش تقول: (إن جاءك الطوفان ضع أولادك تحت قدميك). وهل هناك نذالة وخسة ووضاعة في الدنيا مثل هذا؟ **مروءة قوم تقول: (الجبن سيد الأخلاق). وهم هنا قد قطعوا. وأخيراً مروءة تقول: (وهل أنت الذي ستصلح الكون إذن؟) ولهذا قال معاوية - رضي الله عنه-: "آفة المروءة إخوان السوء". وهذا أمر مشاهد ؛ لأنهم إن رأوا حسنة أخفوها ، وإن رأوا عيباً أذاعوه ، ثم هو يسمع منهم وهو يقوم ويقعد كل قبيح ، يستقبلونه بالشتائم والسباب ويودعونه بمثلها ، وإذا حضر مجلسهم سمع اللغو والباطل والكلام في الدنايا ، ورأى منهم كل مستهجن ، وإذا أراد أن يحلق وأن يرتفع ليسمو بنفسه عابوه وثبطوه ؛ لأنهم يريدون موافقتهم ، وكما قيل:- المرأة الزانية تحب أن جميع النساء زوان من أجل ألا يتميز أحد بالعفاف والشرف. والرجل السارق يري كل الناس لصوصاً! هذا ويقول شيخنا الدكتور خالد بن عثمان السبت عن المروءة ما نصه: (وتكون المروءة أيضاً فيما نتركه بالتنزه عن المطامع الدنية ، نتنزه عن الطمع لأنه ذل ، ونتنزه عن الدناءة لأنها لؤم ، وهما أعدى شيء للمروءة ، وإنما يوقعنا في ذلك الشره وقلة الأنفة ، بأن لا يقنع الإنسان بما أوتي لكثرة شرهه ، ولا يستنكف مما منع ولو كان حقيراً لقلة أنفته ، وهذه حال من لا يرضى لنفسه قدراً ولا مروءة ولا مرتبة ومنزلة ، فهو يرى أن المال هو أعظم مطلوب ، فما عداه فهو دونه ، فيبذل أهون الأمرين وأدون الأمرين وهو معالي الأمور

ومكارم الأخلاق من أجل تحصيل مطامعه ، فهذا لا ينفع معه تأنيب ولا تأديب ، وليس فيه قبول للتأديب).هـ. ولا أظن القارئ إلا أنه قد تبين له الفارق العظيم الآن بين المروءتين. فليختر لنفسه المروءة الحقيقية أو المروءة الزائفة! ولنطالع معا قصيدة المروءة.)

ضـــلّ الطريـــقَ - إلـــى المـــروءة - الســـفلُ ... ومعظـــمُ البُلـــهِ - بالخـــذلان - قـــد شُـــغِلوا

دأبُ الرجـــال لـــه نـــاسٌ تتيـــهُ بـــه ... وبالأماجـــد - دومـــاً - يُضـــرَب المَثـــل

وسَـــمتهم شـــامخ كـــالطود ضـــاق بـــه ... وادٍ مـــن الرمـــل قـــد أودى بـــه الجبـــل

وجُـــودُهم - فـــي البرايـــا - لا حـــدود لـــه ... ولـــيس نـــذلٌ - لهـــذا الجـــود - يَحتمـــل

أهـــلُ المـــروءة - بالعطـــاء - قـــد عُرفـــوا ... والنـــاسُ تعـــرفُ مـــا قـــالوا ومـــا فعلـــوا

فللمـــــروءة أبطـــــالٌ تســـــودُ بهـــــم ... هـــل يســـتوي النـــذلُ - فـــي القيـــاس – والبطـــل؟

جلـــتْ عـــن الـــذكر أوصـــافٌ - بهـــا - اتصـــفوا ... لا يعتلـــــي صـــــهوة المـــــروءة الســـــفل

تُجـــلّ قومـــاً - عـــن الســـوآى - مـــروءتُهم ... وبـــــالأراذل أودى الشُّـــــحُ والزلـــــل

هـــي المـــروءة تُعلـــي شـــأن مَـــن عصـــموا ... عـــــن الـــــدنايا نفوســـــاً زادُهـــــا العمـــــل

لـــم يغـــدِروا قـــط ، إن الغـــدرَ مَخبثـــةٌ ... بـــل اســـتقاموا - علـــى الوفـــاء - واعتـــدلوا

لا يكـــذبون ، فبـــئس الكِـــذبُ مَنقصـــةً! ... ولـــيس يســـعى بـــه إلا مـــن ارتـــذلوا

لا يُخلفـــون وعـــوداً فـــي اســـتطاعتهم ... لا يُخلـــف الوعـــدَ مَـــن بـــالخير يشـــتغل

لا يقطعـــون عُـــرى الأرحـــام تحسَـــبُهم ... بكـــل قَربـــى لهـــم - رغـــم الجفـــا - اتصـــلوا

لا يبلخـــون بـــأموال ، ولـــو كثـــرتْ ... والبُخـــلُ مُهلِـــكُ مَـــن ضـــنوا ومَـــن بخلـــوا

لا يخـــــدعون مخاليقـــــاً تُعاملنـــــا ... دمـــــارٌ الغـــــشُ والخِـــــداعُ والختـــــل

لا يقبلـــون بضـــيم يســـتهين بهـــم ... إن الـــــذي يقبـــــلُ الهـــــوانَ مُختبـــــل

لا يرعـــــوون لبطـــــاش لســـــطوته ... فـــالخوفُ طـــابعُ مَـــن - فـــي غـــيّهم - هزلـــوا

لا يســـتغلون مَـــن قـــد اســـتجار بهـــم ... ولا يُـــذِلون مَـــن - نـــوالهم - ســـألوا

ولا يُطيعـــون فـــي عِصـــيان خـــالقهم ... فلـــيس هـــذا الـــذي جـــاءت بـــه الرُّســـل

ولا يُطيقـــون ـ للجبـــار ـ معصـــيةً ... وإن عصَـــوْا رجعـــوا ، والطاعـــة امتثلـــوا

ولا يُضِـــلون خلـــق الله فـــي شُـــبَهٍ ... فهـــؤلاء بتقـــوى الله قـــد عملـــوا

ولا يُقِـــرّون ـ بـــالأهواء ـ مبتـــدعاً ... بـــل كـــل مبتـــدع ـ فـــي التـــو ـ يُعتـــزل

ولا يمنـــون إن أعطـــوْا ذوي عـــوز ... فـــالمنّ ديـــدنُ مَـــن ـ عـــن ربهـــم ـ غفلـــوا

ولا ينـــالون مِـــن شَـــهم يُســـالمُهم ... نـــيلاً لكـــيلا يُقـــال: الشـــمّ قـــد سَـــفلوا

ولـــيس يفتِـــك ـ بالضـــعاف ـ ســـادتهم ... إن الغطـــاريف – بـــالحقوق – مـــا جهلـــوا

ولا يُغـــازل شـــهمٌ مـــنهمُ امـــرأة ... إن المـــروءة يُـــردي عزهـــا الغـــزل

وجُلهـــم آمـــرٌ بـــالعُرفِ حارسُـــه ... لأن ســـادتهم ـ مِـــن نـــوره ـ نهلـــوا

ويُنكـــرون الـــذي يـــروْن مِـــن ضـــلل ... والأرضُ تُفســـدُها الأهـــواءُ والضـــلل

أهـــلُ المـــروءة لـــيس المـــالُ يشـــغلهم ... عـــن دَوْرهـــم ، فـــالغِنى وضـــده دُول

وفـــي الحيـــاة لهـــم رســـالة عظَمـــتْ ... مهمـــا تعـــددتِ الغايـــاتُ والســـبل

والنـــاسُ تعـــرفُ أقـــداراً تليـــقُ بهـــم ... إذ المغـــاويرُ ـ مِـــن بـــين الـــورى ـ مُثـــل

ولا يقولـــون: عِـــشْ نـــذلاً تمُـــتْ ملِكـــا! ... لأنـــه قـــولُ مَـــن ـ بـــدينهم ـ عـــدلوا

إذِ النذالـــة تُـــردي مَـــن يعـــيشُ لهـــا ... والنـــذلُ ـ بـــين كِـــرام النـــاس ـ يُبتـــذل

فـــي كـــل موقـــفِ بَـــذلٍ يعتريـــه لظـــىً ... وقلبُـــه بســـعير الغـــيظ يَشـــتعل

وإن توسّـــم خيـــراً فيـــه ذو عَـــوَز ... وراحَ يســـألُه شـــيئاً ويبتهـــل

يظنـــه ســـوف يُعطيـــه ويشـــمَله ... بعطفـــه ، وبـــه ـ فـــي النـــاس ـ يحتفـــل

لكنمـــا النـــذلُ لـــم يفـــتحْ خزائنـــه ... ولـــم يُعِـــر ســـمعَه ، بـــل راحَ ينفعـــل

وظـــل يُـــوردُ مِـــن سُـــبابه حُممـــاً ... قـــد كـــان جهزهـــا ، فلـــيس يرتجـــل

هـــذي النذالـــة ، والســـوآى طبيعتهـــا ... وإن تقِـــمْ حُجـــةَ ، فعنـــدها الحِيَـــل

ولا تـــرى النـــذلَ - فـــي أفعالـــه - رجـــلاً ... لا يســـتوي النـــذلُ - فـــي الأفعـــال - والرجـــل

أمـــا المـــروءة فالرجـــالُ ســـادتها ... حـــازوا الكرامـــة ، والأمجـــادَ قـــد حصـــلوا

فاســـأل عـــن الفخـــر قـــد نـــالوا ذوابتـــه ... وفـــي مـــروءتهم يُغـــرّدُ الأمـــل

هـــمُ الظـــلالُ لمـــن شـــط الهجيـــرُ بـــه ... والقـــيظ تُكبحُـــه الأنســـامُ والظّلـــل

هـــمُ العطـــاءُ لمـــن أزتـــه حاجتـــه ... ولا تـــؤخرُهم - عـــن العطـــا - عِلـــل

هـــمُ المرافـــي لمـــن هـــاج الخِضَـــمّ بـــه ... فـــلا يهـــدّدُه بـــردٌ ولا بلـــل

هـــمُ الضـــياءُ لســـار فـــي غياهبـــه ... فـــي كـــل كـــفٍ لمـــن يـــأوي لهـــم شُـــعل

هـــمُ الـــدليلُ لمَـــن ضـــلتْ مقاصـــدُه ... صِـــيدٌ إذا ســـكنوا الـــديار ، أو رحلـــوا

هـــمُ غـــوثُ مَـــن فـــي الرزايـــا يســـتغيثُ بهـــم ... ويُنفقـــون إذا - فـــي شـــدةٍ - سُـــئلوا

هـــمُ المُشـــيرون إن ســـاقوا مَشـــورتهم ... ولـــيس - فـــي قـــولهم - هـــزلٌ ولا دغـــل

والناصـــحون لمـــن يرجـــو نصـــيحتهم ... والصـــابرون ، فـــلا ضِـــيقٌ ولا مَلـــل

والمخلصـــون ، فمـــا للصـــيتِ قـــد نصـــبوا ... لكـــنْ لجنـــة رب النـــاس قـــد عملـــوا

والتـــائبون مِـــن الـــذنوب أجمعِهـــا ... كـــأنهم - مـــن خطايـــا الـــنفس - قـــد غَســـلوا

والمخبتـــون لـــرب لـــيس يخـــذلهم ... لـــو أنهـــم - مِـــن جميـــع الخلـــق - قـــد خُـــذلوا

والعـــالِمون بمـــا - فـــي الشـــرع - مـــن خُلـــق ... فلـــيس تخـــدعُهم - فـــي العيشـــة - النِحَـــل

والســـاترون عُيـــوبَ الخلـــق فـــي ورع ... أراهـــمُ الســـترَ - فـــوق النـــاس - ينســـدل؟

والرافعـــون لـــواءَ الحـــق فـــي شـــرفٍ ... والـــرزقُ - عنـــد مليـــك النـــاس - والأجـــل

والطيبـــون ســـرتْ - فـــي النـــاس - طِيبـــتهم ... وللقلـــوب - بحـــب البـــذل - قـــد وصـــلوا

والســـالكون ســـبيلَ الحـــق مُـــذ خلقـــوا ... والمُنصـــفون إذا مـــا حُكّمـــوا عـــدلوا

والمهتـــــدون بهـــــدي الله ، أســـــوتهم ... محمـــــــدُ الحـــــــق ، والصـــــــحابة الأوَل

والكـــــافلون يتيمـــــاً غـــــاب كافلـــــه ... فبـــــارك اللهُ مســـــعاهم ومَـــــن كفلـــــوا!

والصـــــاعِدون إلـــــى رضـــــوان خـــــالقهم ... وغيـــرُهم - لحضـــيض التيـــه - قـــد نزلـــوا

فبـــــالمروءة كـــــل النـــــاس تغـــــبطهم ... ولـــــيس يَمقـــــتهم إلا مَـــــن اختبلـــــوا

وبـــــالمروءة قـــــد ســـــارت ســـــفينتهم ... وأمـــــرُهم - مـــــن جميـــــع النـــــاس - مُمتثـــــل

وبـــــالمروءة ســـــادوا النـــــاسَ قاطبـــــةً ... فخـــــالطوهم ، ومـــــا عـــــابوا ، ولا اعتزلـــــوا

وبـــــالمروءة - مِـــــن أهـــــوائهم - خلصـــــوا ... ولـــــم يُعِـــــقْ سَـــــيرهم - إلـــــى الهُـــــدى - كســـــل

أمـــــــا الأراذلُ فالـــــــدنيا قبـــــــالتهم ... وحلّقـــــة الوصـــــل - للـــــدنيا - هـــــي المَيَـــــل

ففـــــي قلـــــوبهمُ أهـــــواؤهم ســـــكنتْ ... لـــــذاك قـــــادَهمُ - للخيبـــــة - الفشـــــل

وفـــــي الضـــــمائر حُـــــبُ الـــــذات قـــــد زُرعـــــتْ ... جُـــــذوره ، وازدهـــــى مِـــــن حولـــــه الخطـــــل

ولا حيـــــاءَ مِـــــن الســـــوآى - بهـــــا - اتصـــــفوا ... ولـــــم يعُـــــد - مِـــــن أذى - تقتيـــــرهم خجـــــل

بـــــاعوا المـــــروءة والإحســـــاسَ دون حيـــــا ... ولـــــيس يَقبـــــلُ مـــــا بـــــاعوا الألـــــى عقلـــــوا

وزايلـــــوا عِفـــــة كانـــــت ســـــترفعُهم ... وبعـــــدُ - فـــــي طينـــــة النذالـــــة - انجـــــدلوا

ودافعـــــوا - ويحهـــــم - عـــــن كـــــل منقصـــــةٍ ... والعُـــــدة الكِـــــذبُ والتزويـــــرُ والجـــــدل

واستحســـــنوا بـــــاطلاً لـــــه دهاقنـــــة ... وفـــــي صـــــدورهمُ الضـــــلالُ يعتمـــــل

دمُ النذالـــــة يجـــــري فـــــي مشـــــاعرهم ... ومـــــا لهـــــم - مـــــن دُجـــــى فِعـــــالهم - وجـــــل

إنـــــا لنحمَـــــدُ مولانـــــا وخالقنـــــا ... أنْ لـــــم نكـــــنْ - لحظـــــة - مِـــــن الألـــــى ســـــفلوا!

شرفٌ لا يُبارى

(في يوم 26 من جُمادى الأولى لسنة 1427هـ الموافق 2006/6/23م ، حصلت خالتي الحبيبة الغالية / وداد أحمد السعيد محمد سماحة ، على سَنَد متصل برسول الله صلى الله عليه وسلم – فى إجازة التجويد والقراءة برواية حفص بن سليمان بن المغيرة عن شيخه عاصم بن أبي النجود من طريق الشاطبية. والذي أجاز خالتي هو الشيخ / عبد الرحمن محمد محمد كساب. فكان شرفاً لا يُبارى ، ومجداً لا يُناظر ، ورفعة لا تضاهيها رفعة. ومن هنا اعتبرتُ هذه القصيدة بمثابة المباركة لها على هذا السبق والشرف. وهي من ثم تهنئة على هذا المجد والسمو. فنسأل الله أن يرزقنا وإياها العمل بالقرآن والسنة والخوف منه سبحانه. والأحاديث النبوية في فضل القرآن الكريم وثواب قراءته كثيرة ، أسوق منها: قال طلحة بن مصرف: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: (أوصى بكتاب الله). (صحيح البخاري). وقال الحافظ: قوله: (كيف كتب على الناس الوصية) أو كيف (أمروا بالوصية)؟ أي كيف يؤمر المسلمون بشيء ولا يفعله النبي صلى الله عليه وسلم؟ وحديث ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل قبراً ليلاً. فأسرج له سراج فأخذه من قبل القبلة وقال: (رحمك الله إن كنت لأواهاً تلاءً للقرآن) ، وكبّر عليه أربعاً. (قال الترمذي: حديث حسن). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجّة ، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، ليس لها ريح وطعمها مر). (البخاري ومسلم). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن لله تعالى أهلين من الناس. قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القرآن ، أهل الله وخاصته). (صحيح الجامع). وحديث أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه). (صحيح مسلم). وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل ، كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها). (صحيح الجامع). وحديث جابر رضي الله عنه كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجمع بين الرجلين من قتلى أحدٍ في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. (صحيح البخاري). وحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده). (صحيح مسلم). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول: (ألم) حرف ولكنْ: ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف). (صحيح الجامع). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط). (حسن) (صحيح الجامع). وعن النبي - صلى الله عليه وسلم -: قال: (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول: يا رب حُلة ، فيُلبَسُ تاجَ الكرامة. ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول: يا رب ارض عنه ، فيقال: اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة) .(حسن)

(صحيح الجامع). وقال عمر: أما إن نبيكم - صلى الله عليه وسلم - قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين). (صحيح مسلم). (يرفع بهذا الكتاب): أي بقراءته والعمل به (ويضع به): أي بالإعراض عنه وترك العمل بمقتضاه. وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). (صحيح البخاري). وعن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال : (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام ، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده ، وهو عليه شديد فله أجران). (البخاري ومسلم). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما أذِن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن). (البخاري ومسلم). وقوله: (إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب). وقوله: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو يشتد عليه فله أجران). وقوله: (إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب يقول: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك! فيقول: أنا صاحبك القرآن ، الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل [تجارة] ، قال: فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويُكسى والداه حُلتين ، لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان: بم كُسِينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال: اقرأ واصعد في [درج] الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام (يقرأ) هذا كان أو ترتيلاً). والنبي «صلى الله عليه وسلم» قال: «إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين». رواه مسلم. يقول الله سبحانه وتعالى: (من شغله القرآنُ وذكري عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله سبحانه وتعالى عن سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه). رواه الترمذي. وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبسَ اللهُ والديه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟) رواه أبو داود. وعن عقبة بن عامر الجهني قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان والعقيق فيأخذ ناقتين كَوْماوين زهراوين بغير إثم بالله ولا قطع (قطيعة) رحم؟) قالوا: كلنا يا رسول الله ، قال: (فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خيرٌ له من ناقتين ، وإن ثلاث فثلاث مثل أعدادهن من الإبل). رواه مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويل) وفي رواية (يا ويلى) ، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرتُ بالسجود فأبيتُ فلي النار). (صحيح مسلم). وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما يُجلسكم؟) فقالوا: جلسنا نذكرُ الله تعالى ونحمدُه على ما هدانا الإسلام ، ومنّ علينا به. فقال: (أتاني جبريل عليه السلام ، فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكمُ الملائكة). (صحيح مسلم). قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا عليّ إنها ستكون فتنة ، فقلتُ: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله عز وجل ، فيه نبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تلتبس به الألسن ، ولا تزيغ به الأهواء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم يتناه الجن إذ سمعته أن قالوا: {إنا سمعنا قرآناً عجباً} ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم. ويؤتى بالقرآن يوم

القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به. تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ثلاثة أمثال. ما نسيتهن بعد. قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان. بينهما شرق. أو كأنهما حزقان من طير صواف. تحاجان عن صاحبهما. وقد قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: اقرأوا القرآن ، ولا تغرنكم هذه المصاحف ، فإن الله لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن! وأحرى لمن تنبه على تعظيم حرمات الله في نص التنزيل من الشعائر والمشاعر والمناسك والمسعى والمواقف - أن يتنبه لحرمة ما هو أعظم حرمة عند الله سبحانه منهن وهو المؤمن ثم لحرمة من اتخذه الله من بين المؤمنين أهلين من جملتهم ، وهم حملة كتابه ، ولولا ورود الشرع بها من لفظه لاستعظم إضمارها ، فكيف بإظهارها؟ وإنما تنبيهي على ما جعل الله لأهليه من الحق والحرمة من بين خلقه لأنا قد بلينا في الموقف بقوم من نشئة لا يعبؤون بكتاب الله ولا بحفظه فلا يعبأ الله بهم قاصرين عنه حاجزين مفترين غيرهم مزهدين فيه ملقبين حملته بالقراء على النبز والازدراء دون المدح والإطراء ما بين المترسمين بالعلم والمتوسمين بالنسك جل كلامهم: أن حفظ القرآن يصلح للمعلمين والصبيان ولم يُقرأ عند المرضى وفي المقابر وأكثر فتياهم أنه يكفي من القرآن ما يسقط به الفرض بعدما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن الله عز وجل: (من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين). وبالطبع أبارك لخالتي ، وأقول: ألا رزقنا الله وإياها التقوى ومن العمل ما يرضى. حيث إنني عندما قرأتُ السند المتصل هذا غبطتُ الخالة العزيزة الغالية على هذا العِز. وأوصي خالتي ألا تنسى قرآنها كما نسيتُ أو أنسيتُ! والأمر كما قال ابن باز: (وأما ما يعرض من النسيان فلا حرج عليك ، إذا نسيت بعض الشيء لا حرج ، فالبشر ينسى ، يقول النبي ﷺ: إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ، وسمع مرة قارئاً يقرأ فقال: رحم الله فلاناً لقد أذكرني آية كذا كنت أسقطتها ، يعني: نسيتها. المقصود أن الإنسان قد ينسى بعض الآيات ، والأفضل أن يقول: نسيت ؛ لأنه جاء في بعض الأحاديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: لا يقولن أحدكم: نسيت آية كذا ، نسيت آية كذا بل هو نسِّي ، يعني: أنساه الشيطان. أما حديث: من حفظ القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم ، فهو حديث ضعيف عند أهل العلم لا يثبت عن النبي ﷺ. والنسيان ليس باختيار الإنسان وليس في طوقه قد ينسى مهما كان).هـ. وبعدها كتبتُ من البحر الخفيف لتكون قصيدة خفيفة طريفة أبارك فيها لخالتي وداد سماحة هذا المجد المجيد والعز التليد فخوراً بها ، أقول في قصيدتي:)

شـــرفٌ لا تقـــوى - عليـــه - النفـــوسُ وسُـــــمُوٌ لا تشـــــتريه الفُلـــــوسُ

وعلـــــوٌ يختـــــالُ فـــــوق الثريـــــا وافتخـــــارٌ غـــــال ، ومجـــــدٌ نفـــــيس

واعتـــــزازٌ بالـــــذكر لـــــيس يُبـــــارى إن هـــــذا القـــــرآنَ نِعـــــمَ الأنـــــيس

وانتصـــــارٌ ســـــامٍ ، وذخـــــرٌ مجيـــــدٌ مـــــا احتوتـــــه - بـــــين الســـــطور - الحُـــــدوس

يـــــا (ودادَ) الخيـــــراتِ بُشـــــراكِ ، هـــــذا دربُ عـــــــز لا يعتريـــــــه الـــــــدروس

وســـــلاحٌ مـــــاض يَفـــلّ الـــدواهي فـــي جـــلادٍ إمـــا استشـــاط الـــوَطِيس

وهُـــو دِرعٌ مـــن مُـــدلهمّات عَـــيش رُمحـــه باتـــت مـــا لهـــا تقـــويس

كـــم ألان الـــرحمنُ كـــل عســـير! جـــلّ مَـــن حـــقٌ لـــه التقـــديس

قـــد ألان الحديـــدَ ربُّ قـــديرٌ ثـــم كانـــت - مِـــنَ الحديـــد - اللبـــوس

إنـــه اللهُ مَـــن حَبـــاكِ المعـــالي! والمعـــالي ممـــا تحـــبُ النفـــوس

قـــد خُصصـــتِ بـــالخير والفضـــل صـــدقاً مثلمـــا خُصـــتْ – بالهُـــدى - (بَلقـــيس)

شـــرفٌ أن تحظـــى بهـــذا حَصـــانٌ لـــم يُخـــصّ (طِسْـــمٌ) بـــه أو (جـــديس)

أنـــتِ - بـــالقرآن الكـــريم - عـــروسٌ مِـــن حـــواري الجنـــات ، نعـــم العـــروس!

فـــاعملي بـــالقرآن حتـــى تفـــوزي ويُفيـــد التعلـــيمُ والتـــدريس

وتنـــالي مرضـــاة رب شـــكور وجلـــيسُ القـــرآن نِعـــم الجلـــيس!

ثـــم تفـــري كيـــد الشـــياطين قطعـــاً ويُصـــاب - فـــي مقتـــل - إبلـــيس

لـــيس مِثـــلُ القـــرآن نـــوراً لـــدنيا إن آيَ القـــرآن نعـــم الشـــموس!

خـــالتي مَـــن أحببـــتُ حبـــاً كثيـــراً إن قلبـــي - بطيفهـــا - مـــأنوس

قـــدَرٌ أن أحيـــا غريبـــاً شـــريداً فـــي ديـــار مِعيارُهـــا معكـــوس

أحمـــلُ القـــرآنَ الكـــريمَ ، وأدعـــو فـــي قطيـــع ميزانُـــه منكـــوس

كـــم ألـــوك الآلامَ دون اختيـــار وعلـــى وجهـــي - مِـــن لظاهـــا – عُبـــوس!

أشـــربُ الحُـــزنَ والجـــوى والرزايـــا يـــا تـــرى هـــل تنـــزاحُ تلـــك الكـــؤوس؟

لا أريـــدُ إيـــلامَ قلبـــك ، لكـــنْ ذكريـــاتٌ لهـــا - بقلبـــي - حســـيس

مبتلـــىً مَـــن يـــدعو الأنـــام لخيـــر بعـــد أن غصـــتْ - بالضـــلال - الـــرؤوس

فـــاعلمي مـــا فـــي الـــدرب مـــن معضـــلاتٍ وقناعـــات صـــاغها التلبـــيس

بلقيس

(إن (بلقيس) قصيدتنا هي الملكة العظيمة المحترمة ملكة (سبأ) ، بلقيس بنت شراحيل ، تلك المرأة التي لمّا علمت الحق اتبعت سليمان وأسلمت معه لله رب العالمين. أما بلقيس التي نعاها زوجها بقصيدة نال فيها من العروبة والإسلام نيلاً عظيماً ، وأهان الإنسانية والمرأة معاً ، فليستْ من هذا كله ولا من أصحابه في شئ. يقول الدكتور السرجاني عنها: (بلقيس ملكة سبأ من أشهر النساء في التاريخ ؛ فما نسبها؟ وكيف ملكت على بلاد اليمن؟ وما قصتها مع سليمان النبي – عليه الصلاة والسلام؟ بين صفحات تاريخ العرب قبل الإسلام ، صفحةٌ زاهيةٌ تُحدِّثنا عن ملكةٍ جليلةٍ راجحة العقل ، ملكت في اليمن ملكًا واسعاً ، ونهضت بأعباء مملكتها خير نهوض ، فشيَّدت قصورًا عوالي ، وخلفت بعدها مجدًا لا تُطمس معالمه على مدى الدهر ، لا تزال آثاره تنطق بعظمته وسناء منـزلته. فالملكة التي تحمل هذه الصفات هي بلقيس ابنة ذي شرح ، ملكة سبأ ، وقد اختلف أهل الأنساب بأنَّها ابنة اليشرح ، ويقول بعضهم: إنَّها ابنة إيلي شرح. ويقول بعضهم: ابن ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب. وفي روايةٍ إنَّها بلقيس ابنة الهدهاد ابن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب...بن سبأ. فلمَّا وليت بلقيس الملك ازدرى قومها بمكانها ؛ لمـَّا كانت امرأةً وأنفوا من أن يلي أمرهم امرأة ، وبلغ ذلك عمرًا ذا الأذعار فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس فلم تكن لها طاقة ، فهربت مكتتمة بأخيها عمرو ابن الهدهاد وهما في زيٍّ أعرابيَّين حتى أتت جعفر بن قرط الأسدي. ثم عملت على حيلةٍ دبَّرتها ، فدخلت على خصمها عمرو ذي الأذعار ، وقد بهره جمالها ، فأمر بالخمر يُنادمها كما كان يُنادم بنات الملوك ويفعل بهنَّ ، فلمَّا أخذت الخمر منه همَّ بها ، فقالت: أيُّها الملك سترى منِّي من المال أكثر ممَّا رأيت من الحرص ، حاجتي فيك أعظم من حاجتك فيَّ ، وسامرته أحسن مسامرة ، فألهاه ما سمع منها وما أعطته من نفسها من القرب وهي تعمل فيه بالخمر دأبًا ، حتى علمت أنَّ الخمر عملت فيه ، فقَدِمَتْ إليه وسلَّت مُديَتَهَا من قرونها ، ثم نحرته ، فلمَّا مات جرَّته فألقته في ركن مجلسه وألقت عليه بعض فرش المجلس ، ثم خرجت إلى الحرس في جوف الليل ، وقالت لهم يأمركم الملك بفلان أن تأتوا به. فلمَّا أتوا به وكان يتبعه ألوفٌ من حِمْيَر ، فلم تزل تُرسل إلى ملوك حمير وأبناء الملوك المسموع منهم المتبوعين ، فلمَّا اجتمعوا إليها في قصر غمدان ، خرجت عليهم فقالت لهم: إنَّ الملك قد تزوَّجني على أنِّي برئت إليه من ملكي في حياته وأنتم تعلمون أنَّه لا يُولَد له ، فلمَّا علم منِّي الخضوع بحقِّه والاستسلام لإرادته والطاعة لأمره ، فوَّض إليَّ بعدَه ورآني أهلًا له ، وأمرني أن آخذ عليكم بذلك عهدًا. قالوا: سمعًا وطاعةً للملك فيما أراد ، فأخذت عليهم العهد أنَّ لها الملك بعد عمرو ، فلمَّا توثَّقت منهم قالت لهم: هل تسمعون من الملك فأدخلتهم المجلس. وقالت لهم: ها هو ذا. وكشفت عنه فرأوه قتيلاً ، قالوا لها: من فعل هذا به؟ قالت لهم: أنا وليُّ العهد عليكم بالملك بعد موته ، وهذا هو قد مات وعهده لكم لازم. قالوا لها: أنتِ أولى بالملك إذ أرحتنا من هذا الرجس الجائر. فوليت بلقيس ملكهم. ولمـَّا وليت بلقيس ملك حمير ، قالت حمير: رجع الملك إلى نجلته الأولى. ثم جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكَّة ، فاعتمرت وتوجَّهت إلى أرض بابل ، فغلبت على من كان بها من الناس ، وبلغت أرض نهاوند وأذربيجان ، ثم قفلت إلى اليمن. ومن الأعمال العمرانيَّة التي قامت بها بلقيس فرفعت مجدها إلى أبعد صيت ، ترميمُها سدَّ مأرب ، الذي كان الزمان قد أضرَّه وخلخل أوصاله ، وبلقيس هذه هي صاحبة الصرح الذي ذكره الله في القرآن

العظيم في قصَّة سليمان عليه السلام ، ويُنسب إليها – أيضًا - قصر بلقيس الذي بمأرب ، وكان سليمان ينـزل عليها حين تزوَّجها فيه إذا جاءها. وكان لبلقيس حرَّاس من الرجال الذين يُؤازرونها وبطانة من النساء ، وكان عندها ثلاثمائة وستُّون امرأةً من بنات أشراف حمير ، فكانت تحبس الجارية حتى تبلغ ، ثم تُحدِّثها حديث الرجال ، فإذا رأتها قد تغيَّر لونها ونكَّست رأسها ؛ عرفت أنَّها أرادت الرجال فسرَّحتها إلى أهلها ، ووصلتها وزوَّجتها وأحسنت إليها ، ولا تزوِّجها إلَّا من أشراف قومها ، وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظِّمة لها أطالت النظر غير متغيِّرة اللون ولا مستحية من الحديث ؛ علمت أنَّها تريد فراقها وأنَّ الرجال ليسوا من بالها. وكانت بلقيس صائنةً لنفسها ، غير واقعةٍ في المساوي ، ولا غافلة عن المكارم ، وكانت لا أرب لها في الرجال ، فظلَّت عذراء حتى تزوَّجها سليمان عليه السلام. وأمَّا خبر بلقيس مع سليمان الحكيم عليه السلام: فلمَّا أُلقي إليها كتاب سليمان عليه السلام وسقط في حِجْرها ، قالت: إنَّه كتابٌ كريم ، وأشفقت منه فأخذته وألقت عليه ثيابها ، وأمرت بسريرها فأُخرِج ، فخرجت فقعدت عليه ونادت في قومها: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}. فلمَّا أُعطِي سليمانُ الهديَّةَ ، {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}. وذكر ابن عبَّاس أنَّه كان معها ألف قيل ، وأهل اليمن يُسمُّون القائد قيلا ، مع كلِّ قيلٍ عشرة آلاف. وكان سليمان عليه السلام رجلًا مَهيباً لا يبتدئ بشيءٍ حتى يكون هو الذي يسأل عنه ، فخرج يومئذٍ فجلس على سريره ، فرأى رهجًا قريبًا منه ، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس يا رسول الله ، قال وقد نـزلت منَّا بهذا المكان (وهو بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ) ، فأقبل سليمان على جنوده فقال: {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}؟ فأُتِيَ له بعرشها. ثم بعثت بلقيس لسليمان بهديَّةٍ ؛ اختارت أربعين رجلًا لم تَدَعْ في أبناء الملوك أجمل منهم ولا أعقل ولا أرشد ثقةً ولا أبعد غايةً ولا أعلى صوتاً ، وكانت الهديَّة التي أرسلتها لسليمان مائة وصيف ومائة وصيفة وُلدوا في شهرٍ واحدٍ وليلةٍ واحدة ، وأرسلت إليه بحُقٍّ مملوءٍ ذهبًا وفضَّةً ودرًّا وياقوتًا وزبرجدًا وزمرُّداً ، وختمت على الحُقِّ ، وألبست الوصائف والوصفاء زيًّا واحدًا ليُظنَّ من رآهم أنَّهم كلُّهم غلمان ، وأرسلت إليه بخيلٍ عتاقٍ ذكورٍ وإناث ، وقالت لرسلها: مُروه يُخبرْكم بفرقٍ بين الذكور والإناث من الخيل بعضها من بعض من غير أن يُخبره أحد ، ومُروه أن يُخبركم بما في الحُقِّ الذي لا اختلاف فيه ، وإيَّاكم أن يُجيب كلُّ واحدٍ عن نفسه فيقع الاختلاف فيرتاب منكم ، فمَضَوْا. وجمعت بلقيس أشراف حِمْير فقالت: خذوا في أهبَّة الحرب ، فجمعت الجيوش واستعدَّت للحرب ، وقالت لقومها: إنْ هو قَبِل الهدية ولم يُرِدِ الحرب ودعا إلى الله ، فهو نبيٌّ فاتبعوه ، وإن هو لم يقبل الهديَّة ولم يُعلِمْنَا بما سألناه ، فهو ملكٌ من ملوك الدنيا حاربناه ، فما لأحدٍ بنا طاقة ، وإن كان نبيًّا فما لنا بالله طاقة. ولمـَّا رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت: قد والله عرفت ما هذا بملكٍ ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكاثرته شيئًا. وبعثت إليه: إنِّي قادمةٌ عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك. ثم سارت في مائة رجلٍ وعشرين رجلًا من أشراف قومها ورؤسائها

وأخيارها، مع كلِّ رجلٍ من وجوه جنده وأفاضل أصحابه وقادة خيله مائة رجل ، ثم جمعت أبناء الملوك ثم قالت: معاشر حمير أنتم تلاد الله اصطفاكم من أول الدهور ، وفضَّلكم بأفضل الأمور ، وقد ابتلاكم بهذا النبيِّ سليمان بن داود ، فإن آمنتم وشكرتم زادكم الله نعمة ، وإن كفرتم سلبكم النعم ، وسلَّط عليكم النِّقَم. فقالوا لها: الأمر إليك. وعلموا أنَّها شفيقةٌ عليهم ناصحةٌ لهم ، فخرجت إلى سليمان في مائة ألفٍ واثني عشر ألفًا وتركت جميع أجنادها بغمدان وبمأرب. وفي روايةٍ أنَّ بلقيس شخصت إلى سليمان عليه السلام في اثني عشر ألف قيلٍ معها من ملوك اليمن ، تحت يدي كلِّ قيلٍ منهم ألوفٌ كثيرة. وتُوفِّيت بلقيس بعد قتل ولدها رحبعم بن سليمان بأنطاكية بسنةٍ واحدة ، وقد رثاها النعمان بن الأسود ابن المعترف بن عمرو بن يعفر الحميري بقصيدة عذبة طويلة ذكرها المؤرخون وكتاب السير والتراجم).هـ. إن كتابتي عن ملكة سبأ بلقيس بنت شراحيل إثراء لي ولصيتي وشرف كبير لي وإثراء للشعر وشرف ، ومَن مِن نساء الأرض اليوم يتمثل هذا الخضوع لله ولرسوله ، كما تمثلته بلقيس – عليها رضوان الله تعالى؟)

مَـن ذا يُضـاهي ـ فـي التقـى ـ بلقيسـا؟ أمّـنْ يُضـارعُ وَعيَهـا المَلموسـا؟

أمّـن يُحـاكي حزمهـا ورشـادها؟ أمّـن يُبـاري مجـدَها المأنوسـا؟

لمّـا رأتْ نـورَ العقيـدة أسـلمتْ واسـتلهمتْ ممـا تـراه دروسـا

شـرفٌ لهـا ولقومهـا أنْ أسـلموا فالسِـلم يَهـدي – للرشـاد ـ نُفوسـا

والسـلمُ خيـرٌ منهجـاً وطريقـةً وكتابُـه خيـرٌ هُـدىً وأنيسـا

وسـجودُهم للشـمس برهـانُ الشـقا فجميـعُهم أزجـى لهـا التقديسـا

واللهُ خـالقُهم وخـالقُ شمسِـهم عـدلوا بـه إذ عظمـوا إبليسـا

فأضـلهم إبليـسُ عـن سُـبُل الهـدى فاسـتعذبوا التضـليلَ والتدنيسـا

عبـدوا الكواكـب فـي السـماء فأشـركوا وتصـوّروا ـ خلـف النجـوم ـ شموسـا

حتـى أتـاهم مِـن (سُـليمان) الهُـدى وهـدى المليـكُ ـ لدينـه ـ (بلقيسـا)

فاستسـلموا لقرارهـا فـي ذلـةٍ والـدينُ أصـبحَ ـ فـي الـدنا ـ محروسـا

ومليكـة الأقـوام جمّلهـا التقـى وغـدتْ بموكبهـا المَهيـب عروسـا

أقِلوا من اللوم

(أخذوا يلومونه على العواقب التي نجمتْ عن زواجه من امرأة لم تكن لتصلح لأن تكون زوجة يوم تقدّم هو لخطبتها ، وراحوا ينصحونه ويحثونه على ترك هذا الأمر ، فلم يقبل قط. واليوم لاموه على سوء النتائج ، فراح يقول: خففوا اللوم ، كفاني ما أنا فيه! يقول الأستاذ إياد نزيه الدرويش في آداب العتاب ما نصه: (يلجأ الكثير من الناس إلى العتاب كوسيلة لحل خلاف مع شخص عزيز! وذلك من مبدأ أن "العتاب لغة متعارف عليها بين الأحباب"! ومن منطلق الحرص والحفاظ على العلاقة مع هذا الشخص. وعندما نذكر أن العتاب "فن" في حد ذاته ، فإن ذلك يتطلب منا أن نتقن كيفية ممارسته وإدارته بمهارة من خلال عدة أمور ، من أهمها أن نقوم بتحديد العتاب ، فلا يجب أن يزيد العتاب عن حد معين أو أن يتحول الكلام لنوع من التوبيخ. أيضاً يجب علينا أن لا نتهاون في العتاب ، فبينما لا يجب أن يزيد عتابنا عن حدٍ معين ، يلزم أيضاً أن لا ينقص عن الحد الذي يجعله فعّالاً ، وهنا تكْمنُ المهارة! وعلينا أن لا نوجّه اتهاماً مباشراً: فلا يجوز أن نضع الآخر موضع المتهم ونضطره للدفاع عن نفسه بطريقة تبدو وكأنه يُبرّئ شخصه من تهمة مؤكدة ، فذلك يوغر صدره تجاهنا وربما نخسره جزئياً أو كلياً". ويجب أن نحدد الأشياء بدقة وأن نضع النقاط على الحروف مع التأكيد على حرصنا على الطرف الآخر).هـ. والآن لنطالع: أقِلوا من اللوم!)

ضـــحيّة حُســـنِها ، والحســـنُ يأســـرْ! وشَـــهدُ رِضـــابها مســـكٌ وعنبـــرْ!

وقامتهـــــا البهيـــــة لا تبـــــارى ووجـــهٌ - مِـــن شُـــعاع الشـــمس - أنـــور!

وقـــدٌ مـــاسَ – فـــوق الأرض - تِيهـــاً فـــأبرز - مِـــن بَهاهـــا - مـــا تيسّـــر

وطـــــرْفٌ يفـــــتنُ الألبـــــابَ حُســـــناً ولحـــــظ العـــــين كـــــالجمر المُســـــعَّر

وجيـــــدٌ قـــــد ترصّـــــع بـــــاللآلي وعِقـــــدٌ مِـــــن يواقيـــــتٍ وجـــــوهر

وكـــــفٌ - بالخِضـــــاب - ازداد لطفـــــاً ولـــــونُ خِضـــــابه زاهٍ معصـــــفر

وشـــــعرٌ - فـــــوق هامتهـــــا - رسِـــــيلٌ توشّـــــحَ بالســـــنا فـــــي خيـــــر منظـــــر

غـــدوتَ - لحُســـن طلعتهـــا - أســـيراً وطيـــفُ جمالهـــا ينـــأى ويَخطـــر

تقـــودُك نحـــو مـــا تهـــوى ذلـــيلاً فهـــل باتـــتْ - لهـــذا العبـــد - قيصـــر؟

وبعـــدُ تقـــول: يـــا قـــومي أقِلـــوا مـــن اللـــوم الـــذي قـــد كنـــتُ أحـــذر

وتلـــتمسُ الترفـــق مِـــن عشـــير لكَـــمْ نصـــح العَجـــول ، ولـــم يُقصّـــر!

وكـــم أغـــراك – بالـــذكرى - احتســـاباً ... ونـــــدّد بالعواقـــــب ، ثـــــم أنـــــذر!

ولـــــم يبخـــــلْ عليـــــك بـــــأي وعـــــظٍ ... وبـــــيّنَ عامـــــداً مـــــا كـــــان يُضـــــمِر

قـــد امـــتحن الحيـــاة ، وخـــاض فيهـــا ... وديـــــنُ الله - للأبـــــرار - مصـــــدر

فلـــــم تســـــمعْ لمَـــــا قلنـــــا بتاتـــــاً ... كـــأن النصـــحَ - عنـــد الصـــبّ – منكـــر!

ووحـــدك قـــد فجعـــت بهـــا لتحيـــا ... كســـــيرَ القلـــــب مبتئســـــاً تفكـــــر

فلمـــا ضـــقت ذرعـــاً قلـــت: كُفـــوا ... وأنـــت - بمـــا تعـــاني اليـــوم - أخبـــر

ولـــــم نـــــذنب لتـــــتهم النوايـــــا ... وتشـــــتمنا ، وتطعننـــــا ، وتهجـــــر

وتسْـــرفَ فـــي الخصـــام ، ونحـــن أهـــلٌ ... ولـــو راجعـــت نفســـك كنـــت تعـــذر!

يمـــــينَ الله لـــــم نشـــــمت فهـــــوّنْ ... عليـــــك ، لأن ذا أمـــــرٌ مُحيّـــــر

وأدركْ - مـــن حياتـــك - مـــا تبقـــى ... وجفـــفْ - مِـــن دموعـــك - مـــا تحـــدّر

وزايـــلْ - مِـــن أمـــورك - مـــا تقضّـــى ... لتنســـى عـــاجلاً مـــا أنـــت تـــذكر

ولا تســـــأمْ ، ستنقشـــــعُ الـــــدياجي ... وكـــــن مستمســـــكاً بـــــالحق ، واصـــــبر

ولا تيـــأسْ ، وجالـــدْ مـــا تقاســـى ... وبـــالتقوى تعـــالجُ مـــا تعسَـــر

ومـــا صـــعُب القـــرارُ عليـــك يومـــاً ... وفـــي هـــذا الـــبلا أنـــت المخيّـــر

فإمســـــاكٌ بمعـــــروفٍ وعـــــدلٌ ... وأخـــــلاقٌ لتصـــــلحَ مـــــا تـــــدمّر

أو التســـــريحُ كـــــي يرتـــــاحَ كـــــلٌ ... ورب النـــــاس يُخـــــزي مَـــــن تجبّـــــر!

ولســـت تـــلامُ إن طلقـــت هـــذي ... إذا كانـــت تميـــلُ إلـــى التهـــوّر

وكيـــف تحـــب عِيشـــتها ، وترضـــى ... بحـــال دائـــم البلـــوى مُكَـــدّر؟

نصـــحنا ، فـــاتبع أحلـــى الوصـــايا ... ولا تقـــل: الشـــقا أمـــرٌ مقـــدّر!

تـــزوّجْ غيرهـــا ، فلعـــل أخـــرى ... تعوّضـــك الـــذي قـــد كنـــت تخســـر!

عيد الحب (أرجوزة)

(معلومٌ للجميع أن عيد الحب هو من أعياد الكفار الخليعين منهم والمنحلين الذين ليس بعد كفرهم ذنب! ولسوف أثبت أن هذا العيد مذمومٌ عند الجادّين من أهله! ولسوف أثبت كذلك موقف ديننا كِتاباً وسُنة منه ، وذلك من خلال إيراد فتاوى أهل العلم ممن لا نزكّيهم على الله ممن تقوم بهمُ الحجة! وأعتذر ألف ألف مرة عن الإطالة! وبإمكان القارئ العزيز أن يتجاوز المقدمة إن كان يعلمها أو يمل قراءتها! يقول الأستاذ عماد البليك عن عيد الحب ما نصه: (في الرابع عشر من فبراير من كل عام يتم الاحتفال بما يُسمى بـعيد الحب في الغرب والعديد من بلدان العالم ، بحيث بات ظاهرة شبه عالمية ، يتم فيها تبادل الحلوى والزهور وكافة أنواع الهدايا بين الأحباء ، وكلها تتم باسم القديس "فالنتاين" الذي ترجع إليه تسمية عيد الحب. العيد الذي تفيد الإحصائيات بأنه يشهد تبادل ما يقرب من 150 مليون بطاقة تهنئة سنوياً! ما يجعله العيد الثاني شعبية في إرسال البطاقات بعد عيد الميلاد. ولكن من هو هذا القديس الغامض؟ ومن أين جاء تقليد هذا العيد المرتبط باسمه؟ هنا نتعرف على القصة من العصور الرومانية القديمة إلى العصر الفيكتوري في إنجلترا. يمزج عيد الحب مجموعة من الطقوس المتداخلة ما بين الرومانية والمسيحية القديمة ، وفي تاريخ الكنيسة الكاثوليكية هناك 3 أشخاص على الأقل مختلفون يحلمون اسم فالنتاينأو فالنتينوس! وجميعهم ماتوا لأجل عقيدتهم والمبادئ. تقول إحدى الأساطير إن فالنتاين كان كاهناً خدم خلال القرن الثالث في روما ، عندما قرر الإمبراطور كلوديوس الثاني أن الرجال العزاب يمكن أن يخدموا أفضل في الجندية من المتزوجين والذين يعولون أُسراً ، وبالتالي قرّر حظر الزواج على الشباب. هنا قرر فالنتاين بنفسه أن هذا المرسوم غير عادل ، وتحدّى قرار كلوديوس ، واستمر في إكمال طقوس الزواج سراً للشباب ، حتى تم اكتشافُ أمره وعلم الإمبراطورُ بالخبر ، فأمر بقتله على الفور. لكنّ أساطير أخرى وقصصاً تقول إن فالنتاين قتل لمحاولته مساعدة النصراني الهروب من السجون الرومانية القاسية ، حيث كانوا يتعرضون للضرب والتعذيب المبرّح. وفي قصة ثالثة فإن فالنتاين الذي كان مسجوناً قام بإرسال أول تحية حب أرّخت لهذه المناسبة ، وقد كانت لابنة السجان الصغيرة السن التي هام بها عشقاً والتي كانت تزوره في الحبس. وقبل أن ينفذ عليه حكم الإعدام قام بتسطير رسالة هيام إلى تلك المحبوبة ، بعنوان "من فالنتينك" وهي الطريقة التي لا تزال مستعملة إلى اليوم في شكل بطاقات الحب التي يتبادلها المحبون. لكن رغم كل تلك القصص ، تظل حقيقة فالنتاين وعيد الحب شبه غامضة إلى اليوم ، برغم أن هذه الشخصية باتت واسعة الشعبية في فرنسا وبريطانيا منذ العصور الوسطى ، كرمز من رموز الرومانسية. في حين يعتقد البعض أن عيد الحب يحتفل به في منتصف فبراير للاحتفال بالذكرى السنوية لوفاة أو إعدام الكاهن فالنتاين ، تلك التي ربما وقعت حوالي 270 ميلادية. لكن ثمة رواية أخرى أكثر منطقية أن اختيار هذا اليوم في منتصف فبراير ، جاء ليوافق عيد اللوبركاليا **Lupercalia** وهو مهرجان سنوي كان الرومان يقيمونه في الخامس عشر من شهر فبراير تكريماً للوبركوس ، إله الحقول والقطعان! وذلك بغية ضمان الخصب للناس والقطعان والحقول. وقد أرادت الكنيسة من هذا التاريخ وربطه بمناسبة جديدة ، أن تضع هذا المهرجان في سياق نصراني وتحرره من نمطه الوثني ، محافظة على موعده نفسه ، ويلاحظ تقارب طبيعة العيدين الوثني القديم والنصراني ، في

أن كليهما يُعنى بالخصب والحب كرمز لاستمرار النسل. وقد كان مهرجان اللوبركاليا يشهد وضع النساء أسماءهن في جرّة كبيرة ، يقوم الرجال الغُرّاب ، كل واحدٍ منهم باختيار الاسم العشوائي الذي سيكون من نصيبه ، وفي أغلب الأحوال تنتهي هذه اللعبة بالزواج. وقد كان هذا المهرجان الوثني محظوراً من قبل الكنيسة ، وحيث اعتبر منذ نهاية القرن الخامس الميلادي بأنه طقسٌ غير مسيحي ، إلى أن أعلن البابا غاليليوس يوم 14 فبراير عيداً بديلاً للحب في النصرانية ، وهذه إحدى النظريات الشائعة حول الموضوع الذي ربما يكون أقرب للموضوعية. وخلال القرون الوسطى في أوروبا كان ثمة اعتقاد في فرنسا أن تاريخ 14 فبراير هو موعد تزاوج الطيور ، وهو ما أعطى طابعاً رومانسياً إضافياً للمناسبة. إذا كانت الأسطورة تشير إلى أن فالنتاين هو أول من كتب بطاقة هيام لابنة السجان ، فالواقع أن هذه البطاقات عرفت شعبياً في العصور الوسطى ، رغم أن كتابة تعابير الحب لم تبدأ كطقس بشكل واضح إلا بعد 1400م. وأقدم بطاقة عيد حب معروفة هي تلك القصيدة التي كتبت في عام 1415م من قبل تشارلز ، دوق أورليانز ، لزوجته بينما كان مسجوناً في برج لندن بعد القبض عليه في معركة أجينكورت بين الجيشين الإنجليزي والفرنسي ، وهي الآن جزء من مخطوطات المكتبة البريطانية في لندن. وبعدها بعدة سنوات ، يعتقد بأن الملك هنري الخامس استأجر كاتباً يدعى جون ليدغيت لأن يؤلف له مذكرة في عيد الحب لكاثرين من سلالة آل فالوا الفرنسية).هـ. وأشكر الأستاذ عماد البليك على هذه المعلومات الإثرائية ، وأضم صوتي إلى صوته أن عيد الحب عيد وثني صليبي لا يهتم به إلا المفلسون! وأما من الناحية الشرعية فلنستمع إلى أستاذنا محمد المنجد وهو يفصّل الفتوى بجواز الاحتفال بعيد الحب من عدمه فيقول ما نصه: (* أولاً: عيد الحب عيد روماني جاهلي ، استمر الاحتفال به حتى بعد دخول الرومان في النصرانية وارتبط العيد بالقس المعروف باسم فالنتاين الذي حكم عليه بالإعدام في 14 فبراير عام 270م ، ولا زال هذا العيد يحتفل به الكفار ، ويشيعون فيه الفاحشة والمنكر. * ثانياً: لا يجوز للمسلم الاحتفال بشيء من أعياد الكفار ؛ لأن العيد من جملة الشرع الذي يجب التقيد فيه بالنص. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الأعياد من جملة الشرع والمنهاج والمناسك التي قال الله سبحانه (عنها): (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) وقال: (لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه) كالقبلة والصلاة والصيام ، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد ، وبين مشاركتهم في سائر المناهج ؛ فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر ، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر ، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع ، ومن أظهر ما لها من الشعائر ، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر وأظهر شعائره ، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة. وأما مبدأها فأقل أحواله أن تكون معصية ، وإلى هذا الاختصاص أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إن لكل قوم عيداً وإن هذا عيدنا). وهذا أقبح من مشاركتهم في لبس الزنار (لباس كان خاصاً بأهل الذمة) ونحوه من علاماتهم ؛ فإن تلك علامة وضعية ليست من الدين وإنما الغرض منها مجرد التمييز بين المسلم والكافر ، وأما العيد وتوابعه فإنه من الدين الملعون هو وأهله ، فالموافقة فيه موافقة فيما يتميزون به من أسباب سخط الله وعقابه". انتهى من "اقتضاء الصراط المستقيم". وقال أيضاً: "لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم ، لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال ولا إيقاد نيران ، ولا تبطيل عادةٍ من معيشةٍ أو عبادةٍ أو غير ذلك. ولا يحل فعل وليمةٍ ولا الإهداء ولا البيع بما يستعان به على ذلك لأجل ذلك ،

ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد ولا إظهار الزينة. وبالجملة: ليس لهم أن يخصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم ، بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام ، لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم". انتهى من "مجموع الفتاوى". وقال الحافظ الذهبي رحمه الله: "فإذا كان للنصارى عيد ، ولليهود عيد ، كانوا مختصين به ، فلا يشاركهم فيه مسلم ، كما لا يشاركهم في شرعتهم ولا قبلتهم". انتهى من "تشبه الخسيس بأهل الخميس" ، منشورة في مجلة الحكمة (193/4). والحديث الذي أشار إليه شيخ الإسلام رواه البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ الأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا). وروى أبو داود عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الأَضْحَى ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ). والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود. وهذا يدل على أن العيد من الخصائص التي تتميز بها الأمم ، وأنه لا يجوز الاحتفال بأعياد الجاهليين والمشركين. وقد أفتى أهل العلم بتحريم الاحتفال بعيد الحب: * سُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ما نصه: "انتشر في الآونة الأخيرة الاحتفال بعيد الحب خاصة بين الطالبات وهو عيد من أعياد النصارى ، ويكون الزي كاملاً باللون الأحمر ، الملبس والحذاء ، ويتبادلن الزهور الحمراء ، نأمل من فضيلتكم بيان حكم الاحتفال بمثل هذا العيد! وما توجيهكم للمسلمين في مثل هذه الأمور؟ فأجاب: الاحتفال بعيد الحب لا يجوز لوجوه: الأول: أنه عيد بدعي لا أساس له في الشريعة. الثاني: أنه يدعو إلى العشق والغرام. الثالث: أنه يدعو إلى اشتغال القلب بمثل هذه الأمور التافهة المخالفة لهدي السلف الصالح رضي الله عنهم. فلا يحل أن يحدث في هذا اليوم شيءٌ من شعائر العيد سواء كان في المآكل ، أو المشارب ، أو الملابس ، أو التهادي ، أو غير ذلك. وعلى المسلم أن يكون عزيزا بدينه وأن لا يكون إمعة يتبع كل ناعق. أسأل الله تعالى أن يعيذ المسلمين من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يتولانا بتوليه وتوفيقه". انتهى من "مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين". * وسئلت الجنة الدائمة: يحتفل بعض الناس في اليوم الرابع عشر من شهر فبراير من كل سنة ميلادية بيوم الحب (فالنتين داي). (Valentine Day). ويتهادون الورود الحمراء ، ويلبسون اللون الأحمر ، ويهنئون بعضهم وتقوم بعض محلات الحلويات بصنع حلويات باللون الأحمر ، ويرسم عليها قلوب وتعمل بعض المحلات إعلانات على بضائعها التي تخص هذا اليوم! فما هو حكم الشرع في هذا؟ فتفصيل السؤال: أولاً: الاحتفال بهذا اليوم؟ ثانياً: الشراء من المحلات في هذا اليوم؟ ثالثاً: بيع أصحاب المحلات (غير المحتفلة) لمن يحتفل ببعض ما يهدى في هذا اليوم؟ فأجابت اللجنة: "دلت الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة – وعلى ذلك أجمع سلف الأمة – أن الأعياد في الإسلام اثنان فقط هما: عيد الفطر وعيد الأضحى ، وما عداهما من الأعياد سواء كانت متعلقة بشخصٍ أو جماعة أو حَدَثٍ أو أي معنى من المعاني فهي أعياد مبتدعة ، لا يجوز لأهل الإسلام فعلها ولا إقرارها ولا إظهار الفرح بها ولا الإعانة عليها بشيء ، لأن ذلك من تعدي حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، وإذا انضاف إلى العيد المخترع كونه من أعياد الكفار فهذا إثم إلى إثم ، لأن في ذلك تشبهاً بهم ونوع

موالاة لهم ، وقد نهى الله سبحانه المؤمنين عن التشبه بهم وعن موالاتهم في كتابه العزيز ، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من تشبّه بقوم فهو منهم). وعيد الحب هو من جنس ما ذكر ، لأنه من الأعياد الوثنية النصرانية ، فلا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفعله أو أن يقره أو أن يهنئ ، بل الواجب تركه واجتنابه استجابة لله ورسوله ، وبُعداً عن أسباب سخط الله وعقوبته ، كما يحرم على المسلم الإعانة على هذا العيد أو غيره من الأعياد المحرمة بأي شيء من أكلٍ أو شرب أو بيع أو شراء أو صناعة أو هدية أو مراسلة أو إعلان أو غير ذلك ، لأن ذلك كله من التعاون على الإثم والعدوان ومعصية الله والرسول ، والله جل وعلا يقول: (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب). ويجب على المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة في جميع أحواله لاسيما في أوقات الفتن وكثرة الفساد ، وعليه أن يكون فطناً حذراً من الوقوع في ضلالات المغضوب عليهم والضالين والفاسقين الذين لا يرجون لله وقاراً ولا يرفعون بالإسلام رأساً! وعلى المسلم أن يلجأ إلى الله تعالى بطلب هدايته والثبات عليها فإنه لا هادي إلا الله ولا مثبت إلا هو سبحانه وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم". انتهى. * وسئل الشيخ ابن جبرين حفظه الله: "انتشر بين فتياننا وفتياتنا الاحتفال بما يسمى عيد الحب (يوم فالنتاين) وهو اسم قسيس يعظمه النصارى يحتفلون به كل عام في 14 فبراير ، ويتبادلون فيه الهدايا والورود الحمراء ، ويرتدون الملابس الحمراء ، فما حكم الاحتفال به أو تبادل الهدايا في ذلك اليوم وإظهار ذلك العيد؟ فأجاب: أولاً: لا يجوز الاحتفال بمثل هذه الأعياد المبتدعة ؛ لأنه بدعة محدثة لا أصل لها في الشرع فتدخل في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). أي مردود على من أحدثه. ثانياً: أن فيها مشابهة للكفار وتقليدًا لهم في تعظيم ما يعظمونه واحتراماً لأعيادهم ومناسباتهم وتشبهاً بهم فيما هو من ديانتهم! وفي الحديث: (من تشبّه بقوم فهو منهم). ثالثاً: ما يترتب على ذلك من المفاسد والمحاذير كاللهو واللعب والغناء والزمر والأشر والبطر والسفور والتبرج واختلاط الرجال بالنساء أو بروز النساء أمام غير المحارم ونحو ذلك من المحرمات ، أو ما هو وسيلة إلى الفواحش ومقدماتها ، ولا يبرر ذلك ما يعلل به من التسلية والترفيه وما يزعمونه من التحفظ فإن ذلك غير صحيح ، فعلى من نصح نفسه أن يبتعد عن الآثام ووسائلها. وقال حفظه الله: وعلى هذا لا يجوز بيع هذه الهدايا والورود إذا عرف أن المشتري يحتفل بتلك الأعياد أو يهديها أو يعظم بها تلك الأيام حتى لا يكون البائع مشاركاً لمن يعمل بهذه البدعة والله أعلم).هـ. ويقول أستاذنا خالد سعود البليهد في فتواه عن عيد الحب ما نصه: (إنه لا شك في أن الاحتفال بيوم عيد الحب والاحتفاء به واتخاذه مناسبة لتبادل الحب والغرام وإهداء الهدايا الخاصة فيه والتهنئة به كل ذلك محرّمٌ شرعا ، إذ هو بدعة ليس له أصل في الشرع ، وفاعله آثمٌ مرتكبٌ لكبيرة من كبائر الذنوب ، ويَحرمُ إنفاق المال في سبيل ذلك ، ولا يجوز لمسلم المشاركة أو إجابة الدعوة ، ويحرم على الأسواق بيع الأدوات التي تستخدم في ذلك من الزهور والباقات والهدايا والملابس وغيرها وما يتقاضونه من الأموال سُحت حرام عليهم! ولا يجوز تسويق شعارات الحب والدعاية لها من قبل الوكالات والقنوات والمواقع الإلكترونية. وهذا العمل مشتملٌ على مفاسدَ ومخالفاتٍ كثيرة جداً: * ابتداع عيد غير شرعي ، وليس في ديننا إلا عيدان. * التشبه بشعائر النصارى وعاداتهم فيما هو من خصائصهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من تشبه بقوم

فهو منهم" رواه أبوداود. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذرعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لتبعتموهم". قال الصحابة يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ "رواه البخاري ومسلم. * الدعوة إلى العشق والغرام والحب المحرّم ، واشتغال القلب بما يضعف إيمانه ويقوي داعي الشهوة فيه. *إشاعة الفاحشة والرذيلة وإقامة العلاقات غير الشرعية بين أبناء المسلمين من خلال الحفلات المختلطة والبرامج والسهرات المشبوهة).هـ. وأعتذر عن طول المقدمة! حيث إنه كان لا بُدّ من إيرادها لكيلا يُقال: نحلل ونحرّم بأهوائنا وأمزجتنا! عيد الحب من أعياد الكفار ، ولا يجوز لنا – كمسلمين - الاحتفال به مطلقاً!)

عجبتُ للناس إذ بالموبقات رَضُوا ... وحاربوا مَن على التضليل يعترضُ!

وكم عجبتُ لمن في الهزل ليس ينِي ... كأنه مُغرمٌ بالرجس والدّخنِ!

وكم عجبتُ لمن ولتْ شبيبتهُ ... ثم استبدّ ، ولم يُدركْ بليتهُ!

وكم عجبتُ لقوم في الهُدى زهِدوا ... وفي تقاليد أهل الباطل اجتهدوا!

يقلدون نصارى الأرض في نهمٍ ... وفِسقهم - في البرايا - بالغ العظمِ

وبات للحب عيدٌ في مَرابعهم ... وفي الديار بقايا مِن فظائعهم

ما الاحتفال بعيدٍ لا أساس لهُ؟ ... أم العقولُ غزاها المسّ والبَلَهُ؟

هل اليهود بأعياد الهُدى احتفلوا؟ ... كلا ، لأنهمُ في السلم ما دخلوا!

إني أسائلُ مَن في غيّهم رتعوا ... هل يا ترى مِللَ الكفار قد تبعوا؟

لم التشبهُ بالكفار يا همجٌ؟ ... وهل به أزماتُ الناس تنفرج؟

أما قرأتم كتابَ الله دون هوىً؟ ... والنص كالشمس كلَ البيّنات حوى

يا قوم توبوا إلى الرحمن ، واعتبروا ... فكم ينالُ رضا المليك مُدّكر!

والله سَن لكم عيديْن قد عُرفا ... فمن يطبقْ يحُز - بين الورى - الشرفا

(الفطرُ) بعد صيام الشهر فرحتنا ... بالاحتفال به تتم بهجتنا

وبعده يُقدِم (الأضحى) نتيهُ بهِ ... وليس عيدٌ بعيدَيْنا بمشتبهِ!

خرج وليته لم يعد

(إنها مأساة رب أسرة لبناني ، خرج في الصباح ليشتري طعاماً لإفطار لأسرته ، ثم عاد وإذا بداره قد قصفها أحفاد القردة والخنازير ، وإذا بعائلته تحت الأنقاض ، فتمنى أن لم يكن قد خرج ابتداءً ، وتمنى كذلك أن لم يعد ، فكتبتُ قصيدتي معبّراً عن مأساة الأب وهذه الأسرة! والحقيقة أن الصبر عند الصدمة الأولى ، وأوصيه وأمثاله أن يصبروا ويحتسبوا ، فإن ما حدث له ولهم قد حدث بمشيئةٍ من الله وقدَر منه! ومن هنا تأتي قيمة الصبر وأهمية الاحتساب! وعليهم أن يُكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله - إنا لله وإنا إليه راجعون! ولأنّ همّ مثل هذا الحدث طويل طول الأيام والليالي والأسابيع والأشهر والسنين! فتخيلتُ ذلك الأب الذي هدم بيته وفقد أسرته يقول:)

تمـــرّ عـــذاباتٌ ، وتـــأتي شـــدائدُ ... وتخمُـــد نيـــرانٌ ، وتغلـــي مكائـــدُ

وتـــذهبُ ثـــاراتٌ تعـــالي أوارهـــا ... وتزكـــو بـــلاءاتٌ ، وتـــردَى قواعـــد

وتبنـــى أراجيـــفٌ ، وتـــزوى ثوابـــتٌ ... وتـــزرعُ ألغـــامٌ لهـــن مواعـــد

وأســـألُ مـــا ذنـــبُ الضـــحايا وجُـــرمُهم؟ ... ومـــازال شـــعبي يشـــتكي ، ويُكابـــد

ومازالـــتِ البلـــدانُ تقصـــفُ عنـــوة ... وتمتـــد بـــالموت الـــزوَام الموائـــد

وأصـــقاعُ (صَـــيْدا) بالعـــذابات جُنـــدلتْ ... فـــي كـــل يـــوم هجمـــة ومشـــاهد

يعَـــز علينـــا مـــا تعـــاني بلادنـــا ... وأكبادُنـــا - ممـــا تعـــاني - ســـوامد

خرجـــتُ ليقتـــاتوا بشـــيءٍ شـــريته ... وعُـــدتُ ، وقلبـــي مـــن أســـى العَـــوْد واجـــد

إذِ البيـــتُ كـــومٌ مـــن صـــخور تراكمـــتْ ... وأهلـــي وأطفـــالي جميعـــاً حصـــائد

فيـــا ليتنـــي لمّـــا خرجـــتُ أتـــى الـــردى ... فمـــا عشـــتُ وحـــدي للرزايـــا أجالـــد

ومـــا عضـــني هـــولُ المُصـــاب وغـــالني ... ومـــا عـــذبتني بالشـــقاء الشـــدائد

ومـــا العـــيشُ دون الأهـــل إلا بليـــة ... وعنـــدي علـــى مـــا قـــد ذكـــرتُ الشـــواهد

ألا ليتنـــي مـــا عـــدتُ أجتـــرّ صـــدمتي ... ويجرحُنـــي طيـــفٌ مـــن الهـــمّ شـــارد

فيـــا رب صـــبّرني وطيّـــب خـــواطري ... فقـــد خانـــتِ العبـــدَ الضـــعيفَ المقاصـــد

وصية أمامة لأم إياس (أرجوزة)

(في كتاب جمهرة خطب العرب ج1 ص 145 وصّت أمامة بنت الحارث ابنتها أم إياس يوم زواجها فقالت: (أي بنية ، إن الوصية لو تُركتْ لفضل أدب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل. ولو أن امرأة استغنتْ عن الزوج لغنى أبويها وشدّة حاجتهما إليها لكنت أغنى النساء عن الرجال ، ولكن النساء خلقن للرجال ، ولهن خلق الرجال. أي بنية ، إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العُش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بمِلكه عليك رقيباً ومليكاً. فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً. يا بُنية احملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً: الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع له والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك قط إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحُسن ، والماء أطيب الطيب الذي هو مفقود ، والتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم من جميل حسن التدبير. ولا تفشي له سراً ، ولا تعصي له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره ، ثم اتقي من ذلك الفرح إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير. وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً ، يكن أطول ما تكونين له موافقة. واعلمي أنك لا تصِلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت. والله يخير لك). وأزيد على وصية أمامة بنت إياس لابنتها وصية أخرى غالية هي وصية رجل (شاع وطاب عند الكثيرين أن يظنوه امرأة) هو أسماء بن خارجة الفزاري عندما كان يوصي ابنته هنداً ، إذ زوّجها للحجّاج بن يوسف الثقفي ، فلما كانت ليلة زفافها قال لها: (يا بنية ، إن الأمهات يؤدبن البنات. وإن أمك هلكتْ وأنت صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء وأحسن الحسن الكحل ، وإياك وكثرة المعاتبة ، فإنها قطيعة للود ، وإياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق. وكوني لزوجك أمَة يكن لك عبْداً. واعلمي أنني القائل لأمك يوماً ما قبل أن تهلك:

خـــذي العفـــو منـــي تســـتديمي مـــودتي ولا تنطقـــي فـــي سَـــوْرتي حـــينَ أغضـــبُ

ولا تنقرينـــــي نقـــــرة الـــــدفّ مـــــرة فإنـــــك لا تـــــدرين كيـــــف المُغيّـــــب

فـــإني وجـــدتُ الحُـــب فـــي الصـــد والجفـــا إذا اجتمعـــا لـــم يلبـــثِ الحُـــبُ يـــذهب!

ولما أدركتُ ما للوصيتين في أدبنا العربى من أهمية ، آثرت أن أصدّر بهما هذه القصيدة. وإن كنتُ قد تأثرتُ أكثر بوصية أمامة بنت الحارث. وكنت قد درستها في الصف الثاني الثانوي الأدبي قديما عام 1979م. ولا أكاد أنساها لجمالها وحسن أدائها وجمال عبارتها وطلاوة ديباجتها. وأتمنى أن أرى اليوم الذي تنتصح فيه المسلمات المؤمنات في زماننا بهذا الخلق الكريم في معاملة الأزواج. والبيوت اليوم في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه الوصايا الغالية. وقد تحوّل كثيرٌ من الزوجات إلى

مُحققاتٍ محاسبات ، فعكّرن صفو البيوت ، ودفعن الأزواج إلى ما لا تُحمد عقباه من السب أو اللعن أو الضرب أو غير ذلك من الأساليب المحرّمة في ديننا. والسبب في هذا كله هو سوء السلوك الذي جعل من البيت ثكنة عسكرية. يُحاسَب الزوج فيها ويُعاقب ويُسب ويُتهكم به ويُستهزأ منه آناء الليل وأطراف النهار. ومن هنا أنشدتُ هذه القصيدة مادحاً أمامة بنت الحارث ومُثنيا عليها!)

وصـــيةَ - مـــن معـــين الحـــق - تنبثـــقُ ونفحـــــة - ببريـــــق النـــــور - تـــــألقُ

ودرسُ عِلـــــم لـــــه فقـــــهٌ يُجَمّلـــــهُ واللفـــظ - مِـــن ألـــق الفحـــوى – يُدَلـــلهُ

وفقـــــهُ مَـــن خبـــرَتْ بحالـــة ابنتهـــا فناصـــــحتها لكـــــي تزيـــــدَ فرحتهـــــا

ودُربـــــةً للتـــــي قلّـــــتْ تجاربُهـــــا فـــــإن عِيشـــــتها لهـــــا مطالبُهـــــا

ومنحـــة - بعبيـــر الـــوعي - قـــد صُـــبغتْ وفـــي قلـــوب الـــورى طـــول المـــدى طبعـــتْ

وعِبـــرة عِطرُهـــا - فـــي الفكـــر - منتشـــرُ وكـــل مَـــن قـــرأوا ســـطورها اعتبـــروا

والنصـــحُ أغلـــى مـــن الأمـــوال والـــذهبِ إذا تضـــــــــمّخ بـــــــــالأخلاق والأدبِ

ويَشـــرُفُ النـــاسُ إن دَلـــوا وإن نصـــحوا وأرشـــدوا ، وعلـــى الجُهـــال قـــد فتحـــوا

والنصـــحُ بـــالوعظ والتـــذكير مـــرتبطَ لأنـــــه بهُـــــدى الإســـــلام مُنضـــــبط

وكـــــل مُشـــــترع بـــــالحق محتـــــرمُ ويُفلـــح النـــاسُ لـــو للشـــرعة احتكمـــوا

وعقـــــلُ ناصـــــحةِ الأجيـــــال مُتـــــزنٌ قـــد محّصـــته الـــرؤى والـــدينُ والمِحـــنُ

فـــذي (أمامـــة) قـــد خصّـــتْ بخيـــر حِجـــا مـــن الخبـــال ، ومـــن كـــل الضـــلال نجـــا

عقليـــــةً بعُـــــرى الإســـــلام تـــــدّرعُ لـــذاك عاشـــت - بنـــور الـــوحي - تنتفـــعُ

حكيمـــــةً فاقـــــتِ الأفـــــذاذ والحُكمـــــا وبصّـــرَتْ كـــل مَـــن - فـــي ناظريـــه - عمـــى

وقولُهـــا الفصـــلُ - فـــي الآفـــاق - فـــاح شـــذى وردّ كيـــــدَ التـــــي تنـــــوي جفـــــاً وأذى

فعلمـــــتْ أنفُســـــا قـــــد أترعـــــتْ غبشـــــا وفـــــي قرارتهـــــا ضـــــلالها انتفشـــــا

وناولـــــتْ كـــــل أجيـــــال النســـــاء هُـــــدى بـــــه عملـــــن ، فمـــــا ضـــــاع الكـــــلامُ سُـــــدى

حتـــــى بُلينـــــا بجيـــــل مـــــا تقـــــولُ أبـــــى! وحيّـــــر العلـــــمَ والتعلـــــيمَ والأدبـــــا

نســـاؤه ذَبْـــن فيمـــا ســـاد مِـــن شُـــبَهِ ... وفـــي القلـــوب أفـــانينٌ مِـــن العَمَـــهِ

وفـــي الضـــمائر قـــبحُ الجهـــل ينـــتفضُ ... مـــن بعـــد مـــا ســـيطر الإعـــراضُ والمَضَـــضُ

وفـــي الأحاســـيس إعجـــابٌ بمـــن خرجـــوا ... علـــى الشـــريعة ، بـــئس الطغمـــةَ الهمـــجُ!

وفـــي العواطـــف حـــبٌّ للألـــى انحرفـــوا ... فكـــم مـــن الإثـــم والفـــواحش اقترفـــوا!

وفـــي المشـــاعر تعظـــيمٌ لمَـــن ســـفلوا ... ومَـــن لنســـف الهُـــدى مـــن الـــدنا عملـــوا

وفـــي الخـــواطر إكبـــارٌ لمـــن لفظـــوا ... هُـــدى المليـــك ، ومـــا تـــابوا ولا اتعظـــوا

يـــذبْن وجـــداً إذا مـــا أزهـــنّ هـــوى ... فبـــتن والماجنـــاتُ الســـاقطاتُ سَـــوا

شـــعارُهن الهـــوى والهـــزلُ والـــدنسُ ... وكيـــف تســـمو التـــي فؤادُهـــا نجـــسُ؟

والهـــزلُ يقضـــي علـــى نصـــاعة القـــيمِ ... حتـــى يســـير الـــورى فـــي حالـــك الظَلَـــمِ

حتـــى اســـتطلن علـــى الأزواج فـــي صَـــلَفِ ... إن عشـــن فـــي ســـعةٍ ، أو عشـــن فـــي شـــظفِ

إن كُـــن فـــي معـــزل ، أو كُـــن فـــي مـــلأ ... يَـــبحْن بالســـر والعيـــوب والخطـــأ

فكـــل واحـــدةٍ بالشـــر تعتصـــبُ ... ولـــيس يمنعُهـــا عُـــرفٌ ولا أدبُ

تســـلحتْ بـــالأذى والـــبطش والعنـــتِ ... ثـــم اســـتطالت علـــى الحليـــل بالنّكـــتِ

وبـــئس مـــا اقترفـــتْ مـــن ســـيئ العبَـــثِ ... أتتـــه مَـــن غفلـــتْ عـــن رقـــدة الجَـــدَثِ!

هـــل تنشـــدُ الخيـــرَ فـــي مســـارب العِـــوَجِ؟ ... أم تنشـــدُ النـــورَ فـــي مُحلولـــك الـــدُّلجِ؟

وحالُهـــا بالنشـــوز ـ اليـــومَ – مـــا انصـــلحا ... ووجُههـــا بلهيـــب الضـــنكِ قـــد لَفِحـــا

وكيـــف تُفلـــحُ مَـــن فـــي قلبهـــا وسَـــخُ ... وعقـــدُ طاعتهـــا لله مُنفسِـــخ؟

ولـــيس يحكمُهـــا ـ فـــي شـــرّها ـ رَشَـــدُ ... ولـــيس يعقلهـــا إن نـــاورتْ أحـــدُ

كأنمـــا صـــبرُها ـ فـــي شـــرّها ـ نفـــذا ... أو أن هاجسَـــها صـــوابَها أخـــذا

ألا تـــرى نفسَـــها ـ بـــين الـــورى ـ بشـــرا ... أم أن ناظرهـــا قـــد ودع البَصـــرا؟

أم أن إبلـــيس قـــد أغـــرى وقـــد غمـــزا ... وفـــي مســـامعها قريضـــه ارتجـــزا؟

والحـــق أنـــي أرى معيارهـــا انتكســـا ... وفـــي غياهـــب مـــا تصـــبو إليـــه رســـا

وسَـــمعُها اليـــومَ قـــد أودى بـــه الطـــرشُ ... وعينهـــا شَـــجّها بســـيفه العَمَـــشُ

وعقلُهـــا - مـــن دجـــى تضـــليلها - اختـــبلا ... وقلبُهـــا - عـــن ســـبيل الله - قـــد غفـــلا

وفكرُهـــا فـــي هُـــرا أهـــل الضـــلال همـــى ... كأنمـــا شـــدّه - إلـــى المُجـــون - عمـــى

فعـــالجي يـــا (أمـــامُ) الطـــيشَ والنزقـــا ... إن كـــان يومـــاً بمـــا ذكرتِنـــاهُ لِقـــا

وأكثـــري اللـــينَ والتيســـيرَ والرّخصـــا ... فربمـــا عالجـــتْ وَصـــاتك الغصَصـــا

وربمـــا حقنـــتْ دمـــاً سُـــدىً سُـــفِكا! ... وربمـــا أنقـــذتْ مَـــن تشـــتكي الضـــنكا!

وقـــدمتْ للنســـا القـــدْواتِ والســـلفا ... إن اقتـــدين لحُـــزن المجـــدَ والشـــرفا

وناولـــت جيلنـــا أطايـــبَ الثمـــرِ ... حتـــى تجَنبـــه ذرائـــعَ الضـــررِ

لعـــل غاداتِنـــا فـــي كـــل مُنطلـــقِ ... يعِـــين نُصـــحاً - علـــى مَـــرّ الزمـــان - بقـــي

يُـــدركْن مـــا قـــد أقمـــت اليـــوم مـــن أسُـــسِ ... وكـــل أس - بـــدنيا النـــاس - كـــالقبَسِ

ويمتـــثلن هُـــدىً للمَكْرُمـــات دعـــا ... وإن أتـــى قريـــة نســـاءَها نفعـــا

حيـــاكِ ربُـــك كـــم أبنـــتِ مِـــن سُـــبُلِ! ... وكـــم منحـــتِ بنـــاتِ الجيـــل مِـــن أمـــلِ!

وكـــم أزلـــتِ مـــن المشـــاعر الحَزنـــا! ... إذ لفظـــك اختصـــرَ المكـــان والزمَنـــا

وكـــم وضـــعتِ لمـــن ترجـــو الهُـــدى الخططـــا ... كـــي تســـتعيد الـــذي مـــن عقـــدها انفرطـــا!

هـــذا الختـــامُ وشـــكراً يـــا مُعلمتـــي ... علـــى الوصـــيّة مِـــن أنقـــى مُربيـــةِ

بين الجامع والجامعة

(سُئل أحد أساتذتنا عن الكم الهائل الذي يستظهره من أحاديث الرسول الكريم – صلوات ربي وسلامه عليه – وهذا الاستظهار من الأستاذ يشمل المُتون والأسانيد والشروح ، ثم هو يعزو كل قول لقائله بعد ذلك. ألا إنها عملية جد شاقة. فأجاب الأستاذ: لأنني تعلمتُ في الجامع ، ولم أتعلم في الجامعة ، وليس الذكر كالأنثي. فكان رداً موفقاً قاطعاً مفحماً. وقليلاً ما قرأنا أو سمعنا بمثل هذا الرد المسكت للخصم. إذ يجعله لا يُحري حتى مجرد التعليق عليه ، إلا من باب الثناء على قائله. ولقد عاينا أساتذة في الجامعة يستحقون التقدير والإعجاب والثناء والمدح. كما عاينا آخرين لا يستحقون مجرد الذكر. وإذن فالمسألة ليست كما يتصورها كثيرون ، مسألة علم يُتقيأ في ساحات التنظير وغرف الدراسة فقط. بل هي في حقيقتها إدالة خبرات وتجارب وثقافات وقناعات للدارسين على أيدي من يقومون بالتدريس لهم. إن التعليم أو بالأحرى التدريس علم وذوق وفن وأخلاق وقيم ورسالة ، قبل أن يكون مجرد وظيفة ارتزاقية. وفرقٌ كبير جداً بين المعلمين المربين وبين المرتزقة الموظفين. ولقد أصبحتْ مهنة التدريس في هذا الزمان وفي الغالب الأعم مهنة من لا يمتهن مهنة. بينما كون التدريس رسالةً وتوقيعاً عن رب العالمين وأنبيائه المرسلين فهذا لا يكاد المرتزقة يعلمون عنه شيئاً البته. والجامع الذي أورده أستاذنا في رده هو معقلُ العلم والثقافة لا مجرد صلاة الناس فقط. إن جواب الأستاذ الدكتور الشيخ لا أنساه أبداً. ولذا كتبتُ من باب الثناء على الجواب وصاحبه هذه القصيدة! حكى الإمام ورش المصري عن تجربته في حلقة الإمام نافع في المسجد النبوي ، فقال: "خرجتُ من مصر لأقرأ على نافع ، فلما وصلتُ إلى المدينة صرتُ إلى مسجد نافع ، فإذا هو لا تُطاق القراءة عليه من كثرة الطلاب! وإنما يُقْرِئ ثلاثين ، فجلستُ خلف الحلقة وقُلتُ لإنسان: مَن أكبرُ الناس عند نافع؟ فقال لي: كبير الجعفريين. فقلتُ: فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك إلى منزله. وجئنا إلى منزله ، فخرج شيخٌ ، فقُلتُ: أنا من مصر ، جئتُ لأقرأ على نافع فلم أصل إليه ، وأُخبرْتُ أنك من أصدق الناس له ، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه. فقال: نعم وكرامة. وأخذ طيلسانه ومضى معنا إلى نافع ، وكان لنافع كنيتان أبو رويم وأبو عبد الله ، فبأيهما نودي أجاب ، فقال له الجعفري: هذا وسيلتي إليك جاء من مصر ، ليس معه تجارة ولا جاء لحج ، إنما جاء للقراءة خاصة. فقال: تُرى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار؟ فقال صديقه: تحتال له. فقال لي نافع: أيمكنك أن تبيت في المسجد. قلت: نعم. فبتُّ في المسجد ، فلما أن كان الفجر ، جاء نافع فقال: ما فعل الغريب؟ فقلت: ها أنا ، رحمك الله. قال: أنت أولى بالقراءة. قال: وكنتُ مع ذلك حسن الصوت ، مدادًا به. فاستفتحتُ فملأ صوتي مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فقرأتُ ثلاثين آية ، فأشار فسكَتُّ ، فقام إليه شابٌّ من الحلقة ، فقال: يا معلم - أعزك الله - نحن معك ، وهذا رجل غريب ، وإنما رحل للقراءة عليك ، وقد جعلت له عشرًا ، واقتصر على عُشرين. فقال: نعم وكرامة. فقرأتُ عُشرًا. فقام فتى آخر فقال كقول صاحبه ، فقرأتُ عُشرًا وقعدتُ ، حتى لم يبق له أحد ممن له قراءة ، فقال لي: اقرأ. فأقرأني خمسين آية ، فما زلتُ أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأتُ عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة. الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: يَا أَبَا ذَرٍّ ، لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ ،

عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ. أخرجه ابن ماجة ، ضعيف الجامع. وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ - قَالَ: مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ. أخرجه الطبرانى وقال الهيثمي: رجاله موثقون كلهم. والحاكم ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر. قال الألباني: حسن صحيح. وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا ، لَمْ يَأْتِ إِلاَّ لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ ، أَوْ يُعَلِّمُهُ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ. أخرجه ابن أبي شَيْبَة و(أحمد) و(ابن ماجة). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ). أخرجه "أحمد ومسلم". وقد كان للصحابة رضوان الله عليهم حلقات للعلم في المسجد النبوي ، فقد ذكر مكحول عن رجل أنه قال: "كنا جلوسًا في حلقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد المدينة نتذاكر فضائل القرآن ، فذُكِر الحديثُ في أعجوبة (بسم الله الرحمن الرحيم). ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق. وكان لأبي هريرة رضي الله عنه حلقة في المسجد النبوي يُعلِّم فيها حديث رسول الله ، وكانت هذه الحلقة تعكس سعة حفظ أبي هريرة رضي الله عنه ، كما كانت تجيش بعواطفه الصادقة تجاه النبي ؛ فقد دخل رجل على معاوية رضي الله عنه فقال: "مررت بالمدينة ، فإذا أبو هريرة جالس في المسجد ، حوله حلقة يحدثهم ، فقال: حدثني خليلي أبو القاسم. ثم استعبر ، فبكى. ثم عاد، فقال: حدثني خليلي نبي الله أبو القاسم. ثم استعبر ، فبكى ، ثم قام. الذهبي: سير أعلام النبلاء. وكذلك كان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حلقة شهيرة في مسجد دمشق ، وصفها لنا أبو إدريس الخولاني ، فقال: "دخلت مسجد دمشق فإذا أنا بفتى براق الثنايا ، طويل الصمت ، وإذا الناس معه ، فإذا اختلفوا في الشيء، أسندوه وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه ، فقيل هذا معاذ بن جبل. الإمام الفسوي: المعرفة والتاريخ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادَوْا هلموا إلى حاجتكم ، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم منهم -: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك ، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم). رواه البخاري. خرج أبو هريرة رضي الله عنه إلى السوق بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - فرأى حال الناس فيه ، وهم يبتاعون ويشترون فنادى في سوق المدينة بأن ميراث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُقسم في المسجد وأنتم هاهنا! فلما ذهبوا ولم يجدوا شيئًا رجعوا وأخبروه فقال لهم: وما رأيتم في المسجد؟ قالوا: رأينا قومًا يُصَلون ، وقومًا يقرأون القرآن وقوما يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد - صلى الله عليه

وسلم -. وعن مسلم بن مشكم: قال لي أبو الدرداء: أعدد من في مجلسنا. قال: فجاؤوا ألفاً وستَّ مئة ونيِّفا فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة عشرة فإذا صلى الصبح انفتل ، وقرأ جزءًا فيحدقون به يسمعون ألفاظه ، وكان ابن عامر مقدمًا فيهم. وعن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال: كان أبو الدرداء يصلي ثم يُقرئ ويقرأ حتى إذا أراد القيام قال: هل من وليمة أو عقيقة نشهدها؟ فإن قالوا: نعم ، وإلا قال: اللهم إني أشهدك أني صائم. سير أعلام النبلاء. وأكتفي بهذا المقدار في التقديم!)

هـــذا الجـــوابُ - مِـــن المُعلـــم - كـــافِ ... وتُعـــــدّ - فيـــــه - الآي بـــــالآلافِ

إنـــي أرى لفظـــاً قـــد اختصـــر المـــدى ... هـــــو - بالإجابـــــة والإصـــــابة - واف

لفـــظَ - مـــن التبيـــان - فـــواحُ الشـــذى ... كـــــالعطر ضـــــمّخ نـــــائيَ الأكنـــــاف

لفـــظَ توشّـــحَ بالضـــياء موضّـــحا ... للســـــائلين الـــــردّ باســـــتظراف

لفـــظ - مـــن الإيجـــاز - لـــم يتـــرك صـــدىً ... وكأنـــــه شِـــــعرٌ بعـــــذب قـــــواف

لفـــظ طلاوتـــــه كأجمـــــل غـــــادةٍ ... قـــد زُيّنـــت للعُـــرس يـــوم زفـــاف

لفـــظ - مـــن القـــرآن - أحرفـــه أتـــتْ ... مـــن ســـورة (الشـــورى) ، أو (الأحقـــاف)

أو مـــن سَـــنا (الـــرحمن) ، أو مـــن (فصـــلتْ) ... أو مـــن ضـــيا (هـــودٍ) ، أو (الأعـــراف)

بـــالأمس كـــل العِلـــم حِيـــز بـــ (جـــامع) ... فيـــه الغنـــيّ إلـــى جـــوار العـــافي

والشـــيخُ فيـــه كمثـــل بحـــر زاخـــر ... بلآلـــيءٍ - كـــم جـــاد – والأصـــداف!

أعطـــى الحُلـــي مـــن ابتغـــى متفضـــلاً ... ومـــن اشـــتهى اشْـــتم النســـيمَ الشـــافي

ورمـــى إلـــى الغرقـــى حِبـــال نجـــاتهم ... والعلـــمُ حبـــلٌ - فـــي الـــدغاول - طـــاف

ومَـــن اشـــتهى أكـــل اللحـــوم طريـــةً! ... مَـــن - فـــي العطـــا والجـــود - كالرجـــاف؟

والجـــامعُ المَعمـــورُ يُتحـــفُ أهلـــه ... بـــالعلم فـــي عـــز وفـــي استشـــراف

عُمُـــدٌ هنالـــك تحتفـــي بشـــيوخها ... وتفـــيضُ بـــالتقوى وبـــالإيلاف

والكـــل فـــي حِلـــق العلـــوم مُجنـــدٌ ... كـــالجيش فيـــه قـــوادمٌ وخـــواف

كـــلٌ علـــى ثغـــر ، ويـــدركُ دَوْره ... ويتـــوق فـــي شـــغفٍ إلـــى الأهـــداف

كـــلّ - لهـــذا الـــدين - ســـيفٌ قـــاطعٌ ... إذ لـــيس للأعـــدا ســـوى الأســـياف

كـــلّ - لهـــذا الـــدين - أمٌّ أو أبٌ ... بالمَكرمـــات يخصُّـــه ويُـــوافي

كـــلّ لهـــذا الـــدين عـــينٌ لا تنـــي ... تبكـــي عليـــه بمَـــدمع ذرّاف

كـــلّ يؤمـــلُ نشـــرَه بـــين الـــورى ... وبـــرغم مـــا يلقـــى مِـــن استضـــعاف

كـــلّ يتـــوقُ لرفـــع رايتـــه ضُـــحىً ... وبـــرغم مـــا - فـــي الـــدار - مـــن إجحـــاف

يـــا شـــيخنا حِلـــقُ المســـاجد ســـاحةً ... للعِلـــم تُكْـــرمُ أهلـــه ، وتُكـــافي

ودراســـةَ القـــرآن فـــي مِحرابـــه ... أمـــرٌ يقـــودُ لســـؤدَدٍ وطِـــراف

فالكـــل أضـــيافٌ علـــى رب الســـما ... بـــل هـــم وربـــي خِيـــرةُ الأضـــياف

مـــن كـــل نجـــع قـــد أتـــوْا ، وتجشّـــموا ... طـــولَ المســـافة فـــي قَـــرىً وفيـــاف

متشـــوقين إلـــى العلـــوم نقيـــةً ... شـــوقَ الشـــريف إلـــى لقـــا الأشـــراف

والجـــامعُ الميمـــون يرقـــبُ خطـــوَهم ... والـــريحُ هبّـــتْ مِـــن ورا الصفصـــاف

يشـــتاق فـــي لهـــفٍ للحـــظ قَـــدومهم ... كالكعبـــة اشـــتاقتْ لعـــذب طـــواف

بوركـــتَ يـــا شـــيخاً أصـــاب حقيقـــة ... وأراه أتحـــف غايـــة الإتحـــاف

إذ أوجـــز الـــنصّ الـــذي هـــو مُعْجـــزٌ ... وأراه أنصـــفَ غايـــة الإنصـــاف

كقضـــيةٍ أمســـتْ تعـــانقُ حُكمهـــا ... أبـــداً بـــلا نقـــض ولا اســـتئناف

أو مِثـــل وصـــفٍ لا يُبـــارى مطلقـــاً ... إذ إنـــه عَلـــمٌ علـــى الأوصـــاف

على الله القبول

(إنها (خديجة المدّاح) من بنات الجزائر. وكانت قد عملتْ راقصة ردحاً من الزمان. وكان اسمها الفني (هدى الجزائرية). أحيا الله تعالى قلبها في باريس عاصمة الرقص والخمر. فعادت مؤمنة إلى قريتها. ليس ذلك فقط ، بل عزمت على أن لا ترقص أبداً إلى أن تلقى الله. وقصتها كاملة كما نشرت في جريدة (المسلمون) ص 5 من العدد 437. واختفتْ عن الأضواء من يوم توبتها: (نَشَأتْ في أرض المليون شهيد. ونتيجة لتربية خاطئة ؛ انحرفتْ عن الصراط السوي ، فتلقفتها امرأة يهودية لترسلها إلى باريس وتصنع منها راقصة. اسمها خديجة المداح ، وعرَفها رواد الفسق والضلال بـ (هدى الجزائرية). تقول خديجة: ولدتُ في منطقة الشلف ، في أسرة متدينة ، لكن أحد أفرادها – سامحه الله وغفر له – كان متشدداً لدرجة الغلو ، فعند ما كنت طفلة كان يؤثر ضربي المبرّح ، بدلاً من تعليمي أصول ديني الحنيف ، وحدث أن طُلِّقتْ والدتي ، فتفكك شمل الأسرة ، وهربتُ من البيت ، ومن هنا كانت البداية. انضممتُ إلى فرقة (محي الدين) ثم إلى العمل في بيت امرأة يهودية ، فما كان منها إلا أن أوفدتني للعمل في باريس كمُهرِّجة مع يهودي وآخر فرنسي ، وكان دَوْري يتلخص في ارتداء الزي الجزائري والسخرية منه ليضحك الجمهور. وفي باريس تعرفتُ على ليلى الجزائرية التي كانت تعمل مع فريد الأطرش ، فرشحتني للعمل كراقصة ، وكنت في كل يوم أقترب كثيراً من حياة الضلال. لم أفِق مما أنا فيه فجأة. كلا ؛ بل منذ اليوم الأول وأنا أشعر بالندم والحسرة على السير في هذا الطريق ، وتأنيب الضمير بما تبقّى لديّ من فطرة. ثم جاءت اللحظة الحاسمة ، وجريتُ إلى سكني ، واكتشفتُ أني ما زلتُ حيّة ، وأن ضميري ما زال حيا ، وأنه لا ييأس من رَوح الله إلا القوم الكافرون. قرأتُ كثيراً ، وبكيتُ كثيراً ، وما زلت أبكي على ما مضى من عمري ، لكنني أرجو رحمة ربي ، وأدعوه جل شأنه أن يتقبل توبتي).هـ. قال الله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ، أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا). وقال: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). وقال: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ). وقال: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ، سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ، وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). وقال: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا

إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ). وقال: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ). وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا أذنب عبد فقال: رب إني عملت ذنباً فاغفر لي فقال الله: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، قد غفرتُ لعبدي ، ثم أذنب ذنبا آخر فذكر مثل الأول مرتين أخريين حتى قال في الرابعة: فليعمل ما شاء". يعني مادام على هذه الحال كلما أذنب ذنباً استغفر منه غير مُصر. وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: أحدنا يذنب ، قال: "يُكتب عليه". قال: ثم يستغفر منه! قال: "يغفر له ويتاب عليه". قال: فيعود فيذنب. قال: يكتب عليه". قال: ثم يستغفر منه ويتوب. قال: "يغفر له ويثاب عليه. ولا يَمَل الله حتى تملوا". أخرجه الحاكم في مستدركه. وسئل علي رضي الله عنه عن العبد يذنب؟ قال: يستغفر الله ويتوب. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب. قيل حتى متى؟ حتى يكون الشيطان هو المحسور. وبهذا فإنك بالذنب مع التوبة الصادقة. تحقق صفة العبد المنكسر المتأسف النادم. وربما تحقق فيك قول السلف: "رب معصية أدخلتك الجنة. ورب طاعة أدخلتك النار". ومن هنا رحت أدعو الله لها بالقبول. فتخيلتها تحكي هذه القصة العذبة اعترافاً بفضل الله تعالى!)

لـــــدين الله والتقـــــوى اهتـــــديتُ ... وللإســـــــلام مُخلِصـــــــة ســـــــعيتُ

وبالإيمـــــان أعلنـــــتُ اعتصـــــامي ... وللتوحيـــــد والخيـــــر ارتقيـــــت

وبالإحســـــان توّجْـــــتُ اتبـــــاعي ... وللشـــــرع المُكـــــرّم قـــــد أويـــــت

وأشـــــهرتُ التمسّـــــك بالمعـــــالي ... وبـــــالقول المجـــــرّد مـــــا اكتفيـــــت

ومنـــــذ اليـــــوم أدأبُ فـــــي الســـــجايا ... وثـــــوبَ الجـــــد والعمـــــل ارتـــــديت

وفاصـــــلتُ الرذائـــــلَ دون عَـــــودٍ ... كفـــــاني مـــــا فعلـــــتُ ومـــــا جنيـــــت!

وقاطعـــــتُ الفضـــــائحَ دمّرتنـــــي ... وذاتـــــي - مـــــن براثنهـــــا - اشـــــتريت

وزايلـــــتُ القبـــــائحَ حطمتنـــــي ... وكـــــم بجحـــــيم فتنتهـــــا اصـــــطليت!

وخاصـــــمتُ الفنـــــونَ ومُـــــدمنيها ... وحســـــبي أننـــــي فيهـــــا انشـــــويت!

وميّـــزتُ الأمـــورَ ، فـــلا التبـــاسٌ وفـــي مســـتقبلي الآتـــي قضـــيت

وفـــي (بـــاريسَ) قـــد كـــان التزامـــي وماضـــي الفـــن هـــا أنـــذا ازدريـــت

أتـــوبُ اليـــوم عـــن هزلـــي وقبحـــي وصـــدقاً كـــم نـــدمتُ! وكـــم بكيـــت!

علـــى التفـــريط جرّعنـــي المآســـي وهـــا أنـــذا لحـــالي قـــد رثيـــت

ودمـــعُ العـــين يغســـلُ كـــل رجســـي وأخطـــاءً - بجهلـــي - قـــد أتيـــت

وعُرْيـــاً فـــوق مســـرح مَـــن تـــردّوْا لأنـــي - مـــن ضـــميري - مـــا اســـتحيت

ورقصـــاً كنـــتُ أبذلـــه رخيصـــاً لقـــوم مهّـــدوا حتـــى غويـــت

وفســـقاً كنـــتُ أنشـــرُه ابتهاجـــاً كـــأني مـــا اســـتفقتُ ، ومـــا دريـــت

وزيفـــاً كنـــتُ أحسِـــبُه سُـــمُواً وأنـــي - فـــي الحقيقـــة - مـــا اســـتميت

فـــإن الـــرقصَ والفـــنّ انحطـــاط بُليـــتُ بدربـــه لمّـــا عصـــيت

وإنـــي اليـــوم أحـــذره ، وأحيـــا بـــدين الله إذ فيـــه ارتقيـــت

وبعـــدُ أحـــذر الـــدنيا بصـــوتٍ جهـــوري ، بـــه كَيْـــتٌ وكَيـــت

ولا أخفـــي الحقـــائقَ عـــن ضـــحايا وليـــت النـــاس تفهـــمُ مـــا حكيـــت

وأنصـــحُ كـــل أهـــل الفـــن نصـــحاً وأخبـــرُهم بـــأني مـــا اختفيـــت

وأن (خديجـــة المـــداح) تابـــتْ وطعمـــة بيتهـــا خبـــز وزيـــت!

وأمـــوالُ الفنـــون برئـــتُ منهـــا لأنـــي تبـــتُ حقـــاً ، واهتـــديت

ألا فلتحـــذروا ضـــنك المَخـــازي وقومـــاً مـــنهمُ الـــدعرَ اســـقيت

ألا فلتبـــرأوا ممـــن تـــدنى وإنـــي - للـــذي هـــدِفوا - وَعيـــت

ألا يـــا رب فاقبـــلْ مَـــن أنابـــتْ فـــإني - مِـــن سَـــنا التقـــوى - ارتويـــت

فثبتنـــي علـــى دينـــي وشـــرعي وكَفـــرْ مـــا اجترحـــتُ ومـــا اجتنيـــت

سوزي من الكباريه إلى حقل الدعوة

(لقد زعم الكثيرون أن سوزي مظهر فنانة على مستوى كما روّج لذلك الوسط الفني! رغم أنه ليس لها أي عمل فني مطلقاً! ويزيدون فيقولون: ويكفي أن أحمد مظهر عمها. ثم أنها لم تعتمد على اسمه في الفن ، بل اجتهدت إلى أنها قد بلغت العالمية في الفن! وهذا كله محض افتراء عليها! وهذا لا يعني أنها كانت تعيش حياة الإسلام قبل التزامها به! بل كانت تحيا حياة جاهلية محضة على حد تعبيرها! ولكن مع هذا كله ، منّ الله عليها بالتوبة والإنابة إليه وانتشالها من الدنس الذي عايشته في مستنقع الفن ، وتفيأت ظلال الإسلام الوارفة. وذلك عندما نصحتْ لها إحدى الأخوات ، ووعظتها على باب المسجد ففعلت. وقصتها كاملة في شريط (قوافل التائبات). وتحت عنوان: (توبة الداعية سوزي مظهر على يد امرأة فرنسية). يقول الأستاذ محمد المسند ما نصه: (لا تزال قوافل التائبين والتائبات ماضية لا يضرها نكوصُ الناكصين ، ولا نباحُ النابحين المتوقحين. ولسان حالها يقول: (إذا الكلب لا يؤذيك إلا بنبحه *** فدعه إلى يوم القيامة ينبحُ). ومن أواخر من التحق بركب الإيمان الفنانة سوزي مظهر التي صار لها أكثر من عشرين عاماً في مجال الدعوة إلى الله ، ارتبط اسمها بالفنانات التائبات وكان لها دور دعوي بينهن. روت قصة توبتها فقالت: تخرجتُ من مدارس (الماردي ديبيه) ثم في قسم الصحافة بكلية الآداب ، عشتُ مع جدتي والدة أحمد مظهر فهو عمي. كنتُ أجوب طرقات حي الزمالك ، وأرتاد النوادي وكأنني أستعرض جمالي أمام العيون الحيوانية بلا حُرمة تحت مُسميات التحرر والتمدن. وكانت جدتي العجوز لا تقوى عليّ ، بل حتى أبي وأمي ، فأولادُ الذوات هكذا يعيشون ، كالأنعام ، بل أضل سبيلاً إلا من رحم الله عز وجل. حقيقة كنت في غيبوبة عن الإسلام سوى حروف كلماته ، لكنني برغم المال والجاه كنتُ أخاف من شيء ما. أخاف من مصادر الغاز والكهرباء ، وأظن أن الله سيحرقني جزاء ما أنا فيه من معصية ، وكنت أقول في نفسي إذا كانت جدتي مريضة وهي تصلي ، فكيف أنجو من عذاب الله غداً؟ فأهرب بسرعة من تأنيب ضميري بالاستغراق في النوم أو الذهاب إلى النادي. وعندما تزوجتُ ، ذهبت مع زوجي إلى فرنسا لقضاء ما يسمى بشهر العسل ، وكان مما لفت نظري هناك ، أنني عندما ذهبت للفاتيكان في روما ، وأردتُ دخول المتحف البابوي أجبروني على ارتداء البالطو أو الجلد الأسود على الباب. هكذا يحترمون دياناتهم المحرّفة. وهنا تساءلت بصوت خافت: فما بالنا نحن لا نحترم ديننا؟! وفي أوج سعادتي الدنيوية المزيفة قلتُ لزوجي: أريد أن أصلي شكراً لله على نعمته ، فأجابني: افعلي ما تريدين ، فهذه حرية شخصية. وأحضرتُ معي ذات مرة ملابس طويلة وغطاء للرأس ، ودخلتُ المسجد الكبير بباريس فأديتُ الصلاة ، وعلى درب المسجد أزحتُ غطاء الرأس ، وخلعتُ الملابس الطويلة ، وهممتُ أن أضعها في الحقيبة ، وهنا كانت المفاجأة. اقتربتْ مني فتاة فرنسية ذات عيون زرقاء لن أنساها طول عمري ، ترتدي الحجاب. أمسكت يدي برفق ورَبتتْ على كتفي ، وقالت بصوت منخفض: لماذا تخلعين الحجاب؟! ألا تعلمين أنه أمر الله؟! كنتُ أستمع لها في ذهول ، والتمستْ مني أن أدخل معها المسجد بضع دقائق ، حاولتُ أن أفلت منها ، لكن أدبها الجم وحوارها اللطيف أجبراني على الدخول. سألتني: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ أتفهمين معناها؟ إنها ليست كلمات تُقال باللسان ، بل لا بد من التصديق والعمل بها. لقد علمتني هذه الفتاة أقسى درس في الحياة. اهتز قلبي ، وخضعتْ مشاعري لكلماتها

ثم صافحتني قائلة: انصري يا أختي هذا الدين. خرجتُ من المسجد وأنا غارقة في التفكير لا أحسّ بمن حولي ، ثم صادف هذا اليوم أن صحبني زوجي في سهرة إلى (كباريه) ، وهو مكان إباحي يتراقص فيه الرجال مع النساء شبه عرايا ، ويفعلون كالحيوانات ، بل إن الحيوانات لتترفع عن أن تفعل مثلهم. كرهتهم ، وكرهتُ نفسي الغارقة في الضلال. لم أنظر إليهم ، ولم أحسّ بمن حولي ، وطلبتُ من زوجي أن نخرج حتى أستطيع أن أتنفس. ثم عدتُ فوراً إلى القاهرة ، وبدأتُ أولى خطواتي للتعرّف على الإسلام. وعلى الرغم مما كنتُ فيه من زخرف الحياة الدنيا ، إلا أنني لم أعرف الطمأنينة والسكينة ، ولم أقترب إليها إلا إذا صليتُ وقرأتُ القرآن. واعتزلتُ الحياة الجاهلية من حولي ، وعكفتُ على قراءة القرآن ليلاً ونهاراً. وأحضرتُ كتب ابن كثير وسيد قطب وغيرهما. كنت أنفقُ الساعات الطويلة في حجرتي للقراءة بشوق وشغف. قرأتُ كثيراً ، وهجرتُ حياة النوادي وسهرات الضلال. وبدأتُ أتعرف على أخوات مسلمات. ورفض زوجي في بداية الأمر بشدة حجابي واعتزالي لحياتهم الجاهلية ، لم أعد أختلط بالرجال من الأقارب وغيرهم ، ولم أعد أصافح الذكور ، وكان امتحاناً من الله ، لكن أولى خطوات الإيمان هي الاستسلام لله ، وأن يكون الله ورسوله أحب إليّ مما سواهما ، وحدثت مشاكل كادت تفرق بيني وبين زوجي. وفرض الإسلام وجوده على بيتنا الصغير ، وهدى الله زوجي إلى الإسلام ، وأصبح الآن خيراً مني ، داعية مخلصاً لدينه ، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً. وبرغم المرض والحوادث الدنيوية ، والابتلاءات التي تعرضنا لها فنحن سعداء ما دامت مصيبتنا في دنيانا وليست في ديننا).هـ. أما سوزي فتقول عن نفسها ونشرت ذلك الصحف والمجلات المختلفة: (أنا لم أكن فنانة وقد يُظن أني كذلك لأن عمّي هو أحمد مظهر، واسمي الحقيقي سهير مظهر وسوزي اسم ينادونني به أقربائي فقط ، أبلغ من العمر 55 عاماً ومتزوجة حالياً من الدكتور عبد الحميد الغزالي الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، وعندي أربعة أولاد من زوجي الأول سعيد ذو الفقار أبو أولادي رحمه الله: حسين أكبرهم ثم خديجة وإبراهيم وزينب أصغرهم ، وبنتاي وهما ملتزمتان بالنقاب وإحداهما تدرس في الجامعة الأمريكية الإسلامية والأخرى في تجارة القاهرة ، كما أن ولدي الأكبر حسين تخرج من جامعة 6أكتوبر ويعمل في إحدى شركات الاتصالات ومتزوج من مسلمة إنجليزية ملتزمة هي الأخرى بالنقاب). سوزى الآن جدة تمارس حياتها بصورة عادية فهي في المطبخ والإشراف على البنات ، والقراءة - كما تقول - حياتها كما أن لها صديقات من الوسط الفني كانت سبباً في هدايتهن أمثال شمس البارودي وهناء ثروت وهناك تنسيق دعوي فيما بينهن وحضور مشترك لدروس العلم. ولستُ أنسى الفرنسية التي قالت لى: إن لا إله إلا الله ليست كلمة تقال باللسان بل لابد من التصديق والعمل بها وقرأتْ بالعربية هذه الآية: {قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} ، وقالت لي أيضًا: إن المعاصي تزيل النعم ، أرجو أن تفكري في ذلك ، فشكرتها وخرجتُ أفكّر! ولكنها كانت أول مرة في حياتي أفكر ، واندهشتُ أن فتاة فرنسية تعيش في وسط هذا الجو المليء بالمعاصي والمغريات تعلم عن الدين الإسلامي الكثير! لقد كرهت نفسي الغارقة في الضلال ، ولما سألني زوجي عن هذا قلت له ما حدث لي ، وأننا فعلاً بعيدان عن الله ، وحتى الصلاة كنا نفوّتها أثناء انشغالنا بالخروج. * وماذا كان موقف زوجك من حجابك والتغير الذي طرأ على حياتك؟ - زوجي سعيد ذو الفقار أبو أولادي رحمه الله أصبح أحسن مني قبل أن يتوفاه الله ، وكان لا يقرأ العربية ، والحمد لله مات وهو قارئ للقرآن بالتجويد ، وقد زاده الدين والإيمان جمالاً على جمال. وقد امتحنه

الله عز وجل قبل مماته فصبر ولله الحمد ـ نحسبه كذلك والله حسيبه ـ والحق أنه في البداية لم يكن يفهم معنى الالتزام جيدًا ، لأنه كان بالنسبة له حرمان من حياة النعيم التي كان يحياها ، فلقد كان يعيش دائمًا في فرنسا ، ورفض بشدة حجابي ، وأعلن عن ضيقه من منظري بالحجاب ، ورفض عدم اختلاطي بالرجال من الأقارب وغيرهم ، وعدم مصافحة الرجال الأجانب حتى أنه كان يهجرني ويسافر بالشهور الطويلة ، وكدنا أن ننفصل ، ولكن أمام إصراري على الالتزام ، وتحمّلي قسوته عليّ في صمت ، وأحيانًا بالبكاء الصامت ، وحدثتْ مشاكل كادت أن تفرق بيني وبين زوجي ، ولكن الحمد لله ، فرض الإسلامُ وجودَه على بيتنا الصغير وكانت فطرته سليمة ، وأخلاقه عالية ، وشعر أنها قضية تملأ قلبي ، ولن أتنازل عنها ، وكنت أدعو له دائمًا بالرجوع إلى الله ، وأحاول إقناعه بشتى الطرق ، سردتُ له قصة إسلام سيدنا عمر وغيرها من القصص ليرق قلبه ، وقدمت له ترجمة القرآن بالفرنسية ، لأنه تلقى تعليمه في مدارس أجنبية ، وبدأ يقرأ واستجاب الله لدعائي وبدأ يهتم بأمور ديننا الحنيف {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ} ، وكان يقول بعد التزامه إننا كنا نعيش كالأنعام وربنا أكرمنا. * ما الإضافات التي حققها لك الالتزام؟ ـ أنا مازلت في مجال الدعوة إلى الله التي أغدقت على حياتي معاني فهمتها من القرآن. تحررنا من عبودية الشهوات وأصبحت عابدة لله وحده ، ليس للموضة ولا للأصحاب في النوادي أو المجتمع ، وكنت أستحيي في يوم من الأيام أن أتكلم العربية ، واليوم تغيرت تصوراتي ومنهجي في التفكير وتغيرت حياتي مائة وثمانين درجة ، فهمتُ القرآن وتدبرته بمعنى إدراك أنني العبد ولماذا خلقت ، وقد عرفت أن الله خلق الخلق للعبادة ، وليست الشعائر التعبدية هي فقط كل ما يحبه الله "قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ". وقرأت تفسير ابن كثير وعلمت أن الأمة اجتمعت على أن حياتنا كلها لله. كانت اهتماماتي التمتع بالملبس وكنت أجلس مع صديقاتي للتحدث في الدنيا فقط. والآن الإنسان دائماً عندما يأكل أكلة جميلة يدعو الناس لها ، وحديث رسول الله "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" أدعو أقاربي وأقارب زوجي ومن أعرفهم لأبلغهم ما فهمته من دين الله. * كيف واجهت المجتمع بحجابك وتفكيرك الجديدين؟ ـ فهمت معنى: "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" ومعنى: "ومن يهن الله فما له من مكرم" وقوله تعالى: "والآخرة خير وأبقى" ، فلما عرفت معاني هذه الآيات خفت ، وشعرت باستعلاء بالله في موضوع ارتداء الحجاب رغم أن أهلي أو أهل زوجي كانوا يسخرون منا أحيانًا لدرجة أني ذات مرة دخلت على زوجي ومعه ضيف من أقاربه ، فقال له: إنه ظنني الخادمة ، على الرغم من أنه يعرفني ، ولكن قال ذلك ليسخر مني ، ويستفزني ، ولقد صبر زوجي كثيرًا عندما أصابه الشلل لمدة ست سنوات وكان لا يقول إلا «يا الله» عندما يشتد عليه المرض ، وكنت والحمد لله قد فهمت ورسخ الأمر في نفسي حقيقة الدنيا مما صار فلن يتغير الإيمان بلقاء الله ، "قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم" ، كنتُ أقول: ما هو الذي يرضيك يا رب كي أفعله وأنجو بنفسي من النار ، وفهمتُ معنى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم "اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه". * كيف بدأت الدعوة إلى الله؟ ـ عكفت على قراءة الكثير من الكتب ، وكنت ألجأ إلى العلماء الأفاضل لمعرفة ما لا أعرفه ، وعندما عرفتُ تفسير الظلال بدأتُ به ، وكذلك ابن كثير ، وكنت أقضي أكثر من عشر ساعات في حجرتي أقرأ ، حتى قرأت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت لدي الرغبة القوية لمعرفة ديني ، وأصبحت أمقت الترف الزائد ، كذلك

استفدتُ أكثر من استماعي للعلماء من خلال الأشرطة فاستمعت 500 شريط لابن عثيمين منها 50 شريطاً في تفسير سورة البقرة وسور أخرى وشرائط في العقيدة ، ومعي إجازة في العقيدة من الدكتور جمال المراكبي والدكتور جمال عبد الهادي أستاذ التاريخ الإسلامي ، كما أني حاصلة على ليسانس من معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ، كما أدرس حالياً على يد الشيخ طلعت عفيفي - عميد كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر- في مسجد الإيمان بميدان لبنان دروساً لشرح فتح الباري في شرح صحيح البخاري وصحيح مسلم بشرح النووي ، ثم يجري لنا اختباراً فيما تعلمناه من وراء حجاب. كما ندرس "فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد" للإمام محمد بن عبدالوهاب ، دائماً نبدأ بالعقيدة ودرست منهج العقيدة 25 سنة ، وكنت طالبة - وما أزال- ثم أصبحت مدرسة وتتلمذتُ على يد جماعة أنصار السنة المحمدية وبعض المكتبات أخذت شرائطي التي تحدثت فيها عن العقيدة كلها على 30 شريطاً. * وهل أثر انشغالك بها على حياتك الشخصية؟ - كل شيء يسير في طريقه ببركة الدعوة إلى الله ، فبارك الله لي في الوقت والصحة ، وهدى لي الأولاد ، ولم أقصّر معهم أبدًا ، على الرغم من أني أذهب للدعوة في أكثر من مكان عند صديقاتي ، وكذلك أذهب أسبوعيًا إلى مركز المسلم الصغير ، والدعوة التي أوجهها للمجتمع بل للعالم أجمع ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً هذه مجملة ، أما تفصيلها فهذا هو العلم بالله ، والعبادة هي التذلل والخضوع لله عز وجل بفعل الأمر وترك النهي ، أثر ذلك في حياتي وصممت أن أربّي أولادي على الإسلام ، وأواظب أن أبحث لهم عن المقرأة المناسبة التي لا اختلاط فيها مثل مقرأة الشيخ الجليل أبو ذر القلموني وبنتاي الآن تساعداننني في تحفيظ القرآن صيفاً في نادي الصيد. أكثر من عشرين عاماً في مجال الدعوة. أين أنت الآن؟ وكيف استفدت من العلم الذي تعلمته في الدعوة إلى الله؟ أنا موجودة في أي مكان وأي وقت لخدمة المسلمين وبيتي مفتوح لأي أحد ، ولكن المجال الدعوى الذي أعمل به الآن هو سن الشابات المتعلمات المثقفات في المدارس الأجنبية الغربية كما كنت أنا. من باب أن الرسول قال: حدّثوا الناس على قدر عقولهم! فأساعدهم في ردّ الشبهات ، والصعوبات التي قد تواجههم من هذا التعليم لأن الهوية الإسلامية كانت مفقودة لما كنت في المدرسة والجامعة وما زالت ، والتغريب الذي كنا نعيش فيه مع الأسرة والمجتمع من حولنا. كذلك كانت الاستفادة من خلال مجلس علم في بيتي كل خميس من الحادية عشرة صباحاً إلى الثالثة عصراً ، ومنهجي كتب العقيدة وحالياً معي كتاب: "القول المفيد في شرح كتاب التوحيد" لابن عثيمين ، كما نجري امتحاناً فيما درسناه كل 3 شهور ، كما يدعونني للدعوة إلى الله في مناسبات ومنها وفاة أحد ممن هم حولي من الأصدقاء ، وفي نادى الصيد وهو النادي القريب من بيتي أدعو إلى الله. * وبماذا تنصحين المرأة المسلمة؟ - أقول: اجمعي أهلك أو أصدقاءك أو جيرانك ، أو اذهبي إليهم مثلما أفعل. يجب على المسلمة أن تُعلمِّ دينها لغيرها ، ولها أجر المجاهد في سبيل الله ، فالعلم الشرعي واجب مثل الجهاد في سبيل الله ، فيجب على المسلمة أن تتعلم هذا الدين ، وتعمل به وتعلمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية").هـ. تقول شاهيناز الفنانة التائبة بالنص في ردّها على الشبهة التي يثيرها بعضهم ، وهي أن توبة الفنانين تكون نتيجة لتهديد من جهات ما: (أنا عن نفسي رجعت إلى الله وتبت وندمت خوفاً منه - سبحانه - واقتناعاً بما أفعل وليس خوفاً من تهديد أحد مطلقاً ، ولا يخفى علينا نحن جميعاً الحملة المسعورة لهذه الأقلام المشبوهة التي تخشى الإسلام. وإجابة عن سؤال متعلقٍ بواقع تجربتها الفنية ، وهل الفن بما هو عليه الآن

حرام؟! قالت: إن الفن بالنسبة للنساء حرام ؛ حرام لأن المرأة عورة ، وفنّ هذه الأيام فنّ مبتذل فيه إسفاف. ولن يكون رسالة مطلقاً. فهو بعيد كل البعد عن الإسلام).هـ. والشيخ المنجد سأله سائل فقال: (أنا شاب فاسق وكافر ، وأريد أن أتوب إلى الله! فاستهل الشيخ المنجد جوابه بقوله: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ). اعلم أيها الشاب الحريص أن باب التوبة مفتوح بالنسبة لك ، إن كلمة التوبة كلمة عظيمة ، لها مدلولات عميقة ، لا كما يظنها الكثيرون ، ألفاظ باللسان ثم الاستمرار على الذنب ، وتأمل قوله تعالى: (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) ، تجد أن التوبة أمر زائد على الاستغفار. ولأن الأمر العظيم لابد له من شروط! فقد ذكر العلماء شروطاً للتوبة مأخوذة من الآيات والأحاديث. وهذا ذكر بعضها: * الأول: الإقلاع عن الذنب فوراً. * الثاني: الندم على ما فات. * الثالث: العزم على عدم العودة. * الرابع: إرجاع حقوق من ظلمهم ، أو طلب البراءة منهم).هـ. وأعود لسوزي مظهر التائبة العابدة الداعية! وأشكر المجلة أو الجريدة التي أجرتْ معها هذا الحوار الرائع ذا الأسئلة الجميلة الدقيقة!)

ضـمائرُ كـم تشـقى ، وتهنـى ضـمائرُ! وتـوأدُ نيـاتٌ وتحيـا سـرائرُ!

وألبـابُ قـوم تصـطلي بغبائهـا! وتُثقـذ ألبابـاً تـردّتْ بصـائر

وأفهـامُ كـم ترقـى بـأحوال أهلهـا فـلا تعتريهـا فـي المضـاء الخـواطر!

(وسـوزي) أراهـا اليـوم تعتنـقُ الهُـدى وتُكْبرهـا أرواحُنـا والمشـاعر

ويغبطهـا الأفـذاذ مـن صِـيد جلينـا ويُتحفهـا - بالشـعر والنثـر - شـاعر

وإن لبـاس المؤمنـات يَزينهـا فمـاذا تقـول المفلسـاتُ السـوافر؟

يعِـبن علـى (سـوزي) التزامـاً بـدينها وكيـف تـذمّ االشـرعَ تلـك الـدواعر؟

ألا إنهـا تابـت ، وهـذا قرارُهـا وتوبتهـا قـد كللهتـا البشـائر

وتـدعو - إلـى الـدين الحنيـف - بهمـةٍ وإن واجهتهـا - فـي الـبلاغ - المخـاطر

وتـدفعُ غـارات تمطـى أوراهـا وتسـعى فـلا تخشـى الـورى ، أو تحـاذر

وتصـدعُ بـالحق الـذي بـات نهجهـا وإن لـم يبـاركْ مـا تقـولُ الجبـابر

فيـا رب ثبّـتْ مَـن أنابـت ، وأخلصـتْ وكـم نـدمتْ ، والـدمعُ فـي العـين حـادر!

العَيْن وما أدراك ما العين!

(كتاب الأستاذ / وحيد بالى: (الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار) ، كتاب غنيٌّ بالمادة العلمية الدسمة والقصص الواقعية. ومن قصصه قصة الرضيع الذي رفض ثدي أمه ، وبالرّقية الشرعية شفاه الله من العَيْن ، ورضع من أمه ولله الفضل والحمد والمنة. وقصة الصبي الذي توقف عن الكلام وعن الإذاعة المدرسية ، ثم بالرّقية عاد إليه الكلام. وقصة الدار التي حُسدتْ فامتلأتْ بالدود ، وزال عنها بالقراءة على الماء. وكل هذه الأخبار وغيرها الكثير تُثبت وقوع العين وأنها حق! إنني أنشد هذه القصيدة لكل حاسدٍ حتى يَكفّ ويتقيَ اللهَ في الناس ، وأكتبها لكل معالج بالرقية! عن عبد الله بن عامر قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسْل ، قال: فانطلقا يلتمسان الخمُر ، قال: فوضع عامر جُبة كانت عليه من صوف ، فنظرتُ إليه – أي إلى سهل – فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل ، قال: فسمعتُ له في الماء قرقعة ، فأتيته فناديته ثلاثاً فلم يجبني ، فأتيت النبيَ صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته قال: فجاء يمشي فخاض الماء ، حتى كأنّي أنظر إلى بياض ساقيه ، قال: فضرب صدره بيده ثم قال: (اللّهمّ أذهب عنه حرّها وبردها ووصبها - أي التعب -) قال: فقام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو ماله ما يُعجبه ، فليبركه ، فإن العين حق). (أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال الألباني حديث صحيح ، انظر صحيح الجامع). قال المناوي :("إذا رأى" أي علم "أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه" من النسب أو الإسلام" ما يعجبه "أي ما يستحسنه ويرضاه من أعجبه الشيء رضيه" فليَدْعُ له بالبركة "ندباً بأن يقول: اللهم بارك فيه ولا تضره ويندبُ أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، "فإن العين" أي الإصابة بالعين "حق" أي كائن يقضي به في الوضع الإلهي لا شبهة في تأثيرها في النفوس فضلاً عن الأموال ، فالمبدأ فيها حالة نفسانية معجبة تنهك المتعجب منه بخاصية خلق الله في ذلك المزاج على ذلك الوجه ابتلاء من الله تعالى للعباد).هـ. والآن لنطالع القصيدة!)

أيـــا حاســـداً عينـــه ضـــاريةً ... حنانيـــكَ فـــي الأنفـــس الغافيـــة

هـــيَ العـــينُ ترســـلُ سَـــهمَ الـــردى ... أحَـــدّ مِـــن المُدْيـــة الماضـــية

وأمضـــى - مـــن الســـيف - إن صَـــوّبتْ ... ســـهاماً تلـــي الضـــربة القاضـــية

وأنكـــى - مـــن النـــار - إن أحرقـــتْ! ... وأعتـــى مِـــن الجمـــرة الحاميـــة

تريـــد زوال النعـــيم الـــذي ... توشّـــحَ باليُســـر والعافيـــة

وتَجْمُـــدُ - فيهـــا - معـــاني الإخـــا ... وتُصـــبحُ - مِـــن كيـــدِها - جاســـية

تعـــينُ وتحســـدُ فـــي رقـــةٍ ... وإن تـــكُ وادعـــة حانيـــة

وتكـــــوي ، وتحـــــرقُ مســـــعورةً وتختِـــــلُ كالضـــــبُع العاويـــــة

وكـــم يحـــذر النـــاس مِـــن نارهـــا! فهـــل حِـــذرُهم يمنـــعُ الداهيـــة؟

وكـــم مِـــن خـــرودٍ تُنـــاغي الصـــبا وبـــالعين جُنـــدلتِ الغانيـــة!

وكـــم مِـــن فتـــاةٍ زهـــا حُســـنها وبـــالعين شُـــوّهتِ الجاريـــة!

وكـــم مِـــن زكـــيٍّ لـــهُ رؤيـــة وبـــالعين ضـــاعت رؤىً صـــافية!

وكـــم مـــن بُيـــوتٍ علـــتْ فـــي الـــدنا وبـــالعين هـــا هـــي ذي خاويـــة!

وذكـــرُ المليـــك يُزيـــلُ العنـــا ويَقـــتحمُ الأعـــينَ الطاغيـــة

ورُقيـــا النبـــيّ دواءٌ ســـما وأبطـــلَ ذي الأعـــيُنَ الضـــارية

وقـــد شـــاهد القـــومُ آثارَهـــا إذا رُددتْ فـــي زهـــا ثانيـــة

وقـــرآنُ ربـــي لديـــه الـــدوا إذا عمّـــتِ المحـــنُ العاتيـــة

وعانـــتْ عيـــونٌ ، وخانـــتْ رؤىً ورحبـــتِ النـــاسُ بالفانيـــة

لمـــاذا التحاســـدُ بـــين الـــورى؟ لمـــاذا التـــرنحُ فـــي الهاويـــة؟

لمـــاذا تمنـــي زوال الهنـــا؟ لمـــاذا التنـــاطحُ كالماشـــية؟

لمـــاذا التبـــاغضُ فـــي عـــالمٍ وفـــي آخـــر حُجـــجٌ باليـــة؟

ولـــن يخســـر النـــاسُ إنْ برّكـــوا لتُصـــبحَ نظـــرتهم ســـامية

ومـــاذا علـــيهم إذا ردّدُوا دعـــاءً مقاصـــدُهُ واعيـــة؟

يقينـــا التحاســـدَ ، كـــي نســـتمي عـــن الغـــل والأنفـــس الداجيـــة

ألـــم يـــأن للقـــوم أن يعقلـــوا ويتبعـــوا السُّـــنن الهاديـــة؟

ألا إن ذلـــك خيـــرٌ لهـــم وإلا بكـــتهم هنـــا الباكيـــة

نصـــحتُ ، وربـــي شـــهيدٌ علـــى وصـــايا - وربّ الســـما - زاكيـــة

تقوى الله هي السعادة

(أقسم الأستاذ / أبو بكر الجزائري في شريط له عن الحجاب في الإسلام ، أنه شاهدَ شباباً في فرنسا لا يكاد يَبينُ عليهم أثرُ الآدمية. فلقد شاهد القُمّل على ملابسهم! كل واحدةٍ بحجم الذبابة. ومُخاط الأنف يسيل ، واللعابُ ينزل من الأفواه ، والوسخ يشملهم بقذره من أعلى ذؤابة الرأس إلى أخمص القدم. فسألهم: ما شأنكم يا قوم؟ فقالوا: نحن جرّبنا البحث عن السعادة في كل شئ ، والآن نجرّبه في الوسخ والقذارة. فمن قائل: لم أستحم منذ ثلاث سنوات. ومن قائل: لم أغيّر ملابسي منذ عامين. وغير ذلك الكثير من الآراء التي اسمتع إليها الأستاذ منهم. فسأل الأستاذ: فهل وجدتم السعادة؟ فقالوا: لا. والعجيب أنهم صرحاء. وأعلموه أنهم جرّبوا كل شئ ، واقترفوا كل الملذات ومارسوا كل السخافات والموبقات والشهوات من فجور ودعارة وخمر وميسر ولعب ولهو ومجون وانتحار بصور شتى. والحقيقة المُرة التي يجب أن يدركها هؤلاء وأشباههم من الباحثين عن سعادة الإنسان في هذه الحياة: أن السعادة الحقيقية هي تقوى الله. ويجب أن يعلم الكل أن حضارة الرجل الأبيض الغربية لا تثمن ولا تغني من جوع. ولو كان فيها من خير مثقال ذرّة لنفعتْ أهلها في ديارهم بتلك الذرة. وإن هذه الحضارة قد احتوت أسباب دمارها بداخلها. إنني أوقن أنها ستنزوي وتندثر يوماً ستموت لا محالة. وأعجب كيف يُفتن بها اليوم خلق كثيرون؟ يقول (شبنغلر): (إن دورة أية حضارة لا يمكن أن تتعدى الألف عام ، ومعنى ذلك أن الحضارة الغربية كانت قد بدأت مرحلة الأفول الروحي بدخولها مرحلة الركود والراحة المادية ، والتي أطلق عليها (بالمدنية) وهي المرحلة التي تسبق انهيار الحضارة وزوالها ، وبهذا فالحضارة هي العطاء والازدهار الروحي حيث تمر في دَوْرها الأول ، أما المدنية فهي مرحلة الشيخوخة والهرم وفقدان الحضارة مناعتها ومقوماتها الروحية وقيمها الأخلاقية).هـ. ويقول إدغار موران: «إن سيادة التكنولوجيا تدمّر اليوم كل خصوصية حضارية وبهذا فقد أنتج الغرب ، ولأول مرة في التاريخ ، مقومات فنائه بسبب الانحلال والضعف وبمعنى آخر بسبب (إرادة الهدم). حيث سببت المدنية الصناعية (اجتثاثاً حضارياً) هو رديف للمغامرة والموت».هـ. ومن هنا فلنعلم أن حضارة الإسلام عائدة! وتحت عنوان: (الأزمة الحضارية في عالمنا المعاصر) يصف محمد صادق الإبراهيمي دور الإسلام القادم بقوله ما نصه: (يقف المسلمون اليوم أمام فرصة تاريخية عظيمة ، لخوض التجربة الحضارية من جديد وذلك للأمور التالية: * الفراغ المعنوي السائد في العالم المتمدن ، وحاجته إلى الدعم الإنساني. * اشتمال العالم الإسلامي على أهم مكامن القوة وهي من قبيل: امتلاكه ثلثي احتياطي النفط في العالم ، وأن أكثر من خمس سكان العالم من المسلمين ، وأيضاً الموقع الاستراتيجي المهم ، والثروة الفكرية والروحية. * التذمر من الفساد الإداري والأخلاقي وشيوع الأنانية وغيرها وحاجة المجتمع البشري إلى الطمأنينة النفسية والاجتماعية. * الإقبال الشديد نحو الإسلام ، وخاصة من قبل المرأة المضطهدة التي تحولتْ في الحضارة المادية إلى أداة لهو ومتاجرة).هـ.)

كـــم لأجـــل الأهـــواء راحـــتْ ضـــحايا وارتضـــــتْ مـــــا لا ترتضـــــيه المَطايـــــا!

ســـــبرتْ أغـــــوارَ الشـــــقاء فضـــــلتْ واستســـــاغتْ طعـــــمَ الخنـــــا والـــــدنايا

واســـــتكانت للمُغريـــــات ، فغاصـــــت فـــي خضـــمّ الســـوآى وتِيـــه الخطايـــا

واســـــتلذتْ بالموبقـــــات ، فضـــــاعت ثـــم قصّـــت مـــا قارفـــتْ مـــن بلايـــا

غرقـــتْ ـ فـــي بحـــر الملـــذات ـ طوعـــاً مـــــن خمـــــور ومَيْســـــر وصـــــبايا

ومُجـــــون مُستبشـــــع وانتحـــــار وانحطـــــاطٍ مســـــتجَن وبغايـــــا

و(أبـــو بكـــر) يســـألُ القـــوم سُـــؤلاً يســـتثيرُ مـــا فـــي النهـــى مـــن بقايـــا

فـــإذا بـــالأقوام ليســـوا بشـــئ إنمـــا للأهـــواء بـــاتوا ضـــحايا

لـــم يـــذوقوا طعـــم الســـعادة يومـــاً إنمـــا عـــانوْا مِـــن مَـــرار الرزايـــا

غـــرّهم مـــا قـــد مارســـوا مـــن فجـــور والأباطيـــلُ حـــــولهم كالشـــــظايا

والإشـــــاعاتُ بـــــالعقول اســـــتبدتْ والـــــرواة بـــــاحوا بمُـــــرّ الخبايـــــا

فـــالغواةُ كـــم روّجـــوا كـــل دعـــر دون خـــــوفِ الجبّـــــار رب البرايـــــا!

كـــم تمـــادَوْا فـــي الغـــي دون اكتـــراثٍ؟ واســـتباحوا الحـــرامَ ، بـــئس الخزايـــا!

لا يُعـــابون بعـــد كفـــر وشِـــركٍ ذاك عنـــدي مـــن واضـــحاتِ القضـــايا

إنمـــا أعنـــي إمّعـــاتِ ديـــاري مَـــن عَنـــاهم ربـــي بخيـــر الوصـــايا

أنْ أنيبـــوا لـــربكم ، واســـتقيموا واســـتمُوا فـــي أخلاقكـــم والنوايـــا

واســـتجيبوا لله كـــيلا تـــذوقوا بالمعاصـــي والفســـق طعـــم المنايـــا

عِبْـــرة مـــا قـــد حـــلّ بـــالغرب قطعـــاً إنّ للتقـــوى مُتعـــة فـــي الطوايـــا

إن تقـــوى الله الســـعادة صـــدقاً والمَـــلاذ مِـــن ضـــنكِكُم والشـــكايا

وأحَيّـــي مَـــن تـــاب بعـــد اعتبـــار فلـــه ـ مـــن قلبـــي ـ رطيـــبُ التحايـــا

ثـــم أهـــدي مَـــن تـــاب نُصـــحي ووعظـــي إنمـــا النصـــحُ مـــن أجَـــلّ الهـــدايا

بـــين أهـــل الحـــق التناصـــحُ فـــرْضٌ والأهـــالي – لبعضـــهم ـ كالمَرايـــا

الموسيقى داءٌ ، وليست بدواء

(كثرتْ دعاوى ملعونة مغالطة هذه الأيام ، تذهبُ إلى أن الموسيقى تشفي من الأمراض مثل ضغط الدم والسكّر والأعصاب ، وأن الجنين في بطن الأم يستمتع بسماع الموسيقى من الشهر الثامن! ويُميّز القوم بين الموسيقى الرومانسية والأخرى الكيلاسيكية ، وأن الموسيقى الكلاسيكية تهدئ الأطفال حديثي الولادة. كما أن الموسيقى تعالج التوتر العصبي والانفعال! وأن الموسيقى تعالجُ السمنة وإفرازات الغدد. وأنها تثبّتْ المعلوماتِ في الأذهان! وأحيلُ هنا إلى كتابين: الأول لابن القيم وهو: (تحريم السماع) ، والثاني هو: (ففروا إلى الله) للأستاذ أبي ذر القلموني ، حتى نعرف حكم الموسيقى والغناء في إسلامنا. إنه التحريم قطعاً. والأدلة في مظانها. ولا يمكن عقلاً أن نأخذ أحكام الحِل والحُرمة من ديوان شعر ، مهما بلغ عِلمُ صاحبه بالشريعة. بل أدلة الحِل والحُرمة لها مظانها: كتب أهل العلم والفقه. فالموسيقى داءٌ لا دواء! وتحت عنوان: (الحكمة من تحريم الموسيقى) يقول الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم ، عضو مركز الدعوة والإرشاد بالرياض وقد سُئل عن حكمها: (الحكمة من تحريم الموسيقى ما هي؟ وهل إذا كنت أستمع إلى أخبار ونحوها وكانت الخلفية موسيقى هل هي حرام أم لا؟: (في تحريم الأغاني والموسيقى حِكَم كثيرة ، منها: * أنها مِزمَار الشيطان ، وهي صوته الذي يُغوي به بني آدم ، قال تعالى: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ). مجاهد: باللهو والغناء ، أي: اسْتَخِفُّهم بذلك. قال القرطبي: (في الآية ما يَدُلّ على تحريم المزامير والغناء واللهو ، لقوله: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ). * أنها تَصُدّ عن ذِكْر الله ، فلا يَجْتَمِع كلام الرحمن وكلام الشيطان في قَلْبٍ بحيث يَنْتَفِع به صاحبه. قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). ونلاحِظ الترابط بين اتِّخاذ اللهو – وهو الغناء – وبين الصَّدّ عن سبيل الله وأنَّ صاحبه لا يتأثّر بِكلام الله. ولذا قال ابن القيم: (حُبّ الكِتاب وحُبّ ألْحَان الغنا *** في قلب عَبْدٍ ليس يَجْتَمِعانِ). وليس المقصود أنه لا يُوجَد مَن يقرأ القرآن وهو يَستمع إلى الغِناء ، بل يُوجَد ولكنه لا ينتفع به. * أن الغناء رُقيَة الزِّنا ، كما قال غير واحد مِن السَّلف. أي أنه يَدْعو إلى ذلك. وهذا صحيح. فهل رأيت مُطرِبا يَدعو إلى فضيلة؟! * أنَّ الغناء يُنْبِت النِّفاق في القلب ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه. قال ابن القيم رحمه الله: (فالغناء يُفْسِد القلب ، وإذا فَسَد القلب هَاج في النفاق).هـ. ولابن القيم كلام جميل حول هذه المسألة ، فانْظُره في كتابه: "إغاثة اللهفان". * ما يُحْدِثه الغناء مِن نَشْوَةٍ وطَرَب ، وقد أثْبَتَتْ دِراسات علمية تأثير الغناء على السائقين! كَما أثْبَتَت دِراسات علمية أيضاً تأثير القرآن في جَلْب السَّكِينَة ، وكانت تجارب أُجْرِيَتْ على مسلمين وكُفَّار أثْبَتَتْ ذلك! * ما يُحْدِثه الغناء مِن قَسْوة في القلب ، وقد اسْتَعاذ النبي صلى الله عليه وسلم مِن قَلْب لا يَخْشَع. كما في صحيح مسلم. قال الضحاك: (الغناء مَفسدة للقلب مَسخطة للرَّب).هـ. وفي موقع: (نور الحق) طالعتُ تفصيلاً رائعاً يناقش أدلة التحريم فأوردُه كما طالعته: (أدلة التحريم من القرآن الكريم: قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}. قال حَبرُ الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء ، وقال مجاهد رحمه الله: اللهو: الطبل (تفسير الطبري) ، وقال الحسن البصري رحمه الله: "نزلت هذه الآية في الغناء

والمزامير" (تفسير ابن كثير). قال ابن القيم رحمه الله: "ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث بأنه الغناء فقد صح ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ، قال أبو الصهباء: سألتُ ابن مسعود عن قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} ، فقال: والله الذي لا إله غيره هو الغناء - يُردّدُها ثلاث مرات ، وصحّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضا أنه الغناء" (إغاثة اللهفان لابن القيم). وكذلك قال جابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومكحول وميمون بن مهران وعمرو بن شعيب وعلي بن بديمة وغيرهم في تفسير هذه الآية الكريمة. قال الواحديّ رحمه الله: وهذه الآية على هذا التفسير تدل على تحريم الغناء (إغاثة اللهفان). ولقد قال الحاكم في مستدركه عن تفسير الصحابي: "ليعلمْ طالبُ هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند". وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه إغاثة اللهفان معلقاً على كلام الحاكم: "وهذا وإن كان فيه نظر فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم ، فهم أعلم الأمة بمراد الله من كتابه ، فعليهم نزل ، وهم أول من خوطب به من الأمة ، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول علماً وعملاً ، وهم العربُ الفصحاءُ على الحقيقة ، فلا يُعدَل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل". وقال تعالى: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}. جاء في تفسير الجلالين: (واستفزز): استخف ، (صوتك): بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ، وهذا أيضا ما ذكره ابن كثير والطبري عن مجاهد. وقال القرطبي في تفسيره: "في الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء واللهو. وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجبٌ التنزهُ عنه". وقال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}. وقد ذكر ابن كثير في تفسيره ما جاء عن محمد بن الحنفية أنه قال: الزور هنا الغناء ، وجاء عند القرطبي والطبري عن مجاهد في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} قال: لا يسمعون الغناء. وجاء عن الطبري في تفسيره: "قال أبو جعفر: وأصل الزور تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يُخيّل إلى من يسمعه أو يراه ، أنه خلاف ما هو به ، والشركُ قد يدخل في ذلك لأنه محسّن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حق وهو باطل! ويدخل فيه الغناء لأنه أيضا مما يحسنه ترجيعُ الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه" (تفسير الطبري). وفي قوله عز وجل: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} قال الإمام الطبري في تفسيره: (وإذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوْه ، مرّوا كِراماً. مرورهم كِراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه ، وذلك كالغناء). وأما أدلة التحريم من السنة النبوية الشريفة: فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوامٌ إلى جنب علم ، يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم لحاجة ، فيقولون: ارجع إلينا غداً ، فيُبيّتهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة». (رواه البخاري تعليقاً ، ووصله الطبراني والبيهقي ، وراجع السلسلة الصحيحة للألباني). وقد أقرّ بصحة هذا الحديث أكابرُ أهل العلم منهم الإمام ابن حبان ، والإسماعيلي ، وابن صلاح ، وابن حجر العسقلاني ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والطحاوي وابن القيم ، والصنعاني ، وغيرهم كثير. وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئاً كابن حزم نصرة لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي! وزعم أنه منقطع لأن البخاري لم يصل سنده به". وقال العلامة ابن صلاح رحمه الله: "ولا التفات إليه (أي ابن حزم) في رده ذلك. وأخطأ في ذلك من وجوه. والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح". (غذاء

الألباب في شرح منظومة الآداب للإمام السفاريني). وفي الحديث دليلٌ على تحريم آلات العزف والطرب من وجهين: أولاهما: قوله صلى الله عليه وسلم: "يستحلون" فإنه صريح بأن المذكورات ومنها المعازف هي في الشرع محرمة ، فيستحلها أولئك القوم. ثانيًا: قرن المعازف مع ما تم حرمته وهو الزنا والخمر والحرير ، ولو لم تكن محرّمة - أي المعازف - لما قرنها معها". (السلسلة الصحيحة للألباني بتصرف). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فدل هذا الحديث على تحريم المعازف ، والمعازفُ هي آلات اللهو عند أهل اللغة ، وهذا اسم يتناول هذه الآلات كلها" (المجموع). وروى الترمذيُ في سُننه عن جابر رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن بن عوف إلى النخيل ، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه ، فوضعه في حِجره ففاضت عيناه ، فقال عبد الرحمن: أتبكي وأنت تنهى عن البكاء؟ قال: إني لم أنه عن البكاء! وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة: خمْش وجوه وشق جيوب ورنة». (قال الترمذي: هذا الحديث حسن ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع). وقال صلى الله عليه وسلم: «صوتان ملعونان: صوت مزمار عند نعمة ، وصوت ويل عند مصيبة». (إسناده حسن ، السلسلة الصحيحة). وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليكونن في هذه الأمة خسفٌ ، وقذفٌ ، ومسخ ، وذلك إذا شربوا الخمور ، واتخذوا القينات ، وضربوا بالمعازف». (صحيح بمجموع طرقه ، السلسلة الصحيحة). قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرم على أمتي الخمر ، والميسر ، والمزر ، والكوبة ، والقنين ، وزادني صلاة الوتر». (صحيح الجامع). الكوبة هي الطبل ، أما القنين هو الطنبور بالحبشية (غذاء الألباب). وروى أبو داوود في سُننه عن نافع أنه قال: «سمع ابن عمر مزماراً ، قال: فوضع أصبعيه على أذنيه ، ونأى عن الطريق ، وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئاً؟ قال: فقلت: لا! قال: فرفع أصبعيه من أذنيه ، وقال: كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمع مثل هذا! فصنع مثل هذا». (حديث صحيح - صحيح أبي داوود). وعلق على هذا الحديث الإمامُ القرطبي قائلاً: "قال علماؤنا: إذا كان هذا فعلهم في حق صوتٍ لا يخرج عن الاعتدال ، فكيف بغناء أهل هذا الزمان وزمرهم؟!" (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي). وهذه أقوال أئمة أهل العلم: قال الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "الغناء مبدأه من الشيطان وعاقبته سخط الرحمن". (غذاء الألباب). ولقد نقل الإجماع على حرمة الاستماع إلى الموسيقى والمعازف جمعٌ من العلماء منهم: القرطبي وابن الصلاح وابن رجب الحنبلي. فقال الإمام أبو العباس القرطبي: الغناءُ ممنوع بالكتاب والسنة وقال أيضاً: "أما المزامير والأوتار والكوبة (الطبل) فلا يختلف في تحريم استماعها ، ولم أسمع عن أحدٍ ممن يُعتبرُ قوله من السلف وأئمة الخلف من يُبيح ذلك ، وكيف لا يَحرُمُ وهو شعارُ أهل الخمور والفسوق ومهيج الشهوات والفساد والمجون؟ وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا تفسيق فاعله وتأثيمه". (الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي). وقال ابن الصلاح: الإجماع على تحريمه ، ولم يثبت عن أحد ممن يُعتد بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح الغناء. قال القاسم بن محمد رحمه الله: الغناء باطل ، والباطل في النار. وقال الحسن البصري رحمه الله: إن كان في الوليمة لهو - أي غناء ولعب - ، فلا دعوة لهم (الجامع للقيرواني). قال النحّاس رحمه الله: هو ممنوع بالكتاب والسنة ، وقال الطبري: وقد أجمع علماءُ الأمصار على كراهة الغناء ، والمنع منه. ويقول الإمام الأوزاعي رحمه الله: لا تدخل وليمة فيها طبلٌ ومعازف. قال ابن القيم رحمه الله في بيان مذهب

الإمام أبي حنيفة: "وقد صرّح أصحابُه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف ، حتى الضرب بالقضيب ، وصرّحوا بأنه معصية توجب الفسق وتردّ بها الشهادة ، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فسق والتلذذ به كفر ، وورد في ذلك حديث لا يصح رفعه ، قالوا ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره". (إغاثة اللهفان). ورويَ عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: الغناء من أكبر الذنوب التي يجب تركها فوراً. وقد قال الإمام السفاريني في كتابه غذاء الألباب معلقا على مذهب الإمام أبي حنيفة: "وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب ، وكذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك ، ولا نعلم خلافاً بين أهل البصرة في المنع منه". وقد قال القاضي أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة حينما سُئل عن رجل سمع صوت المزامير من داخل أحد البيوت فقال: "ادخل عليهم بغير إذنهم لأن النهي عن المنكر فرض". أما الإمام مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه ، وقال رحمه الله عندما سئل عن الغناء والضرب على المعازف: "هل من عاقل يقول بأن الغناء حق؟ إنما يفعله عندنا الفساق". (تفسير القرطبي). والفاسق في حكم الإسلام لا تقبل له شهادة ولا يصلي عليه الأخيار إن مات ، بل يصلي عليه غوغاءُ الناس وعامّتهم. قال ابن القيم رحمه الله في بيان مذهب الإمام الشافعي رحمه الله: "وصرّح أصحابه - أي أصحاب الإمام الشافعي - العارفون بمذهبه - بتحريمه وأنكروا على من نسب إليه حِله كالقاضي أبي الطيب الطبري والشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ". (إغاثة اللهفان). وسئل الشافعي رحمه الله عن هذا؟ فقال: أول من أحدثه الزنادقة في العراق حتى يلهو الناس عن الصلاة وعن الذكر. (الزواجر عن اقتراف الكبائر). قال ابن القيم رحمه الله: "وأما مذهب الإمام أحمد فقال عبد الله ابنه: سألتُ أبي عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني ، ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق". (إغاثة اللهفان). وسئل رحمه الله عن رجل مات وخلف ولداً وجارية مغنية ، فاحتاج الصبي إلى بيعها فقال: تباع على أنها ساذجة لا على أنها مغنية ، فقيل له: إنها تساوي ثلاثين ألفاً ، ولعلها إن بيعت ساذجة تساوي عشرين ألفاً ، فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة. قال ابن الجوزي: "وهذا دليل على أن الغناء محظور ، إذ لو لم يكن محظوراً ما جاز تفويت المال على اليتيم". (الجامع لأحكام القرآن). ونص الإمام أحمد رحمه الله على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره إذا رآها مكشوفة ، وأمكنه كسرها (إغاثة اللهفان). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "مذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام. ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعاً". (المجموع). وقال أيضاً: "فاعلم أنه لم يكن في عنفوان القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا مصر ولا المغرب ولا العراق ولا خراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المُكاء والتصدية لا بدف ولا بكف ولا بقضيب ، وإنما أحدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه". وقال في موضع آخر: "المعازف خمر النفوس ، تفعل بالنفوس أعظم كثيراً مما تفعل خمر الكؤوس". (المجموع). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان حال من اعتاد سماع الغناء: "ولهذا تجد من اعتاده واغتذى به لا يحن إلى سماع القرآن ، ولا يفرح به ، ولا يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات ، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية ، وإذا سمعوا المكاء والتصدية خشعت الأصوات وسكنت الحركات وأصغت القلوب". (المجموع). قال الألباني: "اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم آلات الطرب كلها". (السلسلة الصحيحة). قال الإمام ابن القيم

رحمه الله: "إنك لا تجد أحداً عنيَ بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علماً وعملاً ، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء". وقال عن الغناء: "فإنه رقية الزنا ، وشَرَك الشيطان ، وخمرة العقول ، ويصد عن القرآن أكثر من غيره من الكلام الباطل لشدة ميل النفوس إليه ورغبتها فيه". وبذلك يتبين لنا أقوال أئمة العلماء وإقرارهم على حُرمة الغناء والموسيقى والمنع منهما. الاستثناء: ويستثنى من ذلك الدف - بغير خلخال - في الأعياد والنكاح للنساء ، وقد دلت عليه الأدلة الصحيحة ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العُرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح ، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد على عهده يضرب بدف ولا يصفق بكف ، بل ثبت عنه في الصحيح أنه قال: التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء". (المجموع). وأيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "دخل عليّ أبو بكر ، وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار في يوم بعاث ، قالت وليستا بمغنيتين! فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم؟ وذلك في يوم عيد الفطر! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا". (صحيح ابن ماجه). والرد على من استدل بحديث الجاريتين في تحليل المعازف أن نقول: قال ابن القيم رحمه الله: "وأعجب من هذا استدلالكم على إباحة السماع المركّب مما ذكرنا من الهيئة الاجتماعية بغناء بنتين صغيرتين دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح بأبيات من أبيات العرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الأخلاق والشيم ، فأين هذا من هذا؟ والعجيب أن هذا الحديث من أكبر الحجج عليهم ، فإن الصدّيق رضي الله عنه سمى ذلك مزموراً من مزامير الشيطان ، وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه التسمية ، ورخص فيه لجويريتين غير مكلفتين ، ولا مفسدة في إنشادهما ولاستماعهما ، أفيدل هذا على إباحة ما تعملونه وتعلمونه من السماع المشتمل على ما لا يخفى؟! فسبحان الله كيف ضلت العقول والأفهام؟". (مدارج السالكين). وقال ابن الجوزي رحمه الله: "وقد كانت عائشة رضي الله عنها صغيرة في ذلك الوقت ، ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها العلم إلا ذم الغناء ، وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ، ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها". (تلبيس إبليس). ولنطالع الأدلة بتفصيل: رقم 1: قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} أكثر المفسرون على أن المراد بلهو الحديث هو الغناء ، وقال ابن مسعود: هو الغناء ، ويقول تعالى وهو يخاطب الشيطان: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ} قيل هو الغناء. وقال عليه الصلاة والسلام: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر والحرير ، والخمر والمعازف...». رواه الإمام البخاري. رقم 2: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن أضرار الغناء والموسيقى: المعازف هي خمر النفوس تفعل أعظم مما تفعله الكؤوس ، فإذا سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلي الفواحش وإلى الظلم ، فيشركون ويقتلون النفس التي حرم الله ويزنون. ولهذا يورث أصحابه سُكْرا أعظم من سُكْر الخمر ، فيجدون لذة كما يجد شارب الخمر ، بل أكثر وأكبر. رقم 3: أما الغناء في الوقت الحاضر فأغلبه يتحدث عن الحب والهوى والقبلة واللقاء ووصف الخدود والقدود وغيرها من الأمور الجنسية التي تثير الشهوة عند الشباب وتشجعهم على الفاحشة وتقضي على الأخلاق ، ناهيك عن الذي يسمى بالفيديو كليب وما به من فواحش ومنكرات

ورقص مائع ووجوه ملطخة تثير الشيّاب قبل الشباب ، والمشاهد لهذه الأغاني المصورة يرى مدى اهتمام المخرج بالراقصات أكثر من المطرب نفسه ، وهذا ليس مستغرباً لأن إثارة المشاهد عندهم أهم من كلمات الأغنية وشكل المطرب. وهؤلاء المطربين والمطربات الذين سرقوا أموال الشعوب باسم الفن وذهبوا بأموالهم إلى أوربا ، واشتروا الأبنية والسيارات الفاخرة ، وأفسدوا أخلاق الشعوب بأغانيهم المائعة ، وافتتن الكثير من الشباب وأحبوهم من دون الله. وأقول لكل من يسمع هذه الأغاني: أتركها مرضاة لله سبحانه وتعالى ، وصدقني ستجد لذة في تركها واعتزازاً بالنفس لم تشعر به من قبل ، واستبدلها بالقرآن والخطب والأناشيد الإسلامية وحينئذ ستعرف الراحة النفسية والعاطفية الحقيقية. رقم :4 وأختتم به: يقول ابن القيم رحمه الله: ما اعتاد أحد الغناء إلا ونافق قلبه وهو لا يشعر ، ولو عرف حقيقة النفاق لأبصره في قلبه ، فإنه ما اجتمع في قلب عبدٍ قط محبة الغناء ومحبة القرآن ، إلا وطردتْ إحداهما الأخرى! فاختر أنت أيهما تريد).هـ. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدِّب ولده: (ليكُن أول ما يعتقدون من أدبك: بُغضُ الملاهي ، التي بِدْأها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ؛ فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم: أن صوت المعازف ، واستماع الأغاني ، واللهج بها: يُنبت النفاق في القلب ، كما ينبت العشب على الماء). قال يزيد بن الوليد: يا بني أمية! إياكم والغناء ؛ فإنه يُنقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل السُّكْر ، فإن كنتم لا بد فاعلين: فجنبوه النساء ؛ فإن الغناء داعية الزنى. وقال محمد بن الفضل الأزدي: نزل "الحطيئة الشاعر" برجل من العرب ، ومعه ابنته "مليكة" ، فلما جنَّه الليل: سمع غناءً ، فقال لصاحب المنزل: "كفَّ هذا عنِّي" ، فقال: وما تكره من ذلك؟ فقال: "إن الغناء رائد من رادة الفجور ، ولا أحب أن تسمعه هذه ، يعني: ابنته ، فإن كففته: وإلا خرجتُ عنك". فإذا كان هذا الشاعر المفتون اللسان ، الذي هابت العرب هجاءه: خاف عاقبة الغناء ، وأن تصل رقيته إلى ابنته ، فما الظن بغيره؟! .فأما إذا اجتمع إلى هذه الرقية: الدف والشبابة ، والرقص بالتخنث والتكسر: فلو حبلت المرأة من غير زوجها ، لحبلت من هذا الغناء". انتهى باختصار وتصرف من "إغاثة اللهفان". وأعتذر عن هذه الإطالة ، وإنما هي للإمتاع وإقامة الحجة الدامغة! حتى لا يقول قائل: أحرّم وأبيح بهواي وبمزاجي! بل أوردتُ أقوال العلماء!)

كـــم يســـتطيلُ - علـــى الرشـــاد - النـــاسُ ... ويقـــــودُهم - للخيبـــــة – الخنـــــاسُ!

فيـــرونْ بـــاطلهم صـــواباً خالصـــاً ... خـــابوا ، وخابـــتْ حِســـبةً وقيـــاس!

وتـــــراهمُ يســـــتمرئون ضـــــلالهم ... مـــــن بعـــــد أن يتبلـــــد الإحســـــاس

يترنمـــــون ، وللتـــــرنم أخـــــذهُ ... ولكـــــل لحـــــن قـــــدّه المَيّـــــاس

هـــذا يحـــب مـــن (البيـــانو) جملـــة ... ويَحِـــلّ ضـــيفاً – للســـماع - الكـــاس

ولهـــذه بالنـــاي إعجـــابٌ حـــلا ... فـــإذا تســـمعتِ اســـتحال اليـــأس

ولـــذاك (بالشـــيللو) تولـــهُ عاشـــق ... وقـــد احتـــوى إيقاعَـــه الكُـــراس

ولتلـــك (بالجيتـــار) حـــبٌ لاعـــجٌ ... وكأنـــــه متـــــودٌد مِئنـــــاس

ولهـــؤلاء صـــدى الكمنجـــة أنسُـــهم ... فلـــــه يـــبشّ الـــواجمُ العبـــاس

ولآخـــرين بطـــبلهم مـــا يســـتحي ... مـــن ذكـــره لهوانـــه القرطـــاس

وتأصـلتْ فـي النـاس موسـيقى الهـوى ... ودليلُنـــا الأفـــراحُ والأعـــراس

ثـــم ادّعـــى قـــومٌ علاجـــاً بالصـــدى ... فلـــم التطـــاولُ - جهـــرةً – يـــا نـــاس؟

لـــيس التـــداوي بـــالمُحرّم ، فـــاعقلوا ... للشـــرع فيمـــا سَـــنه مقيـــاس

لا تبـــذلوا ديـــن المليـــك لجاهـــل ... بالســـوط ، لا بهُـــدى الإلـــه يُســـاس

هـــذى الشـــريعة يـــا غثـــاء أمانـــة ... والمؤمنـــون - لنورهـــا - حُـــراس

فيهـــا المعـــازفُ حُرّمـــتْ بأدلـــةٍ ... قـــد وُضّـــحتْ ، فكأنهـــا أقبـــاس

لـــيس التـــداوي بـــالمُحرّم جـــائزاً ... فزنـــوا الأمـــور ، وللهُـــدى قِســـطاس

لا تزهـــدوا فـــي ديـــنكم ، وتـــدبّروا ... أوَلـــيس مـــنكم ســـادة أكيـــاس؟

واســـتوثقوا مِـــن كـــل مَـــن يُفتـــي لكـــم ... أم أن شـــيخ إمـــامكم شـــماس؟!

إســـلامُنا: أوقـــدْ ســـراجَك ، واتبـــعْ! ... والشـــرعُ - فـــي غســـق الـــدجى - النبـــراس

واربـــأ بنفســـك عـــن مواقـــف سُـــبةٍ ... لا يســـتوي الأطهـــارُ والأنجـــاس!

واتـــلُ الكتـــاب ، وجـــدّ فـــي اســـتذكاره ... كـــيلا يعُمـــكَ - فـــي الـــورى - الإفـــلاس

واحـــذرْ مـــن المتكسّـــبين بـــدينهم ... ممـــن علـــى هـــذي الرســـالة داســـوا

إذ إنهـــم كـــم عربـــدوا فـــي دارنـــا! ... وخلالهـــا أهـــلُ المعـــازف جاســـوا

وتخيّـــر الأبـــرارَ مِـــن بـــين الـــورى ... فـــالعِرقُ - فـــي أهـــل الخنـــا - دســـاس

واللهَ أســـــألُ أن يُجنبنـــــا أذى ... أهـــل الغنـــاء ، لأنهـــم أخيـــاس!

ما عهدناك هكذا يا منار

(كنت أرسلتُ إحدى قصائدي عن معاناة فلسطين تحت عنوان (النصر حفيد الصبر) إلى مجلة (منار الإسلام) وهذا سنة 1422هـ 2001هـ في نوفمبر. وفوجئت بالمجلة ص 111 من عددها 9 السنة السابعة والعشرون تختصر القصيدة الطويلة إلى أربع أبيات وتكتب اسم الشاعر (أحمد سليمان) – الشارقة - الإمارات. ونظرتُ في القصائد التي وردتْ في ذات العدد فوجدتها دون قصيدتي في الأداء الفني والصياغي ، غير أنها فقط لأسماء لمّاعة في عالم التقطيع والأوزان تحت مسمى الشعر. وهكذا تأخذ الأسماء المشهورة كل الإمكانيات المتاحة لدى دور النشر والمجلات والجرائد ، والأصل في الجريدة أو المجلة أنها للجمهور أولاً وآخراً. ومن هنا رحتُ أقول: (ما عهدناك على مدى ربع قرن من الزمن هكذا يا مجلة المنار). إنني أتابع المجلة مذ كنتُ في الصف الثاني من المرحلة الإعدادية. وأحرص على اقتنائها كل شهر. وفي اليوم الذي أكتب ما شهد به النقاد أنه شعر تأخذ مني المجلة هذا الموقف المضحك المبكي. ولو كانت قصيدتي دوناً في الأداء أو في المناسبة أو في الأسلوبية لقلتُ: ليس هذا من حقي ، بل هذا المكان أو تلك الصفحة لشاعر له مكانته وجديته وعطاؤه. إنه في ظني قد آن الأوان لأن نطالع الأدب والفكر والعلم بقطع النظر عن شخص قائله. المهم في منطق الحق المبين أن يكون الذي يُكتب صواباً مَحضاً. حتى يستمتع هواة القراءة من أمثالي بما يقرأون! ولقد مدح الأستاذ أحمد عبد الظاهر هواية القراءة بقوله:- (مما لا شك أن هواية القراءة من الهوايات شديدة الأهمية للأطفال والكبار ، حيث تنمي لديهم القدرات العقلية والمعرفية ، وتطلعهم على كل المستجدات في مختلف العلوم. وهواية القراءة من المفترض أن يتدرب عليها الطفل من خلال سنوات عمره الأولى بواسطة والديه ، وعدم إهمال ذلك لأن الطفل إذا كبر قد يكون من الصعب تدريبه على هواية القراءة ، بل قد يهمل القراءة مما يؤثر سلباً على قدرته وتحصيله الدراسي أيضاً بعد ذلك. كما أن خبراء التنمية البشرية يؤكدون أن هواية القراءة تساعد كثيراً في التحصيل الدراسي ، حيث تعتمد مناهج الدراسة في الغرب على القراءة والتحصيل وتجميع المعلومة ، وليس على التلقين والتلقي كما يحصل في الكثير من المجتمعات العربية. حيث يعتمد الطالب على نفسه في الحصول على المعلومة ، والبحث في أمهات الكتب واستنباط المعلومات من مصادر عدة ، وعدم الاقتصار على الكتاب المدرسي ، بل إن كثيراً من الأنظمة التعليمية في الغرب والشرق لا تعرف معنى كلمة الكتاب المدرسي. يؤكد خبراء التنمية البشرية أن مجرد معرفة الأشياء متعة ، فكيف لنا أن نعرف إذا دون أن تكون القراءة جزء من أجندتنا اليومية؟ وأن يكون شراء كتاب تماماً كشراء الخبز ، ضرورة وغاية حياتية؟ ومن الأخطاء التي يقع فيها الوالدان إهمال أبنائهم وتركهم هكذا مع أجهزة الاتصال الحديثة كالتلفاز والأجهزة المحمولة كالهواتف وأجهزة الحاسوب بالساعات الطويلة ، مما قضى بشكل كبيرعلى حس الشغف العلمي الفطري في النفس البشرية. فالقراءة رحلة وراحة وسفر بتكاليف زهيدة ، لأن الكاتب نقل خبراته ورحلاته في ورقات وقدمها للقارئ على طبق من ذهب. ومن خلال القراءة يسافر الخيال إلى عوالم مختلفة! وأن تقرأ قصة يعني أن تتخيل المكان والشخصيات وأماكن جلوسهم).هـ.)

مـــن ربـــع قـــرن أرى (المنـــارَ) نبراســـا وأهلهـــا - لصـــحيح الفكـــر - حُرّاســـا

تقـــــدّمُ الفكـــــرَ رَقراقـــــاً لـــــه ألـــــقٌ ... يفـــــوقُ فـــــي عطـــــره الريحـــــانَ والآســـــا

تزجـــــي الحقـــــائقَ كـــــل النـــــاس تقرأهـــــا ... لينهلـــــوا مـــــن ســـــنا (المنـــــار) أقباســـــا

وللتحاليـــــــــل آمـــــــــادٌ وفلســـــــــفة ... تزيـــــلُ - مِـــــن أفـــــق العقـــــول - أرجاســـــا

وللفتـــــاوى - وقـــــد فاضـــــت - أدلتهـــــا ... حتـــــى تبصّـــــر بالشـــــرائع الناســـــا

وللدراســـــــات فحواهـــــــا ودِقتهـــــــا ... لأن مِـــــنْ خلفهـــــا صِـــــيداً وأكياســـــا

وللقصـــــــائد مَغزاهـــــــا وجَـــــــذوتها ... فـــــإن - للشـــــعر - مِعيـــــاراً ومقياســـــا

وللعلـــــــوم أســـــــاطينٌ وملحمـــــــة ... فلـــــم تقـــــدّمْ لنـــــا (المنـــــارُ) إفلاســـــا

وللغـــــــلافِ أريـــــــجٌ لا مثيـــــــل لـــــــه ... بـــــين المجـــــلات ، هـــــذا بـــــات نبراســـــا

واليـــوم جـــارت علـــى حقـــي فقلـــت لهـــا: ... لقـــــد بعثـــــتُ إليـــــكِ الـــــدُرّ والماســـــا

قصـــيدة عـــن ســـنا الأقصـــى لهجـــتُ بهـــا ... تبشّـــر القـــومَ ، تقصِـــي الـــوهمَ والياســـا

عنوانهـــا (النصـــر) مهمـــا طـــال ليـــل دجـــىً ... إنـــــي أرى الشـــــعر تصـــــويراً وإحساســـــا

قصـــــيدة صـــــغتها بـــــالحِبر بعـــــد دمـــــي ... فاســـــتودع القلـــــبُ مـــــا قـــــد قـــــال قِرطاســـــا

أرســـــلتها لمنـــــار السِـــــلم أحسَـــــبها ... ممـــــن - إذا اســـــتفحلتْ بلواؤنـــــا - واســـــى

حتـــــى إذا اختصـــــرَتها قلـــــتُ: معـــــذرة ... لأكتـــــبنّ لهـــــا كـــــي أطـــــرح الباســـــا

أنـــــا الـــــذي أنشـــــرُ الأشـــــعارَ مِـــــن زمـــــن ... أنـــا الـــذي - فـــي ســـبيل الشـــعر - كـــم قاســـى!

خصصـــــتكِ اليـــــومَ بالأشـــــعار لـــــي أمـــــلٌ ... فكيـــــف بـــــي اليـــــومَ (يـــــا منـــــار) لا آســـــى؟

ومـــــا عهـــــدتكِ - قبـــــل اليـــــوم - قاســـــية ... علـــــى محِـــــب غـــــدا - فـــــي الحـــــب - حساســـــا

ومـــــا عرفتـــــكِ - قبـــــل اليـــــوم - ســـــالية ... عـــــن المحـــــب رأى الأشـــــعارَ أعراســـــا

وكـــــأسُ ودّكِ - للأحبـــــاب - مترعـــــة ... وعنـــــد دوري ســـــكبتِ الـــــود والكاســـــا

بل جميلة المسلمة الإنجليزية

(كانت هذه الطفلة التى لم تتجاوز الخامسة من عمرها ، واسمها جورجيا ، تعيش مع أمها في لندن. ثم احترق البيت بما فيه إلا المصحف. فكان لذلك أثرٌ عند الأم والفتاة ، ومن هنا بدأتِ الأم القراءة عن الإسلام حتى أسلمتْ ، وتبعتها جورجيا. ثم أسمتها أمها جميلة. والقصة بتمامها في مجلة: (البيئة والمجتمع) الإماراتية ص58 ، 59 وقد أعجبتني القصة ، فقلتُ فيها شعراً هذه القصيدة! عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ ، تَقْرَأهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا ، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذاً يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً ، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ ، مُتَصَدِّقٌ ، مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ ، رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ، ذُو عِيَالٍ! قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا ، لاَ يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً ، وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ ، وَإِنْ دَقَّ ، إِلاَّ خَانَهُ ، وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ ، أَوِ الْكَذِبَ ، وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ. أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجة. وإذن فالهداية بيد الله عز وجل وحده! ونتساءل مع الكاتبة الأديبة المبدعة امتياز النحّال زعرب فنقول: (سألتُ اليوم نفسي: ماذا لو لم أولد مسلمة لأبوين مسلمين؟ ما هو شكل حياتي في تلك اللحظة؟! ماذا لو كان والديّ بوذيين مثلاً أو من السيخ أو الهندوس أو النصارى أو اليهود "والعياذ بالله" أو..أو..أو.. ما هو مصيري؟ وهل كنت سوف أهتدي إلى الإسلام أم ماذا؟ احترت كثيراً في الإجابة وتذكرتُ قول الله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء} ، وهذا معناه "كما أعتقد" أن الهداية ليست بيدي بل هي بيد الله عز وجل ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وبالتالي فأنا في نعمة لأن الله منّ عليّ بالإسلام ، وأن جعلني مسلمة ابنة مسلمين! {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} ، وهذا ما دفعني إلى شكر الله على هذه النعمة العظيمة ليلاً ونهاراً {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}. أيها المسلم اشكر الله على نعمة الإسلام ونعمة العقل وأنك لست من عبدة الأبقار ولا النار ولا الأحجار ، وافتخر بأنك مسلم ، لا قومي ولا عربي ، لا اشتراكي ولا رأسمالي ، ولا غيرها من المصطلحات الوضعية الدخيلة علينا! قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله". فأنا لا أستطيع أن أصدّق أن هناك عاقلاً واحداً ما زال يعبد البقرة ويتبرك ببولها! ويعبد النار والفئران وغيرها ، فلقد قرأت ذات مرة عن تقديس الفئران عند الهندوس وأنه يحرم قتلها ، بل تقام لها المعابد الخاصة ويقدم لها الحليب! كما أن من عادات جزيرة هاوان أن يقدموا مهراً للفتاة الجميلة بعدد كبير من الفئران يزيد عددها أو يقل حسب درجة جمال العروس! كما أن هناك قبيلة هندية تقوم بذبح أول بنت ترزق بها الأسرة عندما تبلغ

22 سنة ومن ثم تقوم بإلقاء جثتها في البحر إرضاءً لآلهتهم ، "الحمد لله أني لست منهم". وفي الهند أيضاً عند وفاة شخص ما ، يتم وضعه على طاولة من الخشب ويضعون فوقه وعلى جانبيه طبقات من الخشب ، ويُشعلون النار فيه ، فتحترق الجثة! "إكرام الميت حرقه!" ، ولإثبات ولاء زوجته يتم حرقها معه. إن الله منّ علينا بنعم كثيرة منها نعمة العقل والسمع والبصر والصحة والمال والبنون وغيرها الكثير ، ولكن أفضل نعمة منّ الله علينا بها هي نعمة الإسلام ، قال تعالى في محكم التنزيل: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. ورغم ذلك نجد الكثير من المسلمين يقولون: نحن مسلمون ولكنهم لا يفقهون شيئاً عن الإسلام ، ولا يمتون له بصلة غير أنه مكتوب في البطاقة الشخصية ، خانة الديانة/ مسلم! الحمد لله حمداً كثيراً على نعمة الإسلام).هـ. وتستهويني دائماً قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ، كان الطفيل وهو من دوس زهران ، من السراة سمع بالرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ، فركب جمله ، وأخذ متاعه ، ولبس ثيابه.وكان الطفيل شاعراً مجيداً ، وخطيباً فصيحاً ، يَعرف جزل الكلام من ضعيفه. وصل إلى مكة ، ولكن الدعايات المغرضة ضد الرسول صلى الله عليه وسلم تتحرك من المشركين لتشويه سمعة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالقول المريض ، والتعليقات المُرة. دخل مكة ، فلقيه كفار قريش. فقالوا: إلى أين يا طفيل؟ قال: أريد هذا الذي يزعم أنه نبي! قالوا: ما أشبه ذلك تريد؟ قال: أريد أن أسمع كلامه ، إن كان حقاً اتبعته ، وإن كان باطلاً تركته. قالوا: إياك وإياه ، إنه ساحر ، إنه شاعر ، إنه كاهن ، إنه مجنون ، احذر لا تسمع كلامه. قال الطفيل: فوالله ، ما زالوا بي يخوفونني حتى أخذت القطن فوضعته في أذني. ولكن الحق أقوى من القطن ، والقرآن ينفذ من خلال القطن إلى القلب. قال: ودخلت الحرم يوماً ، والقطن في أذني لا أسمع شيئاً. لكن الله عز وجل أراد أن يفتح أذنيه ؛ لأن بعض الناس يكون للواحد منهم أذنان وعينان وقلب ، لكن كما قال سبحانه: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ". أتى فرأى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال: فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب. قال الطفيل: فسمعته صلى الله عليه وسلم يقرأ ، لكن لا أسمع ؛ لأن في أذني القطن ، فقلت لنفسي: عجباً لي ، أنا رجل شاعر فصيح ، أعرف حسن الكلام من قبيحه ، لماذا لا أضع القطن ، فإن سمعت الكلام طيباً وإلا تركته؟! فوضع القطن ، وهذه هي الخطوة الأولى. وبدأ صلى الله عليه وسلم يقرأ آيات القرآن. فلما سمع الكلام وقع في قلبه. هل يستطيع ملحد ، إن كان عنده عقل أن يسمع: (طـه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى). ولا يؤمن؟ من يستطيع أن يسمع {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .بل عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} ولا يسلم؟ قال: فلما سمعت الكلام ، تقدمت ، وقلت: عم صباحاً ، يا أخا العرب. فقال صلى الله عليه وسلم: (أبدلني الله بتحية خير من تحيتك). قال: وما هي؟ قال: (السلام عليكم ورحمة الله). ما أحسن الكلام !فقال: السلام عليكم. فرد عليه. قال: من أنت؟ قال: (أنا رسول الله). قال: من أرسلك؟ قال: (الله) . فقال الطفيل: إلى ماذا تدعو؟ فأخبره وقرأ عليه شيئاً من القرآن. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، ثم قال: يا رسول الله ، أنا من دوس! فأمره صلى الله عليه وسلم أن يعود داعية إليهم. فعاد داعية إلى دوس ؛ فلما وصل إليهم قال: هدمي من هدمكم حرام ، ودمي من دمكم حرام ، حتى تؤمنوا بالله ، فكفروا ، وأعرضوا ، وغلبهم الزنا. فأتى مرة ثانية إلى

الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله ، غلب على دوس الزنا ، وكفروا بالله ، فادع الله عليهم ، يا رسول الله. أي: أن يسحقهم ويحطمهم ، ويجعلهم شذر مذر. لكن محمداً صلى الله عليه وسلم كان كما قال الله: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" ، "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" ، "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ". فرفع يديه صلى الله عليه وسلم ، يريد أن يدعو لهم ، فظن الطفيل انه يدعو عليهم. فقال الطفيل: هلكتْ دَوس. فقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم اهد دَوْساً وائت بهم ، اللهم اهد دوساً وائت بهم ، اللهم اهد دوساً وائت بهم. ثم قال: يا طفيل ، اذهب إلى دوس ، فادعهم إلى الإسلام ، ومن أسلم معك ، فقاتل به من كفر ، فذهب ، وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل له آية. فسأل له آية ، فوقع نور في جبهته يضيء له في الليل). قال: يا رسول الله ، أخشى أن يقولوا: فيَّ مُثلة (أي: مرض) فادع الله أن يحول عني هذا النور ، فحوله إلى العصا ، فكان إذا رفع العصا أضاءت له جبال زهران. فلما وصلهم ، كانوا قد تهيّأوا بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال: أدعوكم إلى لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم أراهم الآية. فأسلموا جميعاً ودخلوا في دين الله أفواجاً. ونحمد الله أن جعلنا مسلمين موحّدين! ونسأله أن نموت على ذلك!)

حـــدثوني عمّـــن تَسُـــرّ النفوســـا ... طفلـــة فاقـــت ـ فـــي صِـــباها ـ العَروســـا

إنهـــا ـ بالإســـلام ـ أحلـــى وأنقـــى ... وإذا بـــالقرآن أضـــحى أنيســـا

أنقـــذتهم نـــارُ الـــدنا نـــارَ أخـــرى! ... إن ـ فـــي هـــذا ـ للبيـــب دروســـا

إن هـــذي (جميلـــة) فـــي البرايـــا ... حـــازتِ المجـــدَ مســـتنيفاً نفيســـا

لـــيس مثـــلُ الإســـلام ـ للمـــرء ـ دينـــاً ... يُـــبهجُ الـــروحَ والنهـــى والنفوســـا

فـــانعمي بالإســـلام دينـــاً ودنيـــا ... واحـــذري أن تســـتأذني قِسيســـا

واهنئـــي بالإيمـــان ، لا تســـتجيبي ... لـــدعاوى مَـــن يعمُـــرون الكنيســـا

واســـعدي ـ بـــين المســـلمين ـ وذودي ... عـــن ســـجايا (محمـــدٍ) قبـــلَ (عيســـى)

ثـــم ذودي عـــن الكلـــيم احتســـاباً ... برّئـــي مِـــن شـــتى الضـــلالات (موســـى)

واقرئـــي دومـــاً عـــن (سُـــليمان) فصـــلاً! ... ثـــم فصـــلاً يـــا أختُ عـــن (بلقيســـا)

دينُنـــا ديـــنُ الأنبيـــاء جميعـــاً ... إنـــه ـ صـــدقاً ـ يـــرفضُ التدليســـا

ديننـــا أســـمى ، بـــل وأرقـــى مقامـــاً ... مِـــن أباطيـــلَ تعشـــق التلبيســـا

الحلال بيِّن والحرام بيِّن

(فى مجلة (منار الإسلام ، العدد 6 السنة الرابعة والعشرون ، قصة لأحد أهل السنة الموحّدين من أهل عمان. كان قد رفض قبول 30 ألف ريال ربا. وقال: هذا مالٌ حرام لا أقبله وقد استفتيتُ أهل العلم وعلِمتُ بحُرمته. فعل هذا وهو في أمسّ الحاجة لكل ريال. فأنشدتُ حكاية عنه! قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). والصالحون الطيبون مع حرصهم على طيب مكاسبهم ، والتورع عن مشتبهها ، قد يُبتلون في أموالهم وأنفسهم كما يبتلون في غيرها ، فهم أشد الناس بلاء ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). رواه الترمذي وصححه ، وابن ماجه وصححه الألباني في "صحيح الترمذي".)

تعسَ المالُ ، فكم أعمى البَشَرْ! فاستساغوا الذنب في شتى الصُّورْ

واستهانوا بالخطايا جُملة واستباحوا الظلم يأتي بالضرر

واستحلوا كل ما طالت يدٌ واستطالوا في متاهات الخطر

ولأهل الخير - فيهم - شِيمةَ كل فذٍ - في الورى - مثلُ القمر

يعلمون الحق ، هذا سَمتُهم ولهم لونُ اجتهادٍ ونظر

فالحلالُ بيّنٌ ، لم يشتبهْ والحرامُ واضحٌ ، لا يستتر

وكتابُ اللهِ يُحْيي عَيشهم وكذا السُّنة تُحْيي والأثر

يذكرون اللهَ ، والحُسنى لهم فاز قومٌ يذكرون المُقتدر

لن تُفيدَ المرءَ أموالُ الرِّبا إنها الحربُ – وربي – لا وزر!

والفقيرُ قد قلاها حِسبةً والمجلاتُ استنارتْ بالخبر

رغم أن الفقر كم أزرى به! إنه للمال - صِدقاً - مُفتقر

حُق لي واللهِ إطراءُ الفتى! إنني بالصِيد دوماً أفتخر

لا أزكّيه ، ولكنْ حقهُ رب أعطِ العبدَ مالاً كالمطر!

وشهد شاهد من أهلها

(كثيرة هي أقوال الغربيين النصارى واليهود والمُشركين في الثناء على الإسلام ونبيه محمد – صلى الله عليه وسلم -. وعلى سبيل المثال أقوال: (توماس كارليل – برناردشو – جوستاف لوبون – سميث ويلز – لامارتين – وليم موير – مايكل هارت – تولستوي – فلكد – أرنولد – جون نوس – هيوستن سميث – أون كول ، وغيرهم من القساوسة والمستشرقين المنصفين). إن مثل هذا الكلام منهم ليُعتبر شهادة بصدق وعظمة الإسلام ونبيه ولا شك. وأنا أشكر لهم مدحهم ، وأناشد الغرب أن يُسْلم أو يُنصف. والحقيقة المُرة أن الغرب يخاف من الإسلام ، ويبذل قصارى جهده للحد من انتشار الإسلام! ونقلاً عن كتاب: (التبشير والاستعمار د/ مصطفى الخالدي ، و د/ عمر فروخ ونقلاً عن مجلة البيان عدد (174) ص92: (يقول المُنصِّر المعروف لورانس براون: «وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجودٌ في الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة». ويقول: «إن خطر المسلمين هو الخطر العالمي الوحيد في هذا العصر ، الذي يجب أن تجتمع له القوى ، ويُجَيَّش له الجيوش ، وتلتفت إليه الأنظار». ويقول أيضًا: «إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية ، إن المسلمين يختلفون عن اليهود في دينهم ، إنه دين دعوة ، إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم ، وبين غير النصارى ، ثم إن المسلمين كان لهم كفاحٌ طويل في أوروبا - كما يراه المبشرون - وهو أن المسلمين لم يكونوا يومًا ما أقلية موطوءة بالأقدام». ثم يقول: «إننا من أجل ذلك نرى المبشرين ، يَنْصُرون اليهود على المسلمين في فلسطين ، لقد كنا نُخَوَّف من قبل بالخطر اليهودي ، والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين) وبالخطر البلشفي ، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق (لم نجده ولم يتحقق) كما تخيلناه ، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفر ، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة ، تتكفل بمقاومتها ، ولكن الخطر الحقيقي كامن في الإسلام).هـ. والآن لنعش مع باقة عطرة من الشهادات والأوسمة التي شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء والمخالفين للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمتبعين غير سنته والمتدينيين بغير دينه والسالكين غير منهاجه! (والفضل ما شهدت به الأعداء). فهذا حوار دار بين هرقل الروم وبين بعض زعماء قريش من المعارضين للنبي صلى الله عليه وسلم ، بعدما تسلم هرقل رسالة من النبي يدعوه فيها إلى الإسلام ، فسأل هرقل عمن يعرفه من أهل وطنه ، فجيء إليه ببعض التجار من المعارضين للنبي من مكة. (فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ، وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَباً بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَباً ، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي ، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ ، فَوَ اللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِباً لَكَذَبْتُ عَنْهُ ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا ، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا ، قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا ، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ

فَاعِلٌ فِيهَا ، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئاً غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ ، يَنَالُ مِنَّا ، وَنَنَالُ مِنْهُ ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْعَفَافِ ، وَالصِّلَةِ ، فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ، وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْعَفَافِ ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقّاً فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ). [البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ].

وهذا هو الوليد بن المغيرة الذي اجتمع إليه نفر من قريش ـ وكان ذا سن فيهم وقد حضر ـ الموسم فقال لهم: يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمِعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً. قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأيا نقول به. قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون. قال ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشاعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: ما نقول من شيء من هذا إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول أن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون للناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان النبي في المسجد يقرأ (حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير) ، وكان الوليد يسمع قراءته ، ففطن له (أي انتبه) رسول الله وأعاد الآية ، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه فقال: والله لقد سمعتُ من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو وما يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته. وما يقول هذا بشر).هـ. وهذا هو قول النضر بن الحارث وهو من سادة قريش ومن أكبر المعارضين للنبي– صلى الله عليه وسلم -: (يا معشر قريش ، إنه واللهِ قد نزل بكم أمر ما أتيتم به بحيلة بعد ، كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم خلقاً ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ،

حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاء بما جاءكم به قلتم: ساحر ، لا واللهِ ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة وعقدهم ، وقلتم: كاهن ، لا واللهِ ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم ، وسمعنا سجعهم ، وقلتم: شاعر ، لا واللهِ ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها ، هزجه ورجزه ، وقلتم: مجنون ، لا واللهِ ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقة ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه واللهِ قد نزل بكم أمر عظيم).هـ. ويقول الفيلسوف البريطاني توماس كاريل ، وقد خصص من كتابه فصلاً لنبي الإسلام بعنوان: (البطل في صورة رسول ، عدّ فيه النبي صلى الله عليه وسلم واحداً من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ! وقد ردّ هذا المؤلف مزاعم المتعصبين فقال: "يزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا والله ، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القِفار والفلوات ، المُتورّد المُقلتين ، العظيم النفس ، المملوء رحمة ، وخيراً ، وحناناً ، وبراً ، وحكمة ، وحِجىً ، أفكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه ، كيف لا ، وتلك نفس صامتة ، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين).هـ. وهذا هو الدكتور زويمر يقول ما نصه: (إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً ، ومفكراً عظيماً ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء).هـ. وأما سانت هيلر فيقول ما نصه: (كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته ، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها ، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه ، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفسُ البشرية وهما العدالة والرحمة).هـ. وهذا هو إدوار مونته فيقول ما نصه: (عُرف محمدٌ بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم ، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق ، وبالجملة كان محمدٌ أزكى وأدين وأرحم عرب عصره ، وأشدّهم حِفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل ، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم).هـ. وأما الأديب الإنجليزي برناردشو فيقول ما نصه: (إن العالم أحوجُ ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد ، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال ، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات ، خالداً خلود الأبد ، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بيّنة ، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا). إنّ رجال الدين في القرون الوسطى ، ونتيجةً للجهل أو التعصّب ، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً ، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية ، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل ، فوجدته أعجوبةً خارقةً ، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للنصرانية ، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية ، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم ، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها).هـ. وأما السير موير فيقول ما نصه: (إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه ، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد ، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم).هـ. وهذا هو مونتجومري يمدح النبي – صلى الله عليه وسلم - ، فيقول ما

نصه: (إن استعداد هذا الرجل لتحمّل الاضطهاد من أجل معتقداته ، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم ، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراضُ أن محمداً مُدّع افتراضٌ يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد).هـ. وهذا هو المهاتما غاندي يقول ما نصه: (أردتُ أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحتُ مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته ، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود ، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه ، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدتِ الطريق ، وتخطتِ المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدتُ نفسي أسِفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة).هـ. وهذا هو راما كريشنا راو يقول ما نصه: (لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي ، ومحمد المحارب ، ومحمد رجل الأعمال ، ومحمد رجل السياسة ، ومحمد الخطيب ، ومحمد المصلح ، ومحمد ملاذ اليتامى ، وحامي العبيد ، ومحمد محرّر النساء ، ومحمد القاضي ، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً).هـ. وهذا هو المستشرق الأمريكي (واشنجتون إيرفنج) يقول ما نصه: (كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وأعظمَ الرسل الذين بعثهم الله تعالى ؛ ليدعوا الناس إلى عبادة الله).هـ. (قالوا عن الإسلام - للدكتور عماد الدين خليل). ويقول المستشرق الإسباني (جان ليك) في كتابه (العرب): (لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" ، كان محمدٌ رحمة حقيقية ، وإني أصلي عليه بلهفةٍ وشوق).هـ " (كتاب العرب - لجان ليك). وتقول المستشرقة الإيطالية (لورافيشيا فاغليري): (كان محمد المتمسّك دائمًا بالمبادئ الإلهية شديد التسامح ، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة ، لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين ، مصطنعًا الأناة دائمًا).هـ. (دفاع عن الإسلام - لورافيشيا فاغليري ، ترجمه منير البعلبكى). ويقول المستشرق الفرنسي (جوستاف لوبون): «كان محمد [صلى الله عليه وسلم] يقابل ضروب الأذى والتعذيب بالصبر وسعة الصدر. فعامل محمد [صلى الله عليه وسلم] قريشًا - الذين ظلوا أعداءً له عشرين سنة - بلطفٍ وحِلم» (حضارة العرب - جوستاف لوبون). وأما الفيلسوف والكاتب المسرحي الإنجليزي المشهور (جورج برناردشو) ؛ فيقول: (قرأت حياة رسول الإسلام جيدًا ، مراتٍ ومرات ، فلم أجد فيها إلا الخُلُق كما ينبغي أن يكون ، وكم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم)!هـ. (الرسول صلى الله عليه وسلم) في عيون غربية منصفة - الحسيني معدّي). ويقول الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل الذي قيل عنه أنه أكبر عقل ولدته الأمة الإنجليزية بعد شكسبير: (لقد كان - في فؤاد ذلك الرجل الكبير العظيم النفس المملوء رحمة وخيرًا وحنانًا وبرًا وحكمة وحجىً ونُهىً - أفكارٌ غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه).هـ. (الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة). والمؤرخ الإنجليزي (وليام موير) ؛ فيقول في كتابه (حياة محمد): (لقد امتاز محمد عليه السلام بوضوح كلامه ، ويُسر دينه ، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير ، كما فعل نبيُّ

الإسلام محمد).هـ. (الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة). ويقول أيضًا وهو يصف حياة النبيِّ صلى الله عليه وسلم وخلقه: (كانت السهولة صورة من حياته كلِّها ، وكان الذوقُ والأدبُ من أظهرِ صفاته في معاملتِه لأقلِّ تابعيه ؛ فالتواضعُ ، والشفقةُ ، والصبرُ ، والإيثارُ ، والجُودُ ؛ صفاتٌ ملازمةٌ لشخصه ، وجالبةٌ لمحبَّةِ جميعِ من حوله ، فلم يُعرف عنه أنه رفض دعوة أقلِّ الناس شأنًا ، ولا هديةً مهما صغرت ، وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه ، ولا شعر أحدٌ عنده أنه لا يختصُّه بإقبالٍ وإن كان حقيرًا. وكان إذا لقي مَنْ يفرحُ بنجاحٍ أصابه أمسك يدَه وشاركَه سرورَه ، وكان مع المصابِ والحزينِ شريكًا شديدَ العطفِ ، حَسَنَ المواساة ، وكان في أوقاتِ العُسْرِ يقتسم قُوتَهُ مع النَّاس ، وهو دائمُ الاشتغالِ والتفكيرِ في راحةِ مَنْ حولَه وهناءتِهم» (حياة محمد ـ لوليم موير).هـ. (الرسول صلى الله عليه وسلم ، لسعيد حوى). والشاعر الفرنسي الشهير (لامارتين) ؛ يقول: (أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية ، وأدركتُ ما فيها من عظمةٍ وخلود).هـ. (السفر إلى الشرق). ويقول الشاعر والأديب الألماني المشهور (جوته): (بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم» (شمس الدين تسطع على الغرب ـ لتغريد هونكه).هـ. ويقول الكاتب الفرنسي الجنسية (مونتيه) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف ، في كتابه (محمد والقرآن): (كان محمد صلى الله عليه وسلم كريم الأخلاق حسن العشرة ، عذب الحديث ، صحيح الحكم ، صادق اللفظ ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم ، وصراحة اللفظ ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله).هـ. (محمد والقرآن). وتلك هي ساروجني ندو شاعرة الهند الكبيرة (أخت طاغور من الرضاعة في الشعر والفكر كما يراها قومها) تقول ما نصه: (يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية ، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما يُنادَى للصلاة ، ويسجد القروي والملك جنبا إلى جنب اعترافًا بأن الله أكبر. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر).هـ. وأما بوسورث سميث فيقول ما نصه: (لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين ، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد ، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها).هـ. وأما المفكر الفرنسي لامرتين فيقول ما نصه: (إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة ، وسَنوا القوانين ، وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل أعني محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروّض الحكام فقط ، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط ، بل إنه قضى على الأنصاب والأصنام والأوثان والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة. لقد صبر النبي محمد وتجلد حتى نال النصر (من الله). ولقد كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجهاً بالكلية إلى هدفٍ واحدٍ ، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطوريةٍ أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم)

وانتصاره حتى بعد موته ، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله ، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية) ، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف ، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة). هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف ، والخطيب ، والنبي ، والمُشرّع ، والمحارب ، وقاهر الأهواء ، ومؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة ، بلا أنصاب ولا أزلام ولا أصنام ولا أوثان. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض ، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم). وبالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية ، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟).هـ. وأما جيبون أوكلي فيقول: (ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار ، وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن ، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان. لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين).هـ. وأما سنرستن الآسوجي فيقول ما نصه: (إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا ، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية ، مُصِراً على مبدئه ، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين ، فأصبحتْ شريعته أكمل الشرائع ، وهو فوق عظماء التاريخ).هـ. والمستر سنكس يقول ما نصه: (ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر ، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإلهٍ واحدٍ ، وبحياةٍ بعد هذه الحياة. ويستطرد في مقالةٍ طويلةٍ يختمها بقوله: إن الفكرة الدينية الإسلامية أحدثتْ رُقِياً كبيراً جداً في العالم ، وخلّصتِ العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسِرُه حول الهياكل بين يدي الكهّان. ولقد توصّل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة).هـ. وأما آن بيزيت فتقول ما نصه: (من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس ، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل ، أحد رسل الله العظماء ، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم. هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة 26 عاماً ثم عندما بلغ الخمسين من عمره – السن التي تخبو فيها شهوات الجسد – تزوّج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم

على حياة الأشخاص. فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية).هـ. وأما مايكل هارت صاحب كتاب (العظماء مائة وأعظمهم محمد) فيقول ما نصه: (إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ ، قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون إتمامها ، كالمسيح في النصرانية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبقهم إليهم سواهم ، كموسى في اليهودية ، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية ، وتحددت أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة ، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً ، وحّد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها).هـ. وأما الأديب الروسي تولستوي فيقول ما نصه: (يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة ، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم ، وأنّ شريعةَ محمدٍ ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة).هـ. وهذا شبرك النمساوي يقول ما نصه: (إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ إنّه رغم أُمّيته ، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع ، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون ، إذا توصلنا إلى قمّته).هـ. ويقول البروشادور في حديث له عن المسلمين: (إن هذا المسلم الذكي الشجاع ، قد ترك لنا حيث حل آثار علمه وفنه ، أنار مجده وفخاره. ثم يقول: من يدري؟ قد يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الإفرنج مهددة بالمسلمين. فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة أخرى- ولست أدعي النبوة ، ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها).هـ. ويقول مرماديوك: (إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً ، إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول ، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع أن يقف أمام حضارتهم).هـ. ويقول الدكتور حسن عباس زكي أنه قرأ لمؤلف فرنسي كتاباً جاء فيه (لو أن العرب عرفوا قيمة الإسلام لحكموا العالم إلى قيام الساعة). كما أنه قرأ لمؤلف إنجليزي كتاباً جاء فيه: (إن نظام الزكاة في الإسلام هو أفضل حل لمشاكل العالم).هـ. وتقول العالمة الذرية (جونان التوت)- التي أسلمت على يد البيصار من بين (250) رجلاً وامرأة أشهروا إسلامهم في اليوم نفسه ومن بينهم سفير غانا: (المسألة ليست انتقالاً من دين إلى دين آخر. ولا هي تحدٍ لمشاعر وطقوس توارثناها ، إنما هي الحرية المنشودة والفردوس المفقود الذي نشعر بأننا في أشد الحاجة إليه. نحن الشباب في الغرب ، نرفض واقع الدين الرومانسي ، والواقع المادي للحياة. وحل هذه المعادلة الصعبة هي أن نشعر بالإيمان بالله). وتضيف قائلة (بعض الشباب غرق في الرقص بحثاً عن الله ، في الشيطان ، في المخدرات ، وفي الهجرة إلى الديانات الشرقية القديمة. وخاصة البوذية – وقليلون هم الذين أعطوا لأنفسهم فرصة التأني والبحث والدراسة. وهؤلاء وجدوا في الدين الإسلامي حلاً للمعادلة الصعبة – وإذا كان عددهم لا يزال قليلاً حتى الآن ، فلأن ما نسمعه عن هذا الدين العظيم مشوش ، ومحرّف ، وغير صادق فكل ما هو معروف عندنا عن الإسلام خزعبلات رددها المستشرقون ، منذ مئات السنين ،

ولا تزال أصداؤها قوية حتى الآن ، فالدين الإسلامي كما في إشاعات المستشرقين هو دين استعباد المرأة ، وإباحة الرق وتعدد الزوجات ، ودين السيف لا التسامح). وتقول أيضاً لا تصدقوا فكرة الحرية المطلقة في أمريكا. والتي تنقلها لكم السينما الأمريكية ، فإن في بلادنا كثير من المتعصبين دينياً. ولذا فإنني أعرف جيداً أنني مقبلة على حرب صليبية في بلادي وأسرتي ، وستزداد هذه الحرب اشتعالاً عندما أبدأ في إقناع غيري بهذا الدين العظيم). ثم تقول: (لقد بدأت أحس بوجود الثواب والعقاب وهذا السلوك هو الذي سيحكم سلوكي ويضبطه في الاتجاه الصحيح).هـ. ويقول أحد قساوسة جنوب أفريقيا مخاطباً مبعوث مجلة الاعتصام المنتدب لزيارة المركز الإسلامي هناك: (أنا قس من رجال الدين المسيحي أحمل اسماً مسيحياً. وهذا الاسم لا يعنيكم ولن أقوله- ولكن أقول - بالرغم من أني دربت على المسيحية ، وتعلمتها في جامعات بريطانيا ، وأعددت لأكون راية للمسيحية ، وداعية لها ، إلا أني لم أشعر بأن المسيحية استطاعت أن تجيب على تساؤلاتي ، لأنها مرتبكة في جسمي- وقد فكرتُ في التخلص من المسيحية السوداء التي لا تعترف بآدميتنا ، والتي جاءتنا بالإنجيل في يد وبالعبودية في اليد الأخرى وجاءنا أدعياؤها بالإنجيل في يد ، وبزجاجة الخمر في اليد الأخرى). ثم يضيف قائلاً: لقد رأيتكم تصلون. فإذا بالأبيض بجانب الأسود ، والغني بجانب الفقير ، والمتعلم بجانب الجاهل ، لهذا أقول إن الأفريقي ليس بحاجة إلى المسيحية إنه في حاجة إلى هذا الدين العظيم! وبعد أن اغرورقت عيناه بالدموع قال: لماذا حجبتم عنا هذا الدين؟ أنيروا لنا الطريق فإن مبادئ هذا الدين هي التي يمكن أن تنقذ العالم مما هو مقبل عليه من فوضى ودمار).هـ. ويقول أميل درمنجهم الذي كتب كتاباً في سيرة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: (ولما نشبتِ الحرب بين الإسلام والمسيحية ، اتسعتْ هوة الخلاف ، وازدادتْ حِدته ، ويجب أن نعترف بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخلاف! فمن البيزنطيين من أوقر الإسلام احتقاراً من غير أن يكلفوا أنفسهم مؤنة دراسته ، ولم يحاربوا الإسلام إلا بأسخف المثالب – فقد زعموا أن محمداً لص! ، وزعموه متهالكاً على اللهو! وزعموه ساحراً ! وزعموه رئيس عصابة من قطاع الطرق! بل زعموه قسا رومانياً! مغيظاً محنقاً ، إذ لم ينتخب لكرسي البابوية – وحسبه بعضهم إلهاً زائفا! يقرب له عباده الضحايا البشرية وذهبت الأغنيات إلى حد أن جعلت محمداً صنماً من ذهب وجعلت المساجد ملأى بالتماثيل والصور).هـ. وفي كتاب (معالم تأريخ الإنسانية) يقول ويلز: (كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط. ولم أجد ديناً يسير مع المدنية أنى سارت سوى دين الإسلام).هـ. ويقول (هنري دي شاميون) تحت عنوان (الانتصار الهمجي على العرب): (لولا انتصار جيش (شار مارتل) الهمجي على العرب في فرنسا في معركة (تور) على القائد الإسلامي (عبد الرحمن الغافقي) لما وقعت فرنسا في ظلمات العصور الوسطى. ولمَا أصيبت بفظائعها ولمَا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني - ولولا ذلك الانتصار البربري لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولمَا تأخر سير المدنية ثمانية قرون بينما كنا مثال الهمجية).هـ. ويقول(أناتول فرانس) عن أفظع سنة في تأريخ فرنسا هي سنة (732)م ، وهي السنة التي حدثت فيها معركة (بواتيه) والتي انهزمت فيها الحضارة العربية أمام البربرية الإفرنجية- ويقول أيضاً: (ليت (شارل مارتل) قطعتْ يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي (عبد الرحمن الغافقي) إن انتصاره أخر المدنية عدة قرون).هـ. ويقول كارليل الإنكليزي في كتابه (الأبطال) ما نصه: (من العار أن يصغي الإنسان المتمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين أن دين الإسلام دين كذب. وأن محمداً

لم يكن على حق: لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة – فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمن لملايين كثيرة من الناس- فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع؟! لو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً ، وعبثاً. وكان الأجدر بها أن لا توجد. إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص البناء! وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد! فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه مئات الملايين من الناس. وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً كاذباً متصنعاً متذرعاً بالحِيَل والوسائل لغايةٍ أو مطمع! فما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول وما هو إلا شهابٌ أضاء العالم أجمع. ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).هـ. ويقول إدوارد مونتيه: (الإسلام دين سريع الانتشار. يروج من تلقاء نفسه دون أي تشجيع تقدمه له مراكز منظمة لأن كل مسلم مبشر بطبيعته. فهو شديد الإيمان ، وشدة إيمانه تستولي على قلبه وعقله. وهذه ميزة ليست لدين سواه. ولهذا نجدأن المسلم الملتهب إيماناً بدينه ، يبشر به أينما ذهب وحيثما حل. وينقل الإيمان لكل من يتصل به).هـ. أما مؤلف كتاب "المئة الأوائل" هذا درس تاريخ البشرية ، واختار من بين عظماء البشرية على مرّ التاريخ مئة ، سمى الكتاب "المئة الأوائل" ، جعل محمداً صلى الله عليه وسلم على رأس المئة في التاريخ قال: "هو الإنسان الأول من بين المئة الأوائل في تاريخ البشرية كلها من حيث قوة التأثير ومن حيث نوع التأثير ، ومن حيث امتداد أمد التأثير ، ومن حيث اتساع رقعة التأثير).هـ. ويقول أحد كُتاب السيرة الغربيين وهو ليس من المسلمين ولم أعثر له على اسم لأعزو القول إليه: (كان محمد عابداً متحنثاً ، وقائداً فذاً ، شيّد أمة من الفتات المتناثر ، وكان رجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش ، وكان أباً عطوفاً ، وزوجاً تحققت فيه المودة والرحمة والسكن ، وكان صديقاً حميماً ، وقريباً كريماً ، وجاراً تشغله همومُ جيرانه ، وحاكماً تملأ نفسه مشاعر محكوميه ، يمنحهم من مودته وعطفه ما يجعلهم يفتدونه بأنفسهم ، ومع ذلك فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض ، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل ، وتغلغلت في كيانه كله ، ورأى الناس الرسول الكريم تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة ، فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها ، ورأوْها متمثلة فيه ، لم يقرؤوها في كتاب جامد ، بل رأوْها في بشر متحرّكٍ ، فتحركت لها نفوسهم ، وهفت لها مشاعرهم ، وحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرسول الكريم كلٌ بقدر ما يطيق ، فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل ، وكان هادياً ومربياً بسلوكه الشخصي ، قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به).هـ. ويقول الكاتب والباحث الغربي ريتين: (منذ بزوغ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وسطوع شمس الإسلام أثبت هذا النبي أن دعوته موجهة للعالمين ، وإن هذا الدين المقدس يناسب كل عصر ، وكل عنصر ، وكل قومية ، وأن أبناء البشر في كل مكان ، وفي ظل أيّة حضارة لا غنى لهم عن هذا الدين الذي تنسجم تعاليمه مع الفكر الإنساني).هـ. ويقول المسيو جان الكاتب والعالم السويسري المعاصر: (لو أمعنا النظر في أسلوب حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخلاقه ، على الرغم من مرور أربعة عشر قرناً على بعثته ، لتمكنا من فهم كنه العلاقة التي تشد ملايين الناس في العالم لهذا الرجل العظيم ، والتي جعلتهم وتجعلهم يضحون من أجله ، ومن أجل مبادئه الإسلامية السامية ، بالغالي والرخيص والنفس والنفيس).هـ. وأما الفيلسوف الروسي

تولستوي الذي أعجب بالإسلام وتعاليمه في الزهد ، والأخلاق ، فقد انبهر بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، وظهر ذلك واضحاً على أعماله ، يقول في مقالة له بعنوان: "مَن هو محمد؟": (إن محمداً هو مؤسس ورسول ، وكان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة! ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنحُ إلى السكينة والسلام ، وتؤثر عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء ، وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية! وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال. وليس هناك من شكٍ في أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، نحن إذا ذكرنا محمداً نصلي عليه فالصلاة مدرجة في النص ، قدم ببعثته خدمة كبيرة للبشرية ، فهي فخر وهدى للناس ، وهي التي أرست دعائم الصلح ، والاستقرار ، والرخاء ، وفتحت طريق الحضارة ، والرقي للأجيال! وبديهي أن ما فعله محمد صلى الله عليه وسلم هو عمل عظيم لا يفعله إلا شخص مقتدر ذو عزم رصين ، ومثل هذا الشخص وبلا شك يستحق كل إكرام وتقدير واحترام).هـ. ويقول مفكر آخر قد رفع لواء لا إله والحياة مادة وإن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع! - أي ملحد -: (الحقيقة أن محمداً قد جاء برسالة لا يمكن إنكارها ، وهي خلاصة الرسالات السابقة ، بل وتعلو عليها ، بناء على هذا فإن رسالته للعالم دستور ثابت ، وما جاء به محمد وأقواله تنسجم وذوق البشر ، وإدراك بني الإنسان في هذا العصر).هـ. وكم هو جميل ما قاله العالم الإيطالي واكستون: (لو سألني أحدهم فقال: من هو محمد الذي تمدحه كل هذا المديح؟ لقلت له بكل أدب واحترام: إن هذا الرجل المشهور وإن هذا القائد الذي لا نظير له ، علاوة على كونه مبعوثاً من الله ، هو رئيس حكومة إسلامية ، كانت ملجأ وملاذاً لكل المستضعفين والمسلمين ، وحامية لمصالحهم الاجتماعية ، فإن محمداً الذي يُعد بانيَ ومؤسس تلك الحكومة كان قائداً سياسياً بكل ما لهذه الكلمة من معنى).هـ. والفيلسوف الفرنسى الشهير روجيه جارودي ، وطبعا قد أسلم الرجل فيما بعد ، قال عن الإسلام فى كتابه «الإسلام وأزمة الغرب»: (إن الإسلام أنقذ العالم من الانحطاط والفوضى ، وإن القرآن الكريم أعاد لملايين البشر الوعي بالبعد الإسلامي ومنحهم روحاً جديدة). وقارن جارودي بين أثر الحضارة الغربية وما يمكن أن يقدمه الإسلام للبشرية. وقال وفقًا لما ورد بكتاب «الإسلام يصطفي من الغرب العظماء» للباحث مفيد الغندور ، إنه بعد خمسة قرون من هيمنة الغرب همينة لا يشاركه فيها أحد يمكن أن ننظر إلى الأرقام الآتية: عام 1982م تظهر لنا ملامح وقسمات الحضارة الغربية ، فمع حوالى 600 مليار دولار من الإنفاق على التسليح ، وصنع ما يعادل أربعة أطنان من المتفجرات فوق رأس كل إنسان من سكان كوكب الأرض ، مات حوالى 50 مليون نسمة فى العالم من الجوع وسوء التغذية ، فى العام نفسه الذى أنفق الغرب ملياراته على أسلحة التدمير ، ومن ثم فمن الصعب أن نطلق كلمة تقدم على هذه المرحلة التى قطعتها الحضارة الغربية فى تاريخ البشرية. ورأى جارودي أن الإسلام يمكن أن يقدم للعالم المعاصر ما ينفعه وما يفتقده ، وهو معرفة غاية الإنسان ومعنى الحياة).هـ. ويقول الكاتب الفرنسي كورسيه: (عندما نهض محمد بدعوته ، وقبل وبعد انطلاق بعثته كان شاباً شجاعاً شهماً ، يحمل أفكاراً تسمو على ما كان سائداً من أفكار في مجتمعه ، وقد تمكن محمد صلى الله عيه وسلم بسمو أخلاقه من هداية عرب الجاهلية المتعصبين ، الذين كانوا يعبدون الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وفي ظل حكومته الديمقراطية الموحدة تمكن من القضاء على كل أشكال الفوضى ، والاختلاف ، والاقتتال ، التي كانت شائعة في جزيرة

العرب ، وأرسى بدل ذلك الأخلاق الحميدة محوّلاً المجتمع العربي الجاهلي المتوحش إلى مجتمع راق ومتحضر).هـ. وهذا المؤرخ الأوربي جيمس يقول في مقال تحت عنوان "الشخصية الخارقة" عن النبي صلى الله عليه وسلم: (وقد أحدث محمد عليه السلام بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في الجزيرة العربية ، وفي الشرق كله ، فقد حطم الأصنام بيديه ، وأقام ديناً خالداً يدعو إلى الإيمان بالله وحده).هـ. والفيلسوف الفرنسي كارديفو يقول: (إن محمداً كان هو النبي الملهم والمؤمن ، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها ، إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد بين أعضاء الكتلة الإسلامية كان يطبق عملياً حتى على النبي نفسه).هـ. والباحث البريطاني كارليل يقول: "إن التشكيك في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه يعد اليوم عاراً كبيراً ، وإن علينا الرد على مثل هذه الآراء الغير صحيحة ، والأقوال التي لا معنى لها ، فعلى الرغم من مرور القرون على بعثة هذا النبي ما يزال مئات الملايين من المسلمين في العالم يستضيئون بنور الرسالة).هـ. ويقول أستاذ جامعي أميركي: (لقد أدرك محمد صلى الله عليه و سلم أهمية الاتحاد وعلو منزلة المجتمع الموحد في بعثته الإسلامية ، وبذلك زرع بيديه بذور الاتحاد والمودة في نفوس المسلمين ، وسقاها وتعهدها بالرعاية حتى أعطت ثماراً حلوة المذاق).هـ. ويقول ميلر الكاتب البريطاني المعروف: (إن بعض الديانات تهتم بالجوانب الروحية من حياة البشر ، وليس لديها في تعليماتها أي اهتمام بالأمور السياسية ، والقانونية ، والاجتماعية ، ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم ، ببعثته وأمانته الإلهية كان نبياً ، وكان رجل دولة ، ومقنناً ، أي واضعاً للقوانين ، وقد اشتملت شريعته على أحكام وقوانين مدنية ، وسياسية ، واجتماعية).هـ. ويقول الدكتور محمد إلهامي ملتمسا العذر لبعض المستشرقين في أنهم لم يُسلموا ما نصه: ("لم تكن لنا هداية": وهذا سببٌ ذهبي أخبرنا به سيدنا عمر حين تَحدَّث عن خرافات الجاهليَّة ، فقال: "كانت لنا عقولٌ ، ولَم تكن لنا هداية"! إنَّك تجد كثيرًا في كُتُب المستشرقين المنصفين ما يُثيرُ الذُّهُول من رَدِّ الباطل وتفنيده ، والدِّفاع عن الحقِّ وتأييده ، حتَّى يُخيَّل إليك أنَّه سيعلن إسلامه في السَّطر القادم ، فلقد فنَّد كل ما من شأنه أنْ يُشكك في نُبُوة محمد ، وربانية القرآن ، وعظمة الإسلام ، وتفوُّق الحضارة الإسلاميَّة ، فما تلبث أنْ تفاجأ بأنَّه يطرح تفسيرًا في غاية التهافُت والضَّعف لا يكاد عقل الطفل يستسيغه! فهنري دي كاستري يُوقن بصدق محمد المطلق ، ولكنَّه يقول: "وأوَّلُ ما دار البحث فيه مسألة صدق النبي في رسالته ، وقد قلنا: إنَّ ذلك الصدق مُتَّفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التَّقريب ، ومعلوم أنَّه لا ارتباط بين هذه المسألة وبين كون القرآن كتابًا مُنَزَّلاً من عند الله ، ولسنا نحتاجُ في إثبات صدق محمد أكثر من إثبات أنَّه كان معتنقًا لصِحَّة رسالته وحقيقة نُبُوَّته"! ونجد توماس كارلايل -الذي يُؤرخ البعض بأنَّ كلامه عن محمد كان مرحلة فاصلة بدأ الغرب بعدها يرى أنَّ في الإسلام شيئًا حسنًا - بعد أن يفند شبهات الاقتباس من أهل الكتاب ، ويُؤكد أنَّ القرآن أصيل لم يأخذه مُحمد عن أحد ، نجده يُرجِع كل ذلك للنفس العظيمة والرُّوح العظيمة والعقل العظيم وكل ذلك كان لمحمد يقول: "وقد أتخيَّل روح محمد الحادَّة النارية ، وهي تتململ طول اللَّيل الساهر يطفو بها الوجد ويرسب ، وتدور بها دوَّامات الفكر حتَّى إذا أسفرتْ لها بارقةُ رأي ، حسبته نورًا هبط عليها من السَّماء ، وكل عَزْم مقدس يهمُّ به يَخالُه جبريل ووحيه ، أيزعُم الأفَّاكون الجهلة أنَّه مشعوذ ومحتال؟ كلاَّ ثم كلاَّ"! ووجود الروايات الضَّعيفة في تُراثنا: وهذه مثلبة كُبرى ستلطِّخ عصرنا وأجيالنا الحديثة ؛ إذ كيف - ونحن أمَّة السند والمرويَّات وفي عصر الهجمة الكُبرى

والتشويه المُمَنْهج- لم تصدر حتَّى الآن كتبُ تراثنا مُنقحة ومصفَّاة على منهج المحدثين في المرويَّات ، لقد ظهرت فيما بعد كتابات تناقش مرويَّات الفتنة بين الصَّحابة ، ولكن حتَّى الآن - وعلى حدِّ علمي - لم تصدر أمهات كتبُ السيرة ، معلقًا عليها بالتَّخريج والرُّواةِ ومُناقشةِ الأسانيد ، وهو مشروع سيحلُّ كثيرًا من مشكلات تفسير الرِّوايات ، ويليه في الأهميَّة كتب التاريخ والطبقات مثل: الواقدي ، وابن سعد ، والطَّبري ، وأمثال هذه المصادر. وأقول: إنَّ بعض الرِّوايات كانت فتنة لبعض الناس عن الحقِّ ، بما تزرعه في نُفُوسِهم من شكوك واستفهاماتٍ تتأيد بمثلها من روايات ضعيفة أخرى ، أو بأوجه تأويل تُحمل عليها روايات صحيحة ، ومن أمثال هذا: أنَّ عائشة وحفصة - رضي الله عنهما - تآمرتا لتطليق الجَوْنِيَّةِ (ابنة الجون) ، أو أنَّ النبي كاد ينتحر من يأسه ؛ لانتظار الوحي أوَّل البعثة.)هـ. هذا كله كان من كلام المستشرقين ومن لم يؤمنوا بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – فما بالنا نرى اليوم التافهين المتمسلمين يتطاولون على النبي وشريعته وسُنته في الصحف والمجلات والحوارات الإذاعية؟ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم؟!)

شـــــهادتُكم حُجّـــــة ، صَـــــدّقوا ... ويُلـــــزمُ - بالفعـــــل - مَـــــن يَنطـــــقُ

ورؤيـــــتكم شـــــاهدٌ مُلـــــزمٌ ... فـــــنعمَ الشـــــهادة والمَوْثِـــــق!

قرأنـــــا الكثيـــــرَ ، وجُبنـــــا المـــــدى ... وكـــــان لنـــــا - فـــــي الـــــرؤى - منطـــــق

ونشـــــكرُ مـــــا قـــــد جهـــــرتم بـــــه ... ألا إن إطـــــــــــراءكم شـــــــــــيّق

فقولـــــوا لمـــــن يحقـــــرون الهـــــدى ... ويحتقـــــــــرون الألـــــــــى صـــــــــدقوا

وهيـــــا اتركـــــوا الشـــــرك يُـــــزري بكـــــم ... فـــــإني - علـــــى حـــــالكم - مُشـــــفِق

وأعجـــــبُ كيـــــف بقيـــــتم علـــــى ... ضـــــلال - علـــــى فِكـــــركم – يُطبِـــــق؟

وكيـــــف بكـــــم تمـــــدحون الهُـــــدى ... وألفـــــاظكم - بالســـــنا - تعبـــــق؟

ولا تُسْـــــلِمون! فمـــــا مـــــدحُكم؟ ... ومـــــاذا - بأمثـــــالكم - أليـــــق؟

ألـــــيس المناســـــب أن تؤمنـــــوا؟ ... لقـــــد يُفلـــــحُ - اليـــــومَ - مَـــــن يَســـــبق!

وأنـــــتم - مِـــــن الرشـــــد - فـــــي ذروةٍ ... فـــــلا يخـــــدعنكُمُ الفسّـــــق

وتوبـــــوا إلـــــى الله مِـــــن كُفـــــركم ... فـــــإن الحِمـــــام بكـــــم مُحـــــدِق!

قطرة الماء أمانة

(هنا فى مدرسة أم القرى بأم القيوين بدولة الإمارات العربية المتحدة طلب مني معلم اللغة العربية بالمدرسة الزميل الأستاذ أبو مسلم الشحات أن أنظم قصيدة بمناسبة أسبوع ترشيد استهلاك المياة. فاعتذرتُ بشدة لأنني لا أتكلف الشعر على عادة الشعراء المرتزقة المتكسبين بالشعر ، أولئك الأقوامُ الذين يأكلون ويشربون بما ينشدون من الشعر. فقال: فقط اشرح بالشعر حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي يقول: (لا تسرف ، ولو كنت على نهر جار). فقلت: إجلالاً لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحاول إن شاء الله. واستعنتُ بالله وصُغتُ المطلع الرباعي المطلوب. وبعد ذلك وجدتني أصلُ إلى البيت الخامس عشر من القصيدة حباً وكرامة لك سيدي يا رسول الله. وإلا فما أنا بالمرتزق المتكسّب الذي جُل شعره إن لم يكن كله من أجل الدرهم والدينار والانتفاع في الدنيا. ويجدر بي أن أذكر إحدى روايات الحديث عند ابن ماجه في سُننه. فلقد أخرج ابن ماجه – رحمه الله – أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – مرّ بسعدٍ وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ فقال سعد: أفي الوضوء سَرَفٌ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: نعم ، وإن كنت على نهر جار. وهكذا ندرك حرصه – صلى الله عليه وسلم – وحثه الأمة المسلمة على عدم الإسراف فى الماء ولو على النهر. وأدركتُ بعد هذه القصيدة إن إرادة الآخرة بالشعر فعلاً أمر أصبح غريباً اليوم. حيث إن غالب الشعراء أصبحوا من المرتزقة. وقد لمستُ من أحوالهم أن أغلبهم جعل الشعر من وسائل الكسب والارتزاق. فهو يكتب في أي مناسبة وبأي شعور وبأي إحساس ، منفعلاً أو غير منفعل. فخرج لنا شعرُ الارتزاق الذي الغرضُ منه الدرهم والدينار بعد أن حوله أصحابه إلى وسيلة للكسب لا تزيد. وعَودٌ إلى مسألة الاقتصاد في استهلاك الماء وعدم الإسراف أقول: لقد حث الإسلام الحنيف على القصد والاعتدال في جميع الأمور ، ليس في استهلاك الماء فقط ، وظهر ذلك في نصوص قرآنية مطهرة وأحاديث نبوية شريفة كثيرة ، كما نهى عن الإسراف بجميع أشكاله كما قلنا في أي شأن من الشؤون. قال الله تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين). ويكفي من ذم المسرفين أن الله تعالى لا يحبهم. وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أول من دعا الناس إلى عدم الإسراف في الماء حيث قال: [كلوا واشربوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة] رواه النسائي وابن ماجه. وقلة الماء مع إحكام الغسل سنة ، وقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم الأسوة الحسنى والقدوة المثلى في مجال المحافظة على الماء من الضياع هدرا. فقد أخرج الإمام مسلم – رحمه الله ـ من حديث أنس ـ رضي اللّه عنه -: «كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يتوضأ بالمُد ، ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد». والرسول صلى اللّه عليه وسلم طبق ما نهى عنه على نفسه وعلى أهل بيته. فلم يخالف عن أمر بمعروف أمر به أمته ، بل كان أول المؤتمرين به ، كما لم يخالف عن أي نهي نهى عنه أمته ، بل كان أول المنتهين عنه. فعن عبد اللّه بن زيد أن النبي صلى اللّه عليه وسلم توضأ بثلثي مُد» ، وقد روي عن عائشة أنها كانت تغتسل هي والنبي صلى اللّه عليه وسلم من إناء واحد يسع ثلاثة أمداد ، أو قريباً من ذلك. واعتماداً على التوصيات الفقهية التي تفيد بأن مداً واحداً من الماء هو ما يلزم للوضوء والمد يساوي تقريبا 1.5 ليتر من الماء فإنه يُقدّر بأن حوالي عشرة لترات من المياه تذهب هدراً في كل وضوء يتم بفتح المياه بشكل متواصل علماً أن صنبور مفتوح

بنسبة 50% يصرف 4 ليتر في كل دقيقة. وعلى هذا فيكون الأمر بهذه الكيفية فيه إسراف نهت عنه الشريعة كتابا وسُنة! وعليه فينبغي أن لا نسرف في استخدام الماء! ولا يسرف إلا من كان غافلاً! أعني الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا! فلقد يكون السبب في الإسراف إنما هو الغفلة عن طبيعة ما تتطلبه معيشتنا في دنيانا ، وما ينبغي أن يكون فيها من اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه! ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا أنها لا تثبت ولا تستقر على حال واحدة. والواجب يقتضي أن نضع النعمة في موضعها ، وندخر ما يفيض عن حاجتنا الضرورية اليوم من ماء أو طعام أو مال أو صحة إلى وقت آخر قد نحتاج إلى كل ذلك حاجة شديدة. والمهم أنني في النهاية استجبتُ لطلب الأستاذ أبي مسلم لمّا استشفع عليّ بالنبي – صلى الله عليه وسلم -! أكتب من المتدارك أقول:)

إنْ كنـــتَ علـــى نهـــر جـــارِ ... أو كنـــت بســـيل الأمطـــارِ

لا تســـرفْ فـــي المـــاء ، وأقصـــرْ ... واعمـــلْ بوصـــايا المُختـــار

مســـؤولٌ عـــن قطـــرة مـــاءٍ! ... مـــا بالـــك بـــالنهر الجـــاري؟!

إن اســـتهلاكك للمـــاءِ ... يَصـــحَبُه بعـــضُ اســـتهتار

يُعتبـــرُ ضـــياعاً لا يُجـــدي ... يَســـتجلب غضـــب الجبـــار

كـــم مِـــن قـــوم حُرمـــوا المـــاءَ ... حتـــى جـــأروا فـــي الأســـحار!

ســـألوا المـــولى أن يســـقيهم ... وأتـــوْا بكثيـــر اســـتغفار

صَـــلوْا لله استســـقاءً ... وبَكـــوْا فـــي سَـــوْق الأذكـــار

ودعَـــوْا ربـــاً كـــي يُكـــرمَهم ... ســـبحان الله الســـتار!

ونعـــائمُ ربـــك لا تُحصـــى ... فاشـــكرْ للـــرب الغفـــار

واحمـــد لله ، ولا تجحـــدْ ... فالحمـــدُ شِـــعارُ الأبـــرار

واقتصـــدِ اليـــوم ، ولا تســـرفْ ... إن المســـرف حَصَـــبُ النـــار

واعمـــلْ بوصـــية مَـــن يرجـــو ... لـــك سَـــمتَ الصِـــيدِ الأخيـــار

لـــولا الإلحـــاحُ لمـــا كُتبـــتْ ... لـــك يـــا خِلـــي بالأشـــعار

ولمَـــا زخرفـــتُ معالمهـــا ... أبـــداً بظريـــف الأفكـــار

الوهم

(كانت هذه الزوجة الغبية تتوهم عشق زوجها المؤمن لابنتها المراهقة (هبة). إذ إنها تزوجتْ بعد وفاة زوجها ، وكانت لها من الأول هذه الابنة. فكان وهْماً شيطانياً مُدمراً يدفع بالجميع: الزوج وزوجته وربيبته إلى الهاوية. كلنا نغار! ولكنْ أن تتحول الغيْرة إلى شبح يهدد الحياة الأسرية ، فهذا أمرٌ مرفوض جملة وتفصيلاً! ونقلت صحيفة "دي فيلت" الألمانية عن المعالج النفسي الألماني فولفغانغ كروغر قوله: (إن الخوف على ضياع العلاقة العاطفية هو أساس الغيرة. وينتج هذا الشعور بالتهديد نتيجة للإحساس بوجود طرف آخر في حياة الشريك).هـ. ويتفق كروغر مع المقولة السائدة الشائعة بأن الغيرة دليل قويٌ على الحب ، ويرى أن الغيرة الطفيفة هي تعبير عن الحب والاهتمام بشريك الحياة. ولكنني أدعو إلى ترشيد الغيرة! فرحتُ أنصحُ لها شِعراً!)

هـــــداديكِ يـــــا هـــــذه المُغضـــــبة ... ولا تقتلـــــــي بـــــــالتجني (هبـــــــةَ)

دهتـــــكِ الأظـــــانينُ حتـــــى غـــــدتْ ... تُعيـــــرُ فـــــؤادَك أعتـــــى الشَّـــــبه

وأصـــــبحتِ ـ فـــــي النـــــاس ـ أضـــــحوكةً ... فرفقـــــــاً بنفســـــــكِ يـــــا مُذنبـــــــة!

توهمـــــتِ ، والـــــوهمُ يُعمـــــي النّهـــــى ... ويُشـــــــعلُ غيرتـــــــك المُلهبـــــــة

وباتـــــت شـــــكوكُك مثـــــل اللظـــــى ... تنـــــالُ مـــــن الغـــــادة الطيبـــــة

وتطعـــــنُ ـ فـــــي خِســـــةٍ ـ عِرضـــــها ... معـــــــاذ الأمومـــــــة والمَقرَبـــــــة!

تقـــــولين فيهـــــا الـــــذي لـــــم يكـــــنْ ... كـــــأن الشـــــكوك غـــــدتْ مَوْهبـــــة

تخالينهـــــا مِـــــن بنـــــات الهـــــوى ... تقـــــولين: بـــــالزوج ذي مُعجبـــــة!

وعاتبـــــكِ الـــــزوجُ مُســـــتهجناً ... ظنونـــــــاً بعقلِـــــــكِ مســـــــتغربة

ولـــــن يُصـــــلحَ العُتـــــبُ مَـــــن قـــــد غـــــوتْ ... ومـــــا مِثـــــلُ هـــــذي بمســـــتعتبة

ويقتـــــلُ قلـــــبَ الفتـــــاة الجـــــوى ... إذ الأم ـ مِـــــن حالهـــــا ـ مُغضـــــبة

ولا ذنـــــب للبنـــــت فيمـــــا جـــــرى ... وسُـــــمعتها أصـــــبحتْ مَأدُبـــــة

بغيـــــر الـــــدليل تُـــــدانُ ضُـــــحىً ... ونعـــــم التثبـــــتُ مِـــــن مَنقبـــــة!

وتعســـــاً لـــــوهم يُضـــــل الـــــورى! ... وإن عواقبَـــــــــه مُعطِبـــــــــة

السقوط

(كان تقياً ورعاً. ولكنه عصى الله بأكل مال يتيم هو عمه. حيث إنه دلس في عقد بيع وشراء أرض أخيه قبل موته. فلما مات أخوه قال لابنه: إن أرضَ أبيك ملكي ، فلقد باعها لي. فكان هذا سقوطاً في عالم الظلم وأتون الجوْر لا مثيل له! وكانت هذه القصيدة - على لسان اليتيم - ناقوساً يدق في عالم الغفلة والنسيان ، وتذكرة بينة هينة لينة ، وذكرى وادعة حانية لكل ظالم متجاوز لحدود الله ، ولكل مجرم متعدٍ على الشرع والعُرف ، ولكل ساطٍ على ما ليس له بالحِيلة والنصب!)

أتأكلُ يا عَم مال اليتيمْ؟ معاذ الحنانِ! متى تستقيمْ؟

وبتّ تعاندُ مُستكبراً ألست تخافُ العذابَ الأليم؟

وتستنكفُ اليومَ عن توبةٍ فهل غرّك - الآن - حِلمُ الحليم؟

أدلست عَقدك مسترشداً بشيطانِكَ المستبدّ الرجيم؟

ومَلكَ العقدُ أرضَ الفتى ألا إن هذا لظلم عظيم

فِعالك هذي فعال العِدا فيا عمّ كيف تدُعّ اليتيم؟

وكيف تغالط مستعلياً على الحق؟ هذا سلوكٌ ذميم!

عُرفت بتقواك بين الورى وبذل المُحبّ ، وجُود الكريم

وزهدِ الذي باع هذي الدنا ونبلِ التقيّ النقيّ الرحيم

وصومِ النوافل مستكثراً من الأجر عند الخبير العليم

وكنت تعلمنا ديننا وترشدُنا للصراط القويم

وتنصحُ أهلَ الهوى مؤثراً لقاءَ الإله بقلب سليم

وتدعو - إلى الله - مستبصراً لتقشعَ ليل الفسوق البهيم

لماذا السقوط ببحر الهوى؟ وعُقبى السقوط عذابُ الجحيم!

فأحسنْ ، وأصلحْ ، وتبْ ، واعتبرْ ليرضى عليك العزيز الحكيم

جويرية تضرب بالدف

(روى البخاري والبيهقي وأحمد من حديث الربيع بنت معوذ قالت: جاء النبي – صلى الله عليه سلم – فجعلتْ جويريات يضربن بالدف ويندبن مَن قتل من آبائي يوم بدر: إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد) فقال النبي: دعي هذه وقولي الذي كنت تقولين. وفي رواية صحيحة: قال لها النبي: لا يعلم ما في غدٍ إلا الله سبحانه. وهذه الرواية الصحيحة عند الطبراني. * وعن عائشة ـ رضي الله عنها – أنها زفت امرأة رجل من الأنصار. فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا عائشة: أما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يُعجبهم اللهو. رواه البخاري وغيره. * وروى النسائي والترمذي وابن ماجه وغيرهم وهو حديث صحيح كما أورد ذلك صاحب تحفة العروس ص 98 من الكتاب أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف). * وعن بريدة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف (أي: رجع) جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرتُ إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنَّى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كنتِ نذرتِ فاضربي وإلا فلا ، فجعلتْ تضرب ، فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل عليَّ وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها ، ثم قعدت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر! إنِّي كنتُ جالساً وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ، فلما دخلت أنت يا عمر ألقتِ الدف). رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي * وعن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام مِنى تدففان وتضربان ، والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: دعْهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد ، وتلك الأيام أيام منى. رواه البخاري ومسلم. * وهناك حديث صحيح آخر رواه الحاكم والبيهقي والنسائي الطيالسي من حديث عامر بن سعد قال: دخلتُ على قرظة بن كعب وأبي مسعود وذكر ثالثا: وجَوارٍ يضربن بالدف ويُغنين. فقلت: تقرّون هذا وأنتم أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ قالوا: إنه رخص لنا في العَرْسات. كانت هذه طائفة من الأحاديث التي هي صحيحة تبيحُ الدفّ وتشرعُه للمسلمين في الأعراس. ولكن البعض يقفُ عند الروايات الضعيفة للدف ليأخذ منها الحكم بالتحريم. فمِن ذلك مثلا: روى الطبراني عن معاذٍ موقوفا أن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ شهد إملاك رجل من أصحابه وضرب بالدف ونثر عليه أطباق عليها فاكهة وسكّر فأمرهم بالانتهاب وقال: إنما نهيتكم عن نهبة العساكر وهذا الحديث رواه كذلك أبو نعيم قال السيوطي: هو حديث موضوع أورده في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. وقال الذهبي في الميزان عن هذا الحديث هكذا فليكن الكذب! * وحديث: أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه في المساجد ، واضربو عليه بالدف. رواه الترمذي وضعّفه وأورده السيوطي في الفوائد المجموعة وهو في ضعيف الجامع برقم 1065 ، وأورده الزرقاني في المقاصد الحسنة. والذي نخلص إليه هو أن الدف في الأعراس أمرٌ تقرّه الشريعة. والأدلة الصحيحة قد ذكِرتْ. وأشرتُ إلى الضعيفة. والأصلُ أن الأحكام لا تؤخذ قط من الأحاديث الضعيفة ، بل من الصحيحة. وعندنا إقرارٌ من النبي – صلى الله عليه وسلم – وتصريحٌ بالدف في حديثين صحيحين. فلماذا نقف على الضعيف ونأخذ منه الحكم؟ أقول بالإباحة

للدف في الأعراس ولكن بشروطٍ وبضوابطَ وليس الأمر متروكاً على عواهنه هكذا. * ألا يصاحب الدف آلات موسيقية أخرى لها آثارٌ وألحان. * أن يكون الدف بغير جلاجل. * ألا تنشد مع ضرب الدف كلمات بذيئة وقذرة تدعو إلى الفاحشة لا يقرها الإسلام. * أن تختلف ضربات الدف وإيقاعاته عن إيقاعات الجاهلية. * ألا يصاحب الدف رقصُ رجال أو نساء. * أن يكون الدف مقصوراً على النساء لا يسمعهن رجل أو صبي مميز ، وهذا احتياطاً. وإن كان بعض العلماء أجاز تمايل النسوة طرباً وسط النسوة وبغير عُري أو تفسّخ أو محاكاة لرقص الجاهلية. إن مسألة الدف الآن وضُحت حكماً وهيئة وتطبيقاً. وعلى الناس أن تسأل عن الدليل كما تسأل عن الحُكم. وأوردتُ من باب احترام المخالف وإنصاف الخصم أدلة المعارضين الذين حرّموا. وأظن أن الأمر قد وضح جداً!)

أفتـــوا بحِـــل الـــدُفِ يـــا أعـــلامُ ... بضـــوابطٍ قـــد سَـــنها الإســـلامُ

لـــم يثبـــتِ التحـــريمُ حتـــى تقطعـــوا ... فالحِـــلُ حِـــلٌ ، والحـــرامُ حـــرام!

كـــلٌ بـــنص فـــي الكتـــاب مُبـــيّنٌ ... كالشـــمس ، أو كالبـــدر وهْـــو تمـــام

أو سُـــنة المختـــار ، فهْـــي بيانـــه ... إنْ صـــحّ منهـــا الـــنصُ لـــيس كـــلام

أو تـــم إجمـــاعٌ فهـــذا حجـــة ... أو بالقيـــاس بـــه الأماجـــدُ قـــاموا

مـــا بالنـــا إن جـــاء نـــصٌ قـــاطعٌ ... يُفتـــي بحِـــل الـــدف يـــا أعـــلام؟

أوَلـــيس إقـــرار النبـــي مُســـوّغاً؟ ... أم أنهـــا الأهـــواءُ والأوهـــام؟

يـــا قـــومي إيـــرادُ الـــدليل أمانـــة ... والفقـــه - فـــي ديـــن المليـــك - لِـــزام

لـــمَ تعمَـــدون إلـــى الضـــعيف ودونكـــم ... بعـــضُ الصـــحيح ، بـــه الـــدليلُ يُقـــام؟

الـــدفُ فـــي الأعـــراس لـــيس مُحرّمـــاً ... سُـــقت الـــدليلَ ، فمـــا علـــيّ مَـــلام!

إن كـــان هـــذا الـــدفُ تضـــربُه النســـا ... وســـط النســـاء ولا يُهـــز قـــوام

وبـــلا معـــازفَ حُرّمـــتْ فـــي ديننـــا ... وبـــلا مُحاكـــاةٍ لمـــن قـــد هـــاموا

والـــدف دون جلاجـــل علقـــتْ بـــه ... كـــيلا تصـــاحبَ ضـــربَهُ أنغـــام

وبـــلا كـــلام فـــاحشٍ متحلـــل ... كـــيلا تثـــار غرائـــز وغـــرام

وبـــدون تمييـــع يُـــدنسُ طهـــره ... وكأنمـــا سَـــبتِ العقـــولَ مُـــدام!

لماذا ينحرف المسار؟!

(كانت تحترم زوجها وتحبه وتحرص على طاعته. فلما صارت لها دُريهماتٌ كان هو سبباً مباشراً فيها أهدرتْ جميع حقوقه. وانحرف المسارُ حيث باتت تحتقرُه وتكرهه وتنال منه وتحرص على مخالفته ومعصيته. وتحت عنوان: (غرور المال) يقول الدكتور عكرمة صبري ما نصه: (لقد أوردت سورة القصص موضوع قارون لمعالجة مشكلة اقتصادية بأسلوب قصصي ترددت أصداؤه عبر التاريخ ومن خلال الأجيال للعظة والعبرة. وتصور لنا سورة القصص من الآية 76 حتى الآية 84 قصة ذلك الرجل الذي اتخذ المال معبوداً له وعدّه غاية الغايات ، واستغله للتسلط على الناس والغطرسة والغرور والتكبر عليهم ، فعاث في الأرض فساداً وشحّ بماله عن النفقة في سبيل الله ، وبخل بكنوزه عن مساعدة الفقراء والمحتاجين! يقول سبحانه وتعالى: (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة). لقد كان قارون هذا من قوم موسى عليه السلام ، بل من أقاربه ، ومع ذلك فقد وقف ضد رسالة موسى ، إذ أخذ يؤلب الناس على موسى ويبعدهم عنه. والملاحظ أن القرابة الدعوية لم يكن لها أثر بين موسى وقارون ، لأن الصراع العقدي فوق كل اعتبار ، حيث لا اعتبار للقرابة ولا للصداقة إذا تعارضت مع العقيدة والإيمان. ولنا من سيرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم مع أقربائه وذويه وعشيرته أوضح مثال على ذلك. مع الإشارة إلى أن قارون قد نجح في بادئ الأمر فيما يبغي إليه من مقاومة الدين الذي دعا إليه موسى عليه السلام ، وذلك لكثرة أمواله التي سخرها للتسلط والغرور والتكبر على أقربائه. وعلى الرغم من جبروت قارون وتسلطه ، إلا أنه وجد من قومه من يجهر بالحق لإيقافه عند حده فيقول عز وجل: (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين). وهاتان الآيتان الكريمتان تضمنتا ثلاثة أفعال تدل على النهي: (لا تفرح - لا تنس - لا تبغ) كما تضمنتا فعلين يدلان على الأمر وهما (ابتغ - أحسن) فقد حاول المصلحون أن يقوّموا من اعوجاج قارون بمحاسبته وردعه عن القيام بالمنكرات ، وطالبوه بالابتعاد عن الغي والغرور والبطر ، وأخذوا يُذكّرونه بأن الله سبحانه وتعالى لا يرضى عن تصرفاته الشائنة ، ويكره الفرحَ المؤدّي للبطر، وهذا واضح في قوله: (إن الله لا يحب الفرحين). والمقصود هنا الفرح للدنيا بذاتها ، فهذا الفرح يوقع صاحبه في البطر والغطرسة. وقد رسم الله عز وجل لقارون خاصة وللناس عامة طريقاً ثابتاً في مجال الحياة الدنيا بأن يوفق الإنسان بين الأمور الأخروية والأمور الدنيوية: فعليه أن يحرص على ثواب الدار الآخرة حينما يرزقه الله ملكاً ومالاً ، وفي الوقت نفسه لا يجوز له أن يهمل نصيبه من الدنيا ، بل عليه أن ينمي ثروته وأمواله بالطرق المشروعة وأن يحمد الله على نعمائه. وينبغي عليه أيضاً أن يحسن في معاملته للآخرين ، وأن يساعد من يحتاج إلى المساعدة كما أحسن الله إليه. وقد حذر الله سبحانه وتعالى قارون من أن يلجأ إلى الفساد بين أقاربه أو أن يوقع الظلم عليهم كما كان يعمل في السابق ، لأن الله رب العالمين يبغض المفسدين ولا يحبهم ، فالفساد أشد من القتل. وهذه الآيات الكريمة نزلت في حادثة خاصة تتعلق بقارون ، إلا أن معناها عام شامل للمسلمين أيضاً في كل زمان ومكان. غير أن قارون تمادى في ظلمه وعناده ولم يأبه بالتحذيرات ، فما كان منه إلا ان أجاب قومه بكلام قاس

جارح يظهر فيه الغرور ، فقد أعمتِ الأموالُ والكنوز بصيرته وأبعدته عن جادة الحقيقة والصواب. فيقول سبحانه حكاية عن قارون: (قال: إنما أوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً؟ ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون). حيث يدعي أنه استحق هذا المال الوفير عن طريق علمه ، كأنه تجاهل قدرة الله رب العالمين عليه وعلى أمثاله ممن سبقوه من الطغاة ، ولم يشكر الله على نعمائه. فكان جواب الله العلي القدير عليه بأن الله قد أهلك قبله من هو أشد من قارون قوة ، وأكثر مدداً وعدداً. فالله سبحانه وتعالى يهزأ ويسخر من المغرورين المتغطرسين ، ويخبرهم بأن عقابهم وهلاكهم سهل جداً على الله ، وهو أهون عليه من سؤالهم عن ذنوبهم).هـ. أكتب لهذه المرأة القارونية - التي اغترّتْ بمالها وتعالت وتكبرتْ على زوجها - معبراً عن مدى استيائي من مثل هذه الممارسات التي لا تليق بامرأة محترمة ترجو لقاء ربها وتطمع في جنته! وجعلتُ القصيدة على البحر العروضيّ المقتضب!)

الفـــــــــــؤادُ مبتـــــــــــئسُ ... واللســـــــــــانُ منخـــــــــــرسُ

والضـــــــــــميرُ معتكـــــــــــرٌ ... بـــــــــــالمَرار يـــــــــــأتنس

يشـــــــــــتكي مَـــــــــــن انحرفـــــــــــتْ ... ثـــــــــــم غالهـــــــــــا الشـــــــــــرس

داؤهـــــــــــا دراهمُهـــــــــــا ... والجميـــــــــــلُ منـــــــــــدرس

والحقـــــــــــوقُ قـــــــــــد سُـــــــــــلبتْ ... لا تُـــــــــــرى فتُلـــــــــــتمس

والحليلـــــــــــة انطلقـــــــــــتْ ... فـــــــــــي دروب مَـــــــــــن طَمِســـــــــــوا

يـــــــــــا حليلـــــــــــة انتبهـــــــــــي ... قـــــــــــد محـــــــــــا الســـــــــــنا الـــــــــــدلس

والعُتـــــــــــاة كـــــــــــم نشـــــــــــطوا ... والغـــــــــــواة مـــــــــــا يئســـــــــــوا

خيّبـــــــــــي مقاصـــــــــــدَهم ... فاللبيـــــــــــبُ يحتـــــــــــرس

خبّبـــــــــــوكِ دون حيـــــــــــا ... خـــــــــــابَ مـــــــــــنهجٌ دنـــــــــــس!

فـــــــــــالفِظِي بضـــــــــــاعتهم ... فالعطـــــــــــاءُ منـــــــــــتحس

والنقـــــــــــودُ ماضـــــــــــية ... حظهـــــــــــا هـــــــــــو الفلـــــــــــس

والمســـــــــــارُ منحـــــــــــدِرٌ ... والمنـــــــــــارُ منـــــــــــدمس

عقيدة بلا رصيد

(عاش صحيح العقيدة والتوحيد ، ولكنه كان مقِلاً في الأعمال الصالحة. فناشده الشاعر الإكثار من العمل الصالح ، لأنه مقرون بالإيمان (آمنوا وعملوا الصالحات). ومن الأعمال ما هو شرط صحةٍ ومنها ما هو شرط كمال. وتحت عنوان: (مقوّمات العمل الصالح في القرآن الكريم) يقول الأستاذ عبد الله الصيفي عضو رابطة علماء الأردن ما نصه: (يُعد العمل الصالح أحد أقسام الإيمان الذي عرفه العلماء بقولهم بأنه إقرارٌ بالجَنان وقول باللسان وعمل بالأركان ، ولذا فقد قرن القرآن الكريم العمل في مواضع كثيرة بالصلاح ليرشدنا أن العمل المعتبر عند الباري عز وجل هو العمل الصالح حيث قال تعالى: "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا". وقد أقسم الله تعالى أن الناس في خسارة إلا من تحققت فيه خصال ذكر منها العمل الصالح كما جاء في سورة العصر ، حتى أن الإمام الشافعي قال فيها: (لو لم ينزل من القرآن غيرها لكفت الناس) ، ولذا اشترط العلماء للعمل الصالح ثلاثة شروط حتى يقبل عند الله تعالى. * أولها: الإسلام فإنه الأساس الذي يقوم عليه العمل مصداقاً لقوله تعالى: "وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا" ، وقال جل شأنه: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ". فالعمل الصالح الذي لا ينبثق عن عقيدة صحيحة مثله مثل السراب في الصحراء ، فهو يشكل صورة وهمية للماء ولا يغني من الماء شيئاً. وقد ضرب الله لهم مثلاً آخر في سورة إبراهيم فقال: "مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ" ، ولذا كان العمل الصالح يأتي بعد ذكر الإيمان ، فالإيمانُ سابقٌ على العمل الصالح ومقدّم عليه ، فنقرأ كثيراً آمنوا وعملوا ، وفي ذلك إشارة واضحة على أهمية الإيمان في العمل الصالح. * الثاني: الصواب ، نعني به موافقة العمل للتشريع ، فنقوم بالعمل على الوجه الذي أراده الله تعالى منا وبالكيفية التي بينها الله عزوجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، لذا وصف العمل المنجي عند الله بالصالح ، وقد طلب منا النبي صلى الله عليه وسلم أن نصلي كما يصلي فقال صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي". وقال:"خذوا عني مناسككم". فالعمل ينبغي أن يكون بالكيفية التي أرادها الله تعالى ، فلا يقبل أن يجتهد أحد ليخرج لنا نوعاً جديداً من العبادة لم يأت النص عليه. فنحن مأمورون في سيرنا إلى الله تعالى أن نسير على خطى الحبيب صلى الله عليه وسلم قال تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم". * الثالث: الإخلاص ، وهو صرف العمل لله تعالى دون إشراك أو رياء أو ابتغاء أي شيء أو عرض من الدنيا فلا نقوم بالعمل إلا ابتغاء وجه الله تعالى ، حيث ذكر الله تعالى هذا الشرط في الآيات السابقة بقوله: "ولا يشرك بعبادة ربه أحداً". وقال تعالى في أولئك الذي أطعموا المسكين واليتيم والأسير أن الباعث على الإطعام كان لوجه الله تعالى ، حيث قال تعالى: "ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعِمُكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً و لا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً". فعندما كان العمل صواباً ومن أهل إيمان وخالصاً لوجه الله تعالى تقبله الله وكان القبول سريعاً حيث قال تعالى: "فوقاهم" وجاءت الفاء لتدل على الفورية والسرعة في قبول هذا العمل

من هؤلاء المؤمنين الصالحين المخلصين لربهم. والله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك كما جاء في الحديث الصحيح فمن عمل عملاً أشرك فيه مع الله غيره تركه الله تعالى وشركه).هـ. وتحت عنوان: (العمل الصالح) يقول الأستاذ يسري صابر فنجر ما نصه: (إن العمل الصالح سفينة النجاة في بحر الدنيا المتلاطم الأمواج المختلط بالفتن والأهواء ، العمل الصالح أنيس الوحشة في القبر والقرين بعد أن ذهب الأهل والأصحاب ، والمال والبنون ، بالعمل الصالح فاز الصالحون وإليه طمح الفائزون ، بالعمل الصالح تتنزل الرحمات ، وبه تنال البركات ، وبه يحصل الحفظ والرعاية ، والأمن والوقاية ، به يثقل الميزان يوم القيامة يوم لا دينار فيه ولا درهم ، العمل الصالح يشفع لصاحبه في الدنيا والآخرة ، فثمرة العمل الصالح عاجلة وآجلة).هـ. أكتب في هذا من المنسرح.)

اعمـــــلْ لترقـــــى العقيـــــدة ... والـــــنفسُ تغـــــدو ســـــعيدة

وامهـــــدْ لنفســـــك دومـــــاً ... حتـــــى تكـــــون حميـــــدة

وأرضِ ربَّ البرايـــــــــــا ... بالصـــــــالحات المجيـــــــدة

والخيـــــرَ فافعـــــلْ ، وأحســـــنْ ... وأتِ الفعـــــالَ الرشـــــيدة

واهجـــــرْ أمـــــوراً تـــــدنتْ ... وقـــــد تضـــــرّ العقيـــــدة

إيمـــــانُ قلبـــــك يرجـــــو ... مِـــــن التســـــامي مزيـــــده

فخـــــلّ عنـــــكَ الأمـــــاني ... والفلســـــفاتِ الشـــــريدة

إيماننـــــا يـــــا رفيقـــــي ... واعلمـــــه مـــــن ذي القصـــــيدة

وادرس معـــــى باجتهـــــادٍ ... إيماننـــــا وبُنـــــوده

قـــــولٌ سَـــــما بلســـــانٍ ... وبالشـــــفاهِ الشـــــهيدة

ثـــــم اعتقـــــادُ جنـــــان ... ينفـــــي الشـــــكوكَ الطريـــــدة

وبعـــــدُ أعمـــــالُ خيـــــر ... مثـــــلُ القصـــــور المَشـــــيدة

تُوافـــــقُ الشـــــرعَ حتمـــــاً! ... تمحـــــو الـــــذنوبَ المَزيـــــدة

للعبـــــد ذي خيـــــرُ ذُخـــــر! ... تُرْبـــــي بخيـــــرٍ رَصـــــيده

عابدٌ مفترىً عليه

(كثيرون من يَنسبون الحسن البصرى – رحمه الله – إلى الصوفية والمتصوفين الغُلاة. وإنما كان البصرى عابداً فذاً زاهداً بصيراً بالسُنة لا يزيد. ولم يكُ من التصوف وأهله في شئ! ومن هنا دافعتُ بالشعر عن العابد المفترى عليه! يقول الأستاذ الَمُعتَصَمَّ باللَّه أبوُ الحَسَن تَركَيّ بَنْ الحَسَن الدَّهمَانيَّ في (الزخرف القصْري في مناقب الحسن البصْري) ما نصه: (إن تَتَبَّع سَيْر الصَّالِحِين تهَذَّيبُ للنُفوسِ ، والْبَصْرِيّ وَاحِدُ مَن أُولَئِكَ الَّذِين يُقْتَدَى بَهْم ، فَقَد كَان النَّاس فِي زمَنه يَجْلِسُون إِلَيْه ، وَيَسْتَمِعُون إِلَى مواعظه البَليغة ، بَل إن بَعْضَهُم قَد تَفُوتَهُ هَذِه الدُرُوس فيَسأل مَن اسْتَمَع إِلَيْها. وَقَد عُرِفَ عَنه الْفَصَاحَة وَسُرْعَة البَدِيهَة ، سُرْعَة الْإِجَابَة فِي الْمَسْأَلَة ، وَقَد كَان عُمَر بَن عَبد الْعَزِيز شَدِيد الُحبّ لَه لَمَا ، فكَان يُكَاتِبَهُ وَيَطْلُبُ إِلَيْه مَناصحتهِ وَمَوْعِظَتِه).هـ.)

لا لـــــن أمُـــــنّ بتبييـنـــــي وإيضـــــاحي ... فـــــالأمر خُـــــصّ بأفـــــذاذٍ وشُـــــرّاحِ

والعبقـــــريّ - علـــــى التوحيـــــد - منهجُـــــه ... ولـــــيس يحتـــــاجُ مِـــــن مثلـــــي لأمـــــداح

كـــم جاهـــد الفـــذ أهـــلَ الزيـــغ محتســـباً! ... وردّ تضـــــليل أهـــــل الفســـــق والـــــراح!

وعَلـــمَ النـــاس ، لـــم يبخـــلْ بمعرفـــةٍ! ... وخـــصّ مـــا استفســـروا عنـــه بإيضـــاح!

ولـــم يكـــن ذلـــك (البصـــريّ) مبتـــدعاً ... ولـــم يُقـــمْ مَولـــداً - حاشـــاه - فـــي الســـاح

ولـــم يبـــعْ - لـــذوي الســـلطان - مِلتـــهُ ... ولـــم يُقـــرّ لمـــن ضـــلوا بإصـــحاح

ولـــــم يُؤصّـــــلْ لأورادٍ مُلفقـــــةٍ ... تُتلـــى بإمســـاءِ مَـــن تـــاهوا وإصـــباح

رأيـــتُ - فـــي (الحَسَـــن البصْـــري) - مدرســـة ... تســـعى لنشـــر الهُـــدى وبســـط إصـــلاح

قـــد نـــال منـــه الألـــى – والله – مـــا فقهـــوا ... وســـار أشـــياخهم مســـيرَ أشـــباح

قـــد افتـــرَوْا كـــذباً علـــى مُعلمنـــا ... ومـــن أضـــاء الـــدجى - صـــدقاً - كمصـــباح

وعاقـــب اللهُ مـــن ينـــال سُـــمعتهُ ... مِـــن كـــل مُجتـــرئ معربـــدٍ لاحـــي

إن الـــذى خلـــف (البصـــريّ) مِـــن كتـــب ... غـــذاءُ أفئـــدةٍ تســـمو وأرواح

فلـــن يُضـــار بمـــا يقـــول مَـــن هزلـــوا ... وهـــل بَنـــاتُ الثـــرى تُـــزري بـــأدواح؟

يـــا أيهـــا (الحســـنُ البصـــري) نحْـــنُ لهـــا ... نـــذودُ عنـــك بشـــعر – جـــدٌّ – صـــدّاح

رؤياك

(عاش ذلك الرجل مأزقاً عجيباً في بيته ، فدعا الله عز وجل ثم نام. فرأى أباه في المنام يرشدُه وينصحُه ، فقام في الصباح ، وفعل ما أمره به أبوه ، فجاء اليُسر وفرّج الله عنه. ورؤية الأب في المنام ممدوحة! ومن هنا رحتُ أنشد حكاية بالشعر عن ذلك الرجل وهو يتحدث لأبيه! في صحيح مسلم: (عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «لاَ يَجْزِى وَلَدٌ وَالِدًا إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ ». وَفِى رِوَايَةِ ابْنِ أَبِى شَيْبَةَ « وَلَدٌ وَالِدَهُ ». وفي مسند أحمد وغيره (أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يُخَاصِمُ أَبَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا قَدِ احتَاج إِلَى مَالِي فَقَالَ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ». وفي سُنن ابن ماجه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «إِنَّ أَوْلاَدَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ فَكُلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ». وليس أحلى في حق الوالدين من الإحسان إليهما!)

جُبْـت المسـافاتِ عبْـرَ الليـل محتسـبا ... لكـي تُناصـحَ مَـن فـؤادُه اضـطربا

وذقـتَ مـا ذقـت مـن سـعي ومـن نصـب ... تقبّـلَ الله منـك السـعيَ والنصَـبا

وجئـت تُرشـد مَـن كَلـتْ بصـيرتهُ ... فنـام - مِـن ثقـل البلـواء - مكتئبـا

وبـات يشـكو - إلـى الـرحمن - حيْرتـه ... وشَـعرُ لحيتـه - بدمعـه - اختضـبا

يبكـي مِـن الضـنكِ قـد طمّـتْ دغاولـه ... وقلبُـه - مـن أسـى شـجونه - انتحبـا

وظنـه أن رب النـاس مُنقـذه ... وسـوف يَصـرفُ عنـه الضـيقَ والنوَبـا

حتـى أتيـت فزالـت كـل كارثـةٍ ... فقـد وجـدتك فيمـا قـد لقيـت أبـا

أشـرت بـالرأي - بعـد الـلأي - مُجتهـداً ... فاغتـال رأيُـك - مِـن مَشـاعري - الكُربـا

فبـتُ أدعـو - لـك المليـك - مرتجيـاً ... غفـرانَ ذنبـك إذ جنبتنـي التعبـا

إذ فـرّج الله مـا عانيـتُ مـن غَصـص ... وثبّـت الله قلبـاً خائفـاً لجبـا

رؤيـاك كانـت - مـن القيـوم - ميسـرةً ... فبـاركَ اللهُ مَـن قـد جـاء محتسـبا

قـد جـاء يحمـل عِبئـاً ضـجّ حاملـه ... وعـاش مـا عـاش فـي الـدنيا أبـاً حَـدِبا

طـوى الفيـافيَ - عبْـرَ الليـل - محـتملاً ... وَعْثـاءَ سـفْر يزيـدُ الهـمّ والوصـبا

عافـاك ربـي مـن البلـواء تعصِـرني ... فـي غربـةٍ تحْـرقُ الأبـدانَ والعَصَـبا

مَن قتل هؤلاء؟

(ما إن تظهر كوكبةٌ من العلماء المسلمين العرب أعني علماء الجيولوجيا أو البيولوجيا أو الطب أو الفلك أو الذرة أو الكيمياء أو الفيزياء ، أو ما يشبهها إلا وتذهب ولا تعود ، أو تُقتل في ظروف غامضة. وأمثلة أوردها لهؤلاء صاحب كتاب (مرحباً بطالب العلم) الأستاذ / ماهر فرج عمارة ص199 ، 200 في كتابه! وأنا أسأل: مَن قتل هؤلاء؟ ومَن المستفيد مِن قتلهم؟ ولماذا يُقتلون هكذا بدم بارد؟! يقول ابن غوريون: "نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة ، نحن فقط نخشى الإسلام هذا المارد الذي نام طويلاً ، وبدأ يتململ من جديد". ويقول أيضاً: "إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمدٌ جديد". ويقول بيريز - رئيس وزراء صهيوني سابق -: "إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه! ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد". وزعماء أوربا يصرّحون بأن الإسلام هو الذي يقف في وجه سيطرتهم على الشرق. يقول جلادستون - رئيس وزراء بريطاني سابق -: "ما دام القرآن موجوداً في أيدي المسلمين ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق"! أكتب في هذا وعلى البحر العروضي الخفيف أقول:)

العيـــونُ منهـــا الـــدموعُ تســـيلُ ... لقضـــــايا يُغتـــــالُ فيهـــــا الـــــدليلُ

ألهـــذا الحـــدّ الوضـــيع وصـــلنا؟ ... لـــيس يَـــدري اليـــراعُ مـــاذا يقـــول!

إن للحقـــــد صـــــولةً لا تبـــــارى ... والحـــديثُ - عـــن التشـــفي - يطـــول

والحَســـــودُ نيرانـــــه أحرقتنـــــا ... والمصـــابُ – صـــدقاً - رهيـــبٌ وبيـــل

أعلينـــا يـــا غـــربُ تحتـــالُ دومـــاً ... وتصـــولُ فـــي دارنـــا ، وتجـــول؟

تقتـــلُ الأفـــذاذ المغـــاويرَ غـــدراً ... ففتيـــلٌ يمضـــي ، ويـــأتي قتيـــل!

علمـــاءٌ تبكـــي العلـــومُ علـــيهم ... كـــل فـــذٍ لـــه رؤىً ومُيـــول

شـــارَكوا فـــي صُـــنع الحضـــارة قطعـــاً ... واســـتنارتْ بمـــا أضـــافوا العقـــول

قتلـــوهم حتـــى نظـــل أســـارى ... ثـــم يحلـــو – للكـــافرين - الوصـــول

ثـــم يبقـــى الرقـــيّ حِكْـــراً علـــيهم! ... هـــل دعـــاة التقـــوى قطيـــعٌ جهـــول!

لُعبـــة هـــذي لغزهـــا لا يـــوارى ... واحتيـــالٌ آثـــارُه لا تـــزول

والمليـــكُ يومـــاً ســـيثأرُ مـــنهم ... ووراء الكُفـــار يـــومٌ ثقيـــل

بُهلول الشام

(البهلول في لغتنا العربية هو السيد العظيم المطاع ذو الشأن والسؤدد والمكانة في قومه. وليس كما يتصور كثير من الناس اليوم أنه الأبله الذي رفع عنه التكليف أصلاً. حيث إنه إذا فقد إنسان مناط التكليف (العقل) لا يكون بذلك فرداً عاقلاً بل هو مجنون معتوه. المهم أن أحد البهاليل العِظام هناك في بلاد الشام كان قد أرسل رجلاً ليشتري له زيتاً بدينارين ، فلما ذهب الرجل اشترى من أحد الباعة النصارى ، فأجزل له العطاء ، إذ أعطاه ما هو بدنانير أربعة قيمة بدينارين اثنين كرامة للبهلول (بهلول الشام كما تعارف الناس على هذه التسمية) ، وتبرّكاً بدعائه على حد تعبير البائع النصراني. فلما جاء الرجل بالزيت إلى البهلول أرسل لقمته ليطعم من الزيت ، فإذا هو زيت طيب حلو المذاق. فسأل: من أين هذا الزيت؟ فأخبره الرجل أنه من حانوت أحد النصارى ، وأنه أعطاه ما هو قيمة أربعة دنانير بدينارين كرامة لبهلول الشام. فقال البهلول في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: اذهب وائتني يا هذا بالدينارين ، فإنني أخشى كلما امتدت يدي ، وأكلت من هذا الزيت أن يرضى قلبي عن النصراني ، فأكون ممن قال الله فيه: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله...)! فأعجبتني هذه القصة فأنشدتُ على البحر الخفيف هذه القصيدة معنوناً لها بـ (بهلول الشام). متغنياً بهذا الموقف! قال الله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}. ويقول تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإن تَوَلَّوْاْ فإن اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}. وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ}. وقال: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ). وقال: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. وقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}. وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}. وقال: {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}. ويُبين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: فيما روى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البَجَلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه على أن: " تَنْصَحُ لِلْمُسْلِمِ ، وَتَبْرَأُ مِنَ الْكَافِرِ". وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: "من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرُم ماله ودمه وحسابه على الله". وقوله: "إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ". أخرجه أحمد. وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ». متفق عليه.)

إن صـــدق الإيمـــان ذخـــرٌ عظـــيمٌ ... وبنـــور الإســـلام تزكـــو العقـــول

والـــولاءُ - للمـــؤمنين - منـــارٌ ... فهْـــو نجـــمٌ لا يعتريـــهِ أفـــول

والبَـــرا مِـــن أهـــل الضـــلال يُنْجّـــي ... وهْـــو صـــدقاً - علـــى اليقـــين - دليـــل

إن هـــذا - فـــي الـــدين - أصـــلٌ أصـــيلٌ ... وبهـــذا قـــد جاءنـــا التنزيـــل

والبهاليـــلُ ربنـــا يصـــطفيهم ... ولـــه إنعـــامٌ علـــيهم جزيـــل

يؤمنـــون بـــالله ، والشـــرعُ زادٌ ... ولهـــم - فـــي جـــنح الـــدجى - ترتيـــل

ولهـــم - فـــي الليـــل البهـــيم - صـــلاة ... واعتبـــارٌ يرقـــى بـــه التهليـــل

ولهـــم برهـــانٌ يُجَلـــي تقـــاهم ... وإلـــى مـــولاهم – لهـــم - تبتيـــل

والمليـــكُ الـــرحمنُ كـــم يبتلـــيهم! ... والثبـــاتُ - عنـــد الـــبلاء - جميـــل

عنـــدما عشـــتُ القصيصـــة هـــذي ... قلـــت: حـــاز المناقـــبَ البُهلـــول

وطـــيء العليـــا بالمعـــالي احتســـاباً ... وبلـــوغ العليـــاء مجـــدٌ أصـــيل

لـــم يُـــراهنْ - كـــلا - علـــى الـــدين يومـــاً ... حيـــث للـــدين عنـــده التفضـــيل

جـــرّدَ الـــنفسَ مِـــن حُظـــوظ هواهـــا ... واللبيـــبُ - للهـــزل - لـــيس يميـــل

آثـــرَ الجـــوعَ عـــن نـــوال النصـــارى ... والـــذي يُرضـــي بطنـــه مقتـــول

أرجـــعَ الزيـــت غيـــرَ بـــاكٍ عليـــهِ ... لـــم يعقـــه - عـــن عزمـــه - تمهيـــل

كـــان يخشـــى ســـوءَ الظنـــون بعبـــدٍ ... مُبتغـــاه - عنـــد المليـــك - القبـــول

إنـــه الـــدرسُ للـــذين استســـاغوا ... كـــل زيـــفٍ يعنـــو لـــه التضـــليل

لـــيس شـــيءٌ مـــن العقيـــدة أغلـــى ... والتـــزامُ التوحيـــد نِعـــم الســـبيل!

ليس هذا مكانك!

(ذهب إلى السينما بلحيته الكَثة ومظهره الشرعي ، استجابة لوساوس الشيطان ونزولاً عن رغبةٍ دنيئةٍ ونزوةٍ جامحةٍ طائشةٍ ، فإذا بأحد روّاد السينما يغار عليه وعلى لحيته رمز الطهر ، من عفن ودنس السينما. فقال له في حرص وإشفاق: أعطيك أضعاف ثمن تذكرة السينما ، وارحل من هذا المكان ، إذ ليس يليق بك وبأمثالك أبداً. نعم ارحل ولك الأجر من الله تعالى. ارحل ولا تؤد شهادة عملية إقرارية على ما نحن فيه كيلا تكون لغيرك فتنة. ارحل ودع هذا لمن استزله الشيطان ببعض ما كسب حتى زين له سوء عمله فرآه حسناً. ارحل من هذا المكان فوراً ولك الأجر ، وأحتسب لك على الله الكريم الجواد أن يؤتيك أجرك مرتين: الأولى لخوفك منه واتباعك أوامره والثانية لدعوة غيرك إلى اتباع المنهج الحق. ارحل ولا تؤد شهادة على فشل دينك وصلاتك (وحاش لله أن يفشل الدين والصلاة!) أنهما لم ينهياك عن المنكرات التي أعتاها السينما. ارحل واتخذ المسجد بيت الله بديلاً عن بيت الشيطان! فاستجاب الأخ الكريم أمام إلحاح أحد رواد السينما الذي كنت أتمنى أن أصفه بالأخوة والكرم. فهدى الله من دعا ، وبارك فيمن استجاب. وأكتب في هذا الموقف مُوصِياً! يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الإِسلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلغُرَبَاءِ. قِيلَ: مَن هُم يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذِينَ يَصلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ). أخرجه أبو عمرو الداني في "السنن الواردة في الفتن". من حديث ابن مسعود ، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة". وأصل الحديث في صحيح مسلم. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ ، - وَزَادَنِي غَيْرُهُ – قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ). رواه أبو داود والترمذي ، وقال: حديث حسن ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وفي بعض روايات الحديث قال: (هم الذين يُحْيون سنتي ويعلمونها الناس). ويقول الشيخ صالح الفوزان في "المنتقى": "يجب عليك الالتزام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمحافظة عليها ، وأن لا تلتفت إلى عذل من يعذلك أو يلومك في هذا ، خصوصًا إذا كانت هذه السنن من الواجبات التي يجب التمسك بها ، لا في المستحبات ، وإذا لم يصل الأمر إلى التشدد ، أما إذا كان الأمر بلغ بك إلى حد التشدد فلا ينبغي لك ، ولكن ينبغي الاعتدال والتوسط في تطبيق السنن والعمل بها من غير غلو وتشدد ، ومن غير تساهل ولا تفريط ، هذا الذي ينبغي عليك).هـ. وإحدى فتاوى (نور على الدرب) للعلامة ابن باز عندما سُئل: (هل يجوز دخول السينما والمسرح اليوم؟) فأجاب ما نصه: (هذا فيه تفصيل: إن كان المسرح والسينما فيها شيء ينفع المسلمين ويوافق الشريعة كمسرح فيما يتعلق ببيان الحق ونشر الحق وبيان ما درج عليه سلف الأمة ونحو ذلك ، أو سينما لإيضاح الحق في مسائل تهم الناس ليس فيها عُرْيٌ ولا فساد ولا اختلاط ولا أغاني ولا شبه ذلك من المنكرات فلا بأس ، إذا كانت خالية مما حرم الله وإنما أقيمت لمصلحة إسلامية أو لمصلحة مباحة كإبانة صناعة نافعة أو أشياء مما تهم المسلمين وتنفعهم في دينهم أو دنياهم بلا محذور ، من دون وجود اختلاط رجال بنساء ومن دون أغاني وملاهي ومن دون شيء محرم. أما السينمات المعروفة والمسارح المعروفة التي فيها الاختلاط للرجال والنساء أو فيها الأغاني والملاهي أو فيها عُرْي النساء أو فيها ما غير ذلك مما حرم الله فهذا منكر لا يجوز ، لا يجوز دخولها ولا

المجيء إليها ولا الرضا بها بل يجب إنكارها. ويسأل عن الفيديو والسينما وما حكم ذلك ، وعن الموسيقى في مقام آخر فيقول: هذه الآلات الفيديو والسينما فيها خطر عظيم ، ولكن إذا كان الفيديو لم يشتغل إلا على أشرطة سليمة ليس فيها محذور شرعاً لا نساء عاريات ولا أغاني وملاهي ولا غير ذلك إنما هي أشرطة سليمة تنفع العبد في دنياه وأخراه فلا بأس ، وهكذا السينما لو وجد شيء سليم ليس فيه ما يخالف الشرع المطهر لم يكن فيها بأس ، ولكن لما كان المعروف من الناس الآن أن السينما تجمع شراً كثيراً وهكذا الفيديو في الغالب تسجل فيه الأغاني والملاهي والنساء الكاسيات العاريات وشبه ذلك حرم ذلك. فالحاصل أنها حرّمت لما فيها من الشر ولما يكون فيها من الشر ويعرض فيها من الباطل ، فلو وجد فيديو سليم أو سينما سليمة ليس فيها ما يخالف الشرع المطهر لم تحرم ، ولكن بسبب ما يقع فيها من الشرور والفساد والصور العارية والاجتماع على الأغاني والملاهي حرمت بسبب ذلك ، وهكذا الموسيقى لأنها من آلات الملاهي فلا يجوز تعاطيها. وهناك إجابة أخرى عن شبهات المطالبين بالسينما: فلقد عرض المتمحسون للسينما الداعون إليها المدافعون عنها عدداً من الشبهات في تسويغها والتهوين من شأنها أسوقها مع الإجابة عنها: الشبهة الأولى : أنه لا فرق بين التلفزيون في البيوت والسينما في صالات العرض! فبما أننا سمحنا بالأول فلنسمح بالثاني! وهذه الشبهة باطلة من وجهين : * الوجه الأول: لا يصح أن يقال أن كل ما يعرض في شبكات التلفزة المحلية منها والفضائية محل قبول ورضا وإقرار من العلماء والدعاة الأفذاذ والصالحين فكثير من الأفلام والمسلسلات والبرامج وهكذا الأغاني وظهور النساء متبرجات سافرات لا يرضاه كثير من الناس فضلاً عن العلماء والدعاة! وفتاوى العلماء أكثر من أن تحصر في تحريم ذلك! وعليه لا يصح الاستدلال بواقع الناس - وهو كون التلفزيون في أكثر البيوت - على صحة وجواز كل ما يعرض فيه ، فلا يقضى بالواقع وضغطه والمنكر وانتشاره على أحكام الشريعة التي تبقى كما هي ولو خالفها الناس كلهم ، ولا يقول بخلاف ذلك من عنده أدنى علم بالشريعة. * الوجه الثاني: أظن أن قياس التلفزيون على السينما قياس مخل مستهجن وفيه تبسيط للموضوع نابع من عدم إدراك الفرق بين عرض الأفلام في صالة السينما وبين عرضه على شبكات التلفزة. ومعلوم أن السينما منذ وضعت إلى يومنا هذا وهي مرتع للرذائل ومستنقع للفواحش وأن من حاول تحويلها عن مرادها لتحمل أفكاراً تنفع الناس من الوطنيين والقوميين والإسلاميين قد فشلوا فشلاً ذريعاً ، لأن القائمين عليها والممولين لها في العالم لا يريدون ذلك ولأنها لا تنجح إلا بالإثارة ، ورُكنا الإثارة فيها هما العنف والجنس ، والذي لا تقيده قيود الشريعة سيكون أكثر إثارة وسيطرة على الجمهور من المقيد بقيود الشريعة. والسينما تختلف من جهة خطورتها عن التلفزيون من جهات ثلاث: * الأولى: أن في إنشاء صالات السينما وعرض الأفلام المحرمة فيها واجتماع الناس عليها مع ما يصاحبها من الدعاية لها في الشوارع مجاهرة بالمنكر ودعوة إليه وتهوين وقعه على القلوب بخلاف من استتر في بيته فلا يعلم الناس ما يشاهد. بل إن فيها تجرئة العامة على المنكرات واستساغتها لأن الناس يعلمون أن رواد السينما يشاهدون الأفلام المعروضة فيها ومحتواها معلوم من الدعاية إليها ، وكان أكثر الناس ولا يزالون يزعمون أن الفضائيات التي في بيوتهم هي لأجل الأخبار أو الرياضة ، ويتبرأون من مشاهدة ما فيها من رقص خليع وأفلام ماجنة ولو كانوا يشاهدونها ، ومعلوم أن المجاهرة بالمنكر شر من إخفائه وستره. وبقاء الناس مقارفين لبعض آثام النظر وهم يستخفون بها ويخجلون من غيرهم أن يعلموا عنهم خيرٌ من كسر

هذا الحاجز وتجرئتهم على المنكرات! ومن شاهد أحوال البلاد التي انتشرت فيها السينما يعلم معنى هذا الكلام. * الثانية: أن الفرق هائل بين مشاهدة الفيلم في صالة العرض السينمائي وبين مشاهدته في التلفاز ، ودليل ذلك أنه مع انتشار قنوات الأفلام العربية والأجنبية ووصولها إلى البيوت مجاناً فإن جمهور الصالات السينمائية لم يعزفوا عنها وهي وجمهورها في ازدياد مطرد سواء في الشام ومصر أو في بلاد الخليج المجاورة! والذي يحضر السينما يستسلم بالكامل لأحداث الفيلم ولا يشغله عنه شئ ، لأنه إنما جاء لأجله بخلاف الذي يشاهده خلف الشاشة ويشغله عنها ما يشغله. * الثالثة: أن دعاة إنشاء صالات للسينما في المملكة لن يتوقفوا عند مجرد الأفلام فيها بل هي خطوة أولى لمشروعات من الإفساد متعددة لا يعلم مداها إلا الله تعالى. ومن هذه المشاريع: # أن جلب الأفلام السينمائية العالمية أو العربية يسبقه ويصاحبه حملة من الدعايات تمتلئ بها الشوارع ولوحات الإعلانات الكبيرة تحوي صور الممثلين والممثلات ومن رأى الدعايات في مصر ولبنان وبعض دول الخليج لبعض الأفلام عرف ذلك ، حتى أن الدعاية أحياناً تكون بحجم بناية كاملة وفيها من صور العُري والتهتك ما يخجل الأسوياء وهذا من أعظم المجاهرة بالمنكرات. # أن السينما بوابة عريضة للاختلاط كما هو واقع في الدول الأخرى ، وإن بدئت بمنع الاختلاط فإنها ستنتهي بتكريسه إذ الدوافع للاختلاط فيها أكثر من غيرها سواء في دراستها أو في صناعتها أو في حضور عرضها. # أن إيجاد صلات لعرض السينما في المملكة يقود إلى الدعوة لصناعتها محلياً - وهو ما يسمى بتوطين السينما – ولا سيما في زمن رفع الشعارات الوطنية - وهو ما حصل في مصر التي سبقتنا في السينما وصناعتها ، فإنها ابتدأت أجنبية إلى ان جرّوا الناس إليها وأفسدوهم بها ، وجعلوها وطنية بمضامين الأجانب وأفكارهم وأخلاقهم. # أن صناعة السينما تتطلب معاهد وجامعات وأكاديميات متخصصة في ذلك وبعثات للبنين والبنات لدراسة ما تحتاجه السينما من تمثيل وتصوير وإخراج وغيره كما حصل في مصر. # في وقت البطالة وشح الوظائف سيقتنص شياطين السينما كثيراً من الشباب والفتيات لتشغيلهم في صناعة السينما ويغرونهم بالشهرة والمال ليكونا طليعة المفسدين يقدمونهم قدوات لأبناء المسلمين وبناتهم كما هو الحال في مصر والشام. # ستكون الحاجة ملحة حين نخرج رعاعاً من صُناع السينما - ممثلين ومصورين ومخرجين - لأن تتبنى الدولة إنشاء مدن متكاملة لصناعة السينما على غرار المدن الرياضية لما انتشرت الرياضة ومصر التي يكدح أهلها نهارهم للكفاف بُني فيها مدن سينمائية واستديوهات ضخمة بدل المشاريع التنموية التي تنفع الناس).هـ. وسؤال آخر: هل مشاهدة المسلسلات ، والأفلام حرام أم حلال؟ وأيضا سماع الأغاني هل هو حرام أم حلال؟ فكان جواب ابن باز: (* أولاً: أوجب الله تعالى على المسلم أن يحفظ جوارحه عن فعل المحرمات ، وهذا الحفظ لتلك الجوارح يدخل في شكر تلك النعَم الجليلة التي أنعم الله بها على عباده ، وقد توعَّد الله تعالى مصرِّف تلك النعم في المعاصي بالوعيد الشديد ، ومن أهم تلك الجوارح: سمعه ، وبصره ، وهما طريقاه إلى تلف قلبه ، وفعل الفواحش المنكرة ، والكبائر المُردية ، وأعلمنا تعالى أنه سائلنا عن ذلك يوم نلقاه فقال تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً). قال ابن القيم رحمه الله: الجوارح السبعة وهي: العين ، والأذن ، والفم ، والفرج ، واليد ، والرِّجل: هي مراكب العطَب والنجاة ، فمنها عطبَ مَن عطبَ بإهمالها ، وعدم حفظها ، ونجا مَن نجا بحفظها ، ومراعتها ، فحِفْظها أساس كل خير ، وإهمالها أساس كل شر ، قال تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

ويحفظوا فروجهم). "إغاثة اللهفان". وفي الجمع في الآية الكريمة بين غض البصر وحفظ الفرج إشارة إلى أن غض البصر سبب لحفظ الفرج ، وأن إطلاق البصر ، سبب للوقوع في الفاحشة. وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ). وفي رواية لمسلم: (فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ). رواه البخاري ومسلم. قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: ومحل الشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم (فزنى العين النظر) ، فإطلاق اسم الزنى على نظر العين إلى ما لا يحلّ: دليل واضح على تحريمه ، والتحذير منه ، والأحاديث بمثل هذا كثيرة معلومة. ومعلوم أن النظر سبب الزنى ؛ فإنَّ مَن أكثر مِن النظر إلى جمال امرأة - مثلاً -: قد يتمكن بسببه حبّها من قلبه تمكّنًا يكون سبب هلاكه - والعياذ بالله - ، فالنظر بريد الزنى. "أضواء البيان". * ثانياً: ما يُشاهد في المسلسلات والأفلام والتمثيليات من تبرج النساء التبرج الفاضح ، ومن ميوعتهن ، وتكسرهن ، ورقصهن ، وغنائهن: كل ذلك من المحرمات في دين الله تعالى ، ومن أسهل الطرق لتربع الشيطان على قلب المشاهد ليسكن فيه ويفرِّخ ، ومن ثمَّ يستلم زمام القيادة ، ليوجهه وأعضاءه حيث يكون سخط الرب تعالى. والحديث السابق في (أن زنى العين النظر ، وزنا الأذن الاستماع) ينطبق على هذه المشاهدات بلا ريب. ولا ينبغي لأحدٍ أن يجادل في الآثار السيئة لتلك المسلسلات والأفلام على المجتمعات عموماً ، وعلى الشباب والشابات خصوصاً ، حتى إن الممثل ليفتن المرأة المتزوجة فتتعلق به ، وتهدم بيتها بيدها! وحتى إن الشباب ليتعلقون بالممثلات الجميلات فيتركون لأجل ذلك الزواج الحلال للبحث عن المتعة الحرام ، أضف إلى ما قد يكون في تلك المعروضات من إخلال بالعقيدة الإسلامية ، وتعليم العنف ، وتسهيل الجريمة ، والجرأة على شرب الخمور ، وصحبة الأجنبيات ، وغير ذلك من الآثار السيئة. وبما سبق يُعرف أن الحكم الشرعي لسماع الموسيقى ، ورؤية الأفلام ، والمسلسلات ، التي تعرض في القنوات العامة والخاصة: أنه لا شك في حرمة عرضها ، وحرمة مشاهدتها ، واستماعها. إلى غير ذلك من المفاسد الكبيرة التي يجرها إقرا السينما ولذا فانه يتوجب على عقلاء الناس رد السفهاء عن هذا الباب من الفساد والدمار الفكري والأخلاقي الذي يطل برأسه عليهم. ويُراجع في ذلك كتاب: (السينما تاريخها وحقيقتها ومفاسدها لابراهيم بن محمد الحقيل).هـ.)

تمسّكْ بشرع النبي الرسولْ ... ولا يضحكنّ عليك الفضولْ

وعشْ للعقيدة ، لا تنحدرْ ... إلى درَك التيه ، بئس السبيل!

وكنْ - في أمورك - مستبصراً ... بدين المليك الرحيم الجليل

وحاذرْ من الكيد قد حاكه ... عدوٌ عليك - به - يستطيل

وراجعْ ضميرك يا صاحبي ... فموتُ الضمائر موتُ العقول!

وأحسنْ لتدرك ما تشتهي ... وعند الإله تنالُ القبول

وخل السفولَ لأربابهِ ... فمثلك ليس له في السفول

ودعْ مَن تعزي بأوحاله ... وبات يُضلل مَن يستميل

وحكّمْ فؤادك فيما ترى ... فإن الفؤاد لديه الدليل

لماذا تفضّل جُنح الدجى ... وبين يديك السراجُ الجميل؟

لماذا يَغرّك حرّ اللظى ... وفي بيت ربك ظلٌّ ظليل؟

لماذا تميل إلى هزلنا؟ ... وهل عاقلٌ - للضلال - يميل؟

لماذا تسير على دربنا ... ونحن نعاني العذابَ الوبيل؟

لماذا تحنّ إلى نارنا ... وقد أحرقتنا ، وطال العويل؟

لماذا تصرّ على رغبةٍ ... أراها الخيال ، بل المستحيل؟

لماذا أراك تطيع الهوى ... وما أنت بالجعظري الجهول؟

فلا تفتن الناس ، كن واعياً ... وزايلْ كؤوس الخنا والشمول

كفانا الذي كم شقينا به! ... ولا تنكأ الجُرح حتى يزول

إذا أنت لم تهد من قد عصَوْا ... وحادوا عن الحق هدْيّ الرسول

وزلوا وضاعوا ، ولم يفطنوا ... إلى من يُزكّي الرؤى والميول

ونالوا من الغي مقصودهم ... وأشْفوْا من المعصيات الغليل

وشطوا عن الخير ، واستكثروا ... تكاليف شرع يسير نبيل

فزلْ أنت عنهم ، ونعم فتىً ... قؤول لِلَفظِ التقى وفعول!

ولا تبتئسْ بالألى جاهروا ... فكم يفتن الهازلين العُدول!

وأحرى بك اليوم يا مسلماً ... تمسّكَ بالدين أنْ لا يحول!

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

(أورد ابن القيم في (جلاء الأفهام) قوله: (إن عموم العالمين قد حصل لهم النفع برسالة النبي – محمد – صلى الله عليه وسلم. أما أتباعه: فقد نالوا بها كرمة الدنيا وشرف الآخرة. * وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عُجّل قتلهم فموتهم خيرٌ لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة. وقد كتب الله تعالى عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خيرٌ لهم من طول أعمارهم في الكفر. * وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته ، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له ولا شك. * وأما المنافقون فحصل لهم إظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامه وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوراة وغيرها. * وأما الأمم النائية عنه: فإن الله رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين الخير والأمن العام برسالته - صلى الله عليه وسلم).هـ. صدقت يا ابن القيم وعليك من الله رحمته الواسعة. ولقد أهديتُ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم – قصائد شتى ، أذكر منها معارضتي للبوصيري في بردته ببردتين سلفتا ، وأوردتهما في ديوان السليمانيات حباً وكرامة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهما وغيرهما ليستا من باب الإطراء ولا من باب التبرّك به ودعائه والتوسل إليه - حاشا لله - بل هو من باب (توقيره التوقير المناسب له ، واحترامه الاحترام اللائق به). قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعًا ثم جعل يتلو: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ، وجعل يكررها ويقول: "وما الفتنة؟" ثم يجيب فيقول: "الكفر ، قال الله تعالى: {والفتنةُ أكبرُ من القتلِ}. فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ ، فيزيغ قلبه فيهلكه. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر به في الكتاب أولم يكن فيه فإنه أوتي الكتاب ومثله معه" (اهـ). وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ من هذه الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ولا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ ولم يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كان من أَصْحَابِ النَّارِ» (رواه مسلم). وستشهد أمة محمد عليه الصلاة والسلام على سائر الأمم أن الرسل بلغتها الرسالات ، وهذا معنى كونهم شهداء على الناس كما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يوم الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: له هل بَلَّغْتَ؟ فيقول نعم يا رَبِّ. فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هل بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ما جَاءَنَا من نَذِيرٍ فيقول: من شُهُودُكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ ، ثُمَّ قَرَأَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم» {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} ، وفي رواية لأحمد وابن ماجه: «يجيء النبي يوم الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ والنبي وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ وأَكْثَرُ من ذلك فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لهم: هل بَلَّغَكُمْ هذا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ. فَيُقَالُ له: هل بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فيقول: نعم! فَيُقَالُ له: من يَشْهَدُ لك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ! فَيُقَالُ لهم: هل بَلَّغَ هذا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نعم. فَيُقَالُ: وما عِلْمُكُمْ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيُّنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قد بَلَّغُوا». أنشد من الوافر هذه القصيدة اللامية!)

رســـــولَ الله يـــــا نـــــوراً تـــــلالا فبـــــدّدَ - فـــــي مـــــدائنا - الضـــــلالا

ويـــا شمســـاً تعقبـــتِ الـــدياجي وبـــارك نورَهـــا المـــولى تعـــالى

ويـــا بـــدراً توشّـــحَ بـــاللآلي ورب النـــاس قلـــدك الجمـــالا

بُعثـــتَ فكنـــتَ للـــدنيا نجـــاة فناولـــت المبـــادئ والكمـــالا

وأرشـــدت الأنـــامَ لكـــل خيـــر وكنـــت - لكـــل عارفـــةٍ - مِثـــالا

وأنقـــذت الخلائـــقَ مِـــن دمـــارٍ يُكلـــف - مَـــن يُخـــامرُه - النكـــالا

وأرســـلك المليـــكُ - لنـــا - بشـــيراً فعُلمنـــا الرشـــادَ والاعتـــدالا

وبـــالقرآن جئـــتَ ، فخيـــرُ ذخـــرٍ نتيـــه بـــه اعتـــزازاً واختيـــالا

وسُـــنتك العظيمـــة خيـــرُ زادٍ بهـــا اكتملـــتْ ســـعادتنا اكتمـــالا

وسِـــيرتك الجليلـــة خيـــرُ نبْـــع لمـــن يرجـــو الهُـــدى مـــاءً زلالا

وشِـــرعتك المنيـــرة لا تبـــارى فليـــت النـــاسَ تمتثـــل امتثـــالا!

ببعثتـــك اســـتفاد الكـــل قطعـــاً فمـــن تبعـــوك قـــد شـــدّوا الرحـــالا

إلـــى جنـــات عـــدن بعـــد ســـعي ونـــالوا منـــك - فـــي المـــأوى - الوصـــالا

ومَـــن عـــادَوْك كنـــت بهـــم رحيمـــاً وإن بـــدأوا المعـــامعَ والنـــزالا

فـــإن مـــاتوا فخيـــرٌ مِـــن حيـــاةٍ بهـــا اشـــتغلوا - بكفـــرهمُ - اشـــتغالا

ومـــن عاهـــدت كنـــت لهـــم ظهيـــراً فمـــا عـــانوْا ضَـــياعاً أو قتـــالا

ومـــن هـــم نـــافقوا فقـــد اســـتفادوا فقـــد أمِنـــوا العـــذابَ إذا تـــوالى

بـــدعوة (أحمـــدٍ) خيـــر البرايـــا لأمتـــه ، لـــذا أمِنـــوا الوبـــالا

فصـــلّ اللهُ مولانـــا عليـــهِ وصُـــن عِـــرض النبـــيّ مِـــن أن يُنـــالا

دعَوْنـــا الـــرب نأمـــلُ كـــل خيـــر ونحْـــنُ إليـــه نبتهـــلُ ابتهـــالا

الوقت كالسيف

(كان علماؤنا يدركون قيمة الوقت ، فهذا ابن حجر يشرح البخاري ، وهذا النووي يشرح مسلماً ، وهذا ابن كثير بمؤلفاته سواء التفسير أو البداية والنهاية. وهذا الإمام فخر الدين الرازي يؤلف كتبا منها التفسير الذي يقع في 30 مجلدا. والإمام النووي مات وعمره 45 سنة وقد ترك من المؤلفات ما لو قسّم على أيام حياته لكان لكل يوم أربع كراريس. والإمام ابن تيمية ترك 300 مجلداً. والإمام الذهبي وكتبه العملاقة التي منها سِيَر أعلام النبلاء. والإمام السرخسي بمؤلفاته الكثيرة. والإمام ابن رجب الذي لا تكاد مؤلفاته تعد أو تحصى. وابن القيم ومكتبته العملاقة. والحافظ ابن أبي الدنيا الذي ألف 1000 كتاب. وابن عساكر الذي ألف التاريخ في 80 مجلداً. وابن حزم الذي ألف 400 مجلدا تشتمل على قريب من 80000 ورقة. قال إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني : (أنا لا أنام و لا أكل عادة ، وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلاً كان أو نهاراً ، وآكل إذا اشتهيت الطعام أيّ وقتٍ كان). وكانت لذته ولهوه ونزهته في مذاكرة العلم ، وطلب الفائدة من أي نوع كان. وقال ابن القيّم عن شيخه: "وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيباً ، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة"! وقال الذهبي: "إن تصانيفه تبلغ خمسمائة مُجلّداً" ، هذا مع ما يقوم به من تعليم ودعوة وجهاد! وعند الترمذي بسند حسن أن النبي قال: (من خاف أَدْلَجَ ، ومن أَدْلَجَ بلغ المَنْزِل ، ألا إنّ سِلْعَة الله غالية ، ألا إنّ سِلْعَة الله الجنة). وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء عن عمار بن رجاء قال: سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل ، بل كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث. وقيل عن عامر بن عبد قيس أحد التابعين الزهاد: أن رجلاً قال له: كلمني ، فقال له عامر بن عبد قيس: أمسك الشمس. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي. وقال ابن مسعود أيضاً: "إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شي من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة". وقال أبو هلال العسكري في كتابه الحث على طلب العلم والاجتهاد في جَمْعه: كان الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري أحد أذكياء العالم ، المولود سنة 100 ، والمتوفى سنة 170 رحمه الله تعالى يقول: أثقل الساعات عليّ: ساعة آكل فيها. وقال العلامة طاشكبري زاده في مفتاح السعادة ومصباح السيادة: كان محمد بن الحسن الشيباني الكوفي البغدادي الإمام الفقيه المجتهد المحدّث تلميذ أبي حنيفة ، المولود سنة 132هـ والمتوفى سنة 189هـ رحمه الله لا ينام الليل ، وكان يضع عنده دفاتر- يعني كتبا - فإذا ملّ من نوع نظر في آخر ، وكان يُزيل نومه بالماء ويقول: إن النوم من الحرارة. وهذا محمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري المتوفى سنة 227هـ ، كان في حال الطلب جالساً في مجلس الإملاء ، والشيخ يُحَدّث ويُمْلي ، فانكسر قلم محمد بن سلام فأمر أن ينادى: قلم بدينار ، فتطايرت إليه الأقلام. ذكره العيني في عمدة القاري. وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح: إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما. وقال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم ، إنما أنت أيام ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك. وقال: أدركتُ أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم. ونقل الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الإمام المحدث حماد بن سلمة البصري البزاز الخرقي عن موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً

لصدقت ، كان مشغولاً: إما أن يُحَدّث أو يقرأ أو يُسبح أو يُصلي ، وقد قسّم النهار على ذلك. قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة وهو في الصلاة. وجاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض في ترجمة الفقيه المالكي المحدث الإمام محمد سحنون القيرواني المولود سنة 202هـ والمتوفى سنة 256هـ رحمه الله ، قال المالكي: كانت لمحمد بن سحنون سُرّيّة - أي جارية مملوكة - يقال لها أم مدام ، فكان عندها يوماً ، وقد شغل في تأليف كتاب إلى الليل ، فحضر الطعام فاستأذنته فقال لها: أنا مشغول عنه الساعة. فلما طال عليها الانتظار جعلت تلقمه الطعام حتى أتى عليه ، وتمادى هو على ما هو فيه إلى أن أذن لصلاة الصبح ، فقال: شغلنا عنكِ الليلة يا أم مدام ، هات ما عندك من طعام ، فقالت: قد والله يا سيدي ألقمته لك ، فقال: ما شعرتُ بذلك. وذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن أحمد بن مردويه قال: كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه ، لم يكن في أفق من الآفاق أحدٌ أحفظ منه ، ولا أسند منه ، كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، وكل يوم نوبة أحد منهم ، يقرأ ما يريد إلى قريب الظهر ، فإذا قام إلى داره ربما يقرأ عليه في الطريق جزء ، وكان لا يضجر ، لم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف. وذكر الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الخطيب البغدادي المولود سنة 392 هـ والمتوفى سنة 463 هـ ، قال: كان الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه. وأما أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي فيقول: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملتُ فكري في حال راحتي وأنا منطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره ، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين. قال: وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي ، حتى أختار سف الكعك وتحسّيه بالماء لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ توفراً على مُطالعة أو تسطير فائدة لم أدركها فيه. وهو صاحب كتاب الفنون وهو في ثمانمائة مجلد ، قال فيه: أما بعد فإن خير ما قطع به الوقت وشغلت به النفس فتقرب به إلى الرب جلت عظمته: طلبُ علم أخرج من ظلمة الجهل إلى نور الشرع ، وذلك الذي شغلتُ به نفسي وقطعتُ به وقتي. فما أزال أعلق ما أستفيده من ألفاظ العلماء ، ومن بطون الصحائف ، ومن صيد الخواطر التي تنثرها المناظرات والمقابسات في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء ، طمعا أن يعلق بي طرف من الفضل أبعد به عن الجهل ، لعلي أصل إلى بعض ما وصل إليه الرجال قبلي. ولو لم يكن من فائدته عاجلاً إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برُعونات الطباع ، التي تنقطع بها أوقات الرّعاع ، لكفى ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل. وقال أبو هلال العسكري في كتابه الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه: وحكي عن ثعلب - أحمد بن يحي الشيباني الكوفي البغدادي - ، أحد أئمة النحو واللغة والأدب والحديث الشريف والقراءات ، المولود سنة 200هـ والمتوفى سنة291 هـ رحمه الله أنه كان لا يفارقه كتابٌ يدرسه ، فإذا دعاه رجل إلى دعوة شرَط عليه أن يوسّع له مقدار مِسْورة - وهي المتكأ من الجلد – يضع فيها كتابا ويقرأ. وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي وتاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادي أن أبا جعفر الطري قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، وأملاه في سبع سنين. ثم قال لهم: أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير ، فأجابوا بمثل ذلك ، فقال: ماتت الهمم ، فاختصره في نحو مما اختصر التفسير. قال الخطيب: وسمعتُ السمسِمي يحكي أن ابن جرير مكث أربعين سنة ، يكتب في

كل يوم منها أربعين ورقة. قال ابن الجوزي رحمه الله: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته ، فلا يضيّع منه لحظة في غير قربة ، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور ، بما لا يعجز عنه البدن من العمل ، كما جاء في الحديث الشريف: نية المؤمن خير من عمله. وقال رحمه الله في رسالة نصح بها ولده سماها: لفتة الكبد في نصيحة الولد ، قال: واعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات ، والساعات تبسط أنفاساً ، وكل نفس خزانة ، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم. وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب ، فلا تودّعها إلا إلى أشرف ما يمكن ، ولا تهمل نفسك ، وعوّدْها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه ، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه. وهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - يواصل ليله بنهاره يقول: (إن نمت الليل ضيّعت نفسي ، وإن نمت النهار ضيّعت رَعِيّتي) ، فكيف النوم بين هذين؟ وابن شاهين الذي صنف 330 صنفاً منها التفسير في 1000 جزء والمسند في 1500 جزء. وسيد قطب بظلاله ومعالمه وخصائص تصوراته وغيرها الكثير ناهيك عن الذي ضاع وافتقد. وأحمد شلبي وأنور الجندي ، وعلي الصلابي الذي اعوجّت أصابعُ يمينه من الكتابة بالقلم ، وهذا علمته من أحد تلاميذي الثقات في مدرسة أم القرى هنا (حذيفة أشرف). ولذلك فإنها لحكمة جميلة: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك). والأمر كما يقولون: الوقت من ذهب إن لم تدركه ذهب. والوقت كنز إن ضيعته ضعت. والوقت أجدر بأن يصادق لا يقاتل. والوقت هو المادة الخام للحياة. والوقت عدوٌ مجتهدٌ لا يقتله إلا كل مجتهد. والوقت كالجمل في بُطئه وصبره ، بطئ في مِشيته ولكنه قد يطوف بك العالم بأسره لو أردت. والوقت كالمال إذا كنزته زادك فقراً ، ونقصان الوقت كالمال كلاهما قيم في جودته وحسن إنفاقة واستخدامه. فالدنيا ساعة اجعلها طاعة. وصدق قوم إذ قالوا: الوقت المنظم الجيد هو البرهان الأكيد على العقل المنظم الجيد. وبعض السعادات لا تنبت من جديد مهما منحتها مزيداً من الوقت. والوقت الذي يتوقف فيه الإنسان عن القراءة ، هو الوقت الذي يموت فيه. وإن الوقت من ذهب ووقتك لا يقل شأناً عن وقت الآخرين. والحقيقة أن الوقت لا يسعفنا لنعبر عن أنفسنا. والأمور لا تتحسن مع الوقت ، بل نحن الذين نعتاد سوءها. والوقت كالسكين إن لم تمسكه من مقبضه قطع يدك بقطعته. والوقت كالبحر إن لم تسر فيه بسفينة مصنوعة من العِلم وحسن الصنعة فلا تظن أنك سوف تمشي على الماء مثل مجاذيب الأساطير ولا تلومن إلا نفسك. والوقت كالماء إن لم تشربه ، ابتلعك وأغرقك وأتلف حياتك. لقد كان علماؤنا الأولون يدركون ما للوقت من قيمة فأحسنوا استغلاله والاستفادة منه. وسار على ذات المنوال علماؤنا المعاصرون في مبدأ الاستفادة من الوقت واستثماره أفضل استثمار. ولقد فطنتُ إلى هذا وفعلاً أحاول جاهداً أن لا يقطعني سيف الوقت بل أقطع أنا سيف الوقت بسيف الانتفاع به والاستفادة منه. وكنت قد حرصتُ على استثمار وقتي واستغلاله! ودواويني الأربعة عشر وكتاباي في مجال النقد الأدبي الأسلوبي خير دليل على ما أقول! ومن هنا رحت أسجّل هذه الوصية الذهبية شعراً لكل من سيأتي بعدنا من الأجيال!)

إنمـــــا الوقـــــتُ كالحســـــام المـــــاحي فاغتنمـــــــهُ فـــــــي غـــــــدوةٍ ورَواح

زهـــرة العمـــر فـــي التمـــاس المعـــالي وبلـــــوغ الآمـــــال أســـــمى النجـــــاح

والتـــــزامُ الشـــــرع المطهّـــــر ذخـــــرٌ ... والهُـــــدي والتقـــــوى ســـــبيلُ الفـــــلاح

والتحلـــــــي بالصـــــــبر زادٌ وكَـــــــيسٌ ... واغتنـــــامُ الأوقـــــات بعـــــضُ الكفـــــاح

والغبـــــيّ مَـــــن يقتـــــل العمـــــر غـــــدراً ... ثـــــم يزجـــــي أعـــــذاره ، ويُلاحـــــي

ويقـــــول: التقـــــديرُ خـــــان ظنـــــوني ... ورمـــــاني فـــــي حَمـــــأة الأتـــــراح

ويقـــــول: جُهـــــدي بـــــذلتُ ، ولكـــــنْ ... بـــــين قـــــومي لـــــم يحتفـــــلْ بـــــي طِمـــــاحي

ويقـــــول: الأحـــــداث أكبـــــرُ منـــــي ... والـــــبلاءُ الرهيـــــبُ أدمـــــى جراحـــــي

ويقـــــول: العُـــــذال حـــــولي اســـــتبدّوا ... واســـــتطالوا مـــــا بـــــين بـــــاغ ولاح

ويقـــــول: لـــــن أبلـــــغ المجـــــد وحـــــدي ... مـــــا عَتـــــادي؟ مـــــا عُـــــدّتي؟ مـــــا ســـــلاحي؟

ويقـــــول: أيـــــامُ عمـــــري تمضّـــــتْ ... لـــــم تُـــــذِقني ترنيمـــــة الأفـــــراح

صـــاح هـــوّنْ عليـــك ، وانهـــضْ ، وجاهـــدْ ... دونـــك العـــيش كـــالروابي الفِســـاح

واغتـــنمْ عمـــراً نصـــفه مـــات هـــزلاً ... بـــين وهـــم وخيبـــةٍ واجتيـــاح

لا تشـــمّتْ فيـــك الأعـــاديْ ، فتحيـــا ... فـــي شـــقاءٍ يُـــردي الهنـــا ، لا تلاحـــي

اكســـر القيـــدَ ، وانطلـــقْ دون خـــوفٍ ... وارجُ نصـــراً مـــن ربـــك الفتـــاح

واهجـــر الـــوهم ، لا تســـوّفْ بتاتـــاً ... عُمرُنـــا بـــين الليـــل والإصـــباح

مثـــل ســـيفٍ عُمْـــرُ الفتـــى ، والليـــالي ... تجتنـــي مـــا قـــد مـــات مـــن أرواح

فـــاتبعني ، واســـمع نصـــيحة خِـــل ... قـــمْ وأشـــعلْ ذبالـــة المصـــباح

وانطلـــقْ فـــي هـــذي الـــدياجير فـــرداً ... يَقهـــرُ الـــذل بـــاليقين المتـــاح

واســـتعنْ بـــالله القـــدير ، وأحســـنْ ... وادعُ ، والهـــجْ بـــدمعك المِلحـــاح

وللشهامة تكاليف

(فوزي ربيع ، رجلٌ شهمٌ عِشنا معه سنين في تفتيش كفر سعد. وعُرف الرجل بالشهامة والنجدة والمروءة ، ولا نزكّي على الله ربنا أحداً. بل نحسبه هكذا والله حسيبه. عاش يتفيأ ظلال المروءة التي وهبه الله إياها. فكم حملنا على سيارته وأوصلنا وغيرنا هنا وهناك! وكم بذل وكم أعطى! ولكن الموقف الذي من أجله أكتب هذه القصيدة يعود تاريخه إلى عام 1975م. حيث كنتُ في الصف السادس من المرحلة الابتدائية من التعليم الأساسي الإلزامي. وذلك بمدرسة تفتيش كفر سعد الابتدائية التابعة لمحافظة دمياط. وتحديداً في بواكير صيف هذه السنة وفي ظهيرة أحد أيام الصيف ، عندما أصيب أخي محمد علي سليمان عبد الرحيم في حادث سيارة. وأسفر الحادث عن إصابات بالغة في الرأس وكسر في الساق. وقال شهود العيان بأنه كان حادثاً مروّعاً ، وبينما كان الدم ينزف من رأس الصبي إلى أخمص قدميه ، وهو في غيبوبة تامة جاء العم فوزي ربيع بسيارته وحمل الصبي على ذراعيه غيرَ عابئ بالدماء وهناك في المستشفى كان الأطباء قد خلوْا إلى غدائهم ، فقال العم فوزي ربيع لهم: قوموا فهناك حالة مستعجلة جداً في غيبوبة تامة ، فأسرِعوا لعل الله ينقذه على أيديكم من الموت ، فقالوا بكل بُرود: قد علمنا ، ولكننا نتغدى فاتركه في غرفة الكشف أو الاستقبال. وسوف نقوم إليه بعد الغداء. فكرّر العم فوزي كلامه في انفعال وألحّ في الطلب هذه المرة ، فإذا به يلقى من الأطباء جواباً أبردَ وأسخفَ من الجواب الذي سمعه منهم أول مرة. فلم يتمالك أعصابه وأحس بأن مرحلة اللين والحسنى والمعروف والكلام باللسان قد انتهت ، وأن هناك مرحلة أخرى يجب أن تبدأ. فلطخ وجوه الأطباء بالطعام ، وأخذ يسب ويلعن فقاموا إلى واجبهم. فكانت مروءة لها تكاليف! يقول أستاذنا الدكتور مبارك بن ناصر العسكر في المروءة وتكاليفها ما نصه: (مِنْ أَعْظَمِ مَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مَا يَعْلَمُهُ وَمَا لَا يَعْلَمُهُ: بَذْلُ الْمَعْرُوفِ لِلنَّاسِ ، وَمَحَبَّةُ الْخَيْرِ لَهُمْ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا نِتَاجَ قَلْبٍ طَيِّبٍ طَاهِرٍ يُحِبُّ الْخَيْرَ لِلْغَيْرِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ أَصْحَابَ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ ، الرُّحَمَاءَ لِخَلْقِهِ «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» ، (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ، (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). وبذل الْمَعْرُوفِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ فِعْلِ الْخَيْرِ ، وَبَذْلِ الْإِحْسَانِ لِلْخَلْقِ ، وَالْبَاعِثُ عَلَيْهِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ رَحْمَةِ الْغَيْرِ ؛ وَلِذَا كَانَ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ صَدَقَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَالْمَعْرُوفُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَجْمَعُ بَذْلَ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانَ لِلنَّاسِ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ ، كَبُرَ الْمَعْرُوفُ أَوْ صَغُرَ ، كَثُرَ أَوْ قَلَّ ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَتْرُكَ بَذْلَ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانَ وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) ؛ فَمِنْ مَعْرُوفِ الْقَوْلِ: طِيبُ الْكَلَامِ ، وَالتَّوَدُّدُ بِجَمِيلِ اللَّفْظِ وَهَذَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَرِقَّةُ الطَّبْعِ وَمِنْ مَعْرُوفِ الْفِعْلِ: بَذْلُ الْجَاهِ ، وَالْإِسْعَادُ بِالنَّفْسِ ، وَالْمَعُونَةُ فِي النَّائِبَةِ وَهَذَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حُبُّ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ لِلنَّاسِ. وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَاتٍ أُخْرَى لِلْحَدِيثِ ضَرْبُ أَمْثِلَةٍ عَلَى ذَلِكُمُ الْمَعْرُوفِ الْمَبْذُولِ ، وَهِيَ أَمْثِلَةٌ قَدْ يَسْتَقِلُّهَا النَّاسُ وَلَا يَأْبَهُونَ بِهَا ، لَكِنَّهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ فَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ». وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ

لَكَ صَدَقَةٌ ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ». وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «تُعِينُ ضَايِعًا ، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ» وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَعْرُوفِ؟ فَقَالَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي ، وَلَوْ أَنْ تُنَحِّيَ الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِيهِمْ ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقٌ ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَكْثَرَ بَذْلًا لِلْمَعْرُوفِ كَانَ أَكْثَرَ جَنْيًا لِثَمَرَاتِهِ ، وَتَحْصِيلًا لِآثَارِهِ الَّتِي جَمَعَتْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَمِنْ آثَارِ بذل الْمَعْرُوفِ: اسْتِدَامَةُ النِّعَمِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَهَا عَلَيْهِ وَفِي عِبَادِهِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ قَوْمًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا. وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ ، فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ». فَأَقْوَى مَا تُحْفَظُ بِهِ نِعَمُ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْقُوَّةِ شُكْرُ الْمُنْعِمِ عَلَيْهَا ، بِبذل الْمَعْرُوفِ بِهَا ، وَبَذْلِهَا لِمَنْ يَحْتَاجُهَا هَذَا عَدَا مَا يَنَالُهُ مِنْ دُعَاءِ مَنْ بَذَلَ لَهُمْ مَعْرُوفَهُ ، وَصَنَعَ فِيهِمْ صَنِيعَتَهُ. وَمِنْ آثَارِ بذل الْمَعْرُوفِ: رَدُّ سُوءِ الْمَقَادِيرِ فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْمَالِ ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ. وَمِنْ آثَارِ بذل الْمَعْرُوفِ: تَفْرِيجُ كُرَبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ يَجْمَعُهُ بذل الْمَعْرُوفِ. وَمِنْ آثَارِ بذل الْمَعْرُوفِ: مَحَبَّةُ النَّاسِ وَدُعَاؤُهُمْ ؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ يفعل لَهَا الْخَيْرَ وَيَصْنَعُ لَهَا الْمَعْرُوفَ ، وَيَبْذُلُ لَهَا مَالَهُ وَجَاهَهُ وَوَقْتَهُ وَنَفْسَهُ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ سَبَقَ مِنِّي إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ إِلَّا أَضَاءَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ سَبَقَ مِنِّي إِلَيْهِ سُوءٌ إِلَّا أَظْلَمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ». فبذل الْمَعْرُوفِ يَنْشُرُ الْمَوَدَّةَ وَالسُّرُورَ ، وَيقرِّبُ الْقُلُوبَ ، وَيزِيلُ شَحْنَاءَ النُّفُوسِ ، فَلَا يَتَقَاعَسُ عَنْهَا إِلَّا مَبْخُوسُ الْحَظِّ مَحْرُومٌ. إن بذل الْمَعْرُوفِ ، وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ ، وَإِسْعَافُ الْمَكْرُوبِ ؛ وَبَذْلُ الْخَيْرِ ، وَالسَّعْيُ فِي حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ ؛ كَانَ فِعْلَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا وَدَعَوْا إِلَيْهَا. وَقَدْ أَغَاثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي اسْتَغَاثَهُ ، وَسَقَى لِلْفَتَاتَيْنِ لَمَّا عَجَزَتَا عَنِ السُّقْيَا لِوُجُودِ الرِّجَالِ. وَلَمَّا تَكَلَّمَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَهْدِ قَالَ: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ). قَالَ مُجَاهِدٌ: «أَيْ: نَفَّاعًا

لِلنَّاسِ أَيْنَمَا كُنْتُ». وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ بَذَلَ لِلنَّاسِ مَنْفَعَةً دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً فَهُوَ مُبَارَكٌ ، وَهَذَا هُوَ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ. وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَذَلَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ حَتَّى حَطَمُوهُ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: كَأَنَّهُمْ بِمَا حَمَّلُوهُ مِنْ أَثْقَالِهِمْ صَيَّرُوهُ شَيْخًا مَحْطُومًا. وَخَطَبَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا ، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا ، وَيَغْزُو مَعَنَا ، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَسَارَ سَلَفُ الْأُمَّةِ عَلَى الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ فِي بَذْلِ الْمَعْرُوفِ ، وَنَفْعِ النَّاسِ ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَاللَّهِ لَأَنْ أَقْضِيَ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ حَاجَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ ، وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَيُّ الدُّنْيَا أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ». فَحَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْذُلَ الْمَعْرُوفَ لِمَنْ يَعْرِفُ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا دَأْبَهُ ، وَلَا يَحْتَقِرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَرُبَّمَا دَرَأَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ شر الْقَدَرِ بِمَعْرُوفٍ بَذَلَهُ لَمْ يَظُنَّ أَنَّهُ رَدَّ أَمْرًا عَظِيمًا عَنْهُ).هـ. عن ابن عمر أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ونصف الأعمال أحب إلى الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً(في مسجد المدينة) ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام). رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، وحسّن الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة. وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه). ابن ماجه وابن أبي عاصم في السنة ، وحسنه الألباني بطرقه ، السلسلة الصحيحة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة). البخاري ومسلم. وعن أبي جريٍّ الهجيميّ قال: أتيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فقلت: يا رسول اللّه إنّا قوم من أهل البادية فعلّمنا شيئًا ينفعنا اللّه تبارك وتعالى به. قال: (لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، ولو أن تكلّم أخاك ووجهك إليه منبسط). وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة). مسلم. وعن سعد بن عبادة أن أمه ماتت فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: نعم ، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: (سقي الماء ، فتلك سقاية سعد بالمدينة). النسائي وأحمد. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره). قال أبو هريرة (ما لي أراكم عنها معرضين ، والله لأرمين بها بين أكتافكم). مسلم والبخاري. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان). مسلم. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: (اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء). البخاري ومسلم. وعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: (الإيمان بالله والجهاد في سبيله ، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً ، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق ، قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس ، فإنها صدقة منك على نفسك). البخاري ومسلم. ومن هنا أنشدتُ قصيدتي هذي عن البذل!)

كـــم يُقاســـي ذو نخـــوةٍ ويُعـــاني ... بـــين أهـــل التفـــريط والخســـرانِ!

ويُلاقـــي - مـــن الأنـــام - بـــلاءً ... واحتقـــاراً يُفضـــي إلـــى العـــدوان

لا يُطيـــقُ النـــاسُ الشـــهامة يعلـــو ... صـــوتها! هـــل هـــذا مـــن العِرفـــان؟

إن للفضـــل ســـادة فـــي البرايـــا ... قـــد تحلـــوْا بـــالجود والإحســـان

يبـــذلون المعـــروفَ دون اكتـــراثٍ ... ويجـــودون فـــي تقـــىً وتفـــان

ويـــذودون عـــن حِيـــاض المعـــالي ... ويخصّـــون القـــولَ بالبرهـــان

كـــم يُضَـــحّون بـــالكثير احتســـاباً ... يبتغـــون بـــه رضـــا الـــرحمن!

ويُغيثـــون مَـــن دَهتـــه الرزايـــا ... فاســـتكان للضـــرّ والأحـــزان

ويُجيـــرون مَـــن ســـقته الـــدواهي ... كـــأسَ ذل مـــن بعـــد كـــأس هـــوان

ويُعينـــون مَـــن تحدّتـــه دنيـــا ... أهـــدِرتْ فيهـــا كرامـــة الإنســـان

كـــل شـــهم مـــنهم بمليـــون نـــذل ... إنمـــا النـــذلُ كاســـدُ الأثمـــان

والكـــريمُ فـــي النـــاس أســـمى مقامـــاً ... مـــن وضـــيع يبـــوءُ باســـتهجان

والجـــوَادُ يســـبي القلـــوب ، ويســـمو ... فـــي البرايـــا علـــى مـــدى الأزمـــان

طيّـــبُ القلـــب محســـنٌ مســـتنيرٌ ... مســـتبينُ الأخـــلاق ، عـــفّ اللســـان

ينفـــعُ النـــاس ، لا يمـــنّ علـــيهم ... لـــيس يـــؤذي يومـــاً ذوي الرّجحـــان

لـــم أصـــادفْ (كـــابن الربيـــع) جـــواداً ... أتقـــن البـــذل غايـــة الإتقـــان

إيـــه (يـــا فـــوزيْ) يـــا بـــديعَ الســـجايا ... قـــــرّ عينـــــاً فالتضـــــحياتُ حـــــوان

أبهـــــج الـــــنفسَ بالجمائـــــل شـــــتى ... واحتســـــبْ عنـــــد القـــــادر المنـــــان

متـــــع النـــــاسَ بـــــالمروءة فاحـــــتْ ... وأذِعْهـــــا فـــــي الســـــر والإعـــــلان

علّـــم النـــاسَ كيـــف تعطـــي ، وترجـــو ... بالـــــذي تعطيـــــهِ دخـــــولَ الجنـــــان

هالـــكَ الطـــبُ لـــم يُطبّـــبْ جريحـــاً ... مِـــن نزيـــف الجـــراح أضـــحى يُعـــاني

غـــارقٌ فـــي الـــدماء ، والجـــرحُ عـــاتٍ ... والصـــــبيّ فـــــي عـــــالم التوَهـــــان

والنفـــوسُ فـــي الطـــب تأمـــلُ خيـــراً ... ترتجـــــي مِـــــن مِســـــحة الســـــلوان

فـــإذا بالطبيـــب الـــذي لمّـــا يبـــادرْ ... بـــل تمـــادى فـــي اللـــف والـــدوران!

والمـــريضُ منـــه الـــدماءُ ســـيولٌ ... يشـــتكي مـــن طبيبـــه الجوعـــان

والأطبـــاءُ فاجـــأوك بقـــول ... مســـتريب مُســـتحكم الـــبطلان

اتـــركِ الطفـــلَ ، إننـــا نتغـــدّى! ... ثـــم شـــاركْنا يـــا أبـــا الضِـــيفان!

قلـــت: كـــلا ، قومـــوا إلـــى الطفـــل فـــوراً ... فالـــدماءُ تنســـاب كالفيضـــان

فاســـتهانوا بمـــا تقـــولُ ، فولـــتْ ... نبـــرة الإكـــرام والتحنـــان

فـــإذا (فـــوزيْ) بـــالزئير يُـــدَوّي ... وإذا بالألفـــاظِ كالطوفـــان

إن وقـــت الـــتحلم الغـــضّ ولـــى ... ثـــم عمّـــتهم صـــولة الغضـــبان

فـــإذا بالأطبـــاق تغـــدو جُـــذاذاً ... والطعـــامُ فـــي الأرض والأركـــان

ثـــورة قـــد أردتَ منهـــا انتصـــاراً ... للحقـــوق فـــي جوقـــة الطغيـــان

تســـتحقُ التكـــريمَ صـــدقاً عليهـــا ... وتكافـــا بالحـــب والشـــكران

عشـــت شـــهماً يـــا عـــمّ بـــين البرايـــا ... فالعطـــاءاتُ والتحايـــا دوان

فســـلامٌ منـــي إليـــك يُـــوافي ... مـــا بـــذلتُ مـــن رقـــةٍ وحنـــان

الغاية لا تبرّرُ الوسيلة

(إن المبدأ الميكافيللي الذي دوّنه صاحب كتاب (الأمير) قد راج لكثيرين من الهازلين اليوم. فراحوا يغطون في الميكافيللية أكثر من ميكافيللي نفسه! فرحتُ أضع كلمة الرجل في موضعها وأصوغها الصياغة الشرعية وأزنها بميزان الإسلام عقيدة وتوحيداً. وذلك بعد سقوط حرف (لا) قبل كلمة تبرر. يا ناس إن الذي تعبّدنا بالغايات قد تعبّدنا بالوسائل. فللوسائل أحكامُ المقاصد. يقول أستاذنا الدكتور نايف بن جمعان الجريدان ما نصه: (تعتبر قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد من القواعد الفقهية المعروفة والمشهورة عند العلماء ، وقد ذكرها أو أشار إليها غير واحد من أهل العلم ، منهم القرافي في الفروق حيث قال: "القاعدة أن الوسائل تتبع المقاصد في أحكامها ، فوسيلة المحرم محرم ، ووسيلة الواجب واجبة ، وكذلك بقية الأحكام". وذكرها كذلك الطوفي حيث قال: "ومن كليات القواعد: أن الوسائل تتبع المقاصد. وممن أشار إليها إشارة الإمام الشافعي في كتابه الأم ، حيث قال: "الذرائع إلى الحلال والحرام تشبه معاني الحلال والحرام". ونقصد بالقاعدة الفقهية: ذلك الحكم أو الأمر الكلي أو القضية الكلية التي تفهم منها أحكام الجزئيات التي تندرج تحت موضوعها وتنطبق عليها. * أولاً: التعريف بمفردات القاعدة: هذه القاعدة تحتوي على كلمتين: الوسائل والمقاصد. فأما الوسائل في اللغة فهي: جمع وسيلة والوسيلة تطلق على المنزلة عند الملك والدرجة وهي ما يتقرب به إلى الغير ، وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل. وأما الوسيلة في الاصطلاح فلها معنيان: - معنى عام: وهو أن الوسائل هي الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد. والمراد بالأفعال: ما يصدر من العبد سواء كان من أفعال الجوارح أم القلوب. - معنى خاص: أنها الأفعال التي لا تقصد لذاتها ، لعدم تضمنها المصلحة أو المفسدة ، وعدم أدائها إليها مباشرة ، ولكنها تقصد للتوصل بها إلى أفعال أخرى هي المتضمنة للمصلحة أو المفسدة والمؤدية إليها". وعرّف القرافي الوسائل بأنها: الطرق المفضية إلى المقاصد. وفي القواعد والأصول لابن سعدي رحمه الله عرّفها بأنها: "الطرق التي يسلك منها إلى الشيء ، والأمور التي تتوقف الأحكام عليها من لوازم وشروط". وأما كلمة المقاصد فهي في اللغة: جمع مقصد ، والقصد: استقامة الطريق والاعتماد والأم ، قصده وله وإليه يقصد وقصد الشيء أتاه وأمَه ، وقصد في الأمر قصد: توسط ولم يجاوز الحد ، وهو على قصد أي: رشد. وفي الاصطلاح لها معنيان: عام وخاص. - فأما المعنى العام للمقاصد فهي: "الغايات التي تقصد من وراء الأفعال". وعرّفها العلامة التونسي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "مقاصد التشريع العامة: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها ، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة ، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة ، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها". * ثانيا: المعنى الإجمالي للقاعدة ، المعنى الإجمالي لقاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد هو: أن الأفعال المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها ولها طرق تفضي إليها ، فإن تلك الطرق يختلف حكمها باختلاف حكم مقاصدها ، فما يتوقف عليه الواجب واجب ، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون ، وما يتوقف الحرام عليه فهو حرام ، ووسائل المكروه مكروهة ، ووسائل المباح مباحة. قال ابن القيم رحمه الله عن هذه القاعدة

الذي يُعد شرحا لها: "لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها ، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها ، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها ؛ فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، وهي مقصودة قصد الوسائل ؛ فإذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقا لتحريمه ، وتثبيتا له ، ومنعا أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم ، وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك ؛ فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعد متناقضا ، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده. * ثالثاً: ما يدل على هذه القاعدة ، يدل لهذه القاعدة أدلة كثيرة منها: - قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يطأون مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}. قال القرافي رحمه الله: "فَأَثَابَهُمْ اللَّهُ عَلَى الظَّمَأِ وَالنَّصَبِ وَإِنْ لَمْ يَكُونَا مِنْ فِعْلِهِمْ بِسَبَبِ أَنَّهُمَا حَصَلَا لَهُمْ بِسَبَبِ التَّوَسُّلِ إلَى الْجِهَادِ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةٌ لِإِعْزَازِ الدِّينِ وَصَوْنِ الْمُسْلِمِينَ فَيَكُونُ الِاسْتِعْدَادُ وَسِيلَةَ الْوَسِيلَةِ". - قوله تعالى: {فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً}. قال السعدي رحمه الله: "فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد ؛ فإن الخضوع بالقول واللين فيه في الأصل مباح ، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم مُنعن منه". - قوله تعالى: {وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ}. قال ابن عثيمين رحمه الله: "فأرشد إلى المنع من الأمر المباح إذا كان يفضي إلى فعل محرم").هـ. فإذا كانت الغاية مباحة شرعية فإن الوسيلة المؤيدة إليها لا بد وأن تكون مباحة شرعية. وهذا مبدأ من مبادئ شريعتنا لا محيص عنه أبداً. إن مبدأ الميكافيللية قد يتمشى مع أهله الكفرة الذين قد روّجوا له. حيث لا دين يحكمهم ولا قيم ولا شرائع ولا شعائر. ولكن عند المسلمين لا تبرر الغاية الوسيلة على النحو الذي أسلفت!)

مبـــادئُ شـــوهتْ حُســـنَ الحيـــاةِ ... وجهـــلٌ صـــاغهُ بعـــضُ العُتـــاةِ

وزيـــفٌ نـــارُه التهمـــتْ أناســـاً ... فضـــاعوا فـــي دهـــاليز الغـــواة

وزورٌ كـــم بـــه دانـــت نفـــوسٌ ... تُرسّـــخ للـــردى والمُوبقـــات!

وإفـــكٌ - فـــي الخلائـــق - مســـتطيرٌ ... يؤصِّـــلُ للـــردى والترّهـــات

وطـــيشٌ قـــد تبلـــور فـــي كتـــاب ... يبـــالغ فـــي الضـــلال والافتئـــات

ووهـــمٌ لا يوصّـــل للمعـــالي ... ولـــيس يحِـــل أوهـــى المشـــكلات

وظـــنٌ لا حقـــائقَ يحتويهـــا ... وهـــل للظـــن يومـــاً مـــن ثبـــات؟

وحُمـــــقٌ يعتلـــــي مَـــــتنَ التـــــردي ... ويُوغِـــــلُ فـــــي خضـــــمّ الســـــيئات

وبـــــات الغـــــربُ يجعلـــــه شـــــعاراً ... ومِنهاجـــــاً وشَـــــرعاً للحيـــــاة

وأضـــحى الكـــل - للفوضـــى - عبيـــداً ... ومـــا التفتـــوا - ولـــو - بعـــضَ التفـــات

إلـــى مـــا فـــي الكتـــاب مـــن البلايـــا ... تبـــرّر مـــا بـــه مِـــن معضـــلات

وأســـماه (الأميـــرَ) لكـــي يُـــداري ... عـــن القـــراء مُـــرّ الشـــائعات

كـــأن عُـــرَى الإمـــارة قـــد تلاشـــتْ ... أو انحـــدرتْ علـــى أيـــدي الغفـــاة

فـــلا واللهِ مـــا فـــي الـــنص خيـــرٌ ... ولا ذكـــرٌ لـــبعض المَكرُمـــات

وقـــد فرضـــوه حتـــى بـــات دِينـــاً ... يحُـــضّ علـــى الخـــواء والانفـــلات

فبـــدّد أنسَـــهم بـــالعيش حتـــى ... غـــدا - والله - أشـــبه بالممـــات

وتـــابعهم علـــى الإفـــلاس قـــومٌ ... رضُـــوا بالـــدون مثـــلَ الإمّعـــات

وعنـــدهمُ المبـــادئُ قـــد تســـامت ... تقـــودُ إلـــى الفعـــال الصـــالحات

هـــو الإســـلام شـــرعٌ لا يُبـــارى ... وديـــنٌ قـــد حـــوى أنقـــى الســـمات

ألا يـــا قـــوم فانتصـــحوا ، وعُـــودوا ... لـــــــدين الله رب الكائنـــــــات

ولا تستمســـكوا بهُـــرا النصـــارى ... وخلـــوا - اليـــوم - فلســـفة الطغـــاة

وعنـــدكمُ العمالقـــة النشـــامى ... مـــن الأدبـــاء والعلمـــا التقـــاة

خـــذوا عـــنهم ، فهـــم أهـــل التحـــرّي ... ومـــا أهـــل التخـــرص كالثقـــات!

وهـــم أمنـــاء إن نصـــحوا ودَلـــوا ... وفـــي الأســـفار أزكـــى الـــذكريات

وخصّـــوا فكـــرهم بالبحـــث حتـــى ... تـــرَوْا فـــي كـــل مـــا كتبـــوا العِظـــات

نصـــائحُ - فـــي التقـــى - بلغـــت سُـــمُوّاً ... يُغـــرّدُ فـــي رطيـــب الأمنيـــات

يمـــينَ الله حـــازوا المجـــد حتـــى ... غـــدَوْا للجـــرح مِـــن خيـــر الأســـاة

أنا النذير العُريان

(أراد ذلك الرجل أن يبين وضوح منهجه في التعامل مع قوم يتلاعبون به ويستهينون فقال: (أنا النذير العُريان يا قوم) الكلمة التي هي جزء من حديث للنبي – صلى الله عليه وسلم - فازدادت سخرية الناس ، وصاروا يتفكهون بالكلمة للنيل من الرجل. فتبنى إثبات الكلمة. وقال: أخرج الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي موسى - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنما مثلي مثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوم فقال: إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العُريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل ما أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق). وإذن فالنذير العُريان مأخوذة من عادة العرب في الجاهلية عندما يرى أحدهم العدو ينزع ثوبه ، ويلوحُ به لينذر به قومه ويبقى عُرياناً. وهذا المعنى الذي أراده النبي - صلى الله عليه وسلم - من أنه يبين للناس الحق بكل بيان ووضوح وحرص عليهم وإشفاق ، فالكلمة صورة مستوحاة من البيئة. وإذن فلم يكن هناك ما يُبرر التندر والتفكه والسخرية والاستهزاء ، ولكنها الجراءة على دين الله كتاباً وسُنة. وجاء في شرح ابن حبان للراجحي ما نصه: (قال صلى الله عليه وسلم: (إن مثل ما آتاني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت ذلك ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وأمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعمل ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). وقد رواه البخاري من حديث أبي موسى بلفظ: (فعلم وعلم). فطائفة كالأرض الطيبة التي تقبل الماء فتنبت الكلأ والعشب ، قال العلماء: وهذا مثل العلماء الذين تعلموا وتفقهوا وفجروا ينابيع النصوص وحفظوا الأحاديث فانتفعوا في أنفسهم ونفعوا ، وقد شبههم الرسول الكريم بالأرض التي تمسك الماء فيأتي الناس وينتفعون بها. والطائفة الثانية: وصفها الرسول عليه الصلاة والسلام بقيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ فلا تستفيد لنفسها ولا تفيد غيرها ، وكذلك مثل من لم يستفد ولم يقبل هدى الله وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام. والرسول صلى الله عليه وسلم شبه الإنسان في قبوله الحق بالأرض! وهي ثلاثة أنواع فصلها عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري: (مثل ما بعثني الله به من العلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الماء والعشب الكثير ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً) ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس! فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتاً ، وينبت الكلأ ، فتنتفع بها الناس والدواب وغيرها ، وكذا النوع الأول من الناس فيبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه ويحيا به ، ويعلمه غيره ، بعد أن يعمل به فينتفع وينفع. والنوع الثاني من الأرض هو ما لا يقبل أن ينفع نفسه ولكنه ينفع الناس والدواب وغيرهما بأن يحفظ لهما الماء على سطحه ، وهذا مثل أهل القلوب الحافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيحفظون الأحاديث ليأتي بعد ذلك طالب متعطش لما عندهم من الحفظ فيستخرج فوائده وينتفع به. والنوع الثالث هي الأرض الجدباء لا تنبت فهي لا

تنتفع بالماء ولا تملكه لينتفع به غيرها ، وهذا مثل من يسمع العلم فلا ينتفع به ، ولا يحفظه لغيره).هـ. فرحتُ أنشد على لسان ذلك النذير العُريان هذه القصيدة في محاولةٍ مني للانتصار له ، لأنه رجل مظلوم. أبتغي بذلك وجه الله ، فتخيلته يشكو ويقول:)

أعيـــا الأبـــاعرَ مِنطقـــي وبَيـــاني ... فاســـتهزأوا بالمُنـــذر العُريـــانِ

وتنـــدّروا بســـفاهةٍ ، واستســـخروا ... وتعللـــوا بـــالزور والبُهتـــان

واســـتكثروا منـــي الـــدفاعَ يَـــدينهم ... فســـطوْا علـــى الإثبـــات والبرهـــان

وتبجّحـــوا فـــي قـــولهم ، وتزيّـــدوا ... وتوشّـــحوا بـــالبغي والطغيـــان

وتخرّصـــوا فيمـــا ارتـــأوْه ، وبـــالغوا ... وتصَـــيّدوا الهفـــواتِ كالـــذؤبان

وتســـلحوا بـــالهزل دون تحفـــظٍ ... حتـــى تضـــيعَ معـــالمُ الفرقـــان

وتـــذرّعوا بالجهـــل يُبـــرز حُمقهـــم ... وتخبّطـــوا - فـــي الغـــيّ - كالعُميـــان

وترنحـــوا - عنـــد اللقـــاء - تخـــالهم ... زمَـــراً مـــن الغِربـــان والحِـــدآن

تـــا الله مـــا علمـــوا حقيقـــة حُجتـــي ... كـــلا ، ولا فقهـــوا جميـــل معـــاني

تـــا الله مـــا اعتبـــروا بمـــوعظتي التـــي ... قـــد سُـــقتها بتبتـــل وتفـــان

تـــا الله مـــا فهمـــوا ، ولا لـــن يفهمـــوا ... إن غلبـــوا منظومـــة الشـــنآن

يـــا قـــوم أنـــتم جـــاهلون ، تعلمـــوا ... فـــالعلمُ يرفـــعُ قيمـــة الإنســـان

وزنـــوا الأمـــور بدقـــةٍ ، وتـــدبّروا ... وضـــعوا كـــلام النـــاس فـــي الميـــزان

وتريّثـــوا فيمـــا أردتـــم قولـــه ... كـــم مـــن نفـــوس أزهقـــت بلســـان!

وتمهلـــوا فـــي الحكـــم يُكتـــب وِزرُه ... ويبـــوءُ إمـــا اختـــلَّ بالخســـران

يـــا قـــوم إن لنـــا حقوقـــاً عنـــدكم ... قـــد سَـــنها الجبـــارُ فـــي القـــرآن

ولتســـألن عـــن المظـــالم كلهـــا ... عنـــد المليـــك الواحـــد الـــديان

أنـــا مـــا اعتـــديتُ لتـــذهبوا بكرامتـــي ... ولتلعبـــوا بتعففـــي وكيـــاني

أنـــا مـــا تجـــاوزتُ الشـــريعة والهُـــدى ... لأداسَ فـــي ســـر وفـــي إعـــلان

أنـــا لـــم أنـــل مـــنكم ، ولـــم أكُ مُهْـــدِراً ... حـــق الجـــوار لكـــي أعـــيش أعـــاني

أنـــا لـــم أكلفكـــم عنـــاء مَـــودتي ... أبـــداً ، ومـــا صـــرّحتُ بالعـــدوان

أنـــا لـــم أكـــن عِبئـــاً علـــيكم لحظـــة ... لأذوقَ مُـــر الصـــدّ والهجـــران

أنـــا لـــم أنـــافقْ كـــي يقـــال: منـــافقٌ ... إن النفـــاق ينـــال مـــن إيمـــاني

أنـــا ســـاقني رب الأنـــام لعـــزكم ... فخـــدمتكم بالجـــدّ دون تـــوان

وبـــذلتُ نفســـي كـــي تكونـــوا فـــي الـــذرى ... وخصصـــتكم بـــالجود كـــل أوان

حتـــى إذا نلـــتم مـــآربكم ، بـــدتْ ... لغـــة التشـــفي مـــن فتـــىً مِعـــوان

فجهـــرتُ: أن عـــودوا لســـالف عهـــدكم ... لا تعمَـــدوا للظلـــم والخـــذلان

وأبنـــتُ مِـــن حُجَجـــي الكثيـــرَ مُـــؤمّلاً ... - واللهِ - دحـــرَ وســـاوس الشـــيطان

ومُبيتـــاً حســـن النوايـــا ، راجيـــاً ... دحـــضَ الفِـــرى وإقامـــة الأركـــان

ومفنـــداً شُـــبَهاً تفـــاقمَ شـــرّها ... واســـتحكمتْ بـــالزور فـــي الأذهـــان

واختـــرتُ ألفاظـــاً تؤلـــفُ بيننـــا ... مـــن ســـاحر التصـــوير والتبيـــان

حتـــى إذا عَجمـــتْ علـــيكم أشـــكلتْ ... وبـــرغم مـــا تحويـــه مـــن رُجحـــان

لـــو تســـألوني عـــن غمـــوض شـــابها ... لكـــنْ رفعـــتم حَربـــة الأضـــغان

وكـــأنني فـــيكم خـــدعتُ ، فوَصْـــلكم ... نـــارٌ ، وهـــل يُلتـــذ بـــالنيران؟

فلأشـــكون الحـــالَ لله الـــذي ... بكـــمُ ابتلانـــي ، جَـــلّ مِـــن رحمـــن!

وأنـــا العزيـــز ، ولـــن أطـــاطئ هـــامتي ... يومـــاً لكـــم بالـــذل والإذعـــان

ســـبحانك اللهـــم قـــد أغنيتنـــي ... عـــنهم ، فلســـتُ حِيـــالهم بمُـــدان!

ولســـوف أحيـــا منـــذراً ومبشـــراً ... متمـــثلاً بمقالـــة العدنـــان

شهادة نعتز بها

(لا يمكن أن يتساوى مستشرقٌ ينال من الإسلام بمستشرق آخر منصف يمتدح الإسلام. ومن هنا فشهادة المغرض الأول لسنا نقبلها. بينما شهادة المادح الثاني نقبلها ونقرها ونُجلها ونعتز بها. •• كتاب (الأبطال) لتوماس كارليل يتحدث عن غزوات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول: (إن اتهام النبي محمد بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سُخف غير مفهوم. إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يُشهر رجلٌ سيفه ليقاتل به الناس ، أو يستجيبوا لدعوته. فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليهم).هـ. •• ونقلا عن كتاب (المستشرقون والإسلام) لزكريا هاشم ص50 يذكر عن جيمس متشنر قوله: (اعتقد الغرب أن توسّع الإسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يعتمد المسلمون على السيف ، ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأى ، فالقرآن صريح جداً في تأييده لحرية العقيدة. والدليل قوي جداً على أن الإسلام رحّب جداً بشعوب مختلفة مادام أهلها يُحسنون المعاملة ويدفعون لأهل الإسلام الجزية).هـ. وبلا شك أن مثل هذا يعد مستشرقاً عادلاً. •• وكتاب (دفاع عن الإسلام) للورافيشيا فاغليري) ص 40 تقول: (إن أحداً لا يستطيع اليوم أن يقول أو يزعم أن سيف الفاتح المسلم هو الذي مهد السبيل أمام الإسلام. بل بالعكس تماماً ، ففي الأصقاع التي كانت في يوم من الأيام دولاً إسلامية تولت مقاليد السلطة حكومات جديدة تنتسب إلى أديان أخرى ، وعملت في أوساط المسلمين طوال فترات عديدة منظمات قوية تبشيرية ، ومع ذلك فإن هذه الحكومات الجادة وتلك المنظمات لم توفق إلى زحزحة الإسلام وإقصائه عن حياة الشعوب الإسلامية). •• وأيضاً كتاب (حضارة العرب) لجوستاف لوبون ص 145 يقول: (لم ينتشر القرآن بالسيف! بل انتشر بالدعوة وحدها فقط . وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب ، وسيرى القارئ حيث هنا نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملاً مؤثراً في انتشار القرآن وأن العرب تُركوا مغلوبين أحرارا في أديانهم).هـ. وهكذا كانت أقوال المنصفين! •• ونقلاً عن كتاب (الإسلام في قفص الاتهام) لشوقى أبو خليل ينقل عن الكونت هنري دي كاسترو قوله: (لم يُكره الإسلام أحدا عليه بالسيف ولا باللسان ، بل دخل القلوب عن شوق واختيار ، وكان نتيجة ما أودع القرآن من مواهب التأثير الصادقة المنصفة).هـ. وأنا هنا أصف شعوري شعراً ، ولا أصحح مذاهب المستشرقين الكفار منهم ولا أقر أديانهم الباطلة! ومن هنا تصدق المقولة بأن الشعر شعور! وتحت عنوان: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) كتب الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (الشعر موضوعٌ تشكَّل في القلب ، مكمن الشعور ، وليس في العقل ، ثم أنضَجَه الفكرُ المتحرر من قيود الأنا ، المنطلق في رحاب الكلّ ، إنني لا أضع هدفاً يحتِّم عليَّ الانسياق في إطار محدَّد ، حين أشرع في الكتابة ، أي في ترجمة الشعور الداخلي إلى كلمات ومفاهيم. وبشكل آخر أفضِّل أن أكون ريشةً في يد الشعور الذي يعتمل في أعماقي ، والذي هو عينه شعور الكلّ الإنساني المستيقظ فيَّ ، فيرسم ويخط بي ألواناً وعباراتٍ من ذاته المفعمة بشعر الحياة. وعلى ذلك فأنا لا أكتب عموماً ولا أحاول أن أكتب عندما يلوح لي موضوع معيَّن ينطلق من مقدمات ليصل إلى نتائج محددة ، بل ونهائية ، وأصرُّ دائماً على أن يكون ما أحاول طرحه تعبيراً عن البوتقة الجماعية المشتركة التي أحيا فيها مع الإنسانية جمعاء ، في السيرورة المتحررة دوماً من قيود الزمان والمكان لوجودنا

معاً! إن ذلك يضعني حقاً في إطار ما ، لكنني في الحقيقة لا أكون فيه وحدي ، وبذلك أُشرِك قارئي معي ، كوننا في الجوهر ، فعلاً متبادلاً ضمن تلك البوتقة العظيمة ، حيث تنضج شيئاً فشيئاً حياةٌ أكثر حرية وأكثر انتظاماً ، وتتبلور فكرةٌ لا تخضع لمقاييس العقل ، وتفلت حتى من مفهوم اللانهاية ، ضمن عوالم أكثر شفافية وجمالاً! أليست تلك هي حقاً لمسات الشعر الحقيقية ونفحات الشعور المحلِّق في عوالمه؟! إن اللحظة التي نغيب فيها فنعاين ذلك النور البعيد الذي يزداد ألقُه كلَّما أوغلنا في الاستغراق بعبق الحضور الآني والتجلِّي الكلِّي لهي لحظة الشعور الكامل ، الطافحة بالحياة والنابضة بطاقة الوجود وبحقيقته. من هنا وعند هذه النقطة تتحول دراسةُ العلاقة بين الشاعر وشعره إلى العلاقة الجوهرية بين الشاعر وقارئه – أي الإنسان. وفي اللحظة التي نستشفُّ فيها إمكانية اكتمال الشاعر وامتلائه بشعره نكتشف أن ذاته تغيب في أفق حياة الآخرين لتمثِّل المجموع المشترك للمعاناة الواحدة التي تظهر بأشكال مختلفة عند كلِّ إنسان. وإذا كان صحيحاً أن الإنسان قد جرَّ على نفسه صعوباتٍ كثيرةً يعاني منها لكنه كان دائماً لا يغفل عن تعميق معاناته الداخلية ، وكأنه يدرك أن فيها تكمن – وستنضج بالتالي – روحُ الفكرة الحرَّة الكاملة. لا شكَّ أن مثل هذه العملية عملية واعية ، لكنها تتم ضمن البُعد النفسي أو الداخلي الذي ينظِّم كافة عمليات الفعل وردِّ الفعل على مستوي الكون والإنسان. ولذلك لم يدرك الإنسان حقيقة هذه العملية التي ليست في الواقع إلا تعبيراً عن الشعور الداخلي الجماعي – الشعور الكلِّي ، الشعور الفاعل في كلِّ إنسان ، والمعبِّر عن وحدة الإنسانية في الجوهر. إن حاجة الإنسان إلى التعبير عما يعتمل في أعماقه تشير إلى محاولته المتواصلة رسمَ الصورة الكاملة للحقيقة الصافية التي يعاينها حيناً ، وتغيب عنه أحياناً ، والتي تبقى دائماً دافعه الرئيسي إلى التأكيد على قيمة وجوده وعلى عظمة الكون المحيط به. لكن حاجة الإنسان إلى التعبير تتوقف على نقله الصورةَ التي يرى فيها سبراً لذاته واقتراباً من الحقيقة الشفافة الكامنة فيه!).هـ. ولقد رحتُ أتغنى بهذه الشهادات المنصفة العادلة التي خطها المستشرقون المنصفون ، وأجعلها في مقدمة قصيدتي هذي معترفاً لهم ـ كما اعترفوا لنا ـ بالحق. والفضل ما شهدت به الأعداء ، كما يقولون. فتلك شهادة نعتز بها حقاً!)

أدِلـــتكم تعضّـــدُ صـــادقَ الـــدعوى ... فقـد بلغـتْ ـ وربّـي ـ الغايـة القُصـوى

وذِكراهـــا لقـــد فاحـــت نضـــارتها ... وإنّ لهـــا إذا مـــا نوقشـــتْ جـــدوى

ونحـــن نُجـــلّ مـــا تحـــوي شـــهادتكم ... لأن لهـــا صـــدىً ـ فـــي داركـــم ـ أقـــوى

نعـــم ، لـــم تنتشـــرْ بالســـيف شِـــرعتنا ... فهـــذي فِريـــةً عمّـــتْ بهـــا البلـــوى

وكِذبـــة مَـــن يُشـــكِك فـــي حنيفتنـــا ... ويـــنفخ فـــي أدلتهـــا كمـــا يهـــوى

ويَلقـــى مـــن يُتابعـــه علـــى الســـوآى ... ويُوغِـــلُ فـــي دروب الســـر والنجـــوى

ويقضـــي العُمْـــر فـــي زور وفـــي كـــذب ... فيهـــوي فـــي ضـــلالته ، ولا مَهـــوى

فـــإن الـــدين لـــم يُكـــرهْ مَـــن اتبعـــوا ... وإن لـــــه روايـــــاتٍ بـــــذا تُـــــروى

وأعـــداءُ الهُـــدى - بـــالحق - قـــد شـــهدوا ... وكـــم فـــي كـــل مـــا قـــالوه مـــن ســـلوى!

وحـــاربَ ديـــنُ رب النـــاس مَـــن ظلَمـــوا ... ومَـــن قـــد حـــاربوا الأخـــلاقَ والتقـــوى

وســـالمَ مَـــن يريـــد الســـلم مُحترَمـــاً ... وبـــين الكفـــر والإســـلام مـــا ســـوّى

وإذ أبقـــى علـــى كُفـــر يـــدينُ بـــه ... فلـــم يُقتـــل ، ولـــم يُتـــرَك بـــلا مـــأوى

فـــدينُ الله أمّنـــهُ علـــى نفـــس ... ومـــا ملكـــتْ ، فعاشـــت دونمـــا شـــكوى

وقـــد كفـــل الطعـــامَ لهـــا وشُـــرْبتها ... وإن ماتـــت فـــلا لـــن تعـــدم المَثـــوى

فيـــا تومـــاس نحـــن اليـــوم نشـــكُركم ... علـــى الإنصـــاف فـــي حكـــم وفـــي دعـــوى

ونشـــكر (جمـــس) أنْ أدلـــى بفكرتـــه ... بلفـــظٍ واضـــح التبيـــان والأهـــوا

وقـــد أضـــحى طبيبـــاً فـــي حواضـــر مَـــن ... قـــد استعصـــتْ تِعِلـــتُهم علـــى الأدوا

هـــو الأســـتاذ فـــد جاءتـــه أســـئلةٌ ... فأمســـى يُرســـلُ الإيضـــاحَ فـــى الفتـــوى

ونُكْبـــرُ فـــي ســـماء الفكـــر (خالـــدة) ... وصـــفحتها مـــدى الأيـــام لا تُطـــوى

ونعظِـــم مـــا رأى جوســـتاف دون هـــوى ... عـــن القـــرآن رغـــم الـــدسّ والعـــدوى

ونجعـــلُ مـــا ارتـــأى (هِنـــريْ) مَحجتنـــا ... علـــى مـــن يشـــتهي - بالنـــار - أن يُكـــوى

حقـــائقُ قالهـــا الكفـــارُ تجعلنـــا ... نراجعُهـــا ، ففيهـــا عـــذبُ مســـتهوى

وكـــم تـــروي الـــذي يـــأتي مواردَهـــا ... فيشـــكرُها ، ويَطـــربُ بعـــد أن يُـــروى

ويحملهـــا لمـــن - فـــي الـــدار - يجهلهـــا ... فيحيـــا مســـتبينَ الفهـــم لا يُغـــوَى

وتُشـــرقُ - بعـــد ظلمتهـــا - بصـــيرته ... فيرمـــي خلفـــه التضـــليلَ والإغـــوا

وإن الفضـــل مـــا شـــهدتْ بـــه الأعـــدا ... فأضـــحى يغمـــرُ الســـاحاتِ والأجـــوا

ألا يـــا غـــربُ ، فاشـــهدْ بالـــذي شـــهدوا ... ولا تطعـــنْ شـــريعتنا كمـــا تهـــوى!

شموخ داعية

(ترفع ذلك الداعية عن أن يُطوّع دين الله كتاباً وسُنة لقاءَ الدنانير والدراهم والبيت والوظيفة. واختار الشقاء العاتي فكان شقاء في سبيل الشموخ. ذلك أن كل شموخ له ثمنٌ غال غلوَ الشموخ. إنّ الإيمان هو (إقرار باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان). يقول ابن تيمية في بيان أهمية أعمال القلوب: "إنها من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبته لله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين لله والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك".هـ. ويقول ابن القيم: "أعمال القلوب هي الأصل ، وأعمال الجوارح تبع ومكملة! وإنّ النيّة بمنزلة الروح ، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء ، الذي إذا فارق الروح ماتت ، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح".هـ. فرُحتُ أنشدُ للداعية من الرمل هذه القصيدة!)

عَلّمِ الصرعى ثباتَ الصالحينْ ... واسمُ فذاً في سجل الخالدينْ

واتركِ الدنيا لأصحاب الهوى! ... طاعة المولى هي الكنز الثمين

واهجرِ التطويعَ ، لا تحفلْ به ... إنما التطويعُ سَمتُ المُغرضين

لا تبعْ دينك ، هذي فتنة ... غاصَ فيها كل أرباب الفَتون

قد عهدناك هُماماً صامداً ... تنشرُ الحق بنصح مُستبين

لم تجاملْ لحظة ترجو الغنى ... إنما رحّبتَ بالفقر الغبين

انت لم تقبلْ عطايا ظالمٍ ... يشتري صمتك ، يُرضي الظالمين

أنت لم تقبلْ هدايا مَن غوى ... وغدا - في الناس - مُسوَدّ الجبين

بل ترفعت - عن الدنيا - أتتْ ... ترفعُ النذل ، وتُزري بالرزين

وتساميت رضيّاً بالذي ... قسَمَ الرحمنُ ربُّ العالمين

واتقيت الله لم تركنْ إلى ... عُصبة التطويع أخزى المُجرمين

رافعاً رأسك تسعى واثقاً ... بفؤادٍ زادُه فرْطَ اليقين

عالماً أن الذي لم تأتهِ ... منذ عِقدين كمثل الهازلين

كيف تأتيه مُجِباً راغباً ... بعد أن جاوزت سن الأربعين؟!

كيف أصبحت؟

(إن أحداً اليوم لا يعني بهذا السؤال الاستفسار عن حال الإيمان والقرآن والإسلام والإحسان بقدر ما يعني السؤال عن الدنيا بكل ما يتعلق بها من مال أو مساكن أو مطاعم أو مشاغل. ويكون الجواب موافقا لهوى السائل: بخير ، في أحسن الحال. * قال بكر بن عبد الله لأبي تيمية: كيف أصبحت؟ فأجاب بقوله: (بين نعمتين أحار بينهما لا أدري أيتهما أفضل: ذنبٌ صرفه الله عني فلا يستطيع أحد أن يرميني به ، ومحبة رزقني الله إياها من عباده ما بلغها علمي).هـ. الله أكبر جواب فذ من عالم فذ. * وسأل المُزني الشافعي وهو عليل فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فأجاب الشافعي بقوله: (أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولسوء فعالي ملاقياً ، وعلى الله وارداً ، ولكأس المنية شارباً ، ولا والله ما أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها).هـ. الله أكبر! جوابٌ لا تعليق عليه. * وقيل للربيع بن خثيم: كيف أصبحت يا أبا زيد؟ فقال: (أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا).هـ. * وقيل للشافعي: كيف أصبحت يا إمام؟ فقال: أصبحتُ تطلبني ثمانية: الله تعالى بالفرض. ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بالسنة. والدهر بصروفه. والعيال بقوتهم. والحفظة بما ينطق لساني. والشيطان بالمعاصي. والنفس بالشهوات. وملك الموت بقبض روحي. الله أكبر! جوابٌ أدق من الدقة ذاتها. * وبعضهم كان يتندر في جوابه على السؤال ذاته ليقول لنا كلاما ظاهره المزاح المريب وباطنه فيه الجدية والحزم. وفرقٌ بين تندر الناس اليوم وتندر الأسلاف بالأمس. فعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه – قال: سألني عمر بن الخطاب ذات يوم فقال: كيف أصبحت يا أبا أمامة؟ فقلت: أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأصلي بغير وضوء ، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء. فاحتار عمر الملهم في تأويل مثل هذا الجواب ، واستعاد أبا أمامة ، فلقي الجواب ذاته. فما هو أن لقيَ علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - فصدّق على أبا أمامة بقوله: لقد صدقك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: كيف يرحمك الله؟ فقال علي: أما قوله أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق فحبه لماله وولده وكراهيته للموت. وأما صلاته بغير وضوء فعلى النبي – صلى الله عليه وسلم - وأما الذي له في الأرض وليس لله في السماء فالزوجة والولد! فأعجب عمر بالجواب. * وسُئل حسان بن أبي سنان: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ وكيف حالك؟ فقال: ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب؟ * وقيل للحسن البصري: كيف حالك يا أبا سعيد؟ فقال: (بأشدّ حال ، ما حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به؟).هـ. فكأنه رد على السؤال بسؤال أبلغ. * قال حوشب لحسان بن أبي سنان: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال: (أصبحت قريبٌ أجلي بعيدٌ أملي سيءٌ عملي).هـ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ! وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ". أخرجه الترمذي وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة". قال العلامة المباركفوري في "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي": هَمَّهُ أَيْ قَصْدُهُ وَنِيَّتُهُ. جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ أَيْ جَعَلَهُ قَانِعًا بِالْكَفَافِ وَالْكِفَايَةِ ، كَيْلَا يَتْعَبَ فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ أَيْ أُمُورَهُ الْمُتَفَرِّقَةَ ، بِأَنْ جَعَلَهُ مَجْمُوعَ الْخَاطِرِ بِتَهْيِئَةِ أَسْبَابِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا أَيْ مَا قُدِّرَ وَقُسِمَ لَهُ مِنْهَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ أَيْ ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ تَابِعَةٌ لَهُ لَا يَحْتَاجُ فِي طَلَبِهَا إِلَى سَعْيٍ كَثِيرٍ بَلْ تَأْتِيهِ

هَيِّنَةً لَيِّنَةً عَلَى رَغْمِ أَنْفِهَا وَأَنْفِ أَرْبَابِهَا وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ وَفِي الْمِشْكَاةِ: وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الِاحْتِيَاجِ إِلَى الْخَلْقِ كَالْأَمْرِ الْمَحْسُومِ مَنْصُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ أَيْ أُمُورَهُ الْمُجْتَمَعَةَ. قَالَ الطِّيبِيُّ: يُقَالُ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ أَيْ مَا تَشَتَّتَ مِنْ أَمْرِهِ. وَفَرَّقَ اللَّهُ شَمْلَهُ أَيْ مَا اِجْتَمَعَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَهُوَ مِنْ الْأَضْدَادِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ أَيْ وَهُوَ رَاغِمٌ ، فَلَا يَأْتِيهِ مَا يَطْلُبُ مِنْ الزِّيَادَةِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ وَأَنْفِ أَصْحَابِهِ. يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (وقد جعل الله سبحانه وتعالى الموازنة بين الدارين مائلة إلى الآخرة فقال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) ، فقدم الآخرة وجعلها الهم الأكبر ، ولها العمل الأكثر ، وجعل الدنيا تالية وقال: وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، فيستعمل العبد ما وهبه الله من المال والنعم في طاعة ربه والتزوّد للآخرة ؛ لأن صاحب هذه الدار لا يدعنا فيها ، ولا بد أن يرحلنا عنها إلى داره الأخرى! وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا مما أباح الله لك فيها من المآكل ، والمشارب ، والملابس ، والمساكن ، والمناكح ، فإن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولزوْرك عليك حقاً ، فآت كل ذي حق حقه ، إنه الاعتدال في المنهج الإسلامي ، ولكنْ يميل إلى الأهم ، ويقدّم الأهمّ على المهم ، فالعمل في الدنيا مهم ، ولكن للآخرة أهم ، فما الذي يقلقنا قبل نومنا؟ ما الذي يفرحنا ويحزننا؟ ما الذي يغضبنا؟ ما الذي فيه أمنياتنا؟ ما الذي أحياناً نراه في أحلامنا؟ الهم الأكثر منصرف إلى ماذا؟ وهكذا فإن المحاسبة هي التي تقود إلى تصحيح المسار في العمل ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يهمه إقامة الدين ، ونشر الإسلام ، كان دائم التفكير والقلق من أجل هؤلاء المعرضين: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) يعني: مهلك نفسك ، (إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) ، وقال تعالى: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) ، ومعنى ذلك: أنه عليه الصلاة والسلام كان دائم الهم حزيناً عندما ينظر إلى إعراض هؤلاء ، حتى واساه ربه وقال: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍسورة فاطر).هـ. فلمّا قارنتُ الأجوبة المتباينة بين أجوبة السلف الكرام وبين أجوبة أغلب أهل زماني ، كانت هذه القصيدة ترجمة للمقارنة للسؤال: كيف أصبحت يا فلان؟!)

بيُســـر الحـــال للـــنفس اغتـــرارُ ولـــيس لهـــا - ببلـــواهُ - اعتبـــارُ

وتعصِـــرُها الحـــوادث كـــل حـــين ولـــيس لهـــا مِـــن الألـــم ادّكـــار

وتبلوهـــا القـــوارعُ دون رفـــق ولـــيس لهـــا - علـــى الهـــزل - انتصـــار

وترجُمُهـــا الـــدغاولُ بالبلايـــا ولازالـــت يراودُهـــا التبـــار

وتفتنهـــا العواقـــبُ فـــي مَضـــاءٍ ومـــا للـــنفس - فـــي البلـــوى - جـــؤار

وتمسِـــي غضـــة لـــم تشـــكُ شـــيئاً كـــأن الصـــمت للـــنفس الشـــعار

إذا سُـــئلتْ عـــن العمـــر اســـتكانت لســـائلها ، وســـربلها العَثـــار

وتمعِـــنُ فـــي الكبـــائر دون وعـــي كـــأن العمـــر بـــدّده البـــوار

لهـــا فـــي الغـــيّ تجربـــة ودرسٌ ... وإن الغـــــــي مَخبثـــــــة وعـــــــار

ومَـــن يهـــزلْ يغربلّـــه التـــردّي ... ويصـــــــحبْه الترهـــــلُ والصَـــــغار

ومـــا استعصـــى علـــى نفـــس عســـيرٌ ... إذا مـــــا كـــــان - فـــي يـــدها - القـــرار

فغلبَـــتِ الســـموّ علـــى التـــدني ... وكـــان لهـــا - علـــى البلـــوى - اصـــطبار

وآثـــرتِ الرشـــادَ ، ولـــم تجـــادلْ ... وكـــــان لهـــــا مـــــن الخطـــأ اعتـــذار

وفضـــلتِ المُضـــيَ ، ولـــم تســـوّفْ ... وكـــــان لهـــــا - بطاعتهـــــا - افتخـــــار

لتحفِـــز غيرهـــا ، وتحـــضّ قومـــاً ... علـــــى التقـــــوى ليعتـــــدل المســـــار

لنـــا يـــا نفـــس أســـلافٌ كِـــرامٌ ... بهـــــــم - واللهِ - يفتخـــــــر الفخـــــــار

لهـــذا الـــدين عاشـــوا فـــي زمـــان ... تباعـــــد ، فيـــــه يُمـــــتحَن الخِيـــــار

وفـــي التـــأليف عاشـــوا شـــطر عُمْـــر ... ولمّـــــا جاهـــــدوا فـــــرّ التتـــــار

لقـــد علمـــوا بـــأن الوقـــت ســـيفٌ ... يُقطـــــع مَـــــن تملكَـــــه الخســـــار

لـــذا اغتنمـــوه فـــي تحصـــيل عِلـــم ... تضـــــاءُ بـــــه الممالـــــكُ والـــــديار

وكـــلّ جـــدّد العلـــمَ احتســـاباً ... وفـــي وجـــه الضـــلال الصِـــيد ثـــاروا

وكـــلّ جـــاد بالوقـــت اغتنامـــاً ... فطابـــت - بعـــد جُـــودِهِمُ - الثمـــار

فهـــل لـــكِ أســـوة يـــا نفـــسُ فـــيهم؟ ... ألـــــيس يُثيـــــر همتـــــك الكِبـــــار؟

فقـــد عاشـــوا لهـــذا الـــدين ذخـــراً ... بـــــه كـــــم جاهـــــدوا ، وعليـــــه غـــــاورا

ألا يـــا نفـــس فـــاتبعي هـــداهم ... وسِـــيري - يـــا حبيبـــة - حيـــث ســـاروا

فليلـــكِ طـــال ، والظلمـــاتُ طمّـــتْ ... ألـــــيس لليـــــل خيبتنـــــا نهـــــار؟

فضيحة

(اعتاد ذلك المتشاعر أن يأخذ أعمال الآخرين إما شراءً وإما سطواً ، ثم ينسبُها لنفسه. وإذا به يُسأل ذات مرة عن إحدى هذه القصائد المشتراة أو المنحولة أو المسروقة ، فإذا به لا يكاد يحسن أبسط جواب عنها. فكانت فضيحة منكرة! وسرقة الممتلكات العينية والأموال مُحَرّمة ولا تصح ، ولكن هل العواطف والأحاسيس والمشاعر والخواطر تسرَق؟! سبحانك هذا بهتان عظيم! واستغل ذلك الثري حاجاتِ الشعراء المبتدئين إلى المال ، فراح يسرق عواطفهم ومشاعرهم بالمال! ثم يُخرج للناس وللقراء الديوان تلو الديوان! فخرجتْ الأشعار المنحولة المسروقة نشاذاً لا يُشبع نهم القراء! ولا يكوّن فكرة صادقة عن شاعر صادق! بل كانت في جُملتها إفكاً مفترىً! وعلم القاصي والداني أن شاعر هذا النص يختلف عن شاعر ذاك النص! فكانت فضيحة لا وصف لها!)

يجـــود بهاليـــلٌ بنـــور القـــرائح ... ويســـطو جهـــولٌ ، يـــا لـــذل الفضـــائح!

وإن تُســـرَق الأمـــوالُ ، فـــالأمرُ هـــيّنٌ ... ولـــو سُـــرقتْ جبـــراً بحـــدّ الصـــفائح

وسِـــرْقة أنـــات القـــريض عظيمـــة ... وبيـــعُ القـــوافي مـــن عتـــيّ القبـــائح

وكيـــف يبـــاهي بالقصـــائد ســـارقٌ؟ ... ولـــو تشـــتري فالســـعرُ بعـــضُ القـــوادح!

ســـلامٌ علـــى الشـــعر الأصـــيل وأهلـــه ... إذا أضـــحتِ الأشـــعارُ مثـــلَ الـــذبائح

ســـلامٌ علـــى الأشـــعار مـــن ســـوء حظهـــا ... تُبـــاعُ وتســـبَى بـــين غـــادٍ ورائـــح

ومَـــن ذا الـــذي يهـــوى ســـماع قصـــيدة ... يُردّدهـــا ســـاطٍ حقيـــرُ المطـــامح؟

يظـــن بـــأن النـــاس تقبـــلُ زيفـــه! ... وإن لـــبعض النـــاس أزكـــى القـــرائح

ولا ينطلـــي زيـــفٌ علـــى أتقيـــائهم ... فكيـــف بشـــعر ســـاقه غيـــرُ صـــالح؟

ألا فانتصـــحْ يـــا ســـارقَ الشـــعر وانتبـــهْ ... وتـــبْ ، وانتفـــعْ يـــا غِـــرّ بالنصـــائح

ولا تســـرق الأشـــعارَ ، هـــذه هزيمـــة ... أترجـــو بمـــا تســـطو رطيـــبَ المـــدائح؟

ولا تشـــتر الأشـــعار لـــم تنفعـــلْ بهـــا ... فـــإن شـــراء الشـــعر لـــيس بـــرابح

ســـيعرف جُـــل النـــاس أنـــك ســـارقٌ ... فلـــيس الـــذي يســـطو كشـــهم منـــافح

ومَـــن يشـــتر الأشـــعارَ يُحسَـــبُ ســـارقاً ... ولـــو بـــائعٌ يرضـــى لأجـــل المصـــالح

صدقةٌ تقود إلى التوبة

(عشِقَ المعاصي ، وذات ليلة خرج من أحد الفنادق ، فلقيه متسولٌ كسيح. فقال: ما فائدة الصدقة إذا كان حالي كما ترى: عربدة ومجونٌ وخمرٌ وزمرٌ وطبل؟ فدعا الله له صادقاً فتاب! روى البخاري ومسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن عبداً أصاب ذنباً ـ وربما قال: أذنب ذنباً ـ فقال: رب أذنبتُ ذنباً ـ وربما قال: "أصبتُ ـ فاغفر ، فقال ربه: أعَلِم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ؛ ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً ـ أو أذنب ذنباً ـ فقال: رب أذنبتُ ـ أو أصبت آخر ـ فاغفره ، فقال: أعَلِم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي! ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً ـ وربما قال: أصاب ذنباً ـ فقال: رب أصبتُ ـ أو قال : أذنبتُ ـ آخر فاغفره لي فقال: أعَلِم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي! ثلاثاً فليعمل ما شاء!)

أنـــأ لـــي ولـــوعٌ بارتكـــاب المنكـــراتْ ... والـــنفسُ قـــد ألفـــتْ قتـــامَ المَعصـــياتْ

مـــا قيمـــةَ الصـــدقات أبـــذلُها إذنْ ... وأنـــا غريـــقٌ فـــي أتـــون المُوبقـــات؟

وطغـــى علـــيّ ترَهّلـــي وتحللـــي ... حتـــى استســـغتُ تهتكـــي والمنكـــرات

ورأيـــتُ خيـــراً مـــا أجـــوبُ مـــن الهـــوى ... ومشـــيتُ طوعـــاً فـــي ســـراب المُغريـــات

ورأيـــت نـــوراً مـــا أخـــوضُ مـــن الـــدجى ... فاســـتعذبَ القلـــبُ الشـــقيّ الســـيئات

حتـــى بصُـــرتُ بمـــن دعـــا متبـــتلاً ... ثـــم اســـتجابَ اللهُ ربُّ الكائنـــات

فتبـــدّلتْ حـــالٌ يئســـتُ دوامَهـــا ... ورأيتنـــي أهـــوى الهُـــدى والمَكرُمـــات

ورأيـــتُ قلبـــاً تـــاب أصـــدقَ توبـــةٍ ... ووجـــدتُ نفســـي تحتفـــي بالتضـــحيات

ولزمـــتُ فعـــلَ الخيـــر ، والـــدنيا تـــرى ... ورزقـــتُ تقـــوى الله مِـــن بعـــد الثبـــات

ولمســـتُ ـ للطاعـــات ـ أجمـــلَ لـــذةٍ ... تجتـــث مـــا فـــي خـــاطري مِـــن تُرّهـــات

وذكـــرتُ مـــا قـــد كـــان مـــن ماضـــى الهـــوى ... وذكـــرتُ بـــالعَبَرات مُـــرّ الـــذكريات

وذكـــرتُ عمـــراً ضـــاع لـــم أحفـــلْ بـــه ... وحيـــاة عبـــدٍ شـــوّهتها المنكـــرات

فسُـــررتُ أنـــي قـــد خصِصْـــتُ بتوبـــةٍ ... عـــن كـــل مـــا قارفتـــه قبـــل الممـــات

يـــا رب فاقبـــل تـــوبتي وتنسّـــكي ... وأعـــنْ علـــى عـــيش دهتـــه المُعضـــلات

لا يزالُ مغنماً

(ظل يستنزف صاحبه. والثاني يعلم دناوة الأول. ولكنه لأصالته يُصرّ على استمرارالعلاقة ، وإن ظل مغنماً لأسامة ، ذلك الصاحب الانتهازي! وحول آداب الصحبة يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (وآداب الصحبة كثيرة ، والصحبة ولا شك من الأمور المهمة للغاية ، فإن الإنسان اجتماعي بطبعه ولا بد أن يكون له إخوة وأصحاب و(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. والله سبحانه وتعالى قد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه خيراً ، فقال عز وجل: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ). وقال سبحانه: (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ). وإذا كان الإنسان على دين خليله فلا بد أن يكون لهذا الخليل صفات تجعل مصاحبته في مرضاة الله سبحانه وتعالى ، والصاحب يؤثر في صاحبه. ولا شك أن الاعتناء بآداب الصحبة يربط الإخوة ببعضهم البعض ، ويجعل المسلمين جسداً واحداً كما يريد الله سبحانه وتعالى ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً). وإذا اعتنى الإنسان بإخوته فصفت العشرة ودامت المودة ، وأصبح المؤمنون كالجسد الواحد ؛ كان ذلك بناءً عظيماً للمجتمع الإسلامي ، وسداً منيعاً في وجه الشرّ وأهل الكفر. فتعالوْا بنا نستعرض بعض آداب الأخوة التي ذكرها بعض أهل العلم ، فمن آداب الأخوة: أولاً: حسن الخلق ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن خير ما يُعطَى الإنسان خلقٌ حسن ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود وغيرهما ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمخالطة الناس بالخلق الحسن ، فقال صلى الله عليه وسلم: (وخالق الناسَ بخلق حسن). وهو اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم. ولا شك أن حسن الخلق يولد الأخوة ويؤلف الطباع. ومن آداب الصحبة أيضاً أن تعطي كل أحدٍ من الذين تصاحبهم حقه على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم ، قال بعض أهل العلم: للمعاشرة أوجه ، فللمشايخ والأكابر بالاحترام والخدمة والقيام بأشغالهم ، وللأقران والأوصاف بالنصيحة وبذل الموجود ، وللتلاميذ بالإرشاد والتأديب ، والحمل على ما يوجبه العلم وآداب السنة. ومن آداب الأخوة كذلك: الإغضاء عن العثرات ، فعثراتُ الأخوّة لا بد من حصولها ، والصفحُ عنها من قيم الصاحب المؤمن! قال الفضيلُ بن عِيَاض رحمه الله: "الفتوة: الصفح عن عثرات الأخوة" وكما يحب الإنسان أن يعامل إذا أخطأ بالصفح والتغافر ، فينبغي كذلك أن يعامل الإخوة بالمعروف ، قال ابن الأعرابي: "تناسَ مساوئ الإخوة يدمْ لك ودهم". ولا شك أن الذين لا يتناسون عثرات إخوتهم يقعون في مأزق عندما يفقدونهم الواحد تلو الآخر ، والله سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ). ما هو الصفح الجميل؟ الذي ليس فيه تقريع ولا تأنيب ، وإنما هو معاتبة للرفيق ، والمؤمن يألف ويؤلف ، ومن الأشياء التي تجعل الإنسان يؤلف أن يتغاضى عن عثرات إخوته. وكذلك من الآداب: ستر عيوب الإخوة. وتحسين عيوبهم ، فبعضُ الناس قد يجد في أخيه عيباً ؛ فالموقفُ أن يحاول إصلاح عيبه ، وأن يرشده إلى الطريقة التي به يقوم عيبه ، ويستر عيوبهم ؛ بمعنى أنه لا يشيعها ولا يتطلبها ، ولذلك قال بعض السلف: المؤمنُ يطلب معاذير إخوته والمنافق يطلبُ عثراتِ إخوته ، وينبغي على الإنسان إذا أخطأ أخاه أن يلتمس له الأعذار الكثيرة ، وإذا لم يقبل عذره فليتهم نفسه ، كيف تطلب كل هذه الأعذار ثم لا تقبلها؟ ومن آداب الأخوة: أن

يعاشر من يوثق بدينه وأمانته في الظاهر والباطن ؛ لأن الله قال: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ). ولذلك لا خير في مصاحبة أهل الدنيا ؛ لأن أهل الدنيا يدلون على طلبها وجمعها ومنعها ، ولا شك أن هذا يبعد الإنسان عن سبيل النجاة ، وإنما يعاشرُ أهل الخير ومن يدله على طلب الآخرة ، ولذلك أوصى بعضهم صاحباً له يريد مفارقته بقوله: "عليك بصحبة من تسلم منه بظاهر أمرك ، وتبعثك على الخير صحبته ، ويذكرك الله رؤيته أي: رؤيته تذكرك بالله ، هذا الذي تحرص على صحبته. وكذلك من آداب الصحبة: أن لا يحسد إخوته على ما يراه من النعم عندهم ، لأن الله سبحانه وتعالى قد فاوت بين العِباد في الأرزاق والعطيات ، والمواهب والأموال ، ونحو ذلك ، فينبغي على الأخ إذا آخى أخاً له أن لا يحسده على نعمة عنده ، وأن يحمد الله أن وهبها لأخيه ، والله عز وجل قال: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحاسدوا). وكذلك من آداب الصحبة: أن لا يواجه أخاً من إخوته بما يكرهه ، فإذا كان يكره أمراً معيناً فلا يواجهه به ، ما لم يكن في ذات تلك المواجهة مصلحة له أو نصيحة في الدين. ومن آداب الصحبة: ملازمة الحياء مع الأخ ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الحياء من الإيمان). وقال عليه الصلاة والسلام: (استحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك). بل استحي من الله أعظم مما تستحي من رجل صالح من قومك ، لكن ضربه مثلاً للتقريب. وكذلك من آداب الأخوة: بشاشة الوجه ، ولطف اللسان ، وسعة القلب ، وإسقاط الكِبر. ومن آداب الأخوة: أن لا يصحب إلا عاقلاً وعالماً ، وحليماً تقياً. فإن صاحب العقل مهم ، بالإضافة إلى كونه صاحب دين. وكذلك من آداب الأخوة: سلامة الصدر للإخوة والأصحاب ، والنصيحة لهم ، وقبول النصيحة منهم ، وأن يكون كما قال الله: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ). وأن يكون صاحب صدر سليم ؛ خال من الأحقاد والضغائن على إخوته. وكذلك من آداب الأخوة: أن لا يُخلف الإنسان وعده ، لأن إخلاف الوعد من علامات النفاق كما قال صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث. وذكر منها: إذا وعد أخلف). وقال الثوري رحمه الله: "لا تعِد أخاك موعداً فتخلفه فتصبح مودته لك بُغضا". ومن آداب الأخوة: أن يصحب من يستحي منه ويحتشمه. وقال بعضهم: أحب الطاعات بمجالسة من يستحيا منه ، وقالوا كذلك: ما أوقعني في بلية إلا صحبة مَن لا أحتشم ، وما المقصود بصحبة من لا تحتشم أي: الذي لا تستحي أن تفعل أمامه من المنكرات ما شئت ، هذا لا تصحبه ، لأنك مهما فعلت من الأخطاء والمنكرات فإنك لا تشعر بالحشمة. لا تحتشم أي: لا تقيم له وزناً ، احرص على مصاحبة الشخص الذي تستحي من فعل أو قول المنكر أمامه ، احرص على مصاحبة الشخص الذي تحتشم وتحرص على أن لا يظهر منك عيب ولا خلل أمامه ، لأن كثرة مصاحبة هؤلاء توجب للإنسان الابتعاد عن هذه السيئات ، أما إذا صاحب أشخاصاً من السفلة الذين لا يستحي أن يسمع أمامهم منكراً أو يقول أمامهم منكراً ؛ فلا شك أن هذا سيجرّئه على المنكرات ، بل ربما أعانوه عليها. وكذلك من آداب الأخوة: أن يحفظ إخوته فيما يصلحهم لا ما يريدونه ، فإن الصاحب قد يريد منكراً أو يريد شراً ، فأنت لا تحرص على تلبية رغبته لأنه يريد منكراً ، والمؤمن يعاشرك بالمعروف ، ويدلك على صلاح دينك ودنياك ، والمنافق يعاشرك بالممادحة ويدلك على ما تشتهيه ، فهذا الفرق بين مصاحبة المؤمن ومصاحبة المنافق. وكذلك من آداب الصحبة: ترك ما يؤذيه عموماً بالمواجهة أو بغيرها ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً). ومن آداب الصحبة: أن تحب له ما

تحب لنفسك ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). ومن آداب الصحبة: أن تحرص على ما يجلب المودة بينك وبينه كما قال عمر رضي الله عنه: [ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسّع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه]. ولا شك أن السلام من أسباب المحبة. وإذا وسعت له في المجلس إذا دخل دل ذلك على قيمته عندك ، وعلى حرصك على راحته ، وعلى إكرامك له ، والنفوس ترتاح لمن يُكْرِمُها ، وإذا دعوته بأحب الأسماء إليه فإن ذلك أيضاً من أسباب محبته لك ، فإن النفوس لا ترد من يناديها باسم فيه عيب أو فيه نوع من السخرية. وكذلك من آداب الأخوة: أن تحمل كلامه على أحسن الوجوه: فإذا وجدت لكلامه وجهاً حسناً فاحمله عليه ، وضعْ أمرَ أخيك على أحسنه. ومن آداب الأخوة: السؤال عن اسمه واسم أبيه وعن منزله ، لئلا تقصر في حقه ، فإنك إذا عرفت أسماء أقاربه كان ذلك سبباً في مودته ، لأنك إذا عرفتهم في مناسبة أو مكان فأكرمتهم من أجله ؛ فإن هذا من الأسباب التي تقوّي العلاقة بينك وبينه ، فإذا عرفت أن أباه فلان وأخاه فلان وابن عمه فلان وغير ذلك ، وأن صديقه فلان ، كان برك لهم من برك له. وكذلك من آداب الأخوة: أن تلازم الأخوة ولا تقطعها ولا تمل منها ، فإن بعض الناس يصاحبون الأشخاص لفتراتٍ قصيرة ثم يتركونهم ، ويكون همه هو التعارف والمداخلة ثم الخروج وهكذا ، والأخوة الحقيقة هي التي تدوم ويحرص الإنسان على الالتزام بها ، لا تركها ومفارقتها ، ولا شك أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ، وقد قال بعضهم: ليس لمَلول صديق ، والمَلول: الذي يمل من كل أحد فيعاشر معاشرة بسيطة ثم يترك ويستبدل بالأخوة آخرين ، وهكذا ، ثم يستغني عنهم ، ويمل من مصاحبتهم ، فلا شك أن الملول لا يدوم له أخ. وكذلك من آداب الأخوة: أنْ لا تقطع صديقاً بعد إذ صادقته ، ولا ترده بعد أن قبلته ، قال الخليل بن أحمد: لا تواصلنّ صديقاً إلا بعد تجربة ، يعني: لا تصادق وتواصل إلا بعد تجربة ، فإذا خبرته وسألت عنه وعرفت حاله فصاحبه وآخه ، وإذا صادقته فلا تقاطعه ، فمؤمن بلا صديق خير من مؤمن كثير الأعداء. ولا شك أن الأخوة إذا قاطعهم الإنسان ربما انقلب بعضهم عدواً ، ولذلك لا تصاحب صديقاً إلا بعد تجربة ، وإذا صاحبته فلا تقطعه ؛ لأن من آداب الأخوة أن المؤمن إذا ظفر بأخ أو صديق لا يضيعه ؛ لأن الأخوة والصداقة عزيزة ، أي أن الأخوة الذين عندهم الوفاء والصدق والبر قلة ، فإذا ظفرت به فلا تتخل عنه ولا تقطعه ، وكتب بعض الحكماء لصاحب له: استوحشْ ممن لا أخوة له ، وأشدّ الناس تفريطاً من وجد أخاً ثم ضيعه بعد أن وجده ، وإن وجدان الكبريت الأحمر أيسر من وجدان أخ ، والكبريت الأحمر نوع خالص منه معروف يضرب به المثل لندرة وجوده ، وإني لفي طلب الأخوة منذ خمسين سنة. واعلم أن الناس ثلاث: معارف وأصدقاء وأخوة ، فالمعارف بين الناس كثير ، أي: من جهة المعارف قد يتعرف الإنسان على أشخاص كثيرين ويعرف أشخاصاً كثيرين ، لكن الأصدقاء من المعارف أقل ، والصديق عزيز والأخ قلما يوجد ، فقد تتعرف على شخص ، وقد تصادق أشخاصاً في مكان العمل أو في فصل دراسي ، والأخوة من هؤلاء الذين تصطفيهم بصفاتهم التي يؤمن جانبهم ، وتأمن على نفسك إذا صادقتهم ندرة قلة ، ولذلك من الحماقة التفريط بالأخوة. وكذلك من آداب الأخوة: التواضع للإخوة وترك التكبر عليهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أوحى الله إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد). رواه مسلم. وينبغي كذلك البشر والانبساط للإخوة ، ولا شك أن الابتسامة في وجه أخيك صدقة ، والبشر وطلاقة الوجه والابتسامة من الأشياء التي يُتكلف بها مع

الإخوة. وكذلك من آداب الأخوة: حفظ المودة القديمة ، كأن يكون بينك وبين إنسان ودٌّ ، أو جار كان بينك وبينه مودة ثم رحل عنك ؛ فتعاهده بين فترة وأخرى! يُروى أن امرأة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فأدناها وأكرمها ، فلمّا سألته عائشة قال: (إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد لمن الإيمان). ماتت خديجة في العهد المكي ، وبعدها جلس النبي صلى الله عليه وسلم في مكة فترة بدون زوجة ، وانتقل إلى المدينة وبقي فيها سنوات ، ولما جاءت هذه المرأة أكرمها وهي امرأة عجوز من صديقات خديجة وقال: (إن حسن العهد لمن الإيمان). ومن أحب أن تدوم له المودة فليحفظ مودة إخوته القدماء ، وقال بعض السلف: عاشروا الناس معاشرة من إذا غِبتم حنوا إليكم ، وإن متم بكوْا عليكم. ومن آداب الأخوة: حفظ أسرار الإخوة ، لأن الأخ قد يُفضي إلى أخيه بسر ، فالعاقل من حفظ سر أخيه ، وفي الأثر: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكِتمان). وقال بعض الحكماء: قلوبُ الأحرار قبور الأسرار ، وأفشى رجل إلى صديق له سراً من أسراره ، فلما فرغ قال له: حفظته؟ قال: لا. بل نسيته ، أي: مجرد ما أنت أفشيته أنا نسيته ، من شدة محافظته على سر أخيه. لو كان في حال المصافاة وفي حال حدوث شيء يحفظ السر ولا يسر به ولا يشهر ، وكثير من الناس يأنس إلى شخص ويطمئن إليه ، ويعطيه من أسراره ثم تحصل بينهما مشكلات أو قطيعة ؛ فيبدأ في نشر هذه الأسرار ، ويبثها بين الناس ، ويقول الأول: يا ليتني ما أعطيته شيئاً منها! ومن آداب الأخوة كذلك: أن تشاور إخوتك ، وليست فقط المشاورة قضية مجاملة ، وإنما قبول ما يشير به عليك إذا رأيت فيه وجه الصواب ، ولا تشاور لمجرد أن تظهر له أنك لست مستبداً ، وأنك تشاركه في أمرك ، لا. وإنما أيضاً أن تعمل برأيه إذا كان رأيه صائباً ، والله قال: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ). ومن آداب الأخوة: الإيثار ، بأن تؤثره وتقدمه على نفسك ، وتعطيه ما تحتاج إليه ، قال الله عز وجل: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ). ومن آداب الأخوة: قلة المخالفة في أسباب الدنيا ، والمخالفة في أسباب الدين واجبة ، لكن في أسباب الدنيا لا تخالف ، آراء دنيوية مثل أن تضع هذا في مكان هذا ، أو أن تذهب من هذا الطريق أو من هذا الطريق ، احرصْ على قلة المخالفة في الأمور الدنيوية ، فإن الدنيا أقل خطراً من أن يُخالَف فيها أخ من الإخوة! وقال يحي بن معاذ: الدنيا بأجمعها لا تساوي غم ساعة ، فكيف بغم طول عمرك فيها ، وقطع إخوتك بسببها مع قليل نصيبك منها ، أتقطع إخوتك بسبب الدنيا؟! وكذلك من آداب الأخوة: أن لا تداهن أخاك في أمر من أمور الدين ، وأن لا تجامله على حساب مصلحته ، وتعطيه على هواه ، ولو كان في ذلك مضرة له ، لا يشم رائحة الصدق عبد داهن غيره! وقلة الخلاف مع الإخوة وتحري موافقتهم مقيدٌ بما لم تكن المخالفة في أمور الدين. ومن آداب الأخوة: الدفاع عن أعراضهم والذب عنهم ، والانتصار لهم ، فإذا وقع إنسان في عرض أخيك في مجلس فدافع عنه ، وذب عنه ، وإذا ظلم أخوك انتصر له ، وإذا طعنوا فيه أظهر عذره ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا وقع أحد في شخص دافعوا عن أخيهم ، لا يتركوه نهباً لألسنة المغرضين وإنما يدافعون عنه. وكذلك من آداب الأخوة: قلة الغضب ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تغضب). ومن آداب الأخوة: أن يحرص كل الحرص على أن يكون قائماً بخدمتهم ، فإن خدمة الإخوة من العبادات العظيمة ، ولو أن تأتيه بكوب ماء في جوف الليل تسقيه إذا كان عطشان! ولا شك أن سيد القوم خادمهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يخدم أصحابه ، ويُقري الضيف ، ويحمل من لا دابة له ، ويواسيهم ، وقال رجل من أصحاب ابن عمر: صحبتُ ابن عمر لأخدمه فكان يخدمني ، وكان بعض

السلف يشترط في السفر مع إخوة أن يكون هو الذي يخدمهم ، فهو الذي يصب لهم الماء عند الوضوء. وهو الذي يُنزل الرواحل والمتاع ، وهو الذي يرفعُ المتاع مرة أخرى ، وهو الذي يعلفُ الدواب ، وهو الذي يصنعُ الطعام ويجمعُ الحطب ، ويوقظ ويطبخ. إذاً من آداب الأخوة: خدمة الإخوة. وكذلك من آداب الأخوة: مشاركتهم في الأمور المحبوبة وأمورهم المحزنة ، فأما مشاركتهم في الأمر السار ؛ فأن تظهر السرور إذا حدث له ما يسره ، ومن مشاركته في الأتراح أن تظهر الحزن والتأثر إذا حل بهم أمر محزن ، أو نزلت بأحدهم مصيبة. فالمشارك في المُر قليل ، بعض الناس إذا نزلت بهم نازلة أو خسارة انفض من كان حوله! لأن الصحبة كانت لأمر مادي ، ولو كان صاحب وظيفة ومنصب تحلقوا حوله ، فإذا تقاعد من الوظيفة انفضوا عنه ، لذلك فإن الأخ الحقيقي من يُشاركك مشاركة شعورية في جميع ما يمر بك من الظروف والأشياء المحزنة والمفرحة ؛ من الأفراح والأتراح. وكذلك من آداب الأخوة: أن لا تمنّ عليه بمعروفٍ صنعته له ، ولا تستصغره ولا تحتقره ، قال عروة: كتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة فجعلها في ثني وسادته ـ في جهة الوسادة التي يتكئ عليها ـ فقلب عبد الله الوسادة فرأى الرقعة فقرأها ، والرقعة مكتوبٌ فيها طلب حاجة ، وردّ الرسالة في موضعها وجعل مكانها كيساً فيه خمسة آلاف دينار ، فجاء الرجل فدخل عليه ، وكان منتظراً لأن يعطيه أو يفتح معه موضوع المساعدة ، فقال: اقلب الرقعة وخذ ما تحتها ، فقلبها الرجل فوجد كيساً فأخذه. فالإنسان ينبغي أن يحرص على أن لا يستعظم أمراً قدمه لأخيه ، وأن لا يراه كثيراً أو يمن به عليه ، بل يعمله ويظهر التقصير ، يقوم بالخدمة أو يقوم بالمعروف ويظهر التقصير ، فهو عندما يعطي المساعدة لأخيه يعتذر أنه قصر ، والشخص الذي أسدى إليك معروفاً ويعتذر مع إسدائه للمعروف وكأنه هو المقصّر ، فهذا تمسك به وهو نادر. وكذلك من آداب الأخوة: أن لا تقبل في أخيك كلاماً من واش ولا نمام ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة قتات) وأخبر أن هناك رجلاً يعذب في قبره بسبب النميمة ، ومن نمّ إليك نمّ عليك ، أي: أتاك بأخبار فلان وفلان ممن تكلموا فيك ، نمّ عليك وأتى بخبرك السيئ إلى فلان وفلان ، للإيقاع بينهم وبينك ، ولذلك أحسن طريقة إغلاق الباب! لا تقبل نميمة في أخيك المسلم ، إذا كان أخاً بحق ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر عنك غيرك بخبرك. وكذلك من آداب الأخوة: الوفاء لهم بعد مماتهم. قال بعض الحكماء: من لم يكن عنده وفاء لإخوته فقد غمّ على نفسه ، وقد بلغ من بعضهم أنه لما مات صاحبه استتر فترة من الزمن حزناً عليه ـ طبعاً هذا مع عدم تضييع الجمعة والجماعة...الخ قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير وقت الحياة ، ولا شك أن الإنسان إذا فقد أخاً في حادث سيارة أو مرض أو وفاة أو نحو ذلك فالخسارة عنده تكون عظيمة ، بسبب أن هذا الأخ قد لا يعوّض ، وقد لا يجد له مثيلاً ، ويعرف أن أعمدته نقصَ منها واحد ، وأن ظهره ومستنده قد رق بسبب فقده لأخيه. ومن آداب الأخوة أيضاً: أن لا يهجر أخاه المسلم ويقطعه فلا يكلمه ولا يسلم عليه ، كيف والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ؛ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام). ومن آداب الأخوة: التودد إلى الإخوة بصنائع المعروف ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن فضل قضاء حاجات الأخ: (ولأن أمشيَ مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أعتكف في المسجد شهراً). ومعلومٌ في اعتكاف مدة شهر في المسجد النبوي أن كل صلاة فيها بألف صلاة مع أجر الاعتكاف لمدة شهر ، فلما أخبر أن قضاء حاجات الإخوة أفضل من الاعتكاف شهراً كاملاً في المسجد ، علم بذلك ما

لقضاء حاجات الأخوة من الأجر ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ، لا مجرد مجاملات ويقول: امش.. تعال.. وهو يعرف أنه لن يخرج بشيء ، وإنما لتضييع الأوقات أو للمجاملة ، أو لكي يرد عن نفسه الاتهام أنه لم يساعده (من مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام)! وأين تزل الأقدام؟ على الصراط ؛ لأن الصراط المضروب على جهنم دحض مزلة ، أحدّ من السيف ، وأرقّ من الشعرة ، وكذلك هو أروغ من الثعلب ، فهذا الصراط بهذه الصفات لا شك أن الأقدام تزل من فوقه وتقع في النار ، إلا مَن أثبت الله قدمه في ذلك المقام. وكذلك من آداب الأخوة: قبول الأعذار: إذا أخطأ عليك ثم جاء يعتذر إليك فاقبل عذره ولو كان العذر ضعيفاً. ولو وجدت أن العذر فيه ثغرات ؛ لكن من كريم الخصال وآداب الأخوة أن تقبل العذر ، والذي لا يقبل عذر إخوته لا يكاد يصفو له أخ. والمؤمن يطلب عذر إخوته ، والمنافقُ يتبعُ عثراتهم. وكذلك من آداب الأخوة: أن لا تحتجب من إخوتك ، فبعضُ الناس يغلقُ بابه ويرفضُ الزيارات ، ويرفضُ الصلات ، ويقول: يضيعون أوقاتي. نعم. لو صارت المسألة فيها مجالس فارغة وأحاديث تافهة لا فوائد فيها ، فهذا ضياعٌ للأوقات ، لكنْ إن جاءك يزورك في الله ويتذاكر معك في أمور الدين. ويجعل من هذه الزيارة ما يرق به قلبه ، فلا تحتجب دونه ، أو جاءك يطلب مساعدة أو حاجة فلا تقل: قولوا له إني غير موجود! أو تهرب من البيت قبل أن يأتي ، فمن آداب الأخوة أن لا يحتجب من إخونه. وكذلك من آداب الأخوة: زيارتهم ، وهذا أدب عظيم ومهم جداً ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أن رجلاً زار أخاً له في قرية ، فأرسل الله عز وجل على مدرجته ملكاً فقال له: إلى أين يا عبد الله؟ قال: أزور أخاً لي في هذه القرية ، فقال: طبت وطاب ممشاك ، ولا شك أن زيارة الإخوة فيها فوائد كثيرة جداً ، إذا أحسن استغلالها أو إذا أحسن القيام بها ، فالمشيُ إليه أجرٌ ، والدخول إليه أجرٌ ، والجلوس معه أجرٌ ، والاستفادة مما يحصل من المعلومات التي تعلمها منه ، ونصيحة تأخذها منه أو يأخذها منك ، وتجربة يعطيها إليك أو تعطيها له. وكذلك: زيادة عقد المحبة والأخوة! والله عز وجل أوصى بأن يكون المؤمنون إخوة ، ولن يكونوا إخوة إلا بأشياء منها: التزاور ، وهو مما يقوي علاقات الأخوة ، وكل طريق لتحقيق قصد الشارع فهو عبادة ، إذاً: الزيارة عبادة وهي مما أمر به الشارع ، وإن لم ينص عليها ؛ لأن تحقيق غرض الشارع أو ما أمر به هو من الشرع. وكذلك فإن زيارتهم من فوائدها إزالة ما في النفوس من الشحناء أو التغير ، وإن زيارة واحدة تغير وتصفي ما بينك وبينه. ومن فوائد زيارة الإخوة: أن تكتشف شيئاً أو حاجة فتؤديها له ، رويَ عن ابن مسعود: كنا إذا فقدنا الأخ أتيناه ، فإن كان مريضاً كانت عيادة ، وإن كان مشغولاً كانت عوناً ، وإن كان غير ذلك كانت زيارة! وكلما كان صاحبك أبعد بيتاً ومنزلاً أو حتى في بلد آخر كانت الزيارة أكثر أجراً. وكذلك إذا زرته وصنع طعاماً وأنت صائم وتكلف لك ، وأحسست أنه يصيبه حرج إذا ما أكلت من طعامه فأفطر لأجله ، إذا كان الإفطار جاهزاً ، فصوم الفرض والقضاء والنذر ، وكل صوم واجب لا يجوز الإفطار فيه بغير عذر من مرض أو غيره ، ولو كان هناك آخرون لربما زال الحرج ، لكن إذا كان صومك نفلاً فالأفضل لك أن تفطر وتصوم يوماً مكانه ، ولذلك جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: (صنعت لرسول صلى الله عليه وسلم طعاماً فجاء هو وأصحابه ، فلما وضع الطعام قال رجل من القوم: إني صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعاكم أخوكم وتكلف لكم. أفطر ثم صم يوماً مكانه إن شئت)! رواه البيهقي وقال الحافظ في الفتح: إسناده حسن ، فإذا أحسست أنه سيصاب بحرج أو شيء من

الضيق لو تركت الأكل فأفطر ، أما لو كان لا يصاب بحرج ولا ضيق فابق على صيامك ، ولكن ادعُ له كما جاء في الحديث. ومن آداب الأخوة كذلك: أن تواسي أخاك من مالك ، إذا حصل له ضيق واحتاج إلى دين فأقرضه ، أو احتاج إلى مساعدة فساعده أو شاطره ، كما كان الأنصار يشاطرون المهاجرين نخلهم وأموالهم. ومن آداب الأخوة: الصبر على جفوة الإخوة ، فإنه قد يحدث من أحدهم أمر يجفوك به ، يفهمك خطأ أو يسيء الظن بك ، وإذا اعتذرت إليه عن تصرف خاطئ لا يقبل العذر وجفاك فاصبر على جفوته ، ولا تقابل الجفوة بجفوة ، فتزداد الهوة والمسافة بينك وبينه ، فالصبر على مجافاتهم من حقوق الأخوة وآدابها ، ومن الوصايا التي جاءت عن بعضهم في شروط المصاحب: أن رجلاً لمّا حضرته الوفاة ، دعا بابنه فقال: يا بني! إن عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فانظر من إن حدثته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن رأى منك حسنة عدها - أي: ذكر حسناتك- وإن رأى منك سيئة سدها ، وإذا سألت أعطاك ، وإن سكت ابتداك. ومن آداب الصحبة أيضاً: أن يكرم الإنسان أهل صاحبه وأولاده ، فيأتيهم بالحلوى – مثلاً - فيدخل السرور عليهم ، أو يأتي بهدية للبيت ، فإنه إذا أدخل السرور على أهل صاحبه كان ذلك من إدخال السرور على صاحبه. وكذلك من آداب الصحبة: مدحهم في غير معصية الله ، كاجتناب المدح في الوجه ، والمدح قد يؤدي إلى الكبر والغرور ، بخلاف المدح على المعروف ؛ كأن يصنع لك معروفاً فامتدحه. ومن آداب الأخوة أن تقابله على المعروف بمعروف أكبر منه أو مثله ، وإذا لم تستطع فقل: جزاك الله خيراً ، فإن من قال: جزاك الله خيراً فقد أجزل في العطاء ، أو أجزل في الثناء. وكذلك من آداب الأخوة: إقلال الملامة والعتاب ، فلا تلمه وتعنفه وتوبخه ، فإن هذا مما يعكر أجواء الأخوة. ومن آداب الأخوة: أن الإنسان يسعى جاهداً إلى معاونة أخيه على البر والتقوى ، وهذا من أهم الأشياء ، فقد يكون داعية يحتاج إلى مساندة فسانده ، أو طالب علم يحتاج إلى مذاكرة فتذاكره وتحفظ معه ، ومجالات الإعانة على البر والتقوى كثيرة جداً ، ولا شك أن من أفضل ما يكون الأخ مع أخيه التعاون على البر والتقوى ، وكذلك من آداب الأخوة: أن تصون سمعك وبصرك من الكلام فيه أو سماع عيوبه ، أو إذا حصلت منه هفوة فمَرّرها وكأنها ما حصلت ، أي: إمرار أخطائه ما لم تكن في الشرع ، فقد يزل بكلمة فمن آداب الأخوة التغافل عنها. ومن آداب الأخوة: كذلك أن إذا أرسل لك رسالة أن ترد بجوابها. إذا كان بعيداً فراسلك فمن حقه عليك أن تجيبه ، وبعض الناس يستلمون خطابات لا يكلفون أنفسهم الرد عليها ، أو يتكاسلون في ذلك. ومن آداب الأخوة: فَهْمُ نفوس الأصحاب ؛ فليس كل من تصاحب سواء ، هذا يحتاج إلى مراعاة في جانب معين ، وآخر يحتاج إلى مراعاة في جانب آخر ، وهذا لا تعجبه هذه الخصلة ، وأنت قد لا تتوقع ذلك ؛ لكن فهمك لنفسيته مما يعينك على مصاحبته ، والناس لهم طباعٌ كثيرة ؛ وحتى في الطعام أن تعرف أنه لا يحب الأكلة الفلانية مثلاً ، فهذا هذا مما يعينك إذا دعوته أنْ لا تكون هذه الأكلة مما تضعه له على المائدة ، فمن فَهْم نفسيته أنه قد لا يعجبه أمر معين في الكلام ، أو طريقة معينة في الخطاب ، أو لا يعجبه أن تناديه باسمه الأخير – مثلاً - أو تعجبه كنية معينة تناديه بها. فعلى أية حال فهم نفوس الأصحاب مما يعين جداً على التعامل معهم ، وهو من الآداب التي ينبغي التحلي بها معهم. وكذلك من آداب الأخوة: عدم التمادي في الخصام ، فإذا حصل خصام لا تغرق في الخصومة واقتصد: (أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغضيك يوماً ما ، وابغض بغضيك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما). فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً وبعضهم قال:

الصحيح وقفه ، وبعضهم قال: رفعه صحيح ، وممن صححه مرفوعاً الألباني. وكذلك من آداب الصحبة: أن الإنسان يوزع العلاقة على أصحابه بحيث لا يوغر صدور بعضهم على بعض ، فلا يكون منغلقاً على واحد معين ، يزوره دائماً ويحادثه ، إذا جلس في المجلس مع آخرين وجه الكلام إليه دون أن يعدل معهم ، فيسبب ذلك إيغار صدور الآخرين ، ووقوع الغيرة ويقولون: لماذا فلان يختص بفلان؟ ولماذا لا يحادثنا ولا يكلمنا؟! ونحو ذلك. إذاً: من الآداب الصحبة: أن يعدل في المصاحبة ، ويوزع العلاقة والكلام والحديث والبر والصلة والزيارة على الجميع ، وقد يكون بعضهم أقرب من بعض ، لكن أن يفرط بحيث يكون دائماً مع واحد ويترك الآخرين إلا من الأشياء العامة ، فلا شك أن هذا ليس من العدل ، خصوصاً إذا كان البقية أصحاب دين وخير وصلاح ؛ فلماذا تركتهم مع أنهم أصحاب دين وخير وصلاح).هـ. شكر الله للمنجّد تحليله حول الأخوة!)

غيرُ مُجدِ نُصحي لخِلِي (أسامة) بعدما الاستنزافُ أمسى علامة

يستغلُ الأصحابَ دون اعتبار ثم يُزجي تبريره وكلامه

كل يوم يأتي بعُذر جديدٍ وكأنّ الأعذارَ صارت دِعامة

كلُّ أصحاب النذل قد فارقوهُ غير حِب يُزجي إليه احترامه

يستطيعُ أن يعطيَ الغِر درساً لكنِ الشهمُ يكتفي بابتسامة

لا يُريد توجيهَ لوم إليهِ إنما تنفيرُ الخليل المَلامة

مغنماً يبقى دون إسداء نُصح ريثما تمضي عن رؤاه الغمامة

مغنماً يبقى رغم غَنم وخُسر وحياةٍ فيها شقاءُ الإقامة

واحتمالٍ يخاله الخلُ طيشاً وابتذالٍ كم منه يرجو السلامة!

كيف تحيا علاقةَ ذاتُ نفع ليس فيها نزاهة أو شهامة؟

كيف يحيا بين الرفاق ارتباطَ ديدنٌ فيه الانتفاعُ وشامة؟

لا تعشْ يوماً مستغلاً لخِلٍ ليس عبداً ، ولست أهلَ الفخامة!

لا أراك مستنزفاً مال خِل فامتثلْ تصريحي بكل صرامة

لا تظن الصديق يُعطيك يرضى لا تكنْ يوماً مثل خِلي (أسامة)

عتابٌ مستعفِف

(كانت تستر وجهها ، وعندما جلست إلى ذلك الرجل ، كشفتْ ذلك الوجه دون مبرر أبداً. فطلب إليها ستره! ففعلت فكان عتاباً رقيقاً فيه عِفة وطهرٌ واستقامة! وتحت عنوان: (العتاب صفاء النفوس) تقول الأستاذة مريم الشميلي ما نصه: (العتاب قيل إنه غسيل القلب وأداة لمحو الكراهية وفيه صفاء النفوس! وقيل إنه فنٌ ولونٌ من ألوان الخطاب يختص بالمتحابين وأصحاب العلاقات المترابطة والوشائج القوية ، وقد يكون من الخطورة بمكان إن لم يُستخدم على الوجه الأمثل ، ويُوضع في موضعه اللائق به. وقيل: «قليل من عتاب خير من حقد دفين». ومعناها أن العتاب بين الأحبة والأصدقاء والإخوة ليس بالشيء الكريه ، فالصراحة مطلوبة والصدق في المعاملة أمر ضروري لاستمرار الشفافية بين الطرفين. فالعتابُ نعمة لمن أحسن استخدامها بالشكل الصحيح وفي الوقت المناسب ومع الشخص المناسب الذي يتقبل العتاب اللطيف بصدر رحب ، ومن فوائد العتاب المعروفة أنه يزيل صدأ البغض والكراهية من القلوب ويزيد المحبة والألفة ويذهب نزغ الشيطان وينقي النفوس ويطهرها من ظنون الإثم ويقوي أواصر الود والتفاهم بين العلاقات الإنسانية. فالإنسان لا يقاطعُ أخاه على ارتياب ودون استعتاب ، وبدلاً من أن نحْمِل في صدورنا ونكبت اللوم على خطأ أو صواب ونفتح لوسوسة الشيطان باباً ، وجب علينا أن نتعاتب ونعطي أنفسنا والآخرين فرصة لتبرير موقف أو الاعتذار لتعود أواصر الخير بيننا! وإذا تطرقنا ها هنا عن العتاب وجب علينا أن نذكر التسامح المقترن به ، والذي يفتح أفاقاً كثيرة للتخلي عن الحقد والبغض الدفين في داخلنا. ولكن هناك شروطا ومعايير لا بد منها ولا بد لنا من الوقوف عليها لكي نصل إلى الهدف من العتاب! أهمها أن لا يزيد عتابك على المعاتب وأن لا يتحول الحديث بينك وبين الطرف الآخر كنوع من التوبيخ ويجب أن لا تستخدم صفة الإلحاح حتى لا يتحول النقاش لهجوم غير محبب ، وضع النقاط على الحروف عندما تعاتب ، وحدد بدقة الأشياء التي ضايقتك وأحسس الطرف الأخر أنك باق على علاقتك الإنسانية به وأن عتابك ما هو إلا من باب البقاء على المودة بينكما ، ولا تستخدم خلال عتابك كلمات جارحة ، وحاول انتقاء ألفاظك بعناية تامة حتى لا تحرج الطرف الآخر ، فلا يعود ينسى كلماتك ، وكن هادئا في مناقشتك له لأن الهدف من العتاب هو إرجاع الحب والخير بينكما. وهكذا يكون العتاب الرقيق باستخدام الألفاظ الرقيقة التي لا تؤثر سلبًا على نفس سامعها بحيث ينسى أنه عتاب ويتحول إلى مُدافع ومجادل عن موقفه ليثبت أنه على صواب ، ولا يؤتي العتاب في تلك الحالة ثمرته المرجوة. وعلى هذا المنوال من الأدب الجم والفقه العميق لفن العتاب تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في المواقف التي تحتاج إلى ذلك ، وتوجيههم إلى ما هو أصلح وأولى فكان صلى الله عليه وسلم بذلك يهذب أصحابه ولا يلجئهم إلى الدفاع عن أنفسهم بل يلفت انتباههم إلى العبرة والعظة من العتاب. وحرص صلى الله عليه وسلم أن تكون الصيغ والكلمات معبرة وموحية بالحب والعطف والشفقة على محدثه ، لتنفذ هذه النصائح والكلمات إلى قلبه فيتأثر بها ويعمل بمقتضاها).هـ. وتحت عنوان: (فنون المعاتبة ومعالجة الأخطاء) قال الأستاذ أبو أحمد (مهذب) ما نصه: (العتاب والمعاتبة من آكد ما يبقي المودة ويُشعر بالرحمة والقرب والألفة. ولذلك نجد في القرآن الكريم كيف أن الله جل وتعالى كان يعاتب أنبيائه ورسله وعباده الصالحين. (عفا الله عنك لم أذنت لهم)! (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟)

(عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى)! وحين نتأمل نصوص السيرة نجد أيضا كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحرص الأمة عليها ، فكان يعاتب ويعتب. اقرأ إن شئت قصة الثلاثة الذين خلّفوا! واقرأ في قوله صلى الله عليه وسلم (نعم العبد عبد الله لو كان يقوم من الليل) وهكذا! والذي يشد الانتباه سمو الأدب في آيات المعاتبة والعتاب! وتقرأ في طيّات نصوص السنة شدة الحرص والرحمة بالأمة من خلال همسات العتاب ومواقفه! وبمثل هذا يبقى العتاب أسمى ما يكون حين يؤلف القلوب ، ويرتق الفتق في رحمة وإشفاق! ومن هنا وجب على المتحابين بجلال الله أن يرقوا بمعاتباتهم ، وأن تسمو بهم روح الإيمان فتتعانق الأرواح طهراً وحباً وهي تبلسم بعضها بعضاً لتداوي جراحها بيد الإشفاق والعطف والرحمة).هـ. فقلت لنهلة!)

بصـــــرتُك لســـــتِ بالطفلـــــة ... فغـــطِ الوجـــهَ يـــا (نهلـــة)

ولا ألقـــــــاكِ مُســـــــفرةً ... وخـــــلّ الـــــوهمَ والغفلـــــة

نصـــــحتك لا أريـــــد سِـــــوى ... نجاتِـــــك مِـــــن لظـــــى الزلـــــة

ولـــــو أنـــــي أتـــــوق إلـــــى ... جمالـــــكِ لـــــم أطِـــــقْ ظلـــــة!

وأرســـــلتُ العيـــــونَ لـــــهُ ... سِـــــهاماً أطلقـــــتْ حولـــــه

فعـــــينٌ تســـــتقي حُســـــناً ... نضـــــارته غـــــدتْ سَـــــهلة

وعـــــينٌ تشـــــتهي رسْـــــماً ... لـــــه - فـــــي الملتقـــــى - صَـــــوْلة

وقلـــــبٌ يبعـــــث النجـــــوى ... ولا يعطـــــى النهـــــى مُهلـــــة

ونفـــــسٌ تســـــتفيقُ علـــــى ... ضـــــياع الـــــدين والقِبلـــــة

فقـــــد غالـــــت تعففهـــــا ... فكيـــــف تعـــــيش مُختلـــــة؟

لـــــذلك قلـــــتُ معتـــــذراً ... ومعتـــــزاً بـــــذي القوْلـــــة

ألا فلتســـــــتري وجهـــــاً ... فإنـــــك لســـــتِ بالطفلـــــة

كفـــــاني مـــــا ابتليـــــتُ بـــــه ... مِـــــن الغـــــادات بالجُملـــــة

أعاتـــــبُ مَـــــن ســـــتُكْبرني ... علـــــى التـــــذكير بالمِلـــــة

وأشـــــكرُها لطاعتهـــــا ... وأحســـــبُ مِثلهـــــا قِلـــــة

وإلا أخبرتُ أبا محمد

(مُعلمة قدوة كانت تعلم بُنيات أبي محمد. وبعد حين بدأتِ البناتُ في الإهمال والتلاعب فهددتهن بوالدهن أبي محمد! فإذا بمجرد ذكر الاسم مقترناً بلهجة التهديد والإرعاد والوعيد ، تجعل البنات - وخاصة الصغرى منهن - يلتزمن الأدب ولا يحركن ساكناً! إنها التربية والأخلاق يتربى عليها الطفلُ من احترام الوالد ومراعاة ما يحب ويكره! ثم إن المعلمة الحكيمة أعطتِ الفرصة مرة ومرتين وثلاثة ، فلم يعد بُدٌ من حسم الموقف لتوفير جو تعليمي هادئ!)

يـــا فتـــاة الخيـــر كـــوني واعيـــة ... واطلبـــي العلـــمَ بـــأذن صـــاغية

وابلغـــي بـــالعلم أســـمى غايـــةٍ ... وابـــذلي الجُهـــد بـــنفس راضـــية

كـــم تســـامرتِ فجـــدّي وانشـــطي! ... لـــيس تهـــوى العلـــمَ ذاتٌ لاهيـــة

وأنـــا أعطيـــتُ أقصـــى فرصـــةٍ ... وأراهـــا يـــا فتـــاتي كافيـــة

فـــارجعي للـــدرس لا تســـتمرئي ... لهـــو مَـــن تـــؤثرُ دنيـــا فانيـــة

ديننـــا للعلـــم يـــدعو أهلـــه ... وأنـــا مـــا جئـــتُ إلا هاديـــة

فـــأعينيني ، وكـــوني قـــدوة ... تبتغـــي العلـــمَ كمثـــل العافيـــة

واســـتفيقي مـــن سُـــباتٍ ، واعقلـــي ... وانهلـــي العلـــمَ بـــروح واعيـــة

أنـــا إنْ قلـــتُ: (وإلا) فـــافهمي ... أننـــي ضِـــقتُ بهـــزل اللاهيـــة

وأبـــوكِ اليـــوم تـــواقٌ إلـــى ... فـــذةٍ فـــي العِلـــم تغـــذو داعيـــة

ترفـــعُ الـــدينَ شـــعاراً وصُـــوىً ... وبنشـــر الـــدين ترجـــو الباقيـــة

إننـــي أخشـــى إذا أخبرتـــه ... أن أرى كفـــكِ هـــذي داميـــة

أو أرى عينيـــك مِـــن فـــرطِ الأســـى ... تُرســـلان الـــدمعَ ، ويـــحَ الباكيـــة!

أو أرى قلبـــكِ مِـــن وخـــز الجـــوى ... يشـــتكي قـــولي لأهـــل الباديـــة

يـــا ابنتـــي شـــكوايَ هـــذي واجـــبٌ ... وأنـــا مـــا كنـــتُ يومـــاً جافيـــة!

التربية بين الجامع والجامعة

(عندما تؤسْلمُ نظمُ الحياة ، وتُسْلمُ الجامعة لا تتعارض قط أركان التربية ومواردها بين الجامع والجامعة ، وعندما يكون ذلك كذلك فهاك التربية الحقيقية. وعندما يكون ذلك غير ذلك نرى فِصاماً رهيباً لا حدود له ، ليس ذلك فقط بل واستساغة مريرة لكل أنواع الباطل! وإذن فالإسلام كلٌ لا يتجزأ! ولا يمكن أن تكون للإسلام جزءٌ من الهيمنة على بعض أنظمة المجتمع ، وتكون للعلمانية الهيمنة على باقي الأجزاء ، ثم نقول إن هذا إسلام! إن هذا الدين شرعه الله تعالى ليُخرج الناس كل الناس في الأرض كل الأرض من الجاهلية والظلام إلى الهداية والنور!)

هـــو الـــدينُ لا يعـــرفُ الرهبنـــة ... ولـــيس يُقـــرّ دُجـــى العلمنـــة

فقـــد جـــاء نـــوراً لكـــل الـــورى ... وحِصـــناً يقـــيهم مِـــن الشـــيطنة

وجـــاء بشـــيراً لمـــن آمنـــوا ... ومَـــن جاهـــدوا الكفـــرَ والفرعنـــة

وجـــاء نـــذيراً لأهـــل الهـــوى ... يُقـــيمُ - علـــى الطغمـــة - البينـــة

وينشـــرُ - فـــي العـــالمين - الهُـــدى ... وحتـــى تكـــون لـــه الهيمنـــة

وجامعُـــه مَحضـــنٌ طيـــبٌ ... تُربّـــى بـــه الأنفـــسُ الديّنـــة

صـــلاةٌ ودرسٌ وترويحـــةٌ ... لتســـتويَ الفرقـــة المؤمنـــة

وجامعـــةَ الخيـــر إن آمنـــتْ ... تُـــؤدّب مُخلصـــةً مُوقنـــة

وتُهـــدي العلـــوم لمـــن رامهـــا ... بكـــل ســـبيل غـــدتْ مُمكنـــة

وترشـــدُ طلابهـــا دائمـــاً ... وخيراتهـــا فـــي الـــورى مُعلنـــة

وأمـــا إذا لـــم تكـــنْ آمنـــتْ ... تصـــير إذن أســـوأ الأمكنـــة

وتُخـــرجُ – لـــلأرض - شـــرّ الغُثـــا ... دهاقنـــة أتقنـــوا القرصـــنة

وجـــيلاً يُبـــاهي بإفلاســـهِ ... ومـــا قـــد رأينـــا ســـوى عَينـــة

وهـــذا الفصـــامُ ســـيُودِي بهـــا ... ويومـــاً تحيـــقُ بهـــا الملعنـــة

كيف أصبحت بهم أولى؟!

(من ادّعى أنه أولى بأولاد زيدٍ أو عمْر من أبيهم ، فقد أبعد النجعة وأعظم الفِرية. ولكن أحياناً يحلو للبعض أن يجعل الواحد منهم نفسه قوّاماً وعائلاً لأولاد زيدٍ أو عمْر للوصول إلى مآرب وأغراض لا يعلم بها إلا الله. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، - قَالَ في رواية أخرى: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). [أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عمر]. فتخيلتُ والدَ الأولاد يقول للدعيّ لا! وكتبتُ في ذلك من المتدارك!)

لـــم يُحْسِـــنْ صـــاحبُكم صُـــنعا ... بـــل كانـــت فِريتـــه شَـــنعا

ألقـــى كِذبتـــه منتقمـــاً ... وتلقفهـــا المـــلأ الصـــرعى

وتغرغـــرَ بالإفـــكِ ، وأغـــرى ... خِرفانـــاً قِبلتهـــا المرعـــى

والجوقـــة تبعـــوا ســـامرَهم ... والـــنفسُ بهـــم ضـــاقت ذرعـــا

والأشـــقى قـــال: أنـــا الأولـــى ... بعيـــال - واأســـفى - جَـــوْعى

ســـأربّيهم ، وأؤدّبُهـــم ... وأضـــمّد أنـــاتٍ وجعـــي

وعلـــيهم أنفـــقُ مِـــن مـــالي ... وسأحْسِـــن - محتســـباً - صُـــنعا

وســـأجعلهمُ مثـــلَ عيـــالي ... وســـأغمرهم عطفـــاً طوعـــا

أبعـــدتَ النجعـــة يـــا هـــذا ... ونفثـــت ســـمومَك كـــالأفعى

مـــا أنـــت بـــأولادي أولـــى ... فاعمـــد للصـــدق ، فـــذا أدعـــى

فرّقـــت الشـــملَ بـــلا حـــق ... وزرعـــت عـــداوتنا زرعـــا

وفجَـــرْت أخاديـــد الشـــحنا ... وقطعـــت مودتنـــا قطعـــا

وســـعيت بفتنـــة ذي غـــرضٍ ... سُـــحقاً للســـاعي والمســـعى

فـــاهجرْ يـــا واشٍ ضـــيْعتنا ... يـــا مَـــن حُرْمَتنـــا لا ترعـــى!

أليس شاب شعره؟!

(الشيب أحدُ رسل الموت وأحدُ نُذُر القبر. ومن هنا كانت وصية النبي – صلى الله عليه وسلم - بالنهي عن نتفه ، إذ هو يُذكّر النهاية! إنما أمر النبي بتغييره بالخِضاب وتجنيبه السواد! عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم". رواه البخاري ومسلم. وعن أبي أمامة رضيَ الله عنه قال: يا معشر الأنصار حمِّروا وصفِّروا وخالفوا الأعاجم. رواه أحمد. والحديث: حسَّن أسنده ابنُ حجر. وتغيير الشيب بالسواد المحض حرام! وذلك لأن الرسول لمّا رأى رأس أبي قحافة كالثغامة قال: غيِّروا هذا. رواه مسلم.)

إذا شـــابَ شَـــعرُ المـــرء فليبـــكِ ماضـــيَهْ ... وأيـــامَ عمـــر - فـــي المتاهـــات - ماشـــية

ونفســـاً دهاهـــا - دون وعـــي - مَشـــيبُها ... وكانـــت - عـــن الـــذكرى - بمـــا حَـــلّ لاهيـــة

ولـــن يُرجـــعَ الحـــزنُ الزمـــانَ الـــذي مضـــى ... وخلـــــفَ أوهامـــــاً ، وأودى بعافيـــــة

يقولـــــون: أيـــــامُ الشـــــباب عزيـــــزة ... ومـــا للصـــبا عَـــوْدٌ لمـــن شـــابَ ثانيـــة!

وكنـــتُ أحـــبُّ الشـــيب يـــأتي متمِّمـــاً ... مســـــيرةَ عـــــزم لا تبـــــالي بداهيـــــة

ولا يُمهـــل الشـــيبُ الفتـــى لا يروقـــه ... تُـــذكّرُ مـــا جلـــى حـــديثُ الغاشـــية

فإمـــا جنـــانُ الخُلـــد طابـــت لمـــؤمن ... وإمـــا لمَـــن يطغـــى هـــي النـــارُ حاميـــة

وكـــلُّ امـــرئ رهـــنٌ بأفعالـــهِ غـــداً ... وإن ســـعيرَ النـــار أكبـــرُ قاضـــية

وتـــأتي المـــوازينُ التـــي القســـطَ سَـــمتُها ... فـــلا نفـــسُ عبـــدٍ مـــن لظـــى الظلـــم شـــاكية

فأعمـــالُ عبـــدٍ ترفـــعُ الـــرأس شـــامخاً ... يقـــولُ: اقـــرأوا يـــا صُـــحبتي كِتابيـــه

ألا إننـــي يـــا قـــومُ أدرى بمـــوقفي ... وظنـــي هنـــا أنـــي مُـــلاق حِســـابيه

وأعمـــالُ عبـــدٍ تـــورث القلـــبَ حَســـرةً ... فـــأمُّ الكَفـــورِ اليـــومَ فـــي النـــار هاويـــة

ومـــا أغنـــتِ الأمـــوالُ عنـــه ، ولا الـــورى ... وأدْخِـــلَ نـــارَ الله – بالعـــدل - طاغيـــة

فيـــا مَـــن غـــزا الشـــيبُ المـــوقرُ رأســـهُ ... تأمّـــلْ ، وصـــدّقْ أنّ دنيـــاك فانيـــة

فسَـــدّدْ وقـــاربْ ، ثـــم أحســـنْ ، ولا تثِـــقْ ... بـــدنيا أراهـــا أصـــبحتْ عنـــكَ نائيـــة

عالمُ عصره

(إنه الدكتور عمر عبد الكافي ، العالمُ الذي جمع بين البحث والعلم الشرعي والعلم البحت فكان عالم عصره! وأحببتُ الشيخ منذ الثمانينات وهو يحاضر للمرة الأولى عن (الدار الآخرة) متأثراً بالعلامة الجهبذ الفطحل الشيخ عبد اللطيف المشتهري! وذلك بطريقة عرض تجذب إليها العامّة والخاصّة! فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين! ولذا كتبتُ فيه على البحر الخفيف!)

كُـــلُّ عِلـــم لـــهُ دُعـــاةٌ وساسَـــة ... مَـن غـدَوْا - مِـن بـين الـورى - حُرّاسَـهْ

يبـــذلون - فـــي نشـــره - كـــل جُهـــدٍ ... ولهـــم فـــيمن يجتبيـــه فِراســـة

والســـعيدُ مَـــن عـــاش طالـــبَ عِلـــم ... يصـــطفيهِ لكـــي يُزيـــل التباســـه

(وابـنُ عبـدِ الكـافي) لِمَـا قَلّـتُ أهـلٌ ... زادُهُ العلـــمُ والتقـــى والحماســـة

أحسِـــبُ الفـــذ هكـــذا ، لا أزكّـــي ... والفـــؤادُ يبثـــهُ إحساســـه

نصـــفُ قـــرن مـــع العلـــوم احتســـاباً ... والتلقـــي براعـــةً وكياســـة

حـــارب الشـــيخُ الابتـــداعَ كثيـــراً ... وتحـــدّى الغشاشـــة الدسّاســـة

وانبـــرى للمســـتهزئين ، ولاحـــى ... عـــن حِيـــاض التقـــوى ، وأشـــهرَ باســـه

لـــم يُـــداهنْ ، كمـــا يُريـــدُ الطـــواغي ... لـــم يُـــدَجّل فيمـــا يُســـمى سياســـة

لـــيس هـــذا بالـــدين يأكـــلُ خبـــزاً ... أو بنشـــر الإســـلام يَشـــربُ كاســـه

لـــيس هـــذا للمنصـــب الغـــضّ عبـــداً ... بـــل يـــرى الفســـقَ شاخصـــاً فـــي النخاســـة

عـــالمُ العصـــر كيـــف يرضـــى التـــدني؟ ... إن للتـــــدليس المقيـــــتُ أناســـــه

إن يكـــنْ صـــحوٌ للرشـــاد تبـــدّى ... (فـــأبو حفـــص) قـــد غـــدا نبراســـه

إن هـــذا (فـــاروق) أهـــل زمـــاني ... ومِـــن (ابـــن الخطـــاب) يُزجـــي اقتباســـه

لـــم يخنّـــي التشـــبيهُ ، والـــرب حســـبي ... تلـــك منـــي اســـتعارةٌ حساســـة

بداية الهزيمة

(يقولون: لا أحد يحب أن يتفوق غيره عليه إلا الأب فإنه يحب ذلك لابنه. وأنا أقول: ولا أحد يحب أن يتفوق غيره عليه إلا المعلم ، فإنه يحب ذلك لتلميذه. ولكنْ أحياناً تأخذ المعلم الغيرة فنيهزم أمام تفوق تلميذه. وتحت عنوان: (كيف يكون المعلم أساساً في حب الطالب لمادته ومدرسته؟) يقوم الأستاذ مجد جابر بهذا البحث الميداني والمسح التشخيصي لعدد من الطلبة والطالبات لبيان العلاقة بين حب الطالب للمعلم ومن ثم حب مادته العلمية ، ويخلص فيه إلى مجموعة من النقاط يلخصها ويختصرها لنا هذه المقتطفات من مقاله: (لطالما كان الطالب محمد سيف ، مبدعاً في مادة اللغة الإنجليزية ، لأنه أحب معلمته كثيراً ، وكان يريد دوماً أن يُثبت لها تفوقه ، وأنه متميز عن باقي أقرانه ، وأن تدريسها له لم يذهب سُدى. محمد الذي درّسته معلمته لثلاثة صفوف متتالية ، أصبح محباً للغة الإنجليزية ، يقرأ بها دوماً ، وامتد هذا الشيء معه لاحقاً ، واختار في الجامعة أن يدرس الأدب الإنجليزي ، لأن معلمته جعلته يحب هذه اللغة. يتذكر محمد (24 عاما) كيف كان أسلوب معلمته شيقاً ، وكانت تتبّع مع الطلبة أساليب غير مُمِلة ، وتعطيهم اختبارات تنمّي مداركهم بدون الاعتماد على مبدأ التلقين فقط ، بل كانت تحفز حواسهم ، وتشجعهم على القراءة ، وحل الواجبات بأسلوب مميز. وفي المقابل تتذكر الطالبة رندة ، كيف كانت تنفر من مادة الرياضيات ، لأن معلمتها كانت صعبة التعامل وشديدة ، لا تتحاور مع الطالبات اللواتي يخفن التحدث معها ، وحينما تخطئ أي طالبة تتعرض لعقاب قاس. أسلوب معلمتها جعلها تكره تلك المادة ليستمر معها ذلك لباقي الصفوف ، وكانت تنجح بصعوبة بالغة. تقول: لم أحب تلك المعلمة. كنت أحب باقي المواد ، لكن حصة الرياضيات كانت تسبب لي عقدة ، وأنتظر اللحظة التي تنتهي بها ، وكانت معلمتي تتعمد أن تسمعني كلاماً جارحاً يقلل مني أمام زميلاتي ، مما زاد كرهي لها. والاختصاصيون يؤكدون دوماً أهمية أن يحب الطالب معلمه ، ويتشوق لأسلوبه ، لأن ذلك سيسهم بأن يحب المادة التي يعطيها المعلم ، والعكس صحيح ، فضلاً عن دور المجتمع بإظهار صورة المعلم الإيجابية وقدرته على صناعة أجيال الغد. واختصاصي المناهج وأساليب التدريس الدكتور عيسى الحسنات ، يؤكد أن ذلك مفتاح التعلم ، يكمُن في عملية الإعداد الحقيقي للمعلم لكي يكون ممارساً لهذه المهنة تكون في البداية ، وحينما يتجه لهذه المهنة يكون راغبا فيها ، وليس لأنها وظيفة فقط. ويبين أن كثيراً من المعلمين يبتعدون عن التعامل الإنساني مع الطلبة ، لذلك يحتاج المعلم إلى تدريب خاص للتفاعل الاجتماعي مع طلبته. ويضيف الحسنات أن المعلم بحاجة الى نماذج جيدة يحتذي بها ليكون قادراً على التواصل والتقارب مع الطلبة ، علّه يكون قدوة لهم ، مبيناً أهمية دور الأسرة عبر تقريب مفهوم المعلم للأبناء ، وليس استخدام صورة المعلم بالطريقة السلبية لإخافة الطلبة منه ، بل رسم صورة إيجابية عنه في مجتمعه ، وبأهمية دوره في صناعة جيل المستقبل. وفي ذلك يذهب الاختصاصي النفسي والتربوي موسى مطارنة إلى أن علاقة المعلم بطالبه ، ترتبط بالمراحل النمائية والعمرية للطالب ، فالطالب يأتي للمدرسة وهو بحاجة للاحتواء ، وبالتالي لا بد على المعلم أن يتحلى بالصفات والصور التي تناسب هذه المرحلة العمرية. وعلى المعلم أن يمتلك مهارات وقدرات تزرع الحب والمودة بينه وبين الطالب ، وأن يتعامل بأسلوب سلس يزيد من ثقة الطالب بنفسه ، هذا كله يزيد من دافعية الطالب وثقته وحبه للقدوم إلى

المدرسة ، مبيناً أنه يجب على المعلم أن يعرف شخصيات الطلاب ويتعامل مع أنماطها المختلفة. ويبين مطارنة أن المعلم هو المسؤول عن صناعة طالب ناجح مبدع ، يحفز الصفات الإيجابية الجيدة لديه. فيما يذهب الاستشاري الأسري الأستاذ أحمد عبد الله إلى أن حب الطالب للمعلم يقسّم إلى نوعين ؛ الأول أن يحب الطالب المعلم لأنه يُشبه أحداً ذا قيمة لدى الطالب ، والنوع الثاني من الحب وهو ردّة فعل لكثير من التصرفات التي يقوم بها المعلم وتتعلق عادة بالفهم النفسي من قبل المعلم لشخصية الطالب والتعامل معه ليس بناء على ما يظهره من سلوكات أكاديمية ، إنما يتصرف معه بناء على إيمانه بأن هذا الطالب لديه إبداع وإمكانات مخفية يجب أن تظهر. ويضيف أن سلوك الاحتواء والتفهم الذي يقوم به المعلم أيضا ، لا ينفصل عن تعامل المعلم مع الطالب على أنه كائن مستقل بطبعه شعورياً وانفعالياً).هـ. أشكر الباحث المحترم مجد جابر على هذا المسح الجيد! وإن هذه القصيدة تعتبر ترجمة لفرط تأثري به ، والذي من أجله كتبتُ من الوافر!)

لمـــــاذا تحْمِـــــلُ الحِقـــــدا ... وتُبـــــدي الجَـــــوْر والكيـــــدا؟

وتأكـــــلُ قلبَـــــك البغضـــــا ... وتُصـــــبحُ للهـــــوى صَـــــيْدا؟

وتحـــــرقُ عزمَـــــك الشـــــحنا ... فتزجـــــي الغِـــــل والعِنـــــدا؟

وتمضـــــغ لاعـــــجَ البلـــــوى ... وتجتـــــرّ الأســـــى فـــــردا

وتُمعِـــنُ فـــي لظـــى الشـــكوى ... وتبـــذلُ فـــي الضـــنا جهـــدا؟

وتسْـــجَرُ فـــي أتـــون شـــقا ... تُعـــاني الأســـر والقيـــدا؟

وتُهـــزمُ فـــي منـــاظرةٍ ... حصـــدتَ عـــذابَها حصـــدا؟

فعـــالجْ نيـــة خبثـــتْ ... وأحســـنْ يـــا أخـــي القصـــدا؟

ولا تحقـــدْ علـــى أحـــدٍ ... زرعـــت بدربـــه المَجـــدا

فهـــذا الشـــبلُ تلميـــذْ ... ولـــيس لغيـــره عبـــدا

وقـــد علمتـــه التقـــوى ... ومـــا علمتـــه الحِقـــدا

فخـــفْ مِـــن غيـــرةٍ مَحقـــتْ ... لـــديك الشـــكرَ والحَمـــدا

فبـــتّ تضِـــيقَ بالـــذكرى ... ولا تتقبّـــلُ النقـــدا

نصـــحتك لـــو تطـــاوعُني ... تنـــالُ الخيـــرَ والســـعدا

الغربة على يديك

(تزوجَ من غير قبيلته ليزيل الوحشة والغربة التي ابتلي بها في عشيرته. فإذا بالعروس المختارة تزيده غربة على غربته ، ووحشة على وحشته. يقول الأستاذ محمد المنجد في مسألة: (حسن اختيار الزوجة) ما نصه: (إن المرأة الصالحة واحدة من أربع من السعادة ، فالمرأة السوء واحدة من أربع من الشقاء كما جاء في الحديث الصحيح ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «فمن السعادة المرأة الصالحة تراها فتعجبك ، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك ، ومن الشقاء المرأة تراها فتسوؤك ، وتحمل لسانها عليك ، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك». قال تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ، ينبغي على صاحب البيت انتقاء الزوجة الصالحة بالشروط التالية: • «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (متفق عليه ورواه البخاري انظر فتح الباري). • «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» (رواه مسلم). • «ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا ، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة». (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن ثوبان صحيح الجامع). • وفي رواية: «وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتنز الناس». (رواه البيهقي في الشعب انظر صحيح الجامع). • «تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة» (رواه أحمد عن أنس وقال في إرواء الغليل صحيح). • «عليكم بالأبكار فإنهن أنتق أرحامًا ، وأعذب أفواهًا وأرضى باليسير». (رواه ابن ماجه وهو في السلسلة الصحيحة وفي رواية) ، وأقل خباً: أي خداعًا. • وكما أن المرأة الصالحة واحدة من أربع من السعادة ، فالمرأة السوء واحدة من أربع من الشقاء كما جاء في الحديث الصحيح وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «فمن السعادة المرأة الصالحة تراها فتعجبك ، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك ، ومن الشقاء المرأة تراها فتسوؤك ، وتحمل لسانها عليك ، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك». (رواه ابن حبان وغيره ، وهو في السلسلة الصحيحة). • وفي المقابل لا بد من التبصر في حال الخاطب الذي يتقدم للمرأة المسلمة والموافقة عليه حسب الشروط التالية: • «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». (رواه ابن ماجه وهو في السلسلة الصحيحة). والرجل الصالح مع المرأة الصالحة يبنيان بيتاً صالحًا ، لأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً).هـ. يقول الأستاذ عادل فتحي عبد العال ما نصه: (تبدأ السعادة الزوجية بحسن الاختيار: فحريٌ بمن أراد أن يكمل نصف دينه أن يحسن اختيار شريكة العمر ، وللناس في ذلك دروب وأحوال ، فمن باحث عن امرأة حسناء ومن باحث عن الغنى والمال ، ومن باحث عن ذات الحسب والنسب ، والإسلام دين الفطرة لم يكن ليأمر أصحابه بأن يتركوا ذات المال والجمال والحسب والجاه ، إنما يأمرهم أن يكون جُل اهتمامهم بذات الدين ، الشريفة العفيفة ، التي صانت عِرضها ، وحفظتْ مفاتنها أن يراها من لا يحل لها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [تنكح المرأة لأربع: لجمالها ، ولحسبها ، ولمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك]. متفق عليه. أي ليكن أساس اختيارك ذات الدين وإلا التصقتْ يداك بالتراب كناية عن الخسران والشقاء ، وقال صلى الله عليه وسلم: [الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة]. رواه مسلم. لماذا كانت ذات الدين أفضل؟ ويجيب عن النبي الكريم

صلى الله عليه وسلم فيقول: [ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله]. رواه أبو داود والنسائي. وإذن فالمرأة الصالحة هي التي تلتزم حدود الله وتعرف واجبها نحو الحق والخلق ويعرف ذلك من: * الأسرة: فالتنشئة الاجتماعية في بيت يحترم مبادئ الإسلام وآدابه يكون لها أبلغ الأثر في حياة الأبناء ، والأم الصالحة دائماً ما تكون ابنتها مثلها تحذو حذوها وتسلك مسلكها. * المظهر: فمن لبست ما يستر الجسد ولا يبدي زينتها فقد حفظتْ حدود الله ، قال الله تعالى: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها}. * السلوك العام: فلا يعرف عنها الاختلاط الماجن مع الشباب ويعرف جيرانها عنها سلوك المرأة الملتزمة بالأدب والخلق).هـ. فرُحتُ أتخيل صاحبنا يحكي لنا قصة زواجه المشؤوم شعراً على البحر الرملي كاملاً!)

كنتُ أهوى زيجة بالحب أشهى ... وانطلاقاً بالنكاح العفّ أزهى

فانطلقتُ - في المتاهاتِ - وحيداً ... فإذا بي أنتهي - صدقاً - لمَهوى

ونهاني سيدُ القوم ، ولكنْ ... لم أعِرْ أيّ اعتباراتٍ لمَنهى

قِيلَ عُدْ للدار ، لن تعدِمَ زوجاً ... قد أحبّتك ، وباتت بك ولهى

صرَّحتْ بالحب ، لم تصمُتْ حياءً ... تلك منا ، وهْي ليست بعد شَوْها

جعلتنا شفعاءَ ، فاتبعنا! ... مَن تحب عَيشها أحلى وأشهى

قد تكونُ مَن تخيّرتَ عروساً ... أجملَ الغادات يا ولهان وَجْها

ثم تسقيك شقاء العيش جَبراً ... ومِن الأعداء هذي الزوجُ أدهى

قلتُ: كلا ، إنني بالحال أدرى ... والتي اخترتُ - وربّ الناس - أبهى

وتزوجتُ ، وكان السحْرُ أقوى ... فإذا بالغادة الحسناء بَلها

لعبتْ بالنار حتى أحرقتنا ... وإذا بالبيت - للأصهار - مقهى

في مهبّ الريح أمسى كل شئ ... مِن بيوتِ العنكبوت البيتُ أوهى

وكأني اخترتُ مَن تلعب دوراً ... والتقيتُ الزوج في حفلة ملهى

فاغتربتُ رغم أني وسط أهلي! ... حلّ بي ما كنتُ يوماً عنهُ أنهى!

فضيحة امرأتين

(عشقتا رجلاً واحداً! وكانت الأمسيات والسهرات. وذات يوم اكتشفتا أنه زير نساء. حيث له عشيقات كثيرات غيرهما فتمردتا عليه. ففضحهما بأدلةٍ ناولها زوجَ كُلٍ. حيث كان انتقامه الذي أعد له أسبق من تمردهما معاً. فانتهت المسألة كلها بالفضائح التي أدت إلى الطلاق ، كنتيجةٍ حتميةٍ منطقيةٍ لكل مَن تلعبُ بالنار ، وتتخذ الأخدان وتسافحُ وتعشقُ غير زوجها. والحمد لله رب العالمين. أكتب في هذا الصدد على البحر الكامل راجياً كمال الزوجات والتزامهن وعدم اتباع خطوات الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والخروج السافر على شريعة رب الأرض والسماء! إن الاستقامة على منهج الله ، والاعتصام بحبل الله المتين ، واتباع كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – هي جميعاً سُبل النجاة في هذه الحياة الدنيا! وحصنُ الأمان لكل مسلم ومسلمة!)

أولى بمن تزني الحضيضُ الأوضَعُ ... والرجْمُ يشهدُهُ التقاةُ الرّكّعُ

إنا لفي جيلٍ تفاقم شرّهُ ... أضحى لأصحاب المكائد يَخضعُ

ومِن الدغاول ما يُجرّعني الأذى ... فأبيتُ – للرحمن - همّي أرفعُ

وغيابُ شِرعة ربنا أسّ البلا ... إذ إنها مِن كل شر تمنعُ

وإليكَ قصة نعجتين أحبتا ... كبشاً عن الحُرُمات لا يتورع

في الصبح واحدة وأخرى في المسا ... وإلى المزيدِ الكبشُ كم يتطلع!

والعُشبُ مكفولٌ لكل نِعاجهِ ... والماءُ يرسله السحابُ الأوسع

لا شيء يقلقُ مضجعاً أو عِيشة ... بل طاب - للكبش الخليع - المَضجع

حتى إذا ما النعجتان تسللتا ... بالكبش دهراً ، والحقائقُ تُفجع

رأتا بأن الكبشَ طال متاعُه ... ولذا فمنذ اليوم لا يتمتع

وطغى التمرّدُ ، نعجتان تقودُه ... والكبشُ يُبصرُ ما يُحاكُ ، ويَسمع

ومضى يُهدّدُ بالفضائح ثائراً ... ويقول: أكشفُ سِتر مَن تترفع

وإذا به يُزجي الأدلة عامداً ... فإذا الطلاقُ مصيرُ مَن تتسكّع

رفقاً بنفسك يا أبتاه!

(تمردتْ هذه الزوجة على زوجها. ولها منه بُنيات وأولاد. فبات الزوج المغلوب على أمره بين خيارين أحلاهما أمرّهما. فإما أن يصبر ويكابد من أجل أولاده وبناته ، وإما أن يطلق ويتزوج من أخرى ويتشرد الأولاد. إن الأولاد والبنات همُ الضحية في هذا الخيار الثاني. فانتحى ناحية ، وغلبته دموعه فجاءت ابنته الصغرى وجففت دموعه قائلة: رفقاً بنفسك يا أبت واصبر ، إن وعد الله حق! ولمّا استشار أهل الخبرة والتجربة والعلم ، وجدهم يكادون يُجمِعون على مبدأ واحد جوهرُه ومَفاده وخلاصته أنْ تكلفْ لها لتبقيَ على بناتك وأبنائك مادام الأمر في دائرة المُباحات! وتنازلْ بعض الشئ عن أغلب حقوقك من أجل الإبقاء على هذه الأسرة وذلك البيت! والحقيقة أن هذا السلوك هو الأرشدُ والأحكمُ من أجل الحفاظ على الكل: (الزوج والأبناء والبنات والزوجة نفسها!) وإذن فالحكمة تقتضي التصرفَ بشئ من التوزازن والتنازل والتوافق!)

لغيـــــر الله لا تحلـــــو الشـــــكاية ... وذل الحُـــــر مِـــــن أعتـــــى النِكايـــــة

ولـــيس يـــدومُ – بـــالمخلوق - حـــالٌ ... وكـــم لاقيـــتُ - مِـــن زوجـــي - الإذايـــة

زواجـــي كـــان أشـــرسَ عائـــداتي ... فقـــد أضـــحى يُـــؤرّخ للبدايـــة

تُخيّرنـــي الحليلـــة بـــين مُكثـــي ... أصـــارعُ حُمقهـــا حتـــى النهايـــة

وبـــين طلاقهـــا أشـــفي غليلـــي ... فقـــد عانيـــتُ مـــا فيـــه الكفايـــة

ومثلـــي لا يُحَطمُـــه التحـــدي ... لأنـــي قـــد رفعـــتُ الحـــق رايـــة

ولكـــنْ للعِيـــال علـــيّ حـــق ... وهـــم أولـــى بعطفـــي والرعايـــة

ومـــا ذنبـــي؟ ومـــا ذنـــبُ الضـــحايا؟ ... وهـــل أمســـت لأمهـــمُ الوصـــاية؟

لتجعلنـــا نلـــوكُ جـــوى الرزايـــا ... بـــلا خطـــأ كســـبنا ، أو جنايـــة

لمـــاذا الكيـــدُ مِـــن زوج وطفـــل؟ ... أم التـــدمير صـــار لهـــا هوايـــة؟

لمـــاذا - للصـــواحب - كـــل رفـــق ... وللجـــارات ترتجَـــلُ العنايـــة؟

أســـائلُ مـــا الـــذي أودى بزوجـــي؟ ... جنـــونٌ؟ أم ظنـــونٌ؟ أم وشـــاية؟

وأيـــن الـــود إن غـــدتِ المنايـــا ... وســـوءُ الظـــن والتكـــديرُ غايـــة؟!

الفجور

(كما أن الطاعة مُحبّبة ومُزيّنة لأصحابها. فكذلك الفجور والمعصية والفسوق أشياء مزينة ومحببة لأصحابها. (زين للناس حب الشهوات) ، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن عبداً أصاب ذنباً فقال: يا رب إني أذنبتُ ذنباً فاغفره لي ، فقال له ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال: ثم أذنب ذنباً آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي ، قال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال: ثم أذنب ذنباً آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنبا فاغفره لي ، فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه: غفرتُ لعبدي فليعمل ما شاء". فليتب كل عاص من ذنبه!)

دمُ العِصيان يجري في العُروقِ ... فما جدوى تلطفك الرقيقِ؟

تعلمه العقيدة باجتهادٍ ... وتبذل مِن تواصُلك الشفيق

وتنصحُ مُبدياً حرصَ المُربّي ... وتلقي النصحَ باللفظ العميق

وتوفي بالوعود تريدُ نفعاً ... ولست تضيقُ بالعهد الوثيق

وتنتخبُ المواعظ مُشرقاتٍ ... لتزدهرَ الخواطرُ بالبريق

وتلقى بعد ذلك كل صدٍ ... لأن الخِب يُوغلُ في الفسوق

يُذيقك - بالتمرد - كل مُر ... ويُمعِن في التلفت والمُروق

ويَسخرُ منك في سِر وجهر ... وأنت تقولُ: أرفقُ بالصديق

ويحتقرُ النصائحَ والوصايا ... وأنت تقول: أنصحُ للرفيق

ألا إن الفجور غدا سبيلاً ... لكل فتىً تنكّر للطريق

ولست تراهُ يشهدُ درس عِلم ... فقد أمسى يَحِنّ لكل سُوق

أضاعَ الواجباتِ ، وما تزكّى ... وما أدى بُعيضاً مِن حقوق

فدعْه ، سواهُ بالتذكير أولى ... وفي بحر الشقا كمْ مِن غريق!

وفي الظلمات ترتكسُ الضحايا ... وهم - واللهِ - أولى بالشروق!

بسبب حجابها

(فتاة اسمها (رحاب) قد منّ الله عليها بالهداية. فراحت تلتزمُ أوامر الله التي الحجابُ جزءٌ منها! وتجتنبُ نواهيَ الله التي التبرجُ جزءٌ منها. فلم يُطق المجتمع حجابها: لا الأسرة ولا الجامعة. فعانتْ وحزنتْ فناشدتها الصبر! رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - أنه قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب ينقل التراب ، وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول: (لولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزلنْ سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا ، إن الألى قد بَغوْا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبيْنا). وروى ابن ماجه عن النواس بن سمعان الكلابي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه).)

عليكِ بالاصطبار والاحتسابِ ... فإن الصبرَ يذهبُ بالصعابِ

وكم بلوى يُخففها التسامي! ... وكيدُ مَن استفزكِ في تباب

وجدّي في الدعاء لعل سهماً ... يُعيذكِ مِن معاناة العذاب

ولا تستسلمي لمَن استبدّوا ... بنزع الستر ، أو خلع الحِجاب

ولا تستغربي هذي الدعاوى ... فإن القومَ خصّوا بالعِقاب

إذ اختلطتْ أمورُ الناس حتى ... رأيتُ العيش يُؤذنُ بالخراب

فقد ألفوا التهتك والدنايا ... وعِشقَ الدعر مِن أعتى المُصاب

ألا فلتثبتي ، وثقي بنصر ... سيأتي بالدعاء والاحتساب

ولا ألقاكِ في كرب وبؤس ... فكم أمل يزولُ بالاكتئاب!

وضِني بالفؤاد على المآسي ... لأن الفأل أجدرُ بالشباب

وإنْ سُومتِ فاختاري التحدّي ... فلن يقف السوامُ على النقاب!

ويوماً سوف تنقشعُ البلايا ... ويُهزمُ مَن تمسّك بالسراب

(رحابُ) تشبثي بعُرى المَعالي ... ومَن في الغيد أكرمُ مِن (رحاب)؟!

رعاكِ الله لا تخشي ضياعاً ... وعند مليكنا خيرُ الثواب

خاتمة المطاف

خِتـــامُ مِطافنـــا أحلـــى الوصـــايا ... وآمـــــالٌ تســـــامِرُها التحايـــــا

وتوديـــعٌ لمـــن عانـــت كثيـــراً ... وكانـــت ـ فـــي ـ النســـا ـ أتقـــى الصـــبايا

ونحسِـــبُها علـــى التقـــوى ، ونرجـــو ... لهـــا الحســـنى ، وذي أغلـــى العطايـــا

ونُعْظِـــمُ قـــدْرها دينـــاً ودنيـــا ... لأن لهـــا كُريمـــاتِ الســـجايا

فكـــم صـــبرتْ علـــى البلـــوى ، وعفـــتْ ... عـــن الشـــكوى إلـــى بعـــض البرايـــا!

وكـــم رفعـــتْ شـــعاراتِ التســـامي ... لتُخفـــيَ مـــا تكشّـــف مِـــن خبايـــا!

وأبـــدتْ للجهـــول ســـنا إبـــاءٍ ... لأن ســـؤاله إحـــدى الـــدنايا

بكـــدِ يمينهـــا عاشـــت ، فعـــزتْ ... وكسْـــبُ القـــوت مِـــن أنـــدى المزايـــا

لـــذا حييتُهـــا بالشـــعر يُشـــجي ... وجمّلـــتُ القصـــائدَ بالوصـــايا

وأكْبـــرُ شـــأنها فـــي كـــل صُـــقع ... وربُّ النـــاس أعلـــمُ بالنوايـــا

وأجعـــلُ مِـــن ضـــحايا اليُـــتم رمـــزاً ... لأعـــذب مـــا ســـمعتُ مِـــن الحكايـــا

وأتحـــفُ مَـــن يطـــالعُ مســـتفيداً ... دروسَ العُمـــر مِـــن هـــذي الروايـــا

ليـــرحمَ هـــذه الثكلـــى ويُطـــري ... ويُكرمَهـــا ، ويرفـــقَ بالضـــحايا

ليعـــــذرَها إذا مســـــحتْ نِعـــــالا فقـــد نزلـــتْ بســـاحتها الرزايـــا

وباتـــــتْ تحتســـــي الآلام وجْـــــداً وتجتـــــرّ المصـــــائبَ والمنايـــــا

وتـــــزدردُ الشـــــقاءَ بكـــــل صـــــبر وتحتمـــــلُ الـــــدغاولَ والبلايـــــا

وأخـــــتمُ بالـــــدعاء لهـــــا احتســـــاباً وهـــــذا الأمـــــرُ مِـــــن خيـــــر الهـــــدايا

وقـــــاكِ الله شُـــــحّ مَـــــن اســـــتعانوا بمـــــالهمُ علـــــى كبـــــتِ الشـــــكاوى

وثبتـــــكِ المليـــــكُ علـــــى المعـــــالي وأغنـــــاكِ القـــــديرُ عـــــن البرايـــــا

فمـــــن أغنـــــى المليـــــك فـــــذا غنـــــيٌّ فلـــــم يغـــــشَ الفجـــــورَ أو الخطايـــــا

ومـــــن أشـــــقى المليـــــكُ فـــــذا فقيـــــرٌ وإن مَلَـــــكَ المَـــــدائنَ والسَّـــــرايا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الملك الحق ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله الذي خلق الأرض والسموات ، الحمد لله الذي علم العثرات فسترها على أهلها ، وأنزل الرحمات على من يشاء من عباده ، ثم غفر الزلات لمن يشاء من عباده ، ومحا السيئات ، فله الحمد ملء خزائن البركات ، وله الحمد ما تتابعت بالقلوب النبضات ، وله الحمد ما تعاقبت الخطوات ، وله الحمد عدد حبات الرمال في البيداء والفلوات ، وعدد ذرات الهواء في الأرض والسماوات ، وعدد الحركات والسكنات ، الحمْد لِلَّه الَّذِي منَّ عَلَيْنَا بِالإسلام والإيمان والإحسان ، الحمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالمِيْنَ ، الحَمْدُ لله الَّذِي لَهُ ما فِي السَّمَواتِ وما في الأرْضِ ولَهُ الحمْدُ في الآخِرَةِ وهُوَ الحَكِيْمُ الخبِيْرُ ، الحمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَواتِ والأرْضِ ، الحمْدُ لله الَّذِي أنْزَلَ على عَبْدِهِ الكِتَابَ ولم يجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، الحمْدُ لله الَّذِي لم يَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولا ولدًا ولمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ في المُلْكِ ولمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِن الذُّلِّ وكبِّرْهُ تَكْبِيْرًا. اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ أنتَ نُورُ السمواتِ والأرضِ ومَنْ فيهِنَّ ، ولكَ الحَمْدُ أنتَ قيومُ السموات والأرض ومن فيهنَّ ، ولكَ الحَمْدُ أنتَ ملك السموات والأرض ومن فيهنَّ ، ولك الحمدُ أنت الحقُّ ، ووعدُكَ حقٌّ ، ووعيدك حق وقولُكَ حقٌّ ولقاؤكَ حَقٌّ ، والجَنَّةُ حقٌّ ، والنَّارُ حقٌّ ، والسَّاعةُ حقٌّ ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، ومُحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ. وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه ، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً ، ليس فيه ناقض ولا معقب ، ولا مزيل ولا مغير ، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه ، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة ، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته ، كما قال تعالى في كتابه: (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) ، وقال تعالى: (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيما ، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً ، لقد التمس بوهمه في محض الغيب سراً كتيماً ، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً. وأومن بأن العرش والكرسي حق ، وهو سبحانه مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه. ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلم الله موسى تكليماً ، إيماناً وتصديقاً وتسليماً. وأرسل محمدا للعالمين بشيراً ونذيراً! ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين. ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين ، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين. وعاملين هم بمقتضى ذلك الإيمان والتصديق! ولا نخوض في الله ، ولا نماري في دين الله ، ولا نجادل في القرآن ، ونشهد أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، فعلمه سيد المرسلين ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ، ولا نقول بخلقه ، ولا نخالف جماعة المسلمين إن وجدت في الأرض ودانت لله سبحانه بالهدى ودين الحق. ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ، نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ، ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نأمن عليهم ، ولا نشهد لهم بالجنة ، ونستغفر لمسيئهم ، ونخاف عليهم ولا نقنِّطهم . والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام ، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة. ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه. والإيمان: هو الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله.

ترجمة الشاعر

(الشاعر/أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصرالعربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية وآدابها ـ جامعة المنصورة ـ دفعة مايو عام 1985م. له اهتمام بالغ منقطع النظير بالأدب الجاد شعره ونثره ونقده. وكانت له صفحة يومية بجريدة الوحدة الإماراتية عنوانها: دوحة الوحدة الشعرية ، وهي صفحة تعنى بالشعر في جميع مراحله القديمة والحديثة: نقداً وتحقيقاً ومتابعة وتغطية. كما أن الصفحة تتبنى المواهب المتطلعة لشعر أفضل!

وأخيراً يمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

1 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
2 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
3 – سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
5 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
6 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات: (ملحمة شعرية ألفية).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
10 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – قراءة أسلوبية فى شعر حسان بن ثابت الأنصاري.
16 – قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي.
17 – قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية.

والحمد لله أننا قد وصلنا إلى نهاية هذا الديوان الشعري! وأنا حاولتُ جاهداً أن لا أغرق في الرمزية ، بل كنتُ حقاً واضحاً ومباشراً الشيء الكثير! كما أنني احترمتُ عاطفتي وتأثر القراء! ولعلّ الأستاذ أحمد الشايب من أوائل الذين خلطوا بين عاطفة الشاعر وتأثّر المتلقّي ، فيرى أنّه «يمكن تعريف الشعر بأنّه الكلام الموزون المقفى الذي يصوّر العاطفة والعقل» ، ويقول: «إننا إذا درسنا حِكَم المتنبي مثلاً وجدنا ظاهرة عاطفيّة ، ما في ذلك شكّ ؛ لأنّها من ناحية الشاعر ثمرة تجارب كثيرة وشعور صادق بآثار الحياة وحقائقها وأسرارها.

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – ماسحة الأحذية

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
الإهـــ	ـــــــــــ	ـــــــــــ	ـــــداء	7
الافـــ	ـــتـــــــتـــ	ـــاحـــيـــ	ـــيـــة	9
الـــمـــ	ـــقـــــــ	ـــدمـــ	ـــــة	11
تـــ	ـــمـــهـــ	ـــيـــ	ـــد	13
رحـــ	ـــلـــتـــي مـــع الـشـــ	ـــعـــ	ـــر	15
1	وفاءُ شاعر	الخفيف	يَمتازُ	17
2	من الكباريه	البسيط	انطلقوا	18
3	أمانة	المتقارب	البشرْ	19
4	عالم الدنس	المنسرح	الشريفة	20
5	أسماء	البسيط	الخيرِ	21
6	سلوكٌ عواقبُه وخيمة	المقتضب	منحرفُ	22
7	عقوقُ داعية	المنسرح	العثراتِ	23
8	تبديدٌ متعنت	الوافر	معراجُ	24
9	إلى كل مجني عليها	الرمَل	الصرمعة	25
10	البُيوت الحزينة	المتقارب	الفلسفة	26
11	بينهما أنا المصاب بالمعرّة	الوافر	والمُحَيّا	27
12	أشهرِ العقيدة	المضارع	الأنبياءِ	28
13	ألف ليلة عيد	السريع	والهدفا	29

14	أبشرْ بالشهادة	المجتث	متعة	30
15	قولوها	البسيط	والشرْعُ	33
16	أرَجوزة تنتظرُ أرجوزة	المتدارك	جاهرْ	34
17	بعد اليوم بينَ بين!	الكامل	والغلواءُ	35
18	لأنها جميلة	البسيط	أشعاري	36
19	تلك أخباركم	الخفيف	الخلاقِ	37
20	شريعة الإسلام	المقتضب	يحتسبُ	38
21	مسافرة إلى عالم الوهم	المنسرح	الأحاجي	40
22	القاتل الضحية	الوافر	مسؤولُ	41
23	يا أسفى على الجمال!	البسيط	والغزلُ	42
24	هذي مني ، وأنا منها	الخفيف	تستجيرُ	46
25	الضحية	المتقارب	الأفولْ	50
26	حوارٌ مع مستشعر نبطي	المتقارب	المعمعة	53
27	مرة واحدة تكفي	الوافر	الوُشاةِ	57
28	أخوّتان	البسيط	عقلوا	62
29	نعمتِ التربية!	الخفيف	الخيَلاءَ	69
30	تقبّـلي الـعـزاء!	الوافر	الشكاةِ	71
31	لن أتقبلَ عزاءكن!	الوافر	الترّهاتِ	76
32	عنوسة إلى الأبد!	الوافر	الرزايا	83
33	على يديك أتوب	البسيط	ينسكبُ	86

34	أعود كما أتيت	الرمل	العِبَرا	91
35	تيسٌ يرثُ نعجة!	المتقارب	اللومِ	92
36	عندما يذهب الحياء	البسيط	راجي	95
37	(ماسحة الأحذية)	الطويل	يتذكّرا	97
38	واختلاف ألسنتكم وألوانكم	الخفيف	الطبولِ	99
39	واجبنا نحو اللغة العربية	البسيط	والعرَبُ	101
40	ثمن المروءة	الكامل	سَوامُ	110
41	نعمة الحياء	المتقارب	الفاتنة	111
42	حتى متى؟!	البسيط	ورمّاحِ	112
43	لا يزالُ في عالم الوهم	الكامل	بزمانِ	115
44	ليس هذا من اللغة العربية	الكامل	وعقولا	118
45	أشهِرُ قرآنك	الخفيف	والمُيُولا	122
46	ثمن الحرية	الرمل	انتحري	127
47	عندما يستنوقُ البعير	الوافر	الناشزاتِ	135
48	الصعيدي عندما يعِف!	الكامل	دليلا	141
49	احتسبتكَ عند الله يا خالد	المتقارب	الأذى	145
50	هدى اللهُ بها امرأتين	البسيط	السلفِ	147
51	إنك لا تهدي من أحببت	الخفيف	الرباني	149
52	المروءة	البسيط	قد شُغِلوا	154
53	شرفٌ لا يُبارى	الخفيف	الفلوسُ	160

54	بلقيس	الكامل	الملموسا	164
55	أقِلوا من اللوم	الوافر	وعنبرْ	167
56	عيد الحب (أرجوزة)	البسيط	قوافي منوعة	169
57	خرج ، وليته لم يعد	الطويل	مكائدُ	174
58	وصية أمامة لأم إياس (أرجوزة)	البسيط	تأتلقُ	175
59	بين الجامع والجامعة	الكامل	بالآلافِ	179
60	على الله القبول	الوافر	سعيتُ	183
61	سوزي من الكباريه إلى حقل الدعوة	الطويل	سرائرُ	186
62	العَيْن ، وما أدراك ما العين!	المتقارب	الغافية	191
63	تقوى الله هي السعادة	الخفيف	المطايا	193
64	الموسيقى داءٌ ، وليست بدواء	الكامل	الخناسُ	195
65	ما عهدناك هكذا يا منار	البسيط	حُرَّاسا	202
66	بل جميلة المسلمة الإنجليزية	الخفيف	العروسا	204
67	الحلال بيِّن والحرام بيِّن	الرمل	شتى الصورْ	207
68	وشهد شاهد من أهلها	المتقارب	من ينطقُ	208
69	قطرة الماء أمانة	المتدارك	الأمطارِ	220
70	الوهم	المتقارب	هبةْ	222
71	السقوط	المتقارب	تستقيم	223
72	جويرية تضرب بالدف	الكامل	الإسلامُ	224
73	لماذا ينحرف المسار؟!	المقتضب	منخرسُ	226

74	عقيدة بلا رصيد	المنسرح	سعيدة	228
75	عابدٌ مفترىً عليه	البسيط	وشُرَّاحِ	230
76	رؤيـــاك	البسيط	اضطربا	231
77	مَن قتل هؤلاء؟	الخفيف	الدليلُ	232
78	بُهلول الشام	الخفيف	يطولُ	233
79	ليس هذا مكانك!	المتقارب	الفضولُ	235
80	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	الوافر	الضلالا	240
81	الوقت كالسيف	الخفيف	ورَواحِ	242
82	وللشهامة تكاليف	الخفيف	والخسرانِ	246
83	الغاية لا تبرّرُ الوسيلة	الوافر	العُتاةِ	251
84	أنا النذير العُريان	الكامل	العُريانِ	254
85	شهادة نعتز بها	الوافر	القصوى	257
86	شموخ داعية	الرمل	الخالدينْ	260
87	كيف أصبحت؟	الوافر	اعتبارُ	261
88	فضيحة	الطويل	الفضائح	264
89	صدقةٌ تقود إلى التوبة	الكامل	المعصياتْ	265
90	لا يزالُ مغنماً	الخفيف	علامة	266
91	عتابٌ مستعفِف	مجزوء الوافر	نهلة	274
92	وإلا أخبرتُ أبا محمد	الرمل	صاغية	276
93	التربية بين الجامع والجامعة	الوافر	العلمنة	277

94	كيف أصبحت بهم أولى؟!	المتدارك	شنعا	278
95	أليس شاب شعره؟!	الطويل	ماشية	279
96	عالمُ عصره	الخفيف	حُرَّاسهْ	280
97	بداية الهزيمة	مجزوء الوافر	والكيدا	281
98	الغربة على يديك	الرمل	أزهى	283
99	فضيحة امرأتين	الكامل	التقاة الركعُ	285
100	رفقاً بنفسك يا أبتاه!	الوافر	النكاية	286
101	الفجور	الوافر	الرقيقِ	287
102	بسبب حجابها	الوافر	بالصعاب	288
خـــــ	ـــــاتـــــمـــــــة الـــمـــــ	ـــطـــــ	ـــــاف	289
وآخـــــ	ـــــر دعـــوانـــــا أن الحـــمـــد للـــ	ـــه رب العـ	ـالـمـيـــن	291
تـــرجـــ	ـــــمـــــــة الـــشـــــــ	ـــاعـــــ	ـــــــر	292
فـــهـــ	ـــرســـــت الـقـصـــــائـــد والـمـــ	ـــسـرد الـــ	مـوسـيـقـي	293
ونسأل الله	العلي القدير أن يجعله شعراً مباركاً في الأرض كلها	وأن يجعل ثواب	شاعره وقارئه	الجنـة!

فهرست ملحقات ديوان: (ماسحة الأحذية)!

مسلسل	عنوان	صفحة
1	الإهداء (الكامل – أمنية) (27 بيت)	7
2	الافتتاحية (المتقارب – استقيت) (21 بيت)	9
3	المقدمة (البسيط – العِظَم) (22 بيت)	17
4	التمهيد (الطويل – المعنى) (24 بيت)	17
5	خاتمة المطاف (الوافر - التحايا) (21 بيت)	289

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته!

تنويهٌ هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)
16004 / 2006 في يوم 6 – 8 – 2006م
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤوون الفنية
811 - 800

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

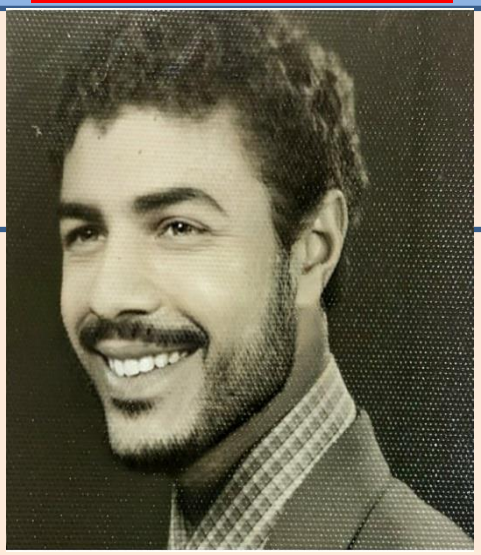

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!